

سلسلة فرق وطوائف - [2]

طائفة الإسماعيلية

الاسماعيلية المستعلية (البهرة) - الاسماعيلية النزارية

(أتباع أَعَاخَانْ) - الدُرُوزْ

وتأويلاتها

الباطنية آيات القرآن الكريم

د. سامي عطا حسن

أهدي ثواب هذا العمل لوالدي الكريمين

[رَبِّ أَرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا]

(الاسراء : 24)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الإسماعيلية فرقة باطنية، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلو الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفرون أعضائها (¹)

الإسماعيلية في حقيقتها فرقة من فرق السبئية ، ان لعبد الله بن سبأ اليهودي اليماني أثر بالغ في تأسيسها ، بل هي أكثر الفرق السبئية تطرفا ، إذ أنها تضم عقائد كافة فرق ومذاهب وطوائف الغلاة جميعها ، بعد القضاء المبرم على زعمائها وتشيت أفرادها . واتفق أهل المقالات ومؤرخي الفرق - أو يكادون - على أن أول من أسس هذه الطائفة المشنومة قوم من بقايا فلول الفرق الغالية ، وملاحدة الفلاسفة واليهود ، وانتحلوا الانتساب لآل البيت الكرام ، واتخذوا من : (محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق) ستارا يخفون وراءه حقدهم الدفين ، وكيدهم العظيم للقضاء على الإسلام الذي أزال ملكهم ، وقضى على دولهم . ولست أريد في هذه العجالة التأريخ لطائفة الإسماعيلية التي ظاهر مذهبها الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، فقد كفاني مؤونة ذلك كثير من الباحثين الذين سلطوا الأضواء على كثير من جوانبها المعتمة ، بل أريد تسليط بعض الأضواء على تأويلات طائفة الإسماعيلية وفرقها المعاصرة ،

¹¹ - الموسوعة الميسرة

لبيان حقيقة تأويلاتها المنحرفة لآيات القرآن الكريم .. والفرق الباطنية عموماً تُعدُّ بذرة من البذور التي غرستها فرقة السبئية في العالم الإسلامي - كما أسلفنا - ، وهدفها جحد الشرائع ، وتعطيل النصوص بالتأويلات الباطنية الفاسدة ، متكئين على أن للقرآن الكريم ظاهراً وباطناً ، الظاهر للعوام ، والباطن لا يطلع عليه إلا الإمام المعصوم ودعاته ، ولم أجد من أفرد هذه الطوائف وتأويلاتها بالبحث، إنما تحدث الكاتبون عنها حديثاً مُبتسراً ، فحفزني ذلك على تسليط الأضواء على نشأة هذه الفرق المعاصرة ، وتاريخها ، وعقائدها ، وتأويلاتها الباطنية لآيات القرآن الكريم ، لكشف حقيقتها للدارسين ، وتنبيههم إلى خطرها ، وقد خفي أمرها على كثير من خاصة المسلمين وعامتهم ، فكانت هذه الدراسة . وهذه الفرق المعاصرة هي :

- الدروز .

- الإسماعيلية المستعلية - والمعروفة بالبهرة .

- الإسماعيلية النزارية - أتباع أغا خان .

كما سأبين للقارئ الكريم شيئاً عن فرق الاسماعيلية المندثرة ، وعقائدهم الفاسدة ، وطرفاً من تأويلاتهم المنحرفة ، التي تؤكد انحرافهم عن جادة الصواب .. وقد جعلتها في مقدمة ، و تمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة ، على النحو التالي :

تحدثت في الفصل الأول : عن نشأة الإسماعيلية ، وفرقها ، وذكرت شذرات من عقائدها ، وشرائعها، وعبادتها ، وضمنت الفصل بضعة نقاط .

وتحدثت في الفصل الثاني : عن معنى التأويل ، وشروط التأويل الصحيح المقبول ، وسمات التأويل الباطني الفاسد وضمنته عدة نقاط كذلك .

وبينت في الفصل الثالث : نماذج لتأويلات طائفة الإسماعيلية ، وفرقها كالبهرة ،
والدروز ، وأتباع أغاخان ، وبينت بطلانها .
وبينت في الخاتمة أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج .
وهدفنا هو الحقيقة .. بلا تردد ولا مجاملة ، .. والله ولي التوفيق .

تمهيد

تمكن عبد الله بن سبأ اليهودي اليماني ⁽¹⁾ وأتباعه من شق وحدة الأمة الإسلامية إلى سنة ، وشيعة ، وخوارج، ولم يقتصر هدفهم على ذلك ،فهو أبعد من ذلك بكثير؛ ألا وهو إفساد وتخريب عقائد الذين اتبعوه ، لإخراجهم نهائياً من صف المسلمين ، تحت شعار الدفاع عن آل البيت .وقد كان الخوارج والشيعة ضمن معسكر واحد ⁽²⁾ وهو معسكر علي - رضي الله عنه - ، وبعد موقعة صفين امتاز الخوارج عن الشيعة ، وسلك كل فريق مسلكاً يناقض الآخر ، وأصبح الفريقان يتبرأ أحدهما من الآخر ، فقال صالح بن مسرح الخارجي في شأن علي - رضي الله عنه - : (فلم ينشب أن حَكَمَ في أمر الله الرجال ، وشك في أهل الضلال ، وركن وأدهن ، فنحن من علي وأشياعه براء .) ⁽³⁾ وجاء في خطبة المستورد الخارجي (43هـ - 336م) : (أما بعد : فإن هذا الحَرْقُ - معقل بن قيس - قد وُجِّهَ إليكم ، وهو من السبئية المفترين الكاذبين وهو لله ولكم عدوٌ أما معقل بن قيس فقد وصم الخوارج بالمارقة الضلال.... فقال (صعصعة بن صوحان الشيعي) : (ولا قوم أعدى لله ولكم ، ولأهل بيت نبيكم ، ولجماعة المسلمين ، من هذه المارقة الخاطئة الذين فارقوا إمامنا ، واستحلوا دماءنا ، وشهدوا علينا بالكفر) ⁽⁴⁾

¹ - انظر بحث د. سامي عطا : (عبد الله بن سبأ اليهودي اليماني بين الحقيقة والخيال) مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، ملحق ، 1999م .

² - يعتبر الدكتور محمود قاسم الشيعة والخوارج مظهرين لحزب واحد ، الخوارج يشكلون المظهر الخارجي ، والشيعة يشكلون الجانب السري الباطني . انظر : د. عمار طالبي : آراء الخوارج ، ج1 : ص 87 .

³ - الطبري : تاريخ الأمم والملوك : ج6 : ص 217 .

⁴ - د. عمار طالبي : آراء الخوارج : ج1 : ص 192 .

وقد انقسمت الشيعة إلى ثلاث فرق رئيسة هي : الزيدية ، والكيسانية ، والإمامية ،
وجميع هذه الفرق متفقون على أن الإمامة لا تخرج عن أولاد علي - كرم الله
وجهه - وأحفاده ، وإن خرجت فبظلم من غيرهم ، أو بتقية منهم ، والإمامة عندهم لا
تتأط باختيار العامة ، إنما هي قضية أصولية ، تنصيصية ، تعيينية ، ومع ذلك لم
تدعهم السبئية يتفقون على إمام واحد ⁽¹⁾.

أ - الشيعة الزيدية : نسبة للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت122هـ)
وقد انقسموا إلى ست فرق ، وقيل : ثماني فرق ، وقيل : عشر فرق ،
ويقال : إنهم قريبون إلى أهل السنة والجماعة ⁽²⁾

ب - الشيعة الكيسانية : وقد ساقَت الإمامة إلى (محمد بن الحنفية) بالاستدلال ،
لأن عليا - كرم الله وجهه - دفع إليه الراية يوم موقعة الجمل ، وقيل : بالوصية ...
وقد اضطربت كتب المقالات والفرق في تحديد نسبة الكيسانية ، فمنهم من نسبها إلى
كيسان - صاحب شرطة المختار الثقفي - ، ومنهم من نسبها إلى المختار الثقفي نفسه
، والراجح أنها منسوبة إلى كيسان - مولى علي بن أبي طالب وتلميذ محمد بن
الحنفية - ، وقد انقسمت الكيسانية إلى إحدى عشرة فرقة ، اندثرت جميعها ، وكلها فرق
سبئية وغالية ⁽³⁾.

¹ - انظر : د. سليمان الحلبي : طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ، ط2 ، الدار السلفية ، الكويت 1984م.
ص 20

² - انظر : أبو الحسن الأشعري ، علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية 1389هـ ، ج1 : ص132 .

³ - انظر : النوبختي : فرق الشيعة ، ص2 ، والأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج1 : ص91 ، والشهرستاني :
أبو الفتح عبد الكريم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ج1 : ص147 .

ت - الشيعة الإمامية :وقد ساقوا الإمامة إلى الحسن بن علي ، فالحسين بن علي فالإمام علي بن زين العابدين ، فالإمام محمد الباقر ، فالإمام جعفر الصادق ، وهنا تفرقوا إلى فرقتين :

الفرقة الأولى : ساقَت الإمامة بعد جعفر الصادق إلى موسى الكاظم ، فالإمام علي الرضا ، فالإمام محمد الجواد ، فالإمام علي الهادي ، فالإمام الحسن العسكري ، فالإمام الثاني عشر الغائب محمد بن الحسن العسكري ، وهذه الفرقة تسمى بـ : الإمامية الإثني عشرية ، أو الجعفرية ، أو الكاظمية ، أو الموسوية ، ويسمون في جنوب لبنان بالمتأولة ، أي : المتأولة .

والفرقة الثانية : قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق - بدلا عن موسى الكاظم - ، وهو الإمام السابع عندهم ، فيسمون لذلك بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وبالسبعية : نسبة إلى الإمام السابع ، وهي توالي الذين تواليهم الإمامية الاثنى عشرية إلى الإمام جعفر الصادق.. يفترقون بعده. فالإمامية الإثني عشرية تقول بإمامة: موسى الكاظم، لأن الإمامة انتقلت إليه من أخيه إسماعيل الذي توفي في حياة أبيه، فسقط حقه فيها.. وهم مجمعون على ذلك⁽¹⁾. وطائفة الإسماعيلية من غلاة الشيعة الإمامية.

واتجهت الإسماعيلية إلى أربعة اتجاهات:

¹ - انظر كتاب المقالات والفرق ص 88-89.

الاتجاه الأول: زعم أصحابه أن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل، وأنكر أصحاب هذا الاتجاه موته، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يمتلك الأرض، وأنه القائم المهدي، وهؤلاء الإسماعيلية الخالصة وقد اندثروا.

والاتجاه الثاني : نادى بإمامة مبارك - مولى إسماعيل بن جعفر الصادق - لعدم وجود عقب لإسماعيل بن جعفر الصادق ، فسموا بالمباركية ، وعنهم انشقت فرقة الخطابية الغالية المنتسبة لأبي الخطاب الأسدي ، الذي غالى في تأليه آل البيت ، وادعى النبوة .

والاتجاه الثالث : ساق الإمامة من إسماعيل بن جعفر الصادق ، إلى ولده محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، لأن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب، وأولوا قوله تعالى: (وجعلها كلمة باقية في عقبه) (الزخرف : 28) ، فقالوا: إن معنى-الكلمة-هنا هو الإمامة، ولذلك لابد أن تكون الإمامة في الأعقاب، تنتقل من أب إلى ابن.. ثم أنكر قسم منهم موته ، وقالوا برجعته ، وأنه المهدي المنتظر عندهم ، وهؤلاء هم القرامطة ..

والاتجاه الرابع : قالوا باستمرار الإمامة في أئمة مستورين، إلى اللحظة التي أسس فيها عبيد الله المهدي- أول الأئمة الإسماعيلية في دور الظهور - الدولة الفاطمية في المغرب عام 297هـ، إلى أن هلك سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، خلفه ولده القائم بأمر الله⁽¹⁾، ومات بعد أن وسوس واختلط وزال عقله⁽²⁾، فخلفه من بعده ابنه إسماعيل

¹ - انظر افتتاح الدعوة ص 349.

² - انظرالذهبي : سير اعلام النبلاء 15 : 152.

الملقب بالمنصور ، إلى أن هلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة⁽¹⁾، فخلفه من بعده ابنه مَعَدَّ المكنى بأبي تميم، والملقب بالمعز لدين الله الفاطمي ، سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة⁽²⁾، إلى أن هلك، فخلفه ابنه الثالث نزار، الملقب بالعزیز بالله، إلى أن هلك سنة ست وثمانين وثلاثمائة بمدينة بلبيس⁽³⁾، فخلفه من بعده ابنه الوحيد أبو علي المنصور، المعروف بالحاكم بأمر الله، الذي وصفه الذهبي بقوله: (الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية)⁽⁴⁾، وقال (وكان شيطاناً مريداً وجباراً عنيداً، كثير التلون، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاماً يلزم الرعية بها، أمر بسب الصحابة - رضي الله عنهم -، وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع، وأمر عماله بالسب)⁽⁵⁾.

وَكَوَّنَ مع دعائه : حمزة بن علي الزوزني، والحسن بن حيدة الفرغاني المعروف بالأخرم ومحمد بن إسماعيل الدرزي، طائفة الدروز التي انفصلت عن بقية الإسماعيلية، واعتقدوا ألوهية الحاكم، وزعموا بأنه لم يمّت وسيعود، ثم قالوا بأنه المهدي المنتظر، وينتظرون عودته ليهدم الكعبة، وينقل القبلة إلى بيت المقدس⁽⁶⁾... وفي شهر شوال سنة إحدى عشر وأربعمئة، قُتل الحاكم بتدبير من أخته ست الملك⁽⁷⁾،

¹ - انظر افتتاح الدعوة ص 235.

² - انظر المرجع السابق نفسه.

³ - انظر النجوم الزاهرة 4 : 112.

⁴ - سير أعلام النبلاء 15 : 173.

⁵ - المرجع السابق 15 : 174.

⁶ - انظر الحاكم بأمر الله وأسرار الدولة الفاطمية - محمد عبد الله عنان 147-148.

⁷ - انظر خطط المقرئ 2 : 289.

وكان قد جعل ولاية عهده ، والإمامة الإسماعيلية في - عبد الرحيم بن إلياس بن المهدي-أحد أبناء عمومته⁽¹⁾، فقامت أخته ست الملك بأمور البلاد، وعزلت - عبد الرحيم بن إلياس- من ولاية العهد، وأقامت ابنه- علياً-مقامه، ولقبته بالطاهر، ولما مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ولي بعده ولده أبو تميم مَعَدَّ الملقب بالمستنصر، وأمه أم ولد⁽²⁾، أي أنها كانت أمةً لتاجر يهودي يسمى أبو سعد سهل بن هارون التستري، فابتاعها منه الطاهر، واستولد المستنصر، وفي أيامه قضي على الدعوة الإسماعيلية في المغرب وغيرها.

ولما مات المستنصر - إمام الطائفة - ، بادر الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي.. وأجلس ابن المستنصر الأصغر - وهو ابن أخته- أحمد ، على عرش البلاد ، ولقبه بالمستعلي، فلم يوافق أخوه الأكبر نزار على ذلك، فقبض عليه الأفضل، وأرسله إلى المستعلي، الذي بنى عليه جداراً..⁽³⁾.

وهنا انشقوا بدورهم إلى فرقتين هما :

أ- المستعلية وهم الذين قالوا بإمامة المستعلي:

وبعد أن سقطت الدولة الفاطمية في مصر على يد الخالد الذكر- صلاح الدين الأيوبي- عام 1171م، انتقلت الإسماعيلية المستعلية إلى اليمن في كنف الصليحيين،

¹ - انظر : شهاب الدين النويري : النجوم الزاهرة 4 : 193.

² - أم الولد هي في حقيقتها أمة و لكن لما وطئها سيدها وأنجب منها أصبحت أم ولد ، ولها من الخصائص ما تفارق به الأمة ، ومن تلك الخصائص:أنها تُعتق بمجرد موت سيدها ولا تنتقل لأولاده .وقد كانت مارية القبطية أم ولد النبي - ﷺ - وهي أم إبراهيم ابن النبي - ﷺ - التي قال فيها " أَعْتَقَهَا وَلَدُهَا " ، انظر :

<http://www.islamport.com/b/2/alfeqh>

³ - انظر : النويري : النجوم الزاهرة 5 : 144.

وقد استمرت الدولة الصليحية ملتزمة بتعاليم الإسماعيلية، حتى وفاة الملكة أروى بنت أحمد عام 532هـ، وبعد وفاة هذه الملكة بدأ أمر الدولة الصليحية بالضعف، حتى انقرضت عام 563هـ، فلم يعد للإسماعيلية أثر في الحياة السياسية في اليمن.. فالتزموا بمبدأ (التقية) وانصرفوا إلى التجارة، التي أعطتهم الفرصة في نشر دعوتهم الإسماعيلية في الهند، حيث اعتنقها جماعة من الهندوس، وعرف أتباعها باسم الشيعة البهرة (أي التجار). والبهرة اليوم متفرقون في الهند، والباكستان، وعدن، وتوجد منهم طائفة بجنال حراز باليمن الشمالي، يسمون بالقرامطة، وبالباطنية، وقد انقسموا إلى فرقتين:

أ- الإسماعيلية المستعلية : وانشقت إلى فرقتين :

الأولى: البهرة السليمانية والثانية: البهرة الداودية ..

ب- الإسماعيلية النزارية (الإسماعيلية الشرقية) :

وهم الذين اعتقدوا إمامة نزار، وطعنوا في إمامة المستعلي، فنقل كبير دعائهم :

الحسن ابن الصباح ، الدعوة إلى بلاد فارس، وكون فرقة الحشاشين، التي لعبت دوراً سياسياً كبيراً في إيران والهند، والشام، ولهم بقايا في الهند يعرفون بالخوجا، وهم يعترفون الآن بأغا خان زعيماً روحياً لهم⁽¹⁾.

والإسماعيلية وما تفرع عنها، كانوا مصدراً للفتن والقلق في المجتمع الإسلامي، وعوناً لكل عدو لهذه الأمة، اتخذوا من آل البيت ستاراً لتحقيق أهدافهم السياسية، التي ترمي إلى إسقاط الخلافة العباسية، كما فعل أسلافهم في عهد الأمويين والدولة الأموية، وبث

¹ - انظر فرقة النزارية ص 157-158.

الفوضى الفكرية، والاجتماعية، والدينية، وهدفهم الوحيد هدم الإسلام، وتخریب عقائد المسلمين.

الفصل الأول :

المبحث الأول : نشأة الإسماعيلية

الإسماعيلية عبارة عن خليط من فلول الفرق والطوائف السبئية البائدة ، وهي في الأصل طائفة من طوائف الشيعة الإمامية ، توالي الذين تواليهم الشيعة الإمامية الإثني عشرية إلى الإمام جعفر الصادق ⁽¹⁾ ، ويفترقون بعده .. فبينما تسوق الشيعة الإمامية الإثني عشرية إلى الإمام موسى الكاظم ، تقول الإسماعيلية إن الإمام جعفر الصادق نص على أن يتولى ولده الأكبر إسماعيل الإمامة من بعده ، ولكن إسماعيل توفي في حياة أبيه ، فالإمامة انتقلت إلى ولده : محمد بن إسماعيل لأن الإمامة أمر من الله يتلقاه الإمام المعصوم ، ولا بد من تنفيذه ، والبداء لا يجوز على الله ، ويعنون بالبداء : أن يبدو لله أمر فيعدل عما أمر به ، كما أن الإمامة في نظرهم لا تكون إلا في الأعقاب ، وأولوا لذلك قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية في عقبه ..)

¹ - يعتبر الامام جعفر الصادق من أجلاء التابعين ، وتلقى عنه العلم بعض الأئمة الكبار من علماء السلف أمثال : الإمام أبو حنيفة ، والإمام مالك ، ووصفه الشهرستاني بأوصاف دقيقة ، قال : (وهو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، ما تعرض للإمامة قط ، ولا نازع أحدا في الخلافة قط) . انظر : الشهرستاني : الملل والنحل، ج 1 : 166. والزركلي : الاعلام : 2 : 121. كما وصفه الإمام أبو حنيفة بقوله : (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد ، وجعله الإمام مالك في صف واحد مع نفسه وابن جريج) انظر : د. كامل مصطفى الشبيبي : الصلة بين التصوف والتشيع : ص 178. وانظر " د. سليمان عبد الله السلومي ، أصول الاسماعيلية ، مجلد 1 ص 203.

الزخرف : 28) فقالوا : إن معنى الكلمة ههنا - في تأويلهم - هو : الإمامة ،
ولذلك لا بد أن تكون في الأعقاب . والإسماعيليون ينفون موت إسماعيل في حياة أبيه
، ويقولون : إنه شُهِد بعد تاريخ الإشهاد على وفاته ، وإنما أشهد أبوه على وفاته خوفاً
عليه من الغيلة ، ومن تربُّص الخلفاء العباسيين ، ومما كانوا يصنعونه بالعلويين
المرشحين للدعوة ، فاستدلوا على الوفاة بالإشهاد عليها ، وتوقيع الشهود على ذلك ،
ولم تجر العادة بمثل هذا الإشهاد ، لولا الحيلة ، والحذر ، والتقية .
ويعلل بعض كتاب الفرق والمؤرخين أمثال : رشيد الدين ، والجويني ، بأن جعفرًا فعل
ذلك ، ثم عرض جثة إسماعيل على الملاء وشهدوا قوم كثيرون ، وتحققوا من وفاته
إحباطاً لنسج الأساطير والخرافات حوله ، وخوفاً من ادعاء الغلاة غيبته ثم رجعته ..
كما وقع خلاف بين بين الإسماعيليين وسائر الإماميين على إمامة إسماعيل ، والذين
لا يسلمون بإمامة إسماعيل وذريته طوائف عديدة ، أهمها وأكبرها طائفة الإمامية الإثني
عشرية ، لأنهم ينتهون بالإمامة إلى : محمد بن الإمام الحسن العسكري ، وهو مهديهم
المنتظر ، وعندهم أنه سيظهر في زمانه الموعود ، ولهذا يدعون دائماً بتعجيل فرجه
كلما ذكروا اسمه قائلين : (عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ) ، فالإمامة في معتقدهم سقطت عن
إسماعيل بوفاته في حياة أبيه ، فانتقلت الإمامة إلى أخيه : موسى الكاظم . ولم يقبل
الإسماعيليون بذلك ، فقال الداعي الإسماعيلي : إدريس عماد الدين : (إننا لو سلمنا
القول بإمامة موسى الكاظم ، فإن جعفر الصادق لم يجعله إماماً إلا ستراً على ولي
الأمر : محمد بن إسماعيل ، ليكتُم أمره على الأضداد ، ولئلا يطلع على ما خص به

أهل العداوة والعناد ، حتى يستطيع الإمام المستقر الحقيقي : محمد بن إسماعيل ،
النهوض بأعباء الدعوة سراً .. (1)

ويعتبر محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستترين عند الإسماعيلية ، لأن الإمام عندهم
قد لا تكون له شوكة فيستتر ، ويكون دعائه ظاهرين غير مستترين ، إقامة للحجة على
الخلق ، وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته .

من فرق الغلاة :

وللتعرف على نشأة هذه الطائفة لا بد أن نشير بإيجاز إلى بعض الذين سبقوهم ومهدوا
لهم من الشيعة الغالية (الغلاة) حتى استطاعوا في النهاية تأسيس دولة قامت بين
ست دول إسلامية وأجنبية تحاربها ، بل تخشى عاقبة قيامها ..

ففي خلال الفترة التي تربو على السبعين سنة بين انتهاء ثورة المختار الثقفي ، وظهور
الإسماعيلية ، ظهرت في الفرق الشيعية الغالية نزعتان متباينتان ، يصح تسميتهما
بالحنيفية ، والفاطمية .. وكان أتباع النزعة الأولى أتباعا لمحمد بن الحنفية ولمن
خلفه من بعده ، وأصحاب النزعة الثانية أتباعا للأئمة من سلالة : علي ، وفاطمة ، أي
: الحسن والحسين وذريتهما .

وبعد قيام الدولة العباسية فقدت الحنيفية مبرر وجودها ، وبذلك أصبحت الفاطمية بعد
أن استوعبت بقايا الحنيفية هي الفرقة الغالية بين الشيعة ، وواصلت نضالها القديم ضد
الشيعة المعتدلين .. وللحنيفية ، والفاطمية ، والخطابية ، بعض الأهمية في بيان

¹ - إدريس عماد الدين ، زهر المعاني : ص 47.

أصول كثير من أفكار وعقائد الاسماعيلية ، لذا لا بد من الإشارة العابرة إليهما . فقد
أفترقت الحنيفية بعد وفاة ابن الحنيفية إلى فرق منها :

1 - الكربية : وهم أتباع أبي كرب الضرير ، وزعموا أن (محمد بن الحنيفية)^(1) حي لم يمت ، وأنه في **جبل رضوى** بالقرب من المدينة ، وعنده عين من الماء ، وعين من العسل ، وأنه المهدي المنتظر ، وسيعود ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وكان حمزة بن عمارة البربري ممن ذهب مذهب الكربية ، قد ادعى النبوة ، وألوهية محمد بن الحنيفية ، وكان في الكربية رجلان يقال لأحدهما : بيان بن سمعان النهدي ، وللآخر : صائد ، وكل منهما أنشأ فرقة غالية تنتسب إليه .^(2)

2 - وهناك فرقة أخرى تعتقد نفس الاعتقاد يقال لها : (**الحربية** - أتباع عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي - وهو أحد تلاميذ عبد الله بن سبأ) ، تعتقد أن ابن الحنيفية لم يمت ولكنه **مُغَيَّب** في **جبل رضوى** يحرسه **نمران** ، وتؤنسه الملائكة ، وأن عنده عينين نضاختين تجريان بماء وعسل ، وأن **الأراوي**^(3) تغدو عليه وتروح ، فيشرب من ألبانها ،

¹ - أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، وأمه خولة بنت جعفر الحنيفية ، من بني حنيفة ، فينسب إليها تمييزاً عن أخويه الحسن والحسين ، ويكنى أبا القاسم . انظر : الزركلي : الأعلام 7 : 152 .

² - انظر : الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، 1 : 66 .

^(3) انظر : النوبختي : فرق الشيعة : 27 . والأروي مفرد أراوي ، وهي أنثى الوعل .

ويأكل من لحومها، وأنه سيرجع، وهو عندهم المهدي المنتظر⁽¹⁾. قال شاعرهم السيد الحميري⁽²⁾:

لقد أمسى بمُورقِ شَعْبِ رَضوى.... تُراجعه الملائكة الكلاما
وما ذاق ابن خولة طَعْمَ مَوْتٍ ولا وارت له أرضُ عظاما⁽³⁾
وقال في ابن الحنيفة:

لو غاب عنا عمر نوح أيقنت.... منا النفوس بأنه سيئوب⁽⁴⁾

- 3 - أما الهاشمية : فقالوا : إن محمد بن الحنيفة مات ، والإمام من بعده ابنه : عبد الله ، ويكنى : بأبي هاشم ، وتغالوا في تقديس أبي هاشم حتى قالوا : إنه يحيي الموتى ، فلما توفي (أبو هاشم) تفرق أتباعه إلى أربع فرق :
- أ - فرقة قالت إن أبا هاشم مات وأوصى إلى أخيه علي بن محمد بن الحنيفة ثم أوصى بالإمامة لبني العباس .
- ب - وفرقة قالت : إنه أوصى بالإمامة إلى : عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب ، وهم أتباع : عبد الله بن الحارث ، وكان ابن الحارث هذا من أهل المدائن ، ويسمون بالحارثية ، ومالت إليه فلول (الحربية) .

(1) السيد الحميري: هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري ويكنى أبا هاشم.

وكان كيسانياً.. انظر الفرق بين الفرق ص 29.

(2) رضى: بفتح أوله وسكون ثانيه - جبل، وهو من ينبع على مسيرة يوم ، ومن المدينة على سبع

مراحل، انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي : 4 : 260.

3 - انظر : النوبختي ، فرق الشيعة ص 26.

4 - انظر : النوبختي ، فرق الشيعة ص 27.

ج - وفرقة قالت : أوصى أبو هاشم بالإمامة إلى : محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهؤلاء هم : الرّاوندية (1) ..

د - وفرقة قالت : إن الإمام القائم المهدي هو : أبو هاشم ، وقد اختفى ، وسيرجع ، فيقوم بأمر الناس ، ويملك الأرض ، ولا وصي بعده . وقد اختفت هذه الفرق من الوجود باستيلاء العباسيين على الحكم ، واستوعبت الفاطمية من تبقى منها .. وتتنسب الفاطمية إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول - ﷺ - ، وزوجة (2) علي - رضي الله

1 - استغلت الراوندية مسألة الحلول لنقل الإمامة من البيت العلوي ، الفرع الحسيني إلى الفرع الحنفي ومنه إلى البيت العباسي ، ثم إلى أبي مسلم الخراساني فقالت : إن الروح التي كانت في عيسى بن مريم سارت في علي بن أبي طالب ، ثم إلى الأئمة في واحد واحد إلى إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.....وإنهم آلهة .. (انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج3، ص 418. وانظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ج3: ص 145.)

2 - وردت كلمتا (زوجة ، زوج) في اللغة العربية قال في (تاج العروس : 5 / 1426) : [وفي المحكم (لابن سيده) الرجل زوج المرأة، وهي زوجه وزوجته. وأباها الأصمعي بالهاء. وزعم الكسائي عن القاسم بن معن أنه سمع من أزدشنوءة بغير هاء ، والكلام بالهاء ، ألا ترى أن القرآن جاء بالتذكير: اسكن أنت وزوجك الجنة ، هذا كله قول اللحياني. قال بعض النحويين: أما الزوج فأهل الحجاز يضعونه للمذكر والمؤنث وضعا واحدا، تقول المرأة: هذا زوجي، ويقول الرجل: هذه زوجي. قال تعالى: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) أي امرأة مكان امرأة، وفي المصباح: الرجل: زوج المرأة، وهي زوجه أيضا. هذه هي اللغة العالية، وجاء بها القرآن... والجمع منهما أزواج. قال أبو حاتم: وأهل نجد يقولون في المرأة: زوجة، بالهاء، وأهل الحرم يتكلمون بها. وعكس ابن السكيت فقال: وأهل الحجاز يقولون للمرأة: زوج، بغير هاء، وسائر العرب زوجة بالهاء، وجمعها زوجات. والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها للإيضاح وخوف لبس الذكر بالأنثى، إذ لو قيل: فريضة فيها زوج وابن، لم يعلم أذكر أم أنثى . وقال الجوهري: ويقال أيضا: هي زوجته، واحتج بقول الفرزدق: وإن الذي يسعى يُحرش زوجتي كساعٍ إلى أسد الشرى يستثيرها .

عنه - ، وأم الحسن والحسين - رضي الله عنهما - . ويجدر بنا أن نشير إلى الفرق المتصلة بذرية الحسن بن علي ، قبل أن ننتقل للكلام عن السلالة الفاطمية الحسينية . فقد أعلن " محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي أنه القائم ، وأنه الإمام ، وانشق عنه أحد أتباعه وهو : المغيرة بن سعيد العجلي ، وكان مولى لبني بجيلة ، ويقال له : الوصّاف ، جمع بين الإلحاد والتنجيم ، وقال بتحريم ماء الفرات ، وكل نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة مهما كانت صغيرة ، وكون فرقة انتسبت إليه سميت بالمغيرية . ثم زعم أنه رسول ونبي. (¹) وكان المغيرة قد خرج في إمارة خالد بن عبد الله القسري ، فظفر به الأمير فقتله وصلبه .

ولما توفي محمد النفس الزكية ، ادعى أتباعه أنه في الغيبة ، وأنه حي لم يميت ، وسيرجع ، وهو مقيم في جبال حاجر (الحجر) (²) حتى يوم خروجه . وله تأويلات لآيات القرآن الكريم تجدها جميعها عند الإسماعيلية ، كتأويله لقوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ...) (الحشر : 16) وزعم أنها نزلت في حق أبي بكر وعمر . رضي الله عنهما - . (³) وقد أصيبت السلالة الفاطمية بالخذلان من جراء قتل أساطينها في كربلاء ، غير أنها استعادت

¹ - انظر : الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، 1: 68 . وابن حزم : الفصل : 2 : 114 . وابن الأثير : الكامل ، 2 : 82 .

² - جبال الحجر : هي سلسلة جبلية تقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية . وتغطي جزء كبيراً من شمال سلطنة عمان وبعض الأجزاء من المنطقة الشمالية في دولة الإمارات العربية المتحدة . وتمتد جبال الحجر من منطقة رؤوس الجبال في رأس مسندم بالقرب من مضيق هرمز إلى رأس الحد في المنطقة الشرقية من عمان . وتمتد جبال الحجر على شكل قوس عظيم يتجه من الشمال الشرقي لسلطنة عمان إلى جنوبها الغربي ، ويصل أقصى ارتفاع له 3000 متر في منطقة الجبل الأخضر . انظر : ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .

³ - انظر : الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، 1: 73 .

قوتها بعد أن تولّاها : زيد بن علي زين العابدين ، الذي ادعى الإمامة العلوية بالكوفة ، فالتف حوله جمع غفير سموا بالزيدية نسبة إليه . (¹) أما السلالة الفاطمية الحسينية فقد اشتدت شوكتها ، وكثر أتباعها ، خاصة في حياة الإمام الخامس : محمد الباقر ، وانشعبت عنها فرقة المنصورية ، أتباع أبي منصور العجلي ، وكان من أهل الكوفة ، وادعى أنه خليفة محمد الباقر ، ثم عاد وزعم أنه نبي ، وأنه عرج به إلى السماء ، وأنه إمام الوقت ، واستحل المحارم ، وأحلها لأصحابه ، وأبطل الفرائض ، والمواريث ، والطلاق .. وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفه أو قتله غيلة ، حتى سموا في التاريخ بالـ **خَنَاقِينَ** ، وكان يقول : من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه (²)

وتخبرنا كتب المقالات والفرق بأن هذه الفرق كلها قد بشرت بعقائد غالية ، ونسبت للإمام قوى خارقة ، وذهب بعضهم إلى تأليه الإمام .. وكلها ذابت في الإسماعيلية .. لذا فالإسماعيلية تمثل الغلو الباطني ، وتمثل كذلك فرق الغلاة الخارجة عن الأمة الإسلامية . ولم تظهر فرقة الإسماعيلية ، ويصبح لها أتباع وإمام إلا بعد موت الامام جعفر الصادق ، وانتقال الإمامة إلى إسماعيل وابنه من بعده . يقول **المستشرق الإنكليزي اليهودي برنارد لويس** : (إن الحركة الإسماعيلية ابتدأت بجماعة إسماعيل بن جعفر ، بمؤازرة فعالة من إسماعيل نفسه ، وابنه محمد ، وكان بين جماعة إسماعيل ومحمد منظمو الفرقة الأولون : أبو الخطاب ، وميمون القداح ، وعبد الله بن ميمون) (³) ول هؤلاء الثلاثة الغلاة أكبر الأثر في تأسيس المذهب الإسماعيلي والدعوة

¹ - انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ، 1: 73.

² - انظر : الأشعري : مقالات الإسلاميين ، 1: 74. وعبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، 1: 129 .

³ - برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية : ص 82.

إليه فيما بعد ... بل إن الخطابية التي في ظاهرها حركة شيعية مغالية ، ولكنها في حقيقتها فرقة باطنية ، غدت الحركة الاسماعيلية بالأفكار والأتباع ، وقد نص الكشي على ذلك بقوله : (إن فرقة الاسماعيلية هي الخطابية نفسها) ⁽¹⁾ وقال القمي : (إن أتباع أبي الخطاب لما قتل معظمهم ، خرج الجماعة الباقيون ممن قال بمقالة أبي الخطاب إلى محمد بن إسماعيل فقالوا بإمامته ، وأقاموا عليها .) ⁽²⁾

فمن هم الخطابية ؟

فرقة الخطابية أو الخمسة: فرقة من فرق الغلاة ، اتبعوا أبا الخطاب محمد بن أبي زينب مقلص الأجدع الأسدي الكوفي ، وكان يكنى بأبي ظبيان ، وبأبي اسماعيل ، أما الكنية التي اشتهر بها فهي أبو الخطاب ⁽³⁾ .

نشأ بالكوفة ، وعاصر الإمام جعفر الصادق ، وقبله محمد الباقر ، وكان يتردد عليهما ، ويأخذ عنهما ، على اعتبار أنه أحد الشيعة ، ومن دعاويه في أول أمره : أن أبا عبد الله بن جعفر جعله قيّمه ووصيه من بعده ، وأنه علمه اسم الله الأعظم . ⁽⁴⁾ كما عاصر انحسار الفرق الغالية السابقة له ، وشاهد عودة الجناحية ، أتباع عبد الله بن

¹ - انظر : الكشي ، معرفة الرجال ، ص 189 .

² - القمي ، القالات والفرق ، ص 83 . وانظر : د. سليمان عبد الله السلومي ، أصول الاسماعيلية ، مجلد 1 ص 219 .

³ - انظر الملل والنحل 1/179 . وفرق الشيعة للنوبختي : ص 57 . والإسماعيلية تاريخ وعقائد : لظهرير : ص 46 .

⁴ - انظر : المقالات والفرق : للقمي ، ص 51 . وفرق الشيعة للنوبختي : ص 57 .

معاوية إلى الكوفة بعد مقتله، فورث أبو الخطاب حركات الغلو السابقة ونظمها⁽¹⁾،
وكون فرقته التي أصبحت رؤاها أساساً لكثير من العقائد الإسماعيلية، والنصيرية.. بل
اعتبرها صاحب كتاب المقالات والفرق⁽²⁾ فرقة إسماعيلية خالصة، ويؤيد ذلك ما ذكره
الوراق الشيعي المشهور **ابن النديم** في فهرسته بأن مؤسس الإسماعيلية: **ميمون**
القдах، وابن عبد الله، كانا من أتباع أبي الخطاب⁽³⁾. ويدل على ذلك أن كل هذه
الفرق السبئية، حلقات متصلة بعضها ببعض، تتفق في مبادئها العامة، وإن اختلفت في
الخصوصيات ، أو بما يلائم الزمان والمكان.
وتسمى هذه الفرقة أيضاً **بالمُخَمَّسة**، لزعيمهم بأن الله ظهر في خمسة أشباح هم: محمد،
وعلي وفاطمة، والحسن، والحسين⁽⁴⁾. ويزعم الإسماعيليون والنصيريون، أن أبا الخطاب
كان من أجلّ دعاة جعفر الصادق، وأنه جعله وصية من بعده... قال القاضي النعمان -
الداعي الإسماعيلي - (ثم كان أبو الخطاب جعفر بن محمد من أجلّ دعاة)⁽⁵⁾.
ويقول الخُصبي النصيري: قال جعفر لأبي الخطاب: يا محمد.. أخطبك بما خاطب
به رسول الله سلمان، وقد دخل عليه عند أم أيمن، فرحب به، وقَرَّبَه، وقال: أصبحت يا
سلمان معدن سرنا، ومجتمع أمرنا ونهينا، ومؤدب المؤمنين بآدابنا، أنت والله الباب
الذي يؤدي إلى علمنا، وبك تبينا علم التأويل والتنزيل، وباطن السر، وسر السر،

¹ - انظر مقالات الإسلاميين 75/1، وانظر الحور العين ص 166، وانظر الشهرستاني على هامش
الفصل ص 17.

² - هو سعد بن عبد الله القمي، انظر كتابه المقالات والفرق ص 50.

³ - انظر الفهرست لابن النديم ص 264.

⁴ - د. عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين 2: 51-55.

⁵ - القاضي النعمان : دعائم الإسلام 1 : 49.

فبوركت أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وحيّاً وميتاً. فقال رسول الله هذا القول لسلمان، وقتلته أنا لك يا محمد⁽¹⁾.

وهكذا الغلاة دائماً يحاولون الانتساب لآل البيت، أو الأئمة الذين لهم مكانتهم في النفوس، ليضيفوا نوعاً من الشرعية على مقولاتهم.. وقد جاهر " أبو الخطاب " بمعتقدات الغلاة ، مما حَمَلَ الإمام جعفر الصادق على التبرؤ منه، ومن مقولاته.. فقال..(اللهم ألعن أبا الخطاب، اللهم أذقه حرَّ الحديد)⁽²⁾. ويذكر الشهرستاني أن الصادق عندما وقف على غلوه الباطل في حقه ، لعنه وتبرأ منه ، وأمر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول بذلك ، وبالع في التبري منه واللعن عليه ، فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه .⁽³⁾

مقولات أبي الخطاب وآرائه :

مرت آراء الخطابية بثلاثة أدوار ، قبل أن يروجَ لكثيرٍ من الأفكار والعقائد السبئية الغالية ففي الدور الأول : ادعى النبوة للأئمة ، وأنهم أنبياء مُحدَّثون ، ولا بد في كل عصر من رسولين: ناطق وصامت، فكان محمد ناطقاً ، وعلي صامتا⁽⁴⁾. أما الرسولان زمن الخطابية فهما : جعفر الصادق ، وأبو الخطاب الأسدي .⁽⁵⁾

¹ - انظر بحث سلمان الفارسي والبواكير الروحية في الإسلام ص 48. ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ضمن كتابه شخصيات قلقة في الإسلام - ط. الكويت/1978.

² - معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين المعروف برجال الكشي ص 247 ط كربلاء.

³ - انظر: الشهرستاني : الملل والنحل " 1: 179.

⁴ - انظر كتاب الكشف للداعي الإسماعيلي- جعفر بن منصور اليميني ص 65. ومسائل مجموعة من الحقائق العالية ص 29-30، (من أربعة كتب اسماعيلية) نشر شتروطمان.

⁵ -انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري : ص : 76-77. والحوار العين : للحميري ، ص 166.

والناطق: صاحب التنزيل، **والصامت :** صاحب التأويل ، وكما يأتي الناطق لينسخ شريعة ما قبله بإظهار شريعة جديدة، كذلك يكون الصامت، فيأتي لينسخ التأويل الذي قبله، وهذا ما نجده دائماً في عقائد الإسماعيلية، والنصيرية..

وفي الدور الثاني : زعم أن الله يَحُلُّ في أبدان الرسل والأئمة ، وأن روح الله حلت في جعفر الصادق ، ومما قالته الخطابية عن الحسن والحسين وأولادهما وشيعتهم : إنهم أبناء الله وأحباؤه ، ثم قالوا ذلك في أنفسهم ، وقالوا : إنهم لا يموتون ، ولكن يُرفعون إلى السماء (1).

وفي الدور الثالث : ادعى أبو الخطاب الألوهية لنفسه، وزعم أتباعه أن جعفر إله، غير أن أبا الخطاب أفضل منه ومن علي (2). وكان لهذا التآليه أثر بالغ على أتباعه ، حيث انتهى الأمر به إلى تحليل الشهوات لأتباعه - ما حَلَّ منها وما حَرُمَ - ، والتحلل من الشريعة ، وقال: إن كل شيء فَرَضَهُ الله في القرآن وحرمه وأحلّه، فإنما هو أسماء رجال تجب موالاتهم، أو التبرؤ منهم (3).

ومما قالوه :

خَفَّفَ الله عنا بأبي الخطاب ، ووضع عنا الأغلال والآصار ، ويعنون بذلك الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج .. وكان أصحابه كلما ثقلت عليهم التكاليف أتوه وقالوا :

¹ - انظر الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم ص17. وانظر فرق الشيعة للنوبختي : ص 57.

والمقالات والفرق للقمي : ص 51.

² -انظر مقالات الإسلاميين ، للأشعري ، ص: 77-78. ونشوان بن سعيد الحميري : الحور العين ، ص : 166.

³ -انظر معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين المعروف برجال الكشي: ص 247.

خفف عنا يا أبا الخطاب ، فيأمرهم بتركها .. حتى تركوا جميع الفرائض ، واستحلوا جميع المحارم .. ثم قال وأتباعه بالتناسخ، والتأويل (1) ، والبذاء، وكفّروا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخاصة أبا بكر وعمر وعثمان، وزعموا أن المقصود بكل ما ورد في القرآن من كلمات الخمر، والميسر، والجبت والطاغوت، هو : أبو بكر، وعمر، وعثمان(2). ولم يقف الأمر بهم عند هذا الحد، بل عملوا على هدم وتخريب العلاقات الاجتماعية، فجوزوا الكذب على مخالفيهم، (ويرون الشهادة بالزور على من خالفهم)(3).. (وأحلوا دماء مخالفيهم وأموالهم ونساءهم)(4).

ومن أصولهم أيضا : إنكار الجزاء ، والجنة والنار ، وأولوها تأويلات باطنية ، فزعموا أن الجنة هي : ما ينالهم من خير ونعيم في الدنيا ، وأن النار هي : ما يصيبهم فيها من المشاق(5) ولا شك أن خُبث دعوة أبي الخطاب ، وغلوه المتناهي دفع بالشيعة الإمامية إلى التبرؤ منه ، والحكم عليه بالمروق والزندقة ، يقول النوبختي : (فهذه فرق

1 - بل إن أصول التأويل لآيات القرآن من المبادئ التي استخدمها الخطابية للتدليل على بعض مزاعمهم وأكاذيبهم . ومن الأمثلة على ذلك : تأويلهم الباطني لقوله تعالى في سورة الكهف (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) (الكهف : 79) فقالوا : السفينة : أبو الخطاب ، والمساكين : أصحابه . وإن الملك الذي وراءهم : هو عيسى بن موسى الذي قتل ابن الخطاب . وإن أبا عبد الله أراد أن يصيبنا بلعنه إيانا في الظاهر ، وأراد في الباطن أضدادنا ومن خالفنا . انظر . المقالات والفلاق ، للقمي : ص : 54-55. وقد ذكر القمي نماذج كثيرة من تأويلاتهم الباطنية التي تتفق وتأويلات الإسماعيلية . انظر المقالات والفرق ، ص : 56-59.

2 - انظر التنبيه والرد للملطي: ص 154.

3 - البدء والتاريخ: 131/5.

4 - الحور العين: 167.

5 - انظر: الآلوسي : مختصر التحفة : ص 12.

أهل الغلو ممن انتحل التشيع لعنهم الله ، وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخالق ، تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا. وكل هذه العقائد التي ذكرناها، نجدها ضمن عقائد الإسماعيلية، والنصيرية، وغيرهم من الفرق الضالة، لذا يقول الدكتور علي سامي النشار : ولا شك أن الكثير من أصول الخطابية قد دخلت في عقائد الإسماعيلية فيما بعد ، ولكن تم هذا بعد مقتل أبي الخطاب ، وانضمام كثير من أتباعه للإسماعيلية في عهد عبد الله بن ميمون القداح (¹) ويقول برنارد لويس : (إن ما ذكره أهل السنة من عقائد الخطابية ، يؤيد ما ذهب إليه النوبختي في وحدة هاتين الحركتين ، ومن ذلك عقيدة الإمام الصامت والناطق ، التي اختصت بها الإسماعيلية ، وكذلك طريقة التأويل الباطني الإسماعيلي الذي استخدمته الخطابية لنشر مبادئها وعقيدتها ..) (²) كما يقول إحسان إلهي ظهير ، بعد نقله لمجموعة من معتقدات الخطابية : (وهذه كلها نصوص خطيرة تنبئ وتخير عن علاقة الإسماعيلية بأبي الخطاب ، بوساطة ميمون القداح وابنه عبد الله ، كما تزيل اللثام عن العقائد التي بثتها الخطابية بفروعها المختلفة ، وهي عين العقائد التي اعتنقتها الإسماعيلية وتولت نشرها بين الناس ..) (³) بل إن بعض الكتاب المعاصرين يرى أن أبا الخطاب ودعوته أصل لجميع الفرق الباطنية ، يقول عبد الله الأمين : (سار أبو الخطاب شوطا كبيرا ورئيساً في أفكار الغلو ، فقد كان أستاذا لكل أصحاب الفرق الباطنية بعد ذلك ، فهو أستاذ المفضل الجعفي الذي كان وراء " محمد بن نصير " في أفكاره الضالة والتي

¹ - انظر :د. علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج : 2 ص : 376.

² - انظر : أصول الإسماعيلية ، لبرنارد لويس ، ص : 100-101 .

³ - انظر : إحسان إلهي ظهير : الإسماعيلية ..تاريخ وعقائد ، ص : 54.

أسس عليها فرقة النصيرية . وكان أستاذا لإسماعيل بن جعفر وابنه محمد ، وزميلا مخلصا لميمون القداح وابنه ، اللذان بلورا بشكل فعال الحركة الباطنية بثوبها الإسماعيلي التي انبعثت عنها الحركات الباطنية الأخرى ، كالقرامطة ، والدروز ، وإخوان الصفا ، والحشاشين(الإسماعيلية النزارية) . وعندما يتحدث النوبختي عن الإسماعيلية لا يصفهم إلا بالخطابية، لارتباطهما معا في الأفكار والمبادئ . (1)

نهاية الخطابية:

كان نشاط هذه الفرقة في مطلع القرن العباسي الأول، ولما علم والي الكوفة - عيسى بن موسى- بأنهم أظهروا الإباحات، واستحلوا المحرمات، وأعلنوا غلوهم في جعفر الصادق، وأبي الخطاب، جرد لهم جيشاً لمحاربتهم، فخرج أبو الخطاب وأتباعه لمواجهة جيش عامل المنصور، وطمأنهم بأن قَصَبَهُم يعمل في رقاب أعدائهم عمل السيوف والرماح... (2).

يقول النوبختي: (فقدمهم عشرة عشرة للمحاربة ، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً، قالوا له: ما ترى ما يحل بنا من القوم، وما نرى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر، وقد عمل سلاحهم فينا وقتل من ترى منا، فأجابهم أبو الخطاب، إن كان قد بدا الله فيكم فما

¹ - انظر :عبد الله الأمين : دراسات في الفرق والمذاهب ، ص : 73-74.والخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: ص : 25-26. وانظر :ود. سليمان عبد الله السلومي ، أصول الإسماعيلية : ص : 216-217 .

² - انظر انوبختي : فرق الشيعة: ص 59، والأشعري : مقالات الإسلاميين: 47/1.

ذنبى⁽¹⁾، وهو هنا ينطق بالبداء، مقتنياً إثر سابقه من المختارية وغيرهم، وهو اعتذار عن الفشل وتبرير للاخفاق.

قال الأشعري: (وخرج أبو الخطاب علي أبي جعفر فقتله، عيسى بن موسى في سَبْخَة بالكوفة)⁽²⁾. وقال النوبختي: (فقتله في دار الرِّزْق على شاطئ الفرات، وصلبه مع جماعة منهم، ثم أمر بإحراقهم فأحرقوهم وبعث برؤوسهم إلى المنصور، فعلقها على مدخل مدينة بغداد ثلاثة أيام، ثم أحرقت)⁽³⁾. وهذه الفرقة ضمت بين صفوفها كثيراً من فلول الفرق السابقة، ونادت بما نادى به الغلاة السابقون، بل استطاع أبو الخطاب صياغة مبادئ جديدة، كان لها أكبر الأثر فيمن جاء بعده من إسماعيليين، ونصيريين، وغيرهم.

الإسماعيلية وفرقها :

تعتبر فرقة الإسماعيلية الباطنية من أخطر الفرق الهدامة والملحدة في التاريخ الإنساني، وإن زعمت الانتساب إلى الإسلام، فإنها لا تمتُّ له بأي صلة. فظاهر الباطنية الإسماعيلية الرفض وباطنها الكفر المحض كما يقول الغزالي، فهم أكفر من اليهود والنصارى، والسبب في ذلك راجع لمعاداتهم للأديان وبالذات دين الإسلام الخالد.. محطهم عروشهم .. ومجمل القول في عقائدهم وأفكارهم بأنها عبارة عن تلفيق وترقيع غير متجانس بل متناقض من أفكار ومخلفات وموروثات الأديان، والفرق الغالية السبئية البائدة، والمذاهب والفلسفات الضالة البعيدة كل البعد عن مسالك

¹ - انظر فرق الشيعة ص 60.

² - مقالات الإسلاميين 1 : 77.

³ - فرق الشيعة ص 60. والسبحة : مكان تجميع القاذورات (المزبلة) .

الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام -، ثم انتهاجهم للتأويل الباطني ، فجعلوا للإسلام ظاهراً له باطن ، فالظاهر عندهم يكون للأغبياء والمغفلين الذين لم يعرفوا الحقيقة، ويقصدون بهؤلاء جمهور المسلمين ؟؟ أما الباطن فيكون للأذكى والملمين من أمثالهم، إذ يعتبرون أنفسهم هم أهل الحق بانتهاجهم التأويل الباطني. لذلك لابد من أن نعلم أن جعفر الصادق - رحمه الله - برئ من هذه الفرقة وبرئ من كل الغلاة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وكذلك جعفر الصادق قد كُذِبَ عليه من الأكاذيب ما لا يعلمه إلا الله ... وغير ذلك مما يعلم العلماء أن جعفرًا - رحمه الله - برئ من ذلك. وكذلك أهل البيت جميعاً بريئون من كل فرق الشيعة الهالكة، التي تمسحت بهم وتبدي محبتهم كذباً وزوراً.) (1)

الإسماعيلية في نظر الإسماعيليين: يقول الاسماعيلي عارف تامر : (الإسماعيلية فرقة شيعية إمامية ' قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق، وإمامة أولاده من بعده) ثم يقول : (هم أصحاب مدرسة فلسفية قامت على أساس أممي، وإتباع نظام فكري سياسي، اتخذوا من الدين أساساً لنشر تعاليمهم السياسية، ومن الواضح أنهم اقتبسوا العلوم والفلسفة من فلاسفة الإغريق، وأدخلوها على نظامهم الفكري الإسلامي ، بعد أن استخلصوا منها كل ما يجعل من عقيدتهم فلسفة عقلية ، وافترقت الإسماعيلية عن الشيعة الاثني عشرية افتراقاً عميقاً شمل الإمامة وفروعها، وقد بدأ هذا الخلاف بعهد الإمام الخامس جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي تعتبره الإسماعيلية

¹¹ - ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، 8 : 11 .

الخامس، بينما تعتبره الشيعة الاثنا عشرية السادس؛ لأنها تضيف إلى الأئمة الذين قبله الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي لا تعده الإسماعيلية في عداد أئمتها (¹) والذي يظهر لنا من خلال تعريف عارف تامر للإسماعيلية بأنها: فرقة قامت على أساس فلسفي، وهذا نفي لاستنادها إلى أصل شرعي ، فهي في الحقيقة فلسفية لا دينية ، وفي تعريف الاسماعيلي عارف تامر تناقض حيث يقول بانتسابها إلى الإسلام وهذا يناقض قوله أنها استندت إلى الفلسفة الإغريقية، فتبين لنا أنها فرقة غير مسلمة، لأن مستند الفرق الإسلامية جميعاً هو الكتاب والسنة وليس العقل والفلسفة، فهي فرقة غير إسلامية.

الإسماعيلية في نظر أهل السنة : الإسماعيلية هم : (الذين قالوا الإمام بعد جعفر هو : إسماعيل بن جعفر، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر، ومن الإسماعيلية انبثق القرامطة، والحشاشون، والفاطميون، والدروز، وغيرهم من الفرق الضالة ، وللإسماعيلية فرق متعددة وألقاب كثيرة، تختلف باختلاف البلدان، إذ لهم - كما يقول الشهرستاني - (دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان) (²) ، وأما مذهبهم فهو - كما يقول الغزالي وغيره - : (مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض) (³)

¹ - هو عارف تامر، كاتب إسماعيلي من الفرقة النزارية، سوري الجنسية، وله اهتمام بالفلسفة، له كتابات في التاريخ والعقائد الإسماعيلية. كتاباته مليئة بالتناقض، ومؤلفاته خالية من الهوامش والمراجع، مليئة بالأساطير والقصص الخيالية. توفي عام 1999م. له مؤلفات منها: تاريخ الإسماعيلية، والإمامة في الإسلام. وغيرها ، انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، مصطفى غالب، ص11، 12 بتصرف.

² - الشهرستاني : الملل والنحل : 1/ 191.

³ - الغزالي : فضائح الباطنية ص37.

، أو كما يقول ابن الجوزي: (محصول قولهم: تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث) (¹) ، ولكنهم لا يُظهرون هذا في أول أمرهم، ولهم مراتب في الدعوة، وحقيقة المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى الدرجة الأخيرة. وقد اطلع على أحوالهم وكشف أستارهم جملةً من أصحاب المقالات: كالبغدادي، الذي اطلع على كتاب لهم يسمى : (السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأكبر)، ورأى من خلاله أنهم دهرية زنادقة يتسترون بالتشيع، والحمادي اليماني الذي دخل نحلته في الظاهر، وخالطهم وعرف حالهم، وكشف حقيقتهم في كتابه: (كشف أسرار الباطنية). وابن النديم - وهو شيعي - الذي اطلع على (البلاغات السبعة) لهم، وقرأ البلاغ السابع، ورأى فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات، والوضع من الشرائع وأصحابها (²) . قال أحد الإسماعيليين المعاصرين: (إن لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا، ولا يطلع على حقائقها سوانا) (³) وقد فضح أمرهم في القديم : الإمام الغزالي، وغيره ، كما كتب عنهم كثير من المعاصرين ، منهم : د. عبد الرحمن بدوي، والشيخ إحسان إلهي ظهير . (⁴) ووصفها صاحب كتاب الجامع لأخبار القرامطة: (بأنها " فرقة إمامية متطرفة، كان لثقافة الأمم القديمة تأثير على فلسفاتها ومعتقداتها، مذهبها قائم على إبطال النظر والاستدلال، وادعاء العصمة للأئمة. كان

¹ - ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص99.

² - انظر : ابن النديم : الفهرست ص267-268.

³ - انظر : الحركات الباطنية في الاسلام : الاسماعيلي مصطفى غالب : ص 67 . وأبو حاتم الرازي الاسماعيلي : كتاب الزينة ، ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية ، ص 287 . والبغدادي الفرق بين الفرق : ص 294، 621. والملطي : التنبيه والرد : ص 218.

⁴ - انظر : الغزالي : فضائح الباطنية ، ود. عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ، ص 831 وما بعدها . ود. ناصر القفاري : مقالات الفرق ، ص 271.

للمؤرخين والفلاسفة اليهود، وغيرهم أثر كبير على معتقداتهم، وفي تأويلهم للنصوص

المقدسة. (¹) وقال الدكتور ناصر الفقاري : (الاسماعيلية فرقة باطنية تدعي التشيع لآل

البيت ، وكانوا من جملة الرافضة الذين رفضوا زيد بن علي سنة 121-122هـ، ثم سمو

بالاسماعيلية بعد وفاة جعفر الصادق (148هـ) لقولهم : الامام بعد جعفر : اسماعيل بن

جعفر ، وادعوا أن جعفرا أشار إليه في حياته ، ودل الشيعة عليه ، ثم قالوا بإمامة محمد بن

إسماعيل بن جعفر من بعده ، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر) (²) . وقول

الإسماعيلية: بأنّ الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل ، كذبهم في هذه المقالة

جميع أهل التواريخ؛ لما صحّ عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر .

والخلاصة : يمكن أن نخلص مما سبق إلى القول بأنّ الإسماعيلية: فرقة شيعية إمامية،

سبئية، (³) باطنية ، غالية ، لا دينية، زعمت إمامة إسماعيل بن جعفر، وولده من بعده

، استمدت عقيدتها من الفلاسفة الإغريق، واليهود ، والصابئة وغيرهم، ظاهرها التشيع لآل

البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام .

عقائد الغلاة :

ضمت الإسماعيلية كثيرا من فرق الغلاة (⁴) - كما أسلفنا - ، والتي تضم دوائر فكرية مختلفة

ومتنوعة ، تعكس صورا من الآراء والأفكار القديمة التي اصطدم بها الإسلام في الأراضي

¹ - الجامع في أخبار القرامطة، لسهيل زكار : 56/1 .

² - د. ناصر الفقاري : مقالات الفرق ، ص 271.

³ - وقد أثبت ذلك في كتاب لي قيد الطباعة الموسوم بـ : (عبد الله بن سبأ اليهودي بين الحقيقة والخيال)

⁴ - **الغلاة :** هم الذين تجاوزوا حد العقل والايمان بالقول بالوهمية الأئمة ، إما على أنهم بشر اتصفوا

بالصفات الخاصة بالإله ، أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية . انظر : مقدمة ابن خلدون : ص 148-149.

المفتوحة والتي خضعت لسلطان المسلمين ، وفشلت فرق الغلاة على كثرتها وتنوعها - سوى الإسماعيلية قديما ، والنصيرية حديثا - في إقامة دول أو إمارات ، وإنما اقتصر دورها على إثارة الفتن ، وتشجيع حركات التمرد والعصيان ، ونشر الأفكار الهدامة التي تتميز بنزعة التلفيق ، واستمداد أفكارها من مصادر فكرية مختلفة ومتباينة ، مما مثل غزوا فكريا كاد يشوب صفاء العقيدة الإسلامية في القرنين الأولين ، لولا الجهود المخلصة الواعية التي بذلها علماء المسلمين في تنفيذ آرائهم ، وإخماد نيرانهم .

ولو ألقينا نظرة عجل على عقائد الغلاة لوجدنا فيها :

أولا : فكرة الحلول والتجسيد :

فكانت بعض فرقهم المختلفة تؤمن بحلول الجزء الإلهي في أئمتهم ، وتجسده فيهم . والسبئية - وهي البذرة الخبيثة الأولى لفرق الغلاة - كانت تقول بحلول الجزء الإلهي في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، ولما قتل (عبد الرحمن بن ملجم) علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وأرضاه - ، قالوا : إن - ابن ملجم - إنما قتل شيطانا تصور بصورة علي .؟! وعلي في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وأنه سينزل إلى الأرض فيما بعد ، ليملاها عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا .؟! **والبيانية :** أتباع - بيان بن سمعان النهدي اليمني من أتباع عبد الله بن سبأ الأوائل - زعموا أنه حل في علي - رضي الله عنه - جزء إلهي ، واتحد بجسده ، وادعوا أنه انتقل الجزء الإلهي بنوع من التناسخ من علي إلى ابنه محمد بن الحنفية ، ثم إلى ابنه هاشم ، ثم إلى - بيان بن سمعان - ، ولذلك استحق أن

وعرفهم الشهرستاني بقوله : (هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود البشرية ، وحكموا فيهم

بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق ، وهم على طرفي الغلو

والتقصير . انظر : الشهرستاني ، الملل والنحل : 1 : 173 .

يكون إماما وخليفة؟؟ واتخذ من تأويله لقوله تعالى : (هذا بيان للناس) (آل عمران : 128)
دليلا على ألوهيته (1) ..

والجناحية : أتباع - عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - يزعمون أن
الأرواح تتناسخ ، وأن روح الله - تعالى الله عما يقول الظالمون - كانت في آدم ، ثم في
شيث ، ثم صارت إلى الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي وأولاده الثلاثة من بعده ، ثم
صارت إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار (2).

والمنصورية : وهم أتباع - أبي منصور العجلي - ، والذي زعم أنه عُرِجَ به إلى السماء ،
وأنه المراد من قوله تعالى : (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ)
الطور : 44) فهو الكِسْف الساقط من السماء ؟!

والخطابية : أتباع _ أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي - ، زعموا أن الأئمة أنبياء ،
وأن أبا الخطاب كان نبيا ، وأن الأنبياء فرضوا طاعته ، ثم زعموا أن الأئمة آلهة ، وأن أبناء
علي - رضي الله عنه - هم أبناء الله وأحبأؤه ، وجعفر الصادق إله ، لكن أبا الخطاب
أفضل من علي .؟! (3) وزعم عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي - زعيم الحربية - أن
(روح الله حلت في الأنبياء والأئمة، ثم انتقلت تلك الروح من عبد الله بن محمد بن الحنفية
إلى عبد الله بن عمرو بن حرب) (4). كما قالت الإسماعيلية - كأسلافهم من السبئيين

¹ - انظر : الاعتصام - للشاطبي 3 : 67.

² - انظر : الأشعري : مقالات الإسلاميين ص : 1 : 67.

³ - انظر : الأشعري : مقالات الإسلاميين : 1 : 75.

⁴ - انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص 233.

الغلاة- بهذه العقيدة في كتبهم الباطنية،⁽¹⁾ وان تظاهروا بعدم الإيمان بها في كتب الظاهر،
فها هو القاضي النعمان يقول في كتاب ظاهري- بطريق غير مكشوف- عن المعز لدين
الله، أنه قال (نحن النجباء الأبرار والمصطفون الأخيار، خصصنا بولادة النبي والوصي،
وأورثنا الإمامة وأعطينا الكرامة، وفضلنا على العالمين، ولو شئنا أن نقول: كنا مع آدم
لقلنا)⁽²⁾. وبمثل ذلك قال ابن المعز: العزيز بالله:

أنا ابن رسول الله غير مدافع تنقلت في الأدوار من قبل آدم⁽³⁾.

ويكذبون على عليّ- رضي الله عنه- ويزعمون أنه قال: (أنا ومحمد نور واحد من نور الله،
أنا صاحب الرجفة، وصاحب الآيات... إلى أن يقول: أنا أحيي وأميت، وأخلق وأرزق،
وأبرئ الأكمة والأبرص، وكذلك الأئمة المحقون من ولدي)⁽⁴⁾. ويعتبر الحلول من أهم
وأخطر مبادئ الغلاة ، لأنه يدعو إلى تشخيص الإله من خلال-زعمهم-حلول ذاته أو جزء
منه بالإنسان، مما يؤدي إلى تأليه الإنسان، أو رفعه إلى مصاف الألوهية. ومذهب الحلول
مذهب فلسفي، وعقيدة دينية قديمة، عرفتھا الديانات المحرفة، والمذاهب القديمة، وجميع
السبئيين والغلاة قالوا بالحلول، واتفقوا على أن (روح الله حلت في كل نبي، وأنها تنتقل فيهم
الواحد بعد الآخر)⁽⁵⁾. ثم نقلوا الألوهية إلى الأئمة عن طريق القول بالحلول.. ورفضت العقيدة

¹ - انظر: الكرمانى : راحة العقل- ص 477، و الداعى إدريس عماد الدين، زهر المعانى ص 74. و

جعفر بن منصور اليمى : كتاب الكشف- ص 8، وغيرها من الكتب الإسماعيلية.

² - انظر : القاضي النعمان ، المجالس والسايرات- ، ص 209-210.

³ - انظر هامش المجالس والمسائرات ص 210.

⁴ - انظر : زهر المعانى- للداعى إدريس عماد الدين- ص 160.

⁵ - عقيدة الشيعة ص 58-59.

الإسلامية مذهب الحلول رفضاً قاطعاً، بتقريرها مبدأ الوجدانية المطلقة لله سبحانه⁽¹⁾، ومن يقول بالحلول والتناسخ يُنكر القيامة، والثواب والعقاب والجنة والنار، - كما بينت ذلك آيات الكتاب والسنة الشريفة- وأن الجزاء يكون في الدنيا، إما بانتقال الروح إلى بدنٍ سعيد فتسعد بذلك، وإما إلى بدنٍ شقي فتشقى بذلك، وهكذا أبد الآبدين، فالأبدان جنتهم ونارهم. وهذه العقيدة بعيدة كل البعد عن الإسلام، ومخالفة لمبادئه تماماً، إذ الأصل في هذه المسألة أن المسلم يعتقد مغايرة الخالق سبحانه لخلقه، وانفصال الموجودات كلها عن موجدتها وخالقها، ثم أن وجوده أزلي لا بداية له، ولا نهاية، ووجود العالم حادث، له بداية، لذا لا بد أن تكون له نهاية. كما يترتب على القول بالحلول، إسقاط التكاليف الدينية عن الإنسان، لأن التداخل بين الله والإنسان على هذه الصورة، يجعل التكاليف الدينية، غير ذات موضوع، فالله سبحانه لا يكلف كائناً هو جزء منه، تعالى الله عن ذلك، لأن ذلك تكليف لذاته المقدسة، كما لا يكون معقولاً أن يتوجه الإنسان إلى الله في صلاته عند تضرعه إليه، لأنه يكون في هذه الحالة متوجهاً إلى نفسه حتماً، ويكون الجزء الإلهي في البدن يصلي لنفسه كذلك، ويتضرع إليها، وهو أمر واضح التهافت والبطلان، فإنه سبحانه ليس في حاجة إلى الحلول بذاته في المادة التي خلقها، فهو موجود في كل مكان وفي كل زمان، كما أن مبدأ الحلول يؤدي إلى هدم ركن التوحيد وهدم النبوة، لأنه عندئذ تنتفي ضرورة الرسالة وبعث الأنبياء، وركن التوحيد هو الركن الرئيس في العقيدة الإسلامية، فإذا تحقق لهم ذلك، تداعت بقية الأركان، وتهدمت في زعمهم، ولهذا كان الحلول من أخطر المبادئ التي واجه بها السبيئون والغلاة العقيدة الإسلامية. وقد حاول بعض الكاتبيين في الفرق والمقالات من مستشرقين وغيرهم تحديد المصدر الذي

¹ - انظر مادة -حلول- بدائرة المعارف الإسلامية 8 : 55.

استمد منه الغلاة فكرة **الحلول** ، فجعلوا أصلها فارسيا ، وجعل بعضهم أصلها هندية ، إلا أن الغزالي ، وابن خلدون ، أشارا إلى أصلها المسيحي ، فقالا : ومنهم - أي : الشيعة - ، طوائف يسمون بالغلاة ، تجاوزوا حد العقل في القول بالوهمية الأئمة ، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الإله حل في ذواتهم البشرية ، وهو قول بالحلول يوافق قول النصارى في عيسى - عليه السلام - . وقد أنكر الفقهاء المسلمون ، والمتكلمون ، - كما أسلفنا - فكرة الحلول ، ووصموا أصحابها بالكفر ، والزندقة ، لأنهم اعتبروا القول بامتزاج أو إتحاد الله - جل جلاله - بالبشر ، مُنافٍ لقاعدة الوحدانية التي قام عليها الإسلام . (1)

ثانيا : ونرى في دوائر الغلاة أيضا : فكرة التناسخ :

تضم الطوائف الغالية دوائر فكرية مختلفة ومتنوعة، تعكس صوراً من الآراء والأفكار القديمة التي اصطدم بها الإسلام في الأراضي المفتوحة، والطوائف الغالية على كثرتها لم تُفلح في إقامة دول وإمارات مستقلة - إلا الحركة الإسماعيلية - وإنما اقتصر أثرها على حركات فتن، وتمرد، وعصيان، وأفكار هدامة، تتميز بنزعة التلفيق والاستمداد من مصادر فكرية مختلفة ومتباينة، ومثلت غزواً فكرياً كاد يشوب صفاء العقيدة الإسلامية في القرنين الأولين، لولا الجهود المخلصة الواعية التي بذلها رجال الفكر الإسلامي، في تفنيد آرائهم، والرد عليها.

وزعمت فرقة **الجناحية** (أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص، وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص إما أشخاص بني آدم، وإما أشخاص الحيوانات) (2).

¹ - انظر : الشهرستاني ، الملل والنحل : 1 : 141 . والبغدادي : الفرق بين الفرق ، ص 214 . ود. عرفان

عبد الحميد : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية : ص 72 .

² - انظر : البغدادي ، الفرق بين الفرق ص 145-150 .

والمعمرية - من الخطابية - ، أتباع : معمر بن خيثم ، كانوا ينكرون القيامة ، ويقولون بتناسخ الأرواح ، وزعموا أن الدنيا لا تفنى ، وأن الجنة : هي ما يصيب الناس من نعمة ، وخير ، وعافية ، وأن النار : ما يصيبهم من شر ، ومشقة ، وبليّة .. (1)

واعتنت فرقة البيانية- أصحاب بيان بن سمعان النهدي(2)- عقيدة التناسخ ثم أدعى - بيان النهدي- فيما بعد، أنه انتقل إليه الجزء الإلهي، بنوع من التناسخ، فصار إماماً وخليفة، وقال عن نفسه: إنه المذكور في القرآن (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (آل عمران : 138)، وقال (أنا البيان، وأنا الهدى والموعظة، فقتله خالد بن عبد الله القسري وأراح العباد منه)(3).والقول بالتناسخ من الدعائم الرئيسة والأركان الهامة في العقيدة النصيرية، فهي عندهم بديل للبعث والقيامة والحساب، والجزاء، ويزعمون أن الروح بعد مفارقتها للبدن، تحل في جسد آخر، وهكذا تتردد في الأجساد حتى تتطهر تماماً، وتصير نوراً خالصاً، فتصعد إلى السماء وتتخذ من النجوم والكواكب مستقراً لها، ومن هنا فإنهم يزعمون أن جميع ما في السماء والكواكب والنجوم هي أنفس المؤمنين الصالحين من النصيريين، ولذا يلقبون - علي بن أبي طالب - بـ أمير النحل - أو - أمير الكواكب والنجوم - التي هي أرواح المؤمنين

¹ - انظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ج2: ص 12.

² - يسميه ابن حزم في الفصل (بيان بن سمعان التميمي) الفصل 4 : 185، والشهرستاني في الملل والنحل 203/1 بـ (بيان بن سمعان الهندي) وإنما هو النهدي نسبة إلى قبيلة نهد اليمنية ويزعمون أن روح الله حلت في علي ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم ثم في بيان) انظر الاعتصام 3 : 67، ويقول البغدادي في الفرق بين الفرق ص 227 بأنهم يزعمون (أن روح الله تناسخت في الأنبياء والأئمة ثم انتقلت إليه، فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية).

³ - انظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ج2 : 12.

الصالحين. أما الدروز فيسمونه بـ (التقمص)، ولذلك فالشهرستاني يجعل القول بالحلول والتناسخ (سمة مشتركة لفرق الغلاة جميعها)⁽¹⁾.

ومقتضى مذهبهم : أن لا دار إلا الدنيا ، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ، ودخوله في بدن آخر ، وأنهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها ، والأبدان هي الجنات والنيران ، فأرواح أتباعهم تنتقل في الأجسام الحسنة الإنسانية ، ويكونون منعمين في حياتهم ، أما أعداؤهم فيعذبون بحلول أرواحهم في الأجسام الرديئة المشوهة ، وأجسام القردة ، والكلاب ، والخنازير ، والحيات ، والعقارب ، والخنافس ، والجعلان ، وغير ذلك من هَوامِ الأرض ، فيحولون من بدن إلى بدن ، ويعذبون فيها ، هكذا أبد الآبدين ، فهي جنتهم ونارهم ، ولا قيامة ، ولا بعث ، ولا جنة ، ولا نار ..؟!!

وقد اختلف مؤرخوا الفكر الفلسفي في تحديد الدائرة التي صدرت عنها عقيدة التناسخ (²) فهيرودوتس : يرى أن المصريين القدماء هم أول من اعتنق هذه الفكرة ونشرها ، واعتقدوا بأن النفس خالدة ، وعند الموت تنتقل إلى هيكل حيوان يخلق في الحال ، وتبقى تنتقل في الهياكل المختلفة ، إلى أن تدور في أبدان كل المخلوقات التي تسكن الأرض والماء والسماء ، ومن ثم تدخل في هيكل بشري جديد وتولد ولادة جديدة . ثم يستطرد فيقول : إن بعض مفكري اليونان استمدوا هذه الفكرة من المصريين القدماء ونسبوها إلى أنفسهم .. ويرى فريق آخر من الباحثين أن الفكرة ظهرت أولاً في الفكر الهندي ، حيث كانت تشكل دعامة أصيلة في الفكر البوذي ، والفكر البرهمي ، بينما أكثر الباحثين يميلون إلى الاعتقاد بأن الفكرة تولدت

¹ - انظر : المرجع السابق ونفس الصفحة .

² - انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص 16 وما بعدها . ود. عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق

والعقائد الإسلامية : ص 72-77.

في دوائر فكرية مختلفة ، من غير أن تتأثر دائرة بأخرى .وكان (فري سايدس) استاذ فيثاغورس ، أول من اعتنق الفكرة من فلاسفة الإغريق ، وبشر بها ، ومع هذا فإن عقيدة التناسخ ترتبط عادة وفي الغالب باسم فيثاغورس ، ويروي عنه : اكستافون أنه مر مرة بشخص يضرب كلبا ، فأمسك على يده وقال له : أمسك عن ضرب هذا الكلب ، إن روحه هي روح صديقي ، وقد علمت هذا من عُوَّائه ؟! . وأما في الفكر اليوناني المتأخر ، فإن كلا من أفلاطون ، وأستاذه سقراط ، قد شايعا هذه العقيدة ، واعتنقاها ، وكذلك فلاسفة المدرسة الأفلاطونية الحديثة (¹) . يقول أفلوطين في تاسوعاته : (أما أولئك الذين عاشوا حياتهم لتحقيق مطالبهم الحسية ، سيمسخون إلى حيوانات تناسب في جنسها نوع الحياة التي عاشوها، إلى حيوانات شرسة إذا كانت حياتهم مزيجا من الاستجابة للمطالب الحسية والروحية، وإلى حيوانات شرهة إذا كانت حياتهم حياة شهوة وثُخمة) (²)

أما في المسيحية فقد دعا - أريجون - إلى هذه الفكرة ، كنتيجة لاعتقاده بالوجود السابق

¹ - الأفلاطونية الحديثة : هي خلاصة آراء بعض الفلاسفة الملحدين، وهي خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها، تقول بوجود إله ، هو المبدأ الأسمى للوجود، بسيط لا نظير له، وهو الخير المطلق عند أتباعها، وهذا الإله تفيض عنه الأشياء جميعاً ولا تنفصل عنه، والعقل هو الأساس الوحيد لإدراك حقيقة الألوهية التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق نوع آخر من أنواع المعرفة . والأفلاطونية الجديدة أثرت كثيراً بأفكار بعض الفلاسفة المسلمين أمثال الفارابي ، وابن سينا ، ولا تزال تؤثر في كثير من الطرق الصوفية في العالم الإسلامي. ولا شك أن آراءها مرفوضة من وجهة النظر الإسلامية وقد أبان مفكرو الإسلام تهافتها من أكثر من وجه. (انظر : - تهافت الفلاسفة، لأبي حامد الغزالي ، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار. و الأفلاطونية المحدثه عند العرب، د. عبد الرحمن بدوي)

² - انظر : د. عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية : ص75

للروح على البدن ، وقد حارب متكلموا المسيحية وخصوصا - القديس أوغسطين - هذه الفكرة ، كما أدانت مؤتمرات ليون (1274م) وفلورنسة (1439م) هذه العقيدة رسميا ، وقررت أن الأرواح بعد هلاك البدن تذهب إما إلى الجنة أو إلى النار. (1) يقول الشهرستاني : (كانت التناسخ مقالة لفرقة واحدة من كل ملة من المجوسية والمزدكية والهندوسية، والبرهمية، ومن الفلاسفة والصابئة)(2)، كما أنها وجدت لها مكاناً في الفكر المصري القديم، والفكر اليوناني، والإغريقي، والمسيحي، واليهودي، وعند الغلاة - من تلاميذ ابن سبأ اليهودي- في العهد الإسلامي. أما البغدادي : فيرى أن القائلين بالتناسخ أصناف ، صنف من الفلاسفة ، وصنف من السّمنية (3) ، وهذان الصنفان كانا قبل الإسلام ، وصنفان ظهرا بعد الإسلام بين القدرية ، وغلاة الرافضة . فأصحاب التناسخ من - السمنية - : قالوا بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة ، وأجازوا حلول روح الكلب في الإنسان - وقد حكى - فلوطرخس - : مثل هذا القول عن بعض الفلاسفة ، وقال بعض اليهود بالتناسخ، ففي سفر دانيال (الإصحاح الرابع) : أن الله مسح (بختنصر) في سبع صور من البهائم ، والسباع ، وأكلَ العشب كالثيران . وقد أنكر الفقهاء والمتكلمون المسلمون عقيدة التناسخ ، وكفّروا القائلين بها ، إذ أنها تتضمن رد عقيدة إسلامية أولية ، وهي عقيدة الحشر والنشر يوم القيامة ، ثم الحساب ، فالثواب ، أو العقاب .

1 - المرجع السابق : ص 76.

2 - المصدر السابق نفسه.

3 - السمنية : فرقة بوذية هندية قالت بقدوم العالم وتناسخ الأرواح - . البغدادي : الفرق بين الفرق -

ص 270. ود. خالد العلي، الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ص 13.

ثالثا : وظهرت في دوائر الغلاة عقيدة الموت الظاهري :

التي ربطها المستشرق الألماني (إسرائيل فريد لندر) ببعض فرق الهرطقة⁽¹⁾ المسيحية ويرى أنها دخلت في الفكر الإسلامي بتأثير من المانوية ، التي اعتنقت هذه الهرطقة

1- الهَرْطَقَة : هي مفرد لكلمة هرطقات وهي دخيلة على اللغة العربية من اللغة اليونانية بمعنى انتقاء او انتخاب لرأي ما مع تفضيلة على غيره من الآراء ، وكانت تستعمل للدلالة على مذهب من المذاهب الفلسفية او مدرسة فكرية كما حدث عند اليونانيين المتأخرين وكذلك عند الرومان .. ويقول د. رمسيس عوض : الهرطقة كلمة إغريقية الأصل غامضة ، معناها الخروج على مجموعة الأفكار الدينية التي يؤمن بها السواد الأعظم من الناس في مجتمع ما ، وزمان ما . أما في مجال الدين فأصبحت تطلق على الفرق والطوائف الفكرية المختلفة داخل الدين الواحد وأصبحت تعني الشقاق الضار بسلامة الكنيسة والتعليم الكاذب المخالف للتعليم الرسولي وأصبحت الهرطقة جريمة شنعاء يعد مؤسسها أو المنتمى إليها عدواً لله والكنيسة..ويطلق عليها أيضا الزندقة (بالإنجليزية: heretic) هي تغير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، و خاصة الدين، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه الهرطقة. , ومعنى الهرطقة لدى المسلمين البدعة اي ابتداع ما هو ليس له اصل في الدين ويقسمها المسلمون الى نوعين بدعه حسنه وبدعه سيئه. اما في الكاثوليكية فالهرطقة تعني لديهم الرده الكبرى..وظهرت الهرطقة في عصور المسيحية الاولى في حوالي بدايات القرن الثالث الميلادي ومنتصف القرن الرابع الميلادي وعقد الكنيسة مؤتمرا اطلق عليه مؤتمر نيقية(مجمع نيقية) وصدرت من الكنيسة حينها احكام بالقتل على المهرطقين(المرتدين)، وكان على رأس المهرطقين حينها القس آريوس وتم قتل كل اتابعه وحرق كل كتبه وشكلت الكنيسة حينها لجان ومحاكم مختصه باتباع القس آريوس وقامت بحملات تفتيس واسعه عن اتباعه وعن كتبه .انظر: عبد الحكيم عثمان ، الحوار المتمدن-العدد: 3987 . وانظر : د. رمسيس عوض : الهرطقة في الغرب، ص 7.

المسيحية وطورتها وأعطتها شكلاً ومحتوى معيناً . والمسيح عند فرقة (الدوستيين)⁽¹⁾ ليس له حقيقة مادية بوصفه بشراً ، فحياته البشرية كلها من ولادته ، وتعميده ، وآلامه من أجل التكفير عن خطايا البشر .!! كل ذلك كان وهماً تخيله الناس ، وشُبّه لهم ، فهو لم يُصلب حقيقة ، وإنما الذي صُلب كان عدواً من أعداء المسيح ، حاول أن يعرقل دعوته البناءة ، فعاقبه المسيح بنفسه على فعلته هذه بأن صلبه عقاباً له على سلوكه السيء أما المسيح فإنه اختفى وسيعود في المستقبل⁽²⁾... وهذه الفكرة نقلتها السبئية وفرقها الغالية إلى شخص علي - رضي الله عنه - ، وإلى الأئمة من بعده وأحياناً إلى شخص زعمائهم .
فأتباع - عبد الله بن سبأ - كانوا يقولون : إن المقتول لم يكن علياً - رضي الله عنه -
وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي - رضي الله عنه - ، وأن علياً - رضي الله

1 - ذهب الدوستيون إلي أن المسيح لم يكن له جسد حقيقي ولا نفس بشرية. وإن ظهوره جسدياً علي صورة إنسان إنما كان خيلاً أو طيفاً بدون جوهر ولا حقيقة ولذلك سموا دُوستيين (وهي كلمة يونانية مشتقة من فعل معناه يظهر أو يتراءى). فحياة المسيح على الأرض حسب اعتقاد هذه الفرقة من الغنوصيين كانت وهماً وأنه لم يولد بالحقيقة ولا تألم ولا مات بل كان ذلك حسب الظاهر فقط. وذهب غيرهم إلي أنه كان ذا جسد حقيقي ولكن أنكروا ماديته أي كونه مادياً واعتقدوا أنه كان مصنوعاً من جوهر سماوي أتى به المسيح إلي العالم وأنه وإن ولد من مريم العذراء لم يكن من جوهرها بل كانت إناء وضع فيه ذلك الجوهر السماوي. وذهب غيرهم ومنهم الكورنثيون إلي أن يسوع المسيح شخصان ممتازان أما يسوع فهو ابن يوسف وهو إنسان كسائر الناس وأما المسيح فهو روح أو قوة حل علي يسوع عند معموديته وصار مرشداً وحارساً له ومكنه من صنع العجائب وفي وقت آلامه تركه يكابد الآلام وحده ورجع إلي السماء. وربما أن الكتاب المقدس يعلن لنا بكل بيان أن يسوع المسيح مخلص العالم هو إنسان بالحقيقة اعتبرت الكنيسة جميع تلك الآراء الغنوصية ضلالات ورفضتها. انظر : د. رمسيس عوض : الهرطقة في الغرب ، ص 35.

2 - انظر : د. عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص : 77-78.

عنه - صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم - عليه السلام - ، وقالوا : كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى - عليه السلام - كذبت الخوارج والنواصب في دعواها قتل علي - رضي الله عنه - ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى ، وكذلك القائلون بقتل علي- رضي الله عنه - رأوا قتيلا يشبهه فظنوه عليا .

وكانت الخطابية تقول لمعارضيهما : إن الذين ترونها - جعفرا وأبا الخطاب - ، ما هما إلا

شيطانان تمثلا في صورة جعفر وأبي الخطاب ، ليصدان الناس عن الحق ، وجعفر وأبو

الخطاب ملكان عظيمان عند الإله الأعظم إله السماء ..

وكانوا يقولون : إن أبا الخطاب لم يُقتل ، ولا قتل أحد من أصحابه ، وإنما التبس الأمر على القوم وشبهه لهم ..⁽¹⁾ وهكذا كلما قتل أو صُلب خفية أو جهارا أحد واضعي المذاهب أو الأديان ، اعتبره مريدوه وأتباعه المغلوبون على أمرهم أنه فدى نفسه لحمل خطيئة البشر ، أو أنه حي لم يمت بفضل ما حمله من الإشعاع القدسي لآل البيت المصطفوي ، أو لحلول الجزء الإلهي فيه ، أو أنه صعد إلى السماء ، أو سافر إلى الجزر النائية ، وأنه سيعود للانتقام من أعدائه في آخر الزمان ..! لئتمسك أتباعه بمعتقداتهم .

رابعاً : ظهرت في دوائر الغلاة فكرة - النبوة مستمرة - ! :

ومفادها : أن النبوة فيض دائم ، وسلسلة دورية لا تتقطع ، وأن الأنبياء لا ينقطعون . وأن كل حلقة من السلسلة تكوت أبهى من التي سبقتها ، وأعلى درجة منها .

وقد اختلف الباحثون في مصدر فكرة - النبوة مستمرة - وأصلها ...

1 - انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق 113، 148 . والإسفرائيلي : التبصير في الدين : ص 108-114.

وابن حزم : الفصل ص4: 187. والنوبختي : فرق الشيعة : ص 40-60.

فيرى : - ولهاوزن - : أن الفكرة من المحتمل جدا أنها يهودية ..

أما - فريد ليندر - ، فيربط الفكرة مباشرة بـ - كليمنت الإسكندري المسيحي - الذي يعتبره واضع عقيدة النبي الصادق الذي يظهر في صور وأسماء مختلفة ، ولكنه واحد في حقيقته ، فهو في رأيه سمي عيسى ، ولكنه هو عين آدم ، والأشخاص الذين اتحد بهم وحل فيهم النبي الصادق هم : آدم ، ويوشع ، ونوح ، وإبراهيم ، وإسحق ، وموسى ، وعيسى ... - سلام الله عليهم أجمعين - . وبهذا المعنى قالت الغلاة : إن محمدا - ﷺ - يُبعث في صورة علي - رضي الله عنه - وآل علي .؟! (1)

فالجناحية : - وهي من الفرق السبئية - كانت تزعم أن روح الأئمة كانت في آدم ، وشيث ، ثم دارت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى علي ، ثم دارت في أولاده الثلاثة ، ثم صارت إلى عبد الله بن معاوية . وكان **المُقنع الكندي** يقول لأتباعه : إنه هو الإله ، وأنه ظهر بصورة آدم ، وظهر بعده في صورة كل واحد من الأنبياء ، وظهر في صورة علي ، ثم في صورة أولاده ، ثم في صورة أبي مسلم الخراساني .؟ وكانت المنصورية تقول : إن رسل الله لا تنقطع أبدا .

وقالت الإسماعيلية : إن لهذا العالم سبعة أنبياء مشرعين ، يسمى كل واحد منهم : الناطق ، وهم : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، ثم محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وبين كل نبيين ناطقين ، **سبعة أنبياء صامتين** ... ويعقب الاستاذ الدكتور

¹ - انظر : ولهاوزن ، أحزاب المعارضة في الإسلام ، ص 249 . والبغدادى : الفرق بين الفرق ، ص 150 .

والإسفرابيني ، التبصير في الدين ص : 114.

على سامي النشار على قول الإسماعيلية السالف الذكر بقوله : وهنا ترى الإسماعيلية تصل إلى أفضل النتائج التي يمكن ترتيبها على **نظرية الفيض** (¹) ، فالفيض دائم وبقا ومستمر ، ودائرته لم تغلق على الإطلاق ، فتتعاقد الأدوار بلا نهاية ، وهذا يعني في لغة دينية بسيطة ، أن محمدا - ﷺ - لم يكن **خاتم النبيين** ، ولا آخر من يمثل اكتمال الوحي الإلهي كما تقول العقيدة الإسلامية . (²) وهذه الفكرة وهي استمرارية النبوة بنت عليها القاديانية ، والبابية ، ثم البهائية في العصر الحديث دعوتها ، وهكذا نرى كيف يمهّد السابق من الغلاة لِـ اللاحق كي تستمر الفتن ، ويستمر التخريب .

خامسا : وظهرت في دوائر الغلاة نزعات الإلحاد والإباحية :

فالمعمرية من فرقة الخطابية : استحلوا الخمر والزنا ، والسرقه ، وأكل الميتة ، ولحم الخنزير ، ونكاح البنات ، والأمهات ، ودانوا بترك الصلاة ، وتأولوا على ما استحلوه من المحرمات

¹ - : **نظرية الفيض** أو الصدور أو العقول العشرة : تيار فلسفي يحاول تفسير الصلة بين الخالق والمخلوقات ، يسمى **نظرية الفيض** أو الصدور ، ظهرت **نظرية الفيض** على يد الفيلسوف اليوناني **أفلوطين** الذي عاش في الإسكندرية بالقرن الثالث الميلادي ويُنسب إليه مذهب "الأفلاطونية الجديدة" ، وقد استقى آراءه من خليط يوناني وبوذي ويهودي ومسيحي ، ثم تأثر به الكثير من الباطنيين في أديان مختلفة ، ومنهم الإسماعيلية . وقد تبنّى هذه النظرية بعض فلاسفة اليونان ، وتبعهم في ذلك فلاسفة منتسبون للإسلام مثل الفارابي وابن سينا . وهي متناقضة بالكامل مع **نظرية الخلق القرآنية** التي وقف دفاعا عنها المتكلمون من : معتزلة ، وإشاعرة ، وماتريدية ، ثم قام **أبو حامد الغزالي** بنقد وتدمير هذه النظرية من القواعد في كتابه **مقاصد الفلاسفة** ، وتهافت الفلاسفة . وكذلك ابن تيمية في كتابه : **النبوات** . واتهم الفارابي **بالإلحاد** . لأن الفارابي جعل النبوة من جنس المنامات فقط (انظر : د. إبراهيم مذكور - في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ج1 ص 77 ، ومنجي لسود - أسلام الفلاسفة - ص 55 . وحمودة غرابية التوفيق بين الفلسفة والدين عند ابن سينا ص 142 ، ود. عاطف مصطفى محمد أبو زيد : **نظرية العقول العشرة لدى الفارابي** .)

² - انظر : د. علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** ، ج1 : ص 183 .

قول الله تعالى : (يريد الله أن يخفف عنكم ..) (النساء : 28) .

والجناحية : استحلوا الزنا ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة ، وكانوا لا يرون وجوب الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، ويؤولون الآيات الواردة في وجوب ذلك بموالاتهم قوم من أهل البيت ، متأولين في ذلك قوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح إذا ما اتقوا وآمنوا ..) (المائدة : 93) ولذلك سمو بالجناحية .

واستحلت المنصورية المحارم ، وتأولوا المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم ، وتأولوا الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم ، وعرف عن - حمزة بن عمار البربري - أنه نكح ابنته ، وأحل جميع المحارم ، وقال : من عرف الإمام فليصنع ما يشاء ، فلا إثم عليه .. (1)

وقد انتقلت هذه العقائد لطائفة الإسماعيلية ، يقول : عبد الله القيرواني الإسماعيلي في رسالة له إلى القرمطي : أبو طاهر الجنابي ، يقول فيها : (وما العجب من شيء كما العجب من رجل يدعي العقل ، ثم تكون له أخت ، أو بنت حسناء ، وليست له زوجة ، فيحرمها على نفسه ويُنكحها من أجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي .! وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم - يقصد محمداً - ﷺ - حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لا يعقل ، وهو الإله الذي يزعمونه ، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور ، والحساب ، والجنة ، والنار ، حتى استعبدتهم بذلك عاجلاً ، وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولاً ، واستباح أموالهم بقوله : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ...)

¹ - انظر : أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج1: ص 68-77 . والإسفرائيني : التبصير في

الدين ، ص 110 . والشهرستاني : الملل والنحل ، ج2: ص 14. والنوبختي : فرق الشيعة : ص 25 - 36.

الشورى : 23) فكان أمره معهم نقدا ، وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذلك بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون ، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ، وهل النار إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنَّصب في الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والحج.!!؟) (1)

سادسا : وظهرت في دوائر الغلاة فكرة تقديس الأعداد : وهي نزعة مستمدة من فلسفة الفيثاغوريين الذين اتخذوا من كل عدد أصلا من أصول دراساتهم . وكذلك العبرانيون اليهود اتخذوا من العدد (7) أصلا لعقائدهم ، وانتقل التسبيع إليهم من البابلية القديمة ، ثم انتقل منهم إلى الإسماعيلية من خلال (عبد الله بن سبأ اليهودي اليماني) وأتباعه الذين ضمتهم الإسماعيلية . وقالت الإسماعيلية إن السموات سبع ، والأرضين سبع ، والأئمة كذلك سبع .. فسُموا بالسَّبعية . واتخذت البابية فالبهائية من العدد (19) أصلا من أصول عقائدهم . وبعد أن اكتمل عدد من اجتمع حول الباب من كبار تلامذة الرشتي ثمانية عشر شخصا أطلق عليهم لقب:أصحاب أو شُهَداء (حي) (2) !!

¹ - انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص 150 . وابن حزم ، الفصل ، ج4: ص 185.

² - الحاء بحساب الجمل تساوي : (8) ، والياء تساوي : (10) ويضاف إلى الرقم (18) الباب نفسه فيصبح مجموع العدد : (19) وهو الرقم المقدس عند البابيين والبهائيين .

وقد عرفت تلك المجموعة التي اتبعت الباب ب : الواحد الأول .. وهم :

1- الملا حسين البشروئي ، وهو أول من آمن بالباب ... 2- الملا محمد حسن (أخوه) .

3- الملا محمد باقر الصغير (ابن عمه) 4- الملا علي البسطامي .

5- الملا خدابخش (المعروف بـ مُلّا علي الرازي) ... 6- الملا حسين بجستاني .

7- السيد حسين اليزدي 8- الميرزا محمد روضخاني اليزدي .

9- سعيد الهندي 10- الملا محمد الخوئي .

واتخذ الصابئة الحرانيون من العدد (5) أصلاً لعقيدتهم ، ومن الخمسة الذين يقدسون العدد خمسة : الزرادشتية ، والمانوية ، والخُرَمية ، والثنوية ، والخطابية التي ذابت في الاسماعيلية والنصيرية .

ومن أصحاب التثليث الذين يقدسون العدد ثلاثة ، قدماء المصريين والنصارى . وكان أبو منصور العجلي يعتقد أن علي بن أبي طالب كان نبيا رسولا ، وكذلك الحسن

11- الملا جليل الرومي 12- الملا أحمد أبدال المراغي .

13- الملا باقر التبريزي 14- الملا يوسف الأردبيلي .

15- الميرزا هادي القزويني 16- الميرزا محمد علي القزويني .

17- قرة العين . واسمها فاطمة . وكنيتها : أم سلمى . ومنهم من قال : اسمها هند ، وكنيتها : أم سلمى

..وكانت تقول بحلّ الفروج ، وسقوط التكاليف الشرعية . (انظر مختارات من مؤلفات أبي الفضائل ، ص

321. وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص : 24.)

18- الحاج محمد علي البارفروشي (الملقب بـ : القدوس . ولقبه الباب بـ : باب الباب) .

أما " حسين علي المازنداني " الذي لم يكن أحد أفراد " حروف حي " فلم يُلقَّب من قبل الباب بشيء ، بل

لقب نفسه بنفسه بـ " بهاء الله " وقد عرف اليهود هذا الحساب (أي حساب الجمل) بحساب أبي جاد ،

وسماه العرب حساب الجُمْل (بضم الجيم وتشديد الميم وفتحها ، وتسكين اللام) .. ويقوم هذا الحساب على

أن كل حرف من حروف الهجاء يقابله عدد ، فالألف يقابله الرقم واحد ، والباء : اثنان ، والجيم : ثلاثة ،

والدال : أربعة ، والهاء : خمسة ، والواو : ستة ، والزاي : سبعة ، والحاء : ثمانية ، والطاء : تسعة ، والياء :

عشرة ، والكاف : عشرين ، واللام : ثلاثين ، والميم : أربعين ، والنون : خمسين : والسين : ستين ، والعين :

سبعين ، والفاء : ثمانين ، والصاد : تسعين ، والقاف : مائة ، والراء : مائتين ، والشين : ثلاثمائة ، والتاء :

أربعمائة ، والثاء : خمسمائة ، والحاء : ستمائة ، والذال : سبعمائة ، والضاد : ثمانمائة ، والطاء : تسعمائة ،

والغين : تساوي ألفا . انظر : مسيلمة في مسجد توسان : ص 46. وقراءة في وثائق البهائية : ص 250،

251 . والبابية عرض ونقد : ص 62 . و البهائية والنظام العالمي الجديد ، ج1: ص 376. وكتابنا :

حقيقة البابية والبهائية والقاديانية وتأويلاتها الباطنية لآيات القرآن الكريم . ص : 27

والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وكان يدعي النبوة ، وكان اتباعه من المنصورية يزعمون أن النبوة تولاهما سبعة من قریش ، وسبعة من بني عجل ،؟! (1) وبمقارنة بسيطة لهذه الأفكار التي دانت بها فرق الغلاة ، مع ما تعتقده الإسماعيلية بفرقها المعاصرة ، نجدها قد قالت وآمنت وتبنت أفكار الفرق السبئية الغالية جميعها ، بعد أن احتوت الإسماعيلية فلولها ، مما حدا بعلماء الإسلام من السنة والشيعة ، والزيدية ، تكفيرهم ، فقد كفرهم الغزالي في كتابه : فضائح الباطنية ، والبغدادي في كتابه : الفرق بين الفرق ، وأبو الحسين الملطي في كتابه : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ويحيى بن حمزة العلوي الزيدي في كتابه : الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام .

وقال ابن بابويه القمي الإثنى عشري : (إعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله جل اسمه ، وأنهم شر من اليهود والنصارى) (2)

وقال الشيخ المفيد من علماء الإثنى عشري : (الغلاة المتظاهرون بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته - عليهم السلام - إلى الألوهية ، والنبوة ، ووصفهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد ، وخرجوا عن القصد ، وهم ضلال كفار ، حكم فيهم أمير المؤمنين بالكفر والقتل ، والتحريق بالنار ، وقضت عليهم الأئمة بالإكفار ، والخروج من الإسلام .) (3)

ألقاب الإسماعيلية وأسباب تسميتهم بذلك :

¹ - انظر : د. أميرة حلمي ، الفلسفة عند اليونان ، ص 51. وجولد زيهير ، العقيدة والشريعة ، ص 273 والنوبختي ، فرق الشيعة ، ص 34.

² - الشيخ محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ، ص 68.

³ - الشيخ المفيد ، تصحيح اعتقادات الإمامية ، ص 132.

للباطنية الإسماعيلية عدة ألقاب وأسماء ، فيسمون في تاريخ الدول بـ . :

1- بالفاطميين : وكل أبناء السيدة فاطمة الزهراء - وهم أبعد الناس عنها - ، فاطميون ، وقد كان أبناء الزهراء - رضي الله عنها - يعرفون أحيانا بآل البيت ، فلما استأثر العباسيون بالخلافة غلب عليهم اسم العلويين ، وجاء الفاطميون الاسماعيليون ، ففضلوا الانتماء إلى الزهراء لأنهم يقيمون حقهم في الخلافة - زورا وبهتانا - على أنهم أسباط النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأنهم أبناء الوصي علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه-، ولكن العباسيين ينازعونهم في دعوى الوصاية وينكرونها ويقولون : إن الانتساب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من جانب عمه العباس - رضي الله عنه ، أقرب من جانب علي - كرم الله وجهه - ابن عمه ، ومن أجل هذا يتسمى الاسماعيليون بهذا الاسم : الفاطميون ، لأن بنوة الزهراء نسب لا يدعيه العباسيون .

2- ويسمون أيضا بالباطنيين :

لأنهم ينسبون لكل ظاهر باطن ، فظاهر القرآن له باطن، مستدلين على صحة زعمهم بقوله تعالى : (... ف ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) (الحديد : 13) ويقولون : الظاهر بمنزلة القشور ، والباطن بمنزلة اللب المطلوب . وغاية مذهبهم في ذلك : السلخ عن الدين ، لأنه إذا وجب أن يكون لكل ظاهر باطن ، ويكون بمنزلة اللب على الحقيقة ، كان المرء بعد وقوفه عليه مستغنيا عن الظاهر، وغير معول عليه . كما لا يعول على القشور بعد الوقوف على اللب ..؟!

3- وسموا بالقرامطة : لانتسابهم إلي رجل يقال له : حمدان الأشعث الملقب بقرمط من أهل الكوفة ، وهو أحد دعائهم في الابتداء ، فلما استجاب له بعض الناس سموا بالقرامطة . وأقدم مصدر يؤيد وحدة الفاطميين الاسماعيليين بالقرامطة ، أو التعاون بينهما على

الأقل هو كتاب ثابت بن سنان بن قرة الصابئي (المتوفى سنة 365) في تأريخه عن القرامطة،⁽¹⁾ فقد ذكر استنطاق الوزير علي بن عيسى رجلا بغداديا متهما بالخيانة ، ومكاتبة أبي طاهر القرمطي ، فأحضره وسأله ، فاعترف بأنه يؤمن بأن أبا طاهر وفرقته على حق ، وقال : (أنت وسيدك الخليفة العباسي كفار ، تأخذون ما ليس لكم ، ولا بد لله من حجة في أرضه ، وإمامنا المهدي ... بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب) ويذكر ثابت بن قرة في حوادث 315هـ سعاية محمد بن خلف وزير ابن أبي الساج بسيدته واتهامه بالقرمطة ، وصفة التهمة أن ابن أبي الساج قرمطي ، يعتقد إمامة العلوي الذي يافريقية ، وهي إشارة واضحة 'لعبيد الله ..وورد في النجوم الزاهرة : أن البويهيين كانوا يراقبون أمر القرامطة والفاطميين خشية على دولتهم ، وقد سرهم ما رأوه من حصول الانشقاق بين صفوفهم حيث أخذت جيوش الفاطميين دمشق ، وأسروا الحسين بت عبد الله بن طنج ، وبعثوا به إلى مصر .. ساء هذا العمل القرامطة لما يفوتهم من المال الذي كان قرره ابن طنج لهم ، فبعثوا صاحبهم - أباطريف عدي بن محمد بن المعمر - إلى عز الدين بختيار ، والوزير يومئذ أبو الفرج محمد بن العباس ، يطلبون المساعدة على الفاطميين بالمال والرجال ، إلا أن الخليفة المطيع امتنع من مساعدة القرمطي هذا قائلا : كلهم قرامطة . وعلى دين واحد .

4 - ولقبوا أيضا بالسبعية :

فاتخاذ الأعداد أصولا لبعض المذاهب الدينية وغير الدينية قديم في الفكر البشري ،

¹ - انظر : مجلة الرسالة/العدد 400/ثابت بن قرة : صفحة لامعة من تراث العرب العلمي - قنري حافظ

فالعبرانيون اتخذوا من العدد سبعة أصلا من أصول عقائدهم ، وانتقل التسبيع منها إلى البابلية القديمة ، كما انتقل إلى الفيثاغوريين الذي هو أصل نظرية الأعداد عندهم . واتخذ الصابئة العدد خمسة أصلا لعقيدتهم ، ومن الخمسة أيضا : الزرادشتية ، والمانوية ، والخرمية ، والثنوية مجوس فارس . ومن أصحاب التثليث قدماء المصريين وغبرهم ، ومنهم أخذ النصارى عقيدة التثليث . والاسماعيلية قدسوا الرقم سبعة ، كما قدسه بعض الغلاة أمثال : المنصورية ، والمغيرية ، وهذا من آثار الفكر السبئي الذي ساهم في إيجاد هؤلاء الغلاة . وقالوا : إن أدوار الامامة سبعة ، وزعموا أن دور الامامة انتهى بإسماعيل بن جعفر ، إذ هو السابع من محمد - صلى الله عليه وسلم - . واستد الاسماعيليون لقولهم : بأن السموات سبع ، والكواكب سبع ، وفتحات الرأس سبع ، إلى غير ذلك مما ذكره في كتبهم ، واعتبروا أن كل ذلك إشارة إلى أن الأئمة سبعة .!؟

5 - وسموا أيضا بالتعليمية :

لأن مذهبهم يبطل النظر والاستدلال ، ويدعو إلى الامام المعصوم ، ويقولون : إن الحق إما أن يعرف بالرأي أو بالتعليم ، وباطل أن يعرف بالرأي ، لتعارض الآراء ، واختلاف العقلاء ، فلم يبق إلا أن يعرف بالتعليم . قال الغزالي في فضائح الباطنية : وهذا اللقب أي : التعليمية ، هو الأليق بباطنية هذا العصر - يقصد الاسماعيلية النزارية - فإن تعويلهم الأكثر على الدعوة إلى التعليم ، وإبطال الرأي ، وإيجاب اتباع الامام المعصوم ، وتنزيله - في وجوب التصديق والاقتراد به - منزلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

6 - وسموا أيضا بالمحمرة :

قيل : لأنهم صبغوا ثيابهم باللون الأحمر ، واتخذوه شعارا لهم . وهذا القول غير دقيق ، لأن الباطنيين اتخذوا من اللون الأبيض - رمز النقاء والنور - شعارا لهم ، كما اتخذ العلويون

اللون الأخضر . بل كان القرامطة والفاطميون الاسماعيليون يلبسون الثياب البيضاء أثناء القتال ، للدلالة على عزم لابسها على الاستبسال في المعركة حتى الموت ، كما كانت راياتهم - كما يقول ابن الأثير - من اللون الأبيض . يقول **النويري صاحب النجوم الزاهرة** : وفي مواكب الخلفاء الفاطميين الرسمية في القاهرة كانت رايات الخليفة الخاصة وثيابه بيضاء ، كما كان الحاكم بأمر الله يرتدي رداء صوفيا أبيضاً ، ويكاد يكون من الثابت أن اللون الأبيض هو شعار الفاطميين قديماً ، ولدى أتباعهم - خاصة طائفة البهرة - في العصر الحاضر . فسموا بالمحمرة إذن : إشارة إلى كثرة الموالي والأعاجم بين أفراد هذه الطائفة .. وهذا هو الأقرب للصواب . قال في لسان العرب : (والحمراء : العجم لبياضهم ، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم ، وكانت العرب تقول عن العجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم مثل الروم والفرس ومن صاقبهم (شابههم) : إنهم الحمراء . ومنه حديث علي - رضي الله عنه - حين قال له سراة من أصحابه العرب : غلبتنا عليك هذه الحمراء ، أرادوا بالحمراء : الفرس والروم . والعرب إذا قالوا : فلان أبيض ، وفلانة بيضاء ، فمعناه الكرم في الأخلاق ، لا لون الخلقة . وإذا قالوا : فلان أحمر ، وفلانة حمراء ، عنوا بياض اللون ، والعرب تسمي الموالي : الحمراء . ولعل هذا التفسير قد أزاح كثيراً من الأستار عن حقيقة الاسماعيلية وغيرهم من الغلاة . لأنه كان الموالي والعبيد والأنباط وغيرهم ممن أسلم رهبة لا رغبة مادة لحركات الغلاة بدءاً بالسبئية وفرقها ، ومروراً بالقرامطة ، وغيرها من الفرق والأحزاب الضالة المعاصرة .

7- ويسمون أيضاً بالبابية :: نسبة إلى زعيم من زعمائهم وطاغية من طغاتهم يسمى

بابك الخرمي، ظهر سنة إحدى ومائتين بناحية أذربيجان، وكان زنديقا حارب جيوش المسلمين فهزمهم ، فاستطار شره ، وعلا أمره فخافه الناس، وبقي عشرين سنة يعيث في

الأرض فساداً، فقتل مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً ، وكان إذا علم أن أحداً عنده بنت جميلة أو أخت طلبها منه، فإن بعثها إليه وإلا أخذها عنوة، واشتدت وطأته على جيوش المسلمين حتى مزق جندهم وبددهم، إلى أن أذن الله بهلاكه وزوال أمره، فبعث المعتصم بالله جيوشاً لحربه ، فهزموه وأتباعه، وأخذوا بابك وصلبوه، ففرق أمر أتباعه وتشتتوا شذر مذر،... ولهم أسماء وألقاب غير ذلك .

حقيقة النسب الإسماعيلي الفاطمي :

أرجع الامام ابن حزم الاندلسي أصول الإسماعيليين الفاطميين إلى أن أصولهم يهودية ،^(1) عن طريق عبد الله بن سبأ اليهودي اليماني ، وأشار البغدادي إلى أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس^(2) وقال الشهرستاني : (الباطنية خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج)^(3) . وقال عبد القاهر البغدادي : (ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران ، واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون ديسان كان من الصابئة الحرائية)^(4) والصواب : أن كل ذلك حق ، فهم أخذوا من اليهود ، والمجوس ، والفلاسفة ، والصابئة ، ويشهد لذلك ما ذكره الغزالي بقوله : (إنهم يوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونهم عليها)^(5) وقرر د. محمد كامل حسين المحامي - وهو الخبير

¹ - انظر : ابنة حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل : 164/1 .

² - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص 269 .

³ - الشهرستاني : الملل والنحل : 192-193 .

⁴ - البغدادي : الفرق بين الفرق : ص 278 .

⁵ - الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 37 .

بمذهبهم - من أن الاسماعيلية استفادوا من كل الآراء التي قال بها من سبقهم من الفلاسفة القدماء ، ومن كل الديانات والعقائد القديمة ، ومزجوا كل ذلك بالدين الاسلامي ، فاستنبطوا بذلك عقيدة هي مزيج عجيب من كل الفلسفات وكل الديانات (¹) :

وينكر الطاعنون في نسب الفاطميين انتساب **عبد الله المهدي** إلى **علي بن أبي طالب** وإلى **فاطمة الزهراء** - رضى الله عنهما _ ، وينسبونه إلى **ميمون القداح بن ديسان** . وقد خلف **القداح** هذا **ابنه عبد الله** الذي كان على معرفة كبيرة بعلم الشرائع والسنن ، وينسبون إليه وضع أسس وأصول المذهب الإسماعيلي (²) ولما مات عبد الله خلفه **ابنه أحمد** ، ثم خلف **أحمد** في الدعوة **ابنه الحسين** الذي مات بعد قليل ، فقام بالدعوة من بعده أخوه المعروف " **بأبي الشلعل** " ، وهو الذي بعث إلى المغرب **بأبي عبد الله الشيعي** وأخيه **أبي العباس** ، وكان **لأحمد بن الحسين** ولد اسمه **سعيد** تبناه عمه بعد موت أبيه ، وقد اشتهر أمر **سعيد** هذا بعد وفاة عمه ، وكثر ماله وانصاره ، حتى اضطر الخليفة العباسي " **المعتضد** " إلى التشديد في طلبه ، ففر إلى **سلمية في سوريا** ، يريد بلاد المغرب عن طريق مصر ، وحبسه **أمير سجلماسة** ، وظل في الحبس إلى أن أطلق سراحه **أبو عبد الله الشيعي** ، وأدعى أنه **المهدي** ، وانتسب إلى **إسماعيل بن جعفر الصادق**. ويكاد يجمع مؤرخو السنة

¹ - محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ، ص 131 بتصرف ، وانظر : د. ناصر الفقاري : مقالات الفرق ص : 276.

² - يشير المقرئ أن عبد الله قد دخل هذه الدعوة ليجمع حوله اتباعا ، وينفذ منها إلى تكوين دولة فارسية .
خط الآثار ج 1 ص 348 .

أن عبيد الله المهدي من سلالة ميمون القداح على نحو ما أسلفنا ، ويذكرون أنهم كانوا من دعاة الأئمة الإسماعيلية المستورين ثم اغتصبوا الأمر لأنفسهم (¹) وقد استند كثير من مؤرخي السنة الذين ينكرون صحة نسب الفاطميين إلى قول أخى محسن محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق إذ يقول : (إن عبيد الله هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديسان الثنوي الأهوازي وأصله من المجوس " ثم يعود أخو محسن ويذكر أن سعيدا الذى عرف باسم عبيد الله المهدي - أول الخلفاء الفاطميين - إنما كان ابن حداد يهودى مجهول , تزوجت أرملة بالحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح فتبنى سعيدا هذا وأدبه وعلمه أسرار مذهب الإسماعيلية لأن الحسين لم يعقب من زوجته امرأة اليهودى) . (²) . وتبع الشريف " أخو محسن " فى هذا رأى جماعة من أعلام المؤرخين العرب منهم : " أبو بكر الباقلانى " المتوفى عام 403هـ - 1012م " وابن خلكان " المتوفى عام 681هـ , وابن واصل " المتوفى عام 679هـ - 1297م , " والذهبي " المتوفى عام 748هـ - 1348م و " التهامى نقره " و " عبد الحليم عويس " .. ويمكن إجمال بعض آرائهم على النحو التالى :

يعرض ابن خلكان مجموعة من الآراء التى قيلت فى نسب عبيد الله المهدي وأغلب هذه الآراء قد وردت فى مصادر المنكرين لصحة النسب الفاطمى من مؤرخي العرب ، لذا سنقتصر على ذكر رأيه باختصار شديد فى النقاط التالية:

¹ - حسن إبراهيم حسن . قيام الدولة الفاطمية ص 64.

² - المقرئى اتعاظ الحنفا ص 21 ، 22 .

1 - يذكر اسم عبيد الله المهدي بأنه " سعيد " ولقبه عبيد الله ، وزوج أمه هو الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح . (¹)

2 - ثم يتعرض لقضية سجن عبيد الله المهدي في سجن سجلماصة وقتل ابن مدرار له ، ثم يقول : (ولما وقف على ذلك الشيعي خشي انتفاض أهالي كتامة عليه ، وكان بجواره رجل يخدمه ، فأخرج ذلك الرجل إلى العساكر وقال هذا هو المهدي) . (²)

3 - ويسوق ابن خلكان روايتين يستدل بهما على إنكار أهل مصر لنسب الفاطميين : الأولى : سؤال ابن طباطبا للمعز عن نسبه ، وفي مجلس دعى إليه المعز أشراف مصر أجاب عن السؤال ، وذلك بأن سل سيفه وقال : (هذا نسبي) ثم غمرهم بالذهب وقال : (وهذا حسبي) (³)

أما الرواية الثانية : فعندما صعد العزيز بالله بن المعز لدين الله المنبر يوم الجمعة وتصادف ذلك في بداية ولايته سنة 365هـ وجد ورقة مكتوبة فيها هذه الأبيات :
إنا سمعنا نسبا منكرا..... يُتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقا.....فانكر أبا بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع (⁴)

¹ - سمى قداحا لأنه كان كحالا يقدح العين إذا نزل فيها الماء

² - . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . المطبعة اليمينية بمصر سنة 1310 هـ ص 272

³ - يلاحظ التناقض واضحا في هذه الرواية حيث أن ابن طباطبا المذكور هو " أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسين إبراهيم بن طباطبا " وقد توفي عام 348 هـ بينما كان قدوم المعز إلى مصر سنة 362 هـ المصدر السابق ص 260.

⁴ - يريد بالطائع الخليفة العباسي 363 هـ . 381 هـ لأن هذه القصيدة قيلت في خلافته . المصدر السابق ج 2 ص 152 ، 153.

فلتدع أنسابنا مستورة وادخل بنا في النسب الواسع .

فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع .

وهناك آراء أخرى تطعن في نسب الفاطميين يضيق المقام عن ذكرها ويمكن الرجوع إليها ^(1)

والدولة العبيدية - إنما أطلقوا عليها أسم **الدولة الفاطمية** لأجل التغير والتلبيس والتدليس - أسست في تونس سنة 297 هـ ، وانتقلت إلى مصر سنة 362 هـ ، واستقر بها المقام فيها ، وامتد سلطانها إلى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي ، مثل : الشام ، والجزيرة العربية . وقد بدأ حكمهم بالمعز لدين الله !! (معاذ بن المنصور العبيدي) ، وانتهى (بالعاقد عبد الله بن يوسف) عام 567 هـ .

وقد تكلم أئمة السنّة من العلماء والمؤرخين عن نسب هذه الدولة ، فبينوا زيف ادعائهم أنهم ينتسبون لفاطمة - رضي الله عنها - ، وبينوا ما فعلته هذه الدولة من نشر الكفر والزندقة ، وإيذاء أهل السنّة ، وتمكين الكفار ، بل تعاونوا مع الكفار ضد المسلمين ، ومن هؤلاء الأئمة والمؤرخين : أبو شامة ، وابن تغري بردي ، وابن تيمية ، وابن كثير ، والذهبي ، وغيرهم كثير ..

قال الإمام الذهبي عن " عبيد الله المهدي " وهو أول حكام تلك الدولة :

(وفي نسب المهدي أقوالٌ : حاصلها : أنه ليس بهاشميّ ، ولا فاطميّ) . ^(2)

¹ - انظر رأى التهامي نقرة ، وعبد الحليم عويس في مقدمة كتابهما " أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم " حيث

قاما بتحقيقه ص 14 . 29

² - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 15 / 151

وقال : (وأهل العلم بالأنساب والمحققين يُنكرون دعواه في النسب) (¹) .

"ونقل عن أبي شامة - الذي كتب عن هذه الدولة كتاباً سمّاه (كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد) - قوله : ("يَدَّعون الشرف ، ونسبتهم إلى مجوسي ، أو يهودي ، حتى اشتهر لهم ذلك ، وقيل : " الدولة العلوية " و " الدولة الفاطمية " ، وإنما هي " الدولة اليهودية " أو " المجوسية " الملحدة ، الباطنية) (²) .

أئمة الإسماعيلية المستورون والظاهرون

- 1- علي بن أبي طالب : (ت 40هـ / 661م) .
- 2- الحسين بن علي (ت 61هـ / 680م)
- 3- زين العابدين : علي بن الحسين (ت 95هـ / 714م)
- 4 - الباقر : محمد بن علي (ت 114هـ / 732م)
- 5 - الصادق : جعفر بن محمد (ت 148هـ / 765م)
- 6 - المبارك : إسماعيل بن جعفر : (136هـ / 754م) . ولد في المدينة المنورة ، وبعد وفاة جعفر الصادق حدث انشقاق في شيعته ، فانقسمت إلى فريقين : فريق قال إن إسماعيل مات في حياة أبيه ، فانتقلت الإمامة إلى أخيه موسى الكاظم ، وهم الاثنى عشرية ، أما الاسماعيلية فقالوا : إن إسماعيل لم يموت ، لكن أظهر والد موته تقية ، ليحميه من قتل العباسيين له . (³)

¹ - تاريخ الإسلام " حوادث سنة 321 - 330 ، ص 23 .

² - انظر " سير أعلام النبلاء 15 / 213 ، و " الروضتين في أخبار الدولتين " 1 / 216

³³ - انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ص 110 .

أئمة دور الستر :

حاول الإسماعيليون تغطية هذه الفترة الغامضة وإغلاق الثغرة المخلة بتسلسل إمامة أئمتهم بعد محمد بن إسماعيل فطبقوا نظرية الاستتار على عدد من أئمتهم اختلفوا في أسمائهم وألقابهم وعددهم اختلافا كثيرا ، مما يشعر بالتلفيق ومحاولة تركيب المذهب من جديد وهذه الفترة الغامضة مثار جدل ونقاش بين المؤرخين والنسابين حول فاطمية الدولة أو عبديتها.....ويصف الدكتور محمد كامل حسين هذه الفترة بقوله: (إنها فترة غامضة أشد الغموض حتى أن بعض مؤرخي وكتاب الإسماعيلية تحدثوا عن هذه الفترة رمزا دون تصريح مما يجعل موضوع الحديث عن دور الستر شاقا وعسيرا على كل باحث في تأريخ الإسماعيلية فإن الشيعة عامة والإسماعيلية بوجه خاص اتخذوا التقية مذهباً من مذاهبهم) (¹) . صنف الإسماعيلية الإمامة إلى رتب ودرجات، وزوّدوها بصلاحيات واختصاصات واسعة، غير أنّ المهم هنا الإشارة إلى تصنيفهم الإمام إلى مستور دخل كهف الاستتار، وظاهر يملك جاهاً وسلطاناً في المجتمع، فالأئمة المستورون هم الذين نشروا الدعوة سراً وكتماناً، وهم:

7- **المكتوم** : محمد بن إسماعيل الملقب بـ (الحبيب) (132 - 193 هـ) ولد في المدينة المنورة وتسلمّ شؤون الإمامة واستتر عن الأنظار خشية وقوعه بيد الأعداء. ولقّب بالإمام المكتوم لأنّه لم يعلن دعوته وأخذ في بسطها خفية.(وعنده تقف السبعية ويقولون بغيبته)(²)

¹ - أصول الاسماعيلية / سليمان بن عبد الله السلومي: 1: 255

² - تدور حول إمامة محمد بن إسماعيل قصص وحكايات وأقاويل انظرها ف تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ، ص 132.

8- عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقّب بـ (أحمد الوفي) (179-212 هـ) ولد في مدينة محمد آباد، وتولّى الإمامة عام 193 هـ بعد وفاة أبيه، وسكن السلمية عام 194 هـ مصطحباً بعدد من أتباعه وهو الذي نظم الدعوة تنظيمًا دقيقاً.

9- أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقّب بـ (محمد التقي) (198-265 هـ) وتولّى الإمامة عام 212 هـ ، سكن السلمية سرّاً حيث أصبحت مركزاً لنشر الدعوة.

10- الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقّب بـ (الرضي) (212-289 هـ) تولّى الإمامة عام 265 هـ ، ويقال أنّه اتخذ عبد الله بن ميمون القداح حجة له وحجاً عليه.

أئمة دور الكشف (الفاطميين) :

أئمة الظهور من عبيد الله المهدي حتى سقوط الدولة الفاطمية (العبيدية)، كان من نتائج الدعوة الإسماعيلية أن قامت لهم دولة واسعة الأطراف امتدت حيناً من الزمن توالى عليها وتعاقب عدد من الحكام ابتداء من عام 297 هـ حتى قضى صلاح الدين الأيوبي رحمة الله عليه على دولتهم نهائياً عام 567 هـ وعدد حكامها أربعة عشر أولهم المهدي وآخرهم العاضد وبيان ذلك بالتفصيل عن هؤلاء الحكام كالآتي:

11- المهدي عبيد الله بن الحسين : (ت 322 هـ / 934 م) أول أئمة دور الظهور :

يكنى بأبي محمد ويلقب بالمهدي ، ويعرفه الذهبي بأنه أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام وأعلنوا بالرفض ، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية وبثوا الدعاة يستغفون الجبلية والجهلة ، وادعى هذا المدبر أنه فاطمي من

ذرية جعفر الصادق...⁽¹⁾ والمعروف بين الإسماعيلية ان عبيد الله المهدي هاجر إلى المغرب ، وأسس هناك الدولة الفاطمية ، كان ابتداءً لعهد الأئمة الظاهرين الذين جهروا بالدعوة وأخرجوها عن الاستتار .

12 - الإمام الإسماعيلي الثاني: محمد بن عبيد الله القائم بأمر الله (ت 334 هـ - 946 م) ولد بالسلمية وارتحل مع أبيه عبيد الله المهدي إلى المغرب وعهد إليه بالإمامة من بعده.

(وقام القائم بأمر الله مقام المهدي بعده، واقتفى سيرته وآثاره وأحكامه) ⁽²⁾ . وعمره يومئذ سبع وأربعون سنة ⁽³⁾)

13- إسماعيل بن محمد المنصور بالله (ت 341 هـ - 953 م) : الإمام الإسماعيلي الثالث: ولد بالقيروان، وقيل بالمهدية ، تسلم شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه سنة 334 هـ . بعد ما مات أخوه القاسم الذي كان قد نص عليه القائم باستخلافه على الناس، لكنه مات في حياة أبيه (فكان يقال بالقيروان: ما أكثر كذب هؤلاء المشاركة) ⁽⁴⁾ .

14- معد بن إسماعيل المعز لدين الله (ت 319 - 365 هـ) الإمام الإسماعيلي الرابع ، مؤسس الدولة الفاطمية في مصر . ⁽⁵⁾)

15- العزيز بالله نزار بن معد ابن المعز لدين الله (ت 386 هـ - 996 م) ولي العهد

¹ - أصول الاسماعيلية / سليمان بن عبد الله السلومي 1: 275

² - افتتاح الدعوة : ص 331، وعيون الأخبار ص 158

³ - الازهار ومجمع الأنوار ، للداعي حسن بن نوح الهندي ص 237

⁴ - تثبيت دلائل النبوة : 2: 601

⁵ - افتتاح الدعوة : 335

بمصر سنة 365 هـ ، واستقل بالأمر بعد وفاة أبيه، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً. (1)

16- أبو علي المنصور بن نزار الحاكم بأمر الله (375-411 هـ) بويع بالخلافة سنة 386 هـ وكان عمره أحد عشر عاماً ونصف العام، ذكره الذهبي بقوله (الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية). (2) وأما عن مصير الحاكم فمجل القول فيه أنه فقد في سنة 411 هـ ، ولم يعلم مصيره، وحامت حول كيفية اغتياله أساطير لا تتلاءم مع الحاكم المقتدر. وبعد اختفائه انشقت فرقة من الإسماعيلية ذهبت إلى إلهوية الحاكم وغيبته، وهم المعروفون اليوم بـ (الدروز) يقطنون في لبنان ، وسوريا ، وفلسطين المحتلة . .

17- علي بن المنصور الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم (ت 427 هـ - 1036م) قامت أخت الحاكم ست الملك بأمور البلاد ، وعزلت عبد الرحيم بن إلياس من ولاية العقد، وأقامت ابنه البالغ من العمر ست عشرة سنة عليا مقامه ولقبته بالظاهر وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة وأربعمئة ، وعمره ست عشرة سنة . وشن حرباً على الدروز محاولاً إرجاعهم إلى العقيدة الفاطمية الأصلية. (3)

18- المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر (478 هـ - 1094م) بويع بالخلافة عام 427 هـ ، وكان له من العمر سبعة أعوام، وقد ظل في الحكم ستين عاماً، وهي أطول مدة في تاريخ الخلافة الإسلامية. وولي أبو تميم معد المتلقب بالمستنصر سنة

¹ - النجوم الزاهرة : 4 : 112

² - سير أعلام النبلاء : 15 : 173

³ - الخطط للمقريزي : 1 : 354

سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين ، وأمه أم ولد كانت ، أمة سوداء لتاجر يهودي يقال له أبو سعد سهل بن هارون التستري ، فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة إليه استتدت أمه أبا سعد ورقته درجة عليا . (¹)

19- أبو القاسم أحمد بن المستنصر المتلقب بالمستعلي بالله (467-495 هـ) . لما مات المستنصر بادر الأفضل؛ قام الوزير أفضل شاهنشاه وأجلس ابنه الأصغر أحمد على عرض البلاد ولقبه المستعلي.

20- أبو علي منصور بن أحمد المتلقب بالآمر بأحكام الله (490-524 هـ) ، ولي بعد المستعلي إمامة الإسماعيلية وزعامتها أبو علي المنصور يوم مات أبوه سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام . (²)

21- الطيب بن المستعلي : ويقفون عنده ويقولون أنه إمام مستور... دور الستر للأئمة المستعلية ، وتولي الدعاة أمر الدعوة .

مراتب الأئمة :

أعطى الإسماعيلية الإمامة أهمية كبرى سواء من الناحية الاعتقادية أو الجانب التنظيمي ، فقد أطلقوا على هذه المراتب أسماء مختلفة، وقسموها إلى درجات متعددة ، فمن الأسماء التي أطلقوها ما يعرف عندهم بالأدوار والأكوار ، والمراد من ذلك: فترات زمنية معينة يكون في كل منها ناطق -أي نبي- ، وسبعة أئمة ، وقد ذكر السجستاني -أحد دعائهم- أن الدور على نوعين: دور كبير ودور صغير. فالدور الكبير يتعلق بالأنبياء ويطلق عليهم اسم النطقاء ، وهو الفترة الزمنية التي تكون بين كل

¹ - الخطط للمقريزي : 1: 355

² - الاسماعيلية : إحسان إلهي ظهير ص 121-161

نبي ونبي. أما الدور الصغير فهو يتعلق بالأئمة الذين بين كل ناطق وناطق وهو الفترة الزمنية وبين كل إمام وإمام ، ويتخلل الدور -كما قلنا- سبعة أئمة مستقرين إلا في الفترات التي تحدث لعل وأسباب (¹) ويلاحظ في أدوار الأئمة أنها تتم بسبعة ، وهو إشارة إلى أصل من أصولهم الاعتقادية التي يدينون بها ، ولذا يطلق عليهم بعض العلماء السبعية ، لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة ، وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة ، وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر له قط (²) أما مراتب الأئمة فهي كالتالي:

1- الإمام المقيم:

الإمام المقيم هو ذاك الإمام الذي يربي النبي صاحب الرسالة، فالشخص الذي يتكفل بتربية ورعاية الناطق يطلقون عليه بالإمام المقيم، وبما أن الرسول الأكرم محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الناطق (³) عندهم، فأبو طالب عم رسول الله محمد- صلى الله عليه وسلم - هو الإمام المقيم عندهم. ويطلق عليه أحياناً اسم (رب الوقت) وصاحب العصر وتعتبر هذه الرتبة أعلى مراتب الإمامة وأرفعها ، وأكثرها دقة وسرية. (⁴)

2- الإمام الأساس :

وصاحب هذه الدرجة هو الذي يصاحب الناطق صاحب الرسالة، ويكون مساعده ويده

¹ - إثبات النبوات ، للسجستاني : ص 181.

² - فضائح الباطنية ، للغزالي ، ص 16.

³ - سمط الحقائق، ص 41

⁴ - الإمامة في الإسلام عارف تامر الإسماعيلي، ص 143

اليمنى، وهو الذي يقوم بأعمال الناطق، كما أنّ صاحب هذه المرتبة هو القائم على الدعوة الباطنية والمعلّم المسؤول على تعليم الأمور الباطنية لأهلها وطلّابها (¹). وبما أنّ النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الناطق عندهم، فالإمام الأساس هو الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (²) .

3- الإمام المتم:

الإمام المُتم هو الإمام السابع من كل دور، وهو الذي يتم رسالة الدور الذي هو فيه، وبما أنّه الإمام السابع ، والمُتمّ للدور فهو يتحصّل على قوة الأئمة الستة الذين سبقوه، وبلحاظ كونه المتمّ للدور يسمى أيضا عندهم " ناطق الدور " لأنّ وجوده يشبه وجود " الناطق " من جهة كونه يقف على بداية الدور الذي يلي دوره (³) . والإمام المُتم الأول عندهم - إذا قلنا أنّ النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الناطق - يكون اسماعيل بن جعفر الصادق.

4- الإمام المستقر:

هو الإمام الذي يلي الإمام المُتم، وهو أول إمام في أي دور، وكذلك هو الذي تكون له صلاحية أن ينصّ على الإمام الذي بعده، والإمام الذي تكون له هذه الميزة والصلاحية، يكون عندهم القائم بمسؤولية الإمامة بالأصالة، وأيضاً يطلقون عليه إسم " الإمام بجوهر " والمتسلم شؤون الإمامة بعد الناطق مباشرة ، والقائم بأعباء الإمام أصالة (⁴)

¹ - الإمامة في الإسلام عارف تامر الإسماعيلي، ص 143

² - تاج العقائد: للدعي المطلق علي بن محمد الوليد، ص 60

³ - الإمامة في الإسلام عارف تامر الإسماعيلي، ص 143-144

⁴ - الإمامة في الإسلام عارف تامر الإسماعيلي، ص 144

الإمام المستودع:

هو الذي يتسلم الإمامة في الظروف والأحوال الاستثنائية وفي الفترات المظلمة التي يخيم فيها الظلام على النور -بزعمهم- عند احتجاب الإمام الأصيل فيقوم عندئذ بمهمات الإمامة نيابة عن الإمام المستقر بنفس الصلاحيات. ولكن من الواضح والأكد أنه لا يستطيع توريث الإمامة لأحد من ولده بل تبقى مستودعة عنده لحين انجلاء الظلمة وعندئذ يعود الحق إلى نصابه والإمامة إلى أصحابها الشرعيين، ومن إطلاقات الإسماعيلية على هذا الإمام المستودع "نائب غيبة". (1) .

إن وضع الأئمة في مراتب على هذا النحو تخطيط مبتدع يخدم أهدافاً وأغراضاً باطنية. فمثلاً فكرة الإمام المستقر والإمام المستودع اتخذها الإسماعيلية وسيلة لتبرير إمامة القداحيين وكأن هناك سلسلة من الأئمة المستقرين من أبناء محمد بن إسماعيل بينما في حقيقة الأمر لا وجود لهؤلاء الأئمة المزعومين حيث مات محمد بن إسماعيل دون عقب -كما أسلفنا- ، ومن ثم أصبح القداحيون هم الأئمة للإسماعيلية وحتى لا تتكشف هذه الحقيقة ابتدعوا فكرة الاستقرار والاستيداع الإمامي ، فمرت فترة تاريخية عرفت عند المؤرخين بفترة الاستتار، أو دور الأئمة المستورين. وتعتبر هذه نموذجاً عملياً لهذه الفكرة عند الإسماعيلية. (2)

الإمامة أصل من أصول وقواعد الاسماعيلية

تعتبر الإمامة من الأصول التي قام عليها مذهب الشيعة على تعدد فرقهم وتشعبها

¹ - الخلفية العقائدية ، فضيلة الشامي ص 329.

² - أصول الاسماعيلية ، سليمان بن عبد الله السلومي ، 1: 323.

حيث تعد ركنا أساسيا في مذهبهم تطغى بأهميتها ومنزلتها على جميع المعتقدات والأصول الإيمانية بل هي في نظرهم أهم وأعظم من أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة المتفق عليها بين المسلمين ومما نقل الشهرستاني عن الشيعة جميعا قولهم: إن الإمامة ليست قضية مصلحة تتاط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسول إغفالها وإهمالها ولا تفويضها إلى العامة وإرسالها (¹) ومع انحراف الشيعة الاثنى عشرية وغلوهم في أصل الإمامة واعتقاداتهم في الأئمة فإن الشيعة الإسماعيلية أشد غلوا وتطرفا وأعظم انحرافا في هذا الأصل (²)

تعريف الإمامة : تعريف الإمامة عندهم: هي كما يقول الشيرازي - اعتقاد وصاية علي بن أبي طالب وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذريته ووجوب طاعته وطاعة الأئمة (³) .

أهمية الإمامة:

إن الدارس لكتب الإسماعيلية يرى الإصرار العجيب حول هذا الأصل ، وتضخيمه حتى يطغى على جميع المعتقدات والآراء فهو محور أساس تدور عليه كل عقائد الإسماعيلية ، وعن ذلك يقول أحد دعائهم : إن الإمامة أحد أركان الدين ، بل هي الإيمان بعينه ، وهي أفضل الدعائم وأقواها ، لا يقوم الدين إلا بها ، كالدائرة التي تدور

¹ - الشهرستاني : الملل والنحل : 1 : 146.

² - سليمان بن عبد الله السلومي : أصول الاسماعيلية ، 2 : 413.

³ - محمد كامل حسين ، ديوان المؤيد : ص 70 .

عليها الفرائض ، لا تصح إلا بوجودها (1)

تفضيل الإمامة على النبوة :

بلغ الغلو في أصل الإمامة عند الإسماعيليين أقصاه ، حيث اعتبروا رتبته أعظم قدرا وأفضل منزلة من النبوة والرسالة ، فأطلقوا على النبوة والرسالة رتبة (الاستيداع) وأطلقوا على الإمامة والوصاية رتبة (الاستقرار) ولا شك بأفضلية الرتبة الثانية على الأولى حسب أصول الإسماعيلية وقواعدها . (2)

استمرار الإمامة أو تسلسلها:

إن هذا المعتقد ضمن أصل الإمامة مما يختلف فيه الإسماعيليون عن الإمامية الاثنى عشرية ذلك أن الفرقة الثانية وإن كانوا يسلسلون الإمامة إلى الإمام الثاني عشر فإنه يعتبر آخر الأئمة ، وليس لديهم من ذلك الوقت إمام إلى الآن ، طمعا في خروجه من السرداب (3)

نظرية الاستقرار والاستيداع:

وهي عقيدة اختص بها الإسماعيلية ، ويعنون بها أن الإمامة نوعان: إمامة مستقرة وإمامة مستودعة فحينما يتولى الإمامة شخص من آل البيت حسب سلسلتهم لهؤلاء الأئمة ، يكون مستقرا ، وهو الذي يملك نقل الإمامة إلى من بعده ، أما حينما يتولاها الحجة أو أحد الدعاة المقربين من الإمام ، فإنه يكون إماما مستودعا ، فتعتبر

¹ - الكرمانى : المصباح في إثبات الإمامة ، ص 12. وسليمان بن عبد الله السلومى : أصول الاسماعيلية ، 2: 414.

² - سليمان بن عبد الله السلومى : أصول الاسماعيلية ، 2: 417.

³ - سليمان بن عبد الله السلومى : أصول الاسماعيلية ، 2: 418.

الإمامة عنده وديعة لا يملك نقلها إلى أحد البتة بل يسلمها إلى صاحبها الأصلي عند زوال أسباب الاستيداع ، فالإمام المستودع هو ذلك الشخص الذي يتولى الإمامة مؤقتا ، كأن يكون الإمام المستقر صغيرا لا يستطيع القيام بمهام الإمامة ، أو يجب أن يكون مستورا لا يظهر إلا للمقربين إليه في بعض الظروف الاستثنائية (¹) من دعاويهم المغالية في الأئمة :

1 - دعوى ألوهية الأئمة :

أضاف الإسماعيليون إلى أئمتهم صفات الألوهية وغلوا في ذلك غلوا مخرجا عن ملة الإسلام فمن وصاياهم إلى أتباعهم قول أحد دعائهم: والعلم بأن الإمام الموجود للأنام لا يخلو منه مكان لأنه إلهي الذات سرمدى الحياة ولو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق إلى معرفته وصول (²) وقد أكد داعي دعاة الإسماعيلية على هذه الأوصاف الإلهية في ديوانه ، فمما قاله مخاطبا أحد الأئمة الإسماعيلية:

فوجهك وجه الإله المنير

ونورك من نوره كالحجاب

يداك يد الله مبسوطتان

وأنت له الجنب غير ارتياب

وإنك برهانه في الأنام

وأنك صمصامه في النصاب

ويقول أيضا:

¹ - جعفر بن منصور اليمنى ، أسرار النطقاء . وقرامطة العراق : لعليان ، ص 282.

² - غاية المواليد ، لأبي الخطاب ، ص 129.

شهدت بأنك وجه الإله

وجوه الموالى به ناضرة

ويقول أيضا:

الوجه وجه الله والجنب جنبه

من الوحي قد قامت عليه الدلائل

كما يقول :

قد حله وجه الإله وجنبه

ولسان صدق محمد وجنانه (¹)

وقد نقل الذهبي أن الفقهاء والعبداء نصروا الخوارج في حربهم على الدولة العبيدية لما علموه عنهم من كفر وزندقة ، فعندما أراد أبو يزيد مخلص بن كيداد الخارجي حرب بني عبيد ، قال الذهبي : (تسارع الفقهاء والعبداء في أهبة كاملة بالطبول والبنود ، وخطبهم في الجمعة أحمد بن أبي الوليد ، وحرّضهم وقال : جاهدوا من كفر بالله ، وزعم أنه رب من دون الله ، ... وقال : اللهم إن هذا القرمطي الكافر المعروف بابن عبيد الله ، المدعي الربوبية جاحداً لنعمتك ، كافر بربوبيتك ، طاعن على رسلك ، مكذب بمحمد نبيك ، سافك للدماء ، فالعنه لعناً وبياً ، وأخزه خزيّاً طويلاً ، واغضب عليه بكرةً وأصيلاً ، ثم نزل فصلى بهم الجمعة.) (²) . وممن كان يدعي الربوبية والإلهية الحاكم العبيدي حيث قال عنه الذهبي : (الإسماعيلي ، الزنديق ، المدعي

¹ - ديوان المؤيد ، مقدمة محمد كامل حسين ، ص 8-82. وسليمان بن عبد الله السلومي : أصول

الإسماعيلية : 2: 422.

² - سير أعلام النبلاء : 15 / 155

الربوبية (1) . وقال عنه أيضاً: يقال : إنه أراد أن يدّعي الإلهية ، وشرع في ذلك ! فكلمه أعيان دولته ، وخوّفوه بخروج الناس كلهم عليه . (2) . وممن حرض الحاكم على هذا الادعاء : " حمزة بن علي الزوزني " وهو من دعاة تأليه الحاكم ، ومؤسس المذهب الدرزي .

قال الذهبي عنه : (وقد قُتل الدرزي الزنديق ؛ لادعائه ربوبية الحاكم ، وكان قوم من جهلة الغوغاء إذا رأوا " الحاكم " يقولون : يا واحد يا أحد ، يا محيي يا مميت .) (3) وقال الذهبي : (قرأت في تاريخ صُنّف على السنين ، في مجلد ، صنّفه بعض الفضلاء ، سنة بضع وثلاثين وستمائة ، قدّمه لصاحب مصر الملك الصالح : في سنة سبع وستين قال : وكانت الفعلة (أي : القضاء على الدولة العبيدية) من أشرف أفعاله (أي : صلاح الدين الأيوبي) ، فلنعمّ ما فعل ؛ فإنّ هؤلاء كانوا باطنية زنادقة ، دعوا إلى مذهب التناسخ ، واعتقاد حلول الجزء الإلهي في أشباحهم . وقال الذهبي : إن الحاكم قال لداعيه : كم في جريدتك ؟ قال : ستة عشر ألفاً يعتقدون أنّك الإله . قال شاعرهم (ابن هانيء الأندلسي) :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ! *** فاحكم فأنت الواحد القهار ؟!

فلعن الله المادح والممدوح ، فليس هذا في القبح إلا كقول فرعون (أنا ربكم الأعلى) . وعندما ادعى " عبيد الله " الرسالة أحضر فقيهين من فقهاء القيروان ، وهو جالس على كرسي ملكه ، وأوعز إلى أحد خدمه فقال للشيخين : أتشهدا أن هذا رسول الله ؟

¹ - "السير : 15 / 173

² - السير : 15 / 176

³ - السير " : 15 / 180 ، 181 .

فقالا : والله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان : إنه رسول الله :
ما قلنا ذلك ، فأمر بذبحهما. (¹)

وقال أبو الحسن القاسبي صاحب " الملخص : " إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه : أربعة
آلاف ، من عالم ، وعابد ؛ ليردّهم عن الترضي عن الصحابة. (²)

2- نورانية الأئمة :

من مظاهر الإسماعيليين في أصل الإمامة والأئمة ، زعمهم بأن تكوينهم الخلقي
يختلف عن سائر البشر ، ولا يقل هذا الزعم خطورة عن سابقه ، بل إنه يعتبر سلما
ودرجة للقول بالوهمية الأئمة ، فزعموا عن الإمام أنه مكون من جزئين : جزء لاهوتي
، وجزء ناسوتي وبعبارة أدق : إله حلّ في جسم إنسان.

ومما قاله الباطنيون عن ذلك : إن محمدا وعليا خلقا من نور واحد ، ونسبوا إلى علي
بن أبي طالب - كذبا وبهتانا - أنه قال : أنا ومحمد من نور واحد من نور الله تعالى
، وأنه قال أيضا : نحن نور من نور الله ، وشيعتنا منا.

وفي شعر المؤيد ما يدل دلالة واضحة على الفكرة يقول عن الأئمة:

من نور ربي خلقوا طابوا وطاب الخلق (³)

3- علم الأئمة للغيب :

ادعى الإسماعيلية لأئمتهم خاصية لا يملكها أو يتصف بها سوى الله عز وجل العليم
الخبير فزعموا أن أئمتهم يعلمون الغيب ، ويكشفون عن المكنون ، وهذه نصوصهم

¹ - "السير : 14 / 217 .

² - السير : 15 / 145

³ - وسليمان بن عبد الله السلومي : أصول الاسماعيلية : 2 : 427

ناطقة بنفسها شاهدة على فريتهم وقولتهم العظيمة يقول قاضيهم ابن حيون وجاء عن أولياء الله من الأخبار عما كان يكون من أمر العباد (¹) .ويقول الكرمانى عند ذكره للحاكم إن له معجزة بل معجزات ، وأخبار بالكائنات قبل كونها وإظهارا للعلوم المكنونة (²) .وقال المؤيد الشيرازي: إن الأئمة يعلمون من أمر المبدأ والمعاد ما حجه الله عن كافة العباد . (³) . قال ابن خلكان : وذلك لأنهم ادَّعوا علم المغيبات ، ولهم في ذلك أخبار مشهورة. (⁴) كما ادعى الإسماعيليون خصائى

4- عصمة الأئمة :

ص وصفات، الاطلاع على حقائق الخلق في كل الأمور إلا أنه لا ينزل عليه الوحي وإنما يتلقى ذلك من النبي لأنه خليفته وبإزاء منزلته ولا يعصم غيره من الخلق حتى الأنبياء أنفسهم (⁵) . ومما قال أحد شعراء الإسماعيلية في إثبات العصمة: أن الإمام قائم بالحكم بين الورى مؤيد بالعصمة ، وكل ما يفعله صواب لا شك في ذاك ولا ارتياب (⁶) ومن أفعال حكام تلك الدولة واعتقادهم : ادعاء علم الغيب ، وادعاء النبوة والألوهية ، وطلب السجود من رعاياهم وأتباعهم ، وسب الصحابة ، وهذا توثيق بعض ما سبق وزيادة:

¹ - تأويل الدعائم ، للقاضي بن حيون : 1: 145.

² - الكرمانى ، المصابيح في إثبات الإمامة : ص 140.

³ - المجالس المؤيدية للشيرازي ، ص 441. وسليمان بن عبد الله السلومي : أصول الاسماعيلية : 2: 428

⁴ - "وفيات الأعيان " 5 / 373 ، 374

⁵ - قرامطة العراق ، لعليان : ص 178.

⁶ - محمد علي الصوري ، القصيدة الصورية ، ص 65. وسليمان بن عبد الله السلومي : أصول الاسماعيلية :

2، 431.

- 5 - وكانوا يأمرّون الناس بالسجود لهم ، قال الذهبي : ففي سنة 396 هـ خُطب بالحرمين لصاحب مصر " الحاكم " ، وأمرّ الناس عند ذكره بالقيام ، وأن يسجدوا له ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. (¹) وكان الناس إذا ذُكر " الحاكم " قاموا وسجدوا له ، قال الذهبي : قاموا ، وسجدوا في السُّوق ، وفي مواضع الاجتماع ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فلقد كان هؤلاء العُبَيْدِيُّونَ شَرّاً على الإسلام وأهله. (²) وقال ابن كثير: ("كان إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم إجلالاً له، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة السجود له، وكانوا يسجدون عند ذكره، يسجد من هو في الصلاة ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم، لعنه الله وقبحه) (³)
- 6- وقد شاركوا القرامطة في جرائمهم: قال الذهبي : (ففي أيام المهدي عاثت القرامطة بالبحرين ، وأخذوا الحجيج ، وقتلوا ، وسلبوا ، واستباحوا حرم الله ، وقلعوا الحجر الأسود ، وكان عبيد الله يكتبهم ، ويحرّضهم ، قاتله الله.) (⁴)
- 7 - وكانوا يسبون الصحابة : أظهروا في أيام (العزیز) سبّ الصحابة جَهْراً . (⁵) فقد أمر بكتّاب سبّ الصّحابة على أبواب المساجد والشوارع، وأمر العمال بالسب في سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مئة. (⁶) . وقال : وكان سبّ الصحابة فاشياً

¹ - "دول الإسلام : 1 / 350 .

² - "التاريخ " حوادث 381 - 400 ، ص 234.

³ - ابن كثير "البداية والنهاية" : 386/11

⁴ - "السير : 15 / 147

⁵ - السير : 15 / 170

⁶ - "تاريخ الإسلام " حوادث سنة 395 ، ص 283 .

في أيام (المستتصر) ، والسنة غريبة مكتومة (¹) وبالجمله فقد كانوا باطنية ،
قلبوا الإسلام ، وأظهروا الرفض ، وأبطنوا الزندقة. قال الذهبي : (قلبوا الإسلام ،
وأعلنوا بالرفض ، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية) (²) وقال : (وأما العبيديون
الباطنية : فأعداء الله ورسوله.) (³) وقال القاضي عياض : (قال أبو يوسف
الرعي : " أجمع العلماء بالقيروان : أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة.) (⁴)
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الرد على البكري : (العبيديون ، وهم ملاحدة في
الباطن ، أخذوا من مذاهب الفلاسفة والمجوس ما خلطوا به أقوال الرافضة ، فصار
خيار ما يظهره من الإسلام دين الرافضة ، وأما في الباطن فملاحدة ، شر من اليهود
والنصارى . ولهذا قال فيهم العلماء : ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض ،
وهم من أشد الناس تعظيما للمشاهد ، ودعوة الكواكب ، ونحو ذلك من دين المشركين ،
وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وآثارهم في
القاهرة تدل على ذلك) (⁵) .

وقال في "الرد على المنطقيين : ("العبيديون كانوا يتظاهرون بالإسلام ويقولون إنهم
شيعة ، فالظاهر عنهم الرفض لكن كان باطنهم الإلحاد والزندقة ، كما قال أبو حامد
الغزالي في كتاب "المستظهري" : ظاهرهم الرفض ، وباطنهم الكفر المحض . وهذا

¹ - السير : 15 / 196 .

² - السير : 15 / 141 .

³ - السير : 15 / 373 .

⁴ - "ترتيب المدارك : 4 / 720 ، وانظر " السير : 15 / 151 .

⁵ - ابن تيمية رحمه الله في "الرد على البكري .

الذي قاله أبو حامد فيهم هو متفق عليه بين علماء المسلمين (¹) .
وقال في "منهاج السنة : (وأخبارهم (يعني حكام الدولة العبيدية) مشهورة بالإلحاد والمحاددة لله ورسوله والردة والنفاق) (²) . فهذه هي الدولة العبيدية ، وتلك بعض قبائحهم ، وبه يتبين خطأ ذلك القائل بحكمه على الدولة العبيدية بأنها كانت على الإسلام ، وباختزاله الدول والأزمنة المباركة التي حكمت بالإسلام إلى جعله (الدولة العبيدية - الفاطمية - الاسماعيلية) هي الحل المناسب في هذا الزمان ، وهذا قول سوء قبيح. فالذي يقول ذلك يريد إعادة نشر الزندقة والكفر والإلحاد ، وسب الصحابة وقتل العلماء!! (³)

أقوال علماء الفرق في أصل إمامة الإسماعيلية وأئمتهم :

يقول الإمام الغزالي: وقد اتفقوا - أي الباطنية - على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن ، والأخبار والمعقولات ، واتفقوا على أن هذا الإمام هو المتصدي لهذا الأمر ، وأن ذلك جار في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر ، واتفقوا على أن الإمام يساوي النبي في العصمة ، والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور ولا يتصور في زمان واحد إمامان ويستظهر الإمام بالحجج والمأذونين والأجنحة ثم قالوا: إن لكل فترة زمنية نبي ناطق ، ومعنى

¹ - ابن تيمية ، الرد على المنطقيين .

² - ابن تيمية : منهاج السنة .

³ - وانظر بحثاً بعنوان " موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية ، نسباً ومعتقداً " للدكتور سعد بن موسى الموسى ، أستاذ مساعد بكلية الشريعة بجامعة " أم القرى " ، نُشر في " مجلة جامعة أم القرى " ، العدد 24 ، ربيع الأول 1423 هـ ، مايو (آيار) 2002 م. وانظر : موقع أيمن زغروت - موقع متخصص في الأنساب .

الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله ، ومعنى الصامت أن يكون قائما على ما أسسه غيره وبين كل ناطق وآخر ستة أئمة وعدد النطقاء سبعة أولهم آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين .
وسؤسه (¹) علي بن أبي طالب ، وبعده ستة من الأئمة سادسهم جعفر الصادق ، وقد استتموا سبعة مع محمد بن إسماعيل ، الذي صار ناسخا لما قبله وهكذا يدور الأمر أبد الدهر إلى أن يقول الغزالي : هذا ما نقل عنهم مع خرافات كثيرة أهملنا ذكرها ضنة بالبياض أن يسود بها (²) .
ويقول الملطي: إن الإسماعيلية يقولون عن أئمتهم أنهم يعلمون الغيب ويقدرّون على كل شيء ولا يعجزهم شيء ويقهرون ولا يقهرون ويعلمون ولا يعلمون ولهم علامات ومعجزات وأمارات ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم يعرفون بها وهم مباينون لسائر الناس في صورهم وأطباعهم وأخلاقهم وأعمالهم. (³) .
ويقول ابن الجوزي: إن الطريق الذي سلكه الإسماعيلية هو اختيار رجل يزعم أنه من أهل البيت يجب على كل الخلق كافة متابعتة ويتعين عليهم طاعته ويكون هذا الإمام معصوما من الخطأ والزلل من جهة الله تعالى. (⁴) وفي موضع آخر قال عن الإسماعيلية : إنهم اتفقوا على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالخلق ،

¹ - الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 43.

² - الغزالي : فضائح الباطنية ، : 42-44.

³ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : للملطي : ص 20 .

⁴ - ابن الجوزي : تلبيس إبليس : ص 106.

يرجع إليه في تأويل الظواهر مساو للنبي - عليه الصلاة والسلام - في العصمة. (¹)

أما الشهرستاني فيقول عنهم فيما يتعلق بأصل الإمامة: إنهم قالوا لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم ، إما ظاهر مكشوف ، وإما باطن مستور ، فإذا كان الإمام ظاهر جاز أن يكون حجته مستورا ، وإذا كان الإمام مستورا فلا بد أن يكون حجته ودعائه ظاهرين . وقالوا إن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة ، سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبعة ومن مذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، وكذلك من مات ولم يكن له بيعة إمام مات ميتة جاهلية (²) .

وحتى علماء الفرق من الشيعة الإمامية ذكروا معتقدات الإسماعيلية ذما لها وبياننا لغلوهم فيها ، فقد ذكر النوبختي أنهم يزعمون أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين الذي حكاه الله عز وجل... بل يعتقدون أن محمد بن إسماعيل من أولي العزم من الرسل وأولو العزم عندهم سبعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى من سبقه من الأنبياء والمرسلين ثم علي بن أبي طالب ، ثم محمد بن إسماعيل ، وأن السموات سبع ، وأن الأرضين سبع ، وأن الإنسان بدنه سبع ، يده ورجلاه وظهره وبطنه وقلبه ، وأن رأسه سبع عينا ، وأذناه ، ومنخره وفمه ، وفيه لسانه كصدره الذي فيه قلبه ، وأن الأئمة كذلك ، وقلوبهم محمد بن إسماعيل. (³)

¹ - ابن الجوزي : تلبس إبليس : ص 108.

² - الشهرستاني : الملل والنحل ، 1: 192.

³ - النوبختي : فرق الشيعة : ص 84-85.

وبمثل ذلك قال القمي في المقالات والفرق . (1) .

ويقرر أحد الكتاب المعاصرين أصل الإمامة عند الإسماعيلية بقوله: وقد ابتدع الإسماعيلية نظريات كثيرة للإمامة ترمي في مجموعها إلى تقديس شخص الإمام الإسماعيلي مستورا كان أم ظاهرا ، ونادوا بعصمة الأئمة ، واستتارهم وظهورهم ، كما بحثوا الاستقرار والاستيداع الإماميين ، وفرقوا بين الإمام المستقر ، والإمام المستودع ، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الغرض الأساس من نظرية الاستيداع الإمامي مقارعة الشيعة الاثنى عشرية ، وإبطال ادعائهم أن موسى الكاظم نال الإمامة بعد جعفر الصادق ، فإن المعتدلين من الإسماعيلية (كذا) يقولون بأن موسى الكاظم كان مع محمد بن إسماعيل ، كالحسن بن علي مع أخيه الحسين وأبنائه ، فكما أن الحسن كان إماما مستودعا للحسين وأبنائه ، والواقع أن الإسماعيلية استخدموا نظرية الاستيداع الإمامي لمقاومة الاثنى عشرية وإبطال حقهم في الإمامة من جهة ، وجذبهم إلى المذهب الإسماعيلي من جهة أخرى ، لأنهم أقروا للاثني عشرية بإمامة موسى الكاظم ولكنهم في الوقت نفسه نفوها عن أبنائه . (2)

الفرق الإسماعيلية

تفرقت الإسماعيلية إلى عدة فرق، منها ما هو معاصر ، ومنها ما اندثر ، ومن الفرق المندثرة :

¹ - القمي ، المقالات والفرق : ص 84-85.

² - حسن إبراهيم وطه شرف : عبيد الله المهدي : ص 280-282. وسليمان بن عبد الله السلومي : أصول

الإسماعيلية : 2: 439-443. وموسوعة الفرق .

أولاً : الإسماعيلية الخالصة :

وهم الذين قالوا: إن الإمام بعد جعفر هو : ابنه إسماعيل بن جعفر ، وأنكروا موت إسماعيل في حياة أبيه ، وقالوا إن ذلك على جهة التلبيس لأنه خاف عليه فغيبه عنهم ، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمور الناس ، وأنه القائم المهدي، وجزم كل من الأشعري القمي ، والنوبختي إلى أن هذه الفرقة هي الخطابية أتباع أبي الخطاب قبل موته ، ولما توفي أبو الخطاب انضم أتباعه إلى الإسماعيلية وقالوا بإمامة إسماعيل في حياة أبيه ، مع إنكارهم لموته في تلك الفترة. وهؤلاء الإسماعيلية الخالصة قد اندثروا⁽¹⁾

ثانياً : الإسماعيلية المباركية أو الإسماعيلية الثانية :

وهم القائلون بأن الإمام بعد جعفر هو محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأمه (أم ولد) (²) ، وقالوا إن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه ، جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن إسماعيل وكان الحق له ، ولا يجوز غير ذلك لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، ولا يكون الإمام

¹ - انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص 46-47. والشهرستاني : الملل والنحل ، ج1: ص 167. والنوبختي ، فرق الشيعة : ص 79.

² - أم ولد، و جمعها أمهات الأولاد: مصطلح فقهي يُطلق على الأنثى المملوكة (الأمّة) التي دخل بها مولاهما فأنجبت له مولوداً، و لا فرق بين أن يكون المولود ذكراً أو أنثى. و للأمّة المملوكة التي تصبح أم ولد أحكاماً في الشريعة الإسلامية تميزها عن سائر الإماء، و من هذه الأحكام أنه رغم بقاء ملكيتها لمولاهما فإن هذه الملكية تقيّد بقيود تُخرجها عن كونها ملكية مطلقة بل تكون مقيدة، و من تلك الأحكام أنه إذا مات مالکها وولدها حيّ إنعتقت من نصيب ولدها من الميراث، و منها أنه لا يجوز بيع أم الولد ما دام ولدها حيّ لا من قبل المالك ولا من قبل الورثة، إلى غيرها من الأحكام الخاصة بإمهات الأولاد. (انظر مركز الإشعاع الاسلامي)

إلا في الأعقاب ، ولم يكن لأخوة إسماعيل عبدالله وموسى في الإمامة حق
وأصحاب هذه المقالة يسمون المباركية نسبة إلى رئيس لهم يسمى المبارك كان مولى
لإسماعيل بن جعفر (¹) وعنهم انشقت فرقة الخطابية الغالية المنتسبة لأبي
الخطاب الأسدي ، الذي غالى في تأليه آل البيت ، وادعى النبوة (²) واندثروا كذلك .
ثالثا : فرقة القرامطة :

فرقة باطنية اندثرت كذلك ، انشقت عن حركتها الأم الإسماعيلية وأصبحت فرعا
من فروعها وسموا بالقرامطة نسبة إلى زعيمها وداعيتها الأول (حمدان قرمط) ، الذي
يقول عنه الغزالي: كان حمدان أحد دعاة الباطنية في الابتداء حيث استجاب له في
دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية ، ودار بينهما محاورة دعوية استجاب فيها حمدان
لجميع ما دعاه إليه هذا الباطني ومنها أخذه العهد والميثاق على حمدان بالبيعة للإمام
الإسماعيلي ، والتزام سر الإمام ، وسر هذا الداعية ، ومن ثم انتدب حمدان للدعوة
وصار أصلا من أصولها (³)

¹ - أصول الاسماعيلية ، سليمان بن عبد الله السلومي ، 2: 352

² - القمي ، المقالات والفرق ، ص 80-81.

³ - انظر : الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 12-15 . وسليمان بن عبد الله السلومي ، أصول الاسماعيلية

، 2: 353

تعريف القرامطة :

قال ابن منظور في لسان العرب : قرط في خطوه : إذا قارب ما بين قدميه .
والقرمطة : المقاربة بين الشيئين ، والقرامطة جيل واحد هم : قرمطي . (¹)
وقال سعد القمي : (القرامطة : سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهل السواد من
الأنباط ، كان بلقب بقرطويه) (²)

وقال الديلمي : (أما لقبهم بالقرامطة : فلانتسابهم إلى رجل يقال له حمدان قرط من
أهل الكوفة ، وهو أحد دعائهم ، فلما استجاب له ناس سمو قرامطة) (³)
وقال الغزالي : (وأما القرامطة فإنما لقبوا بها نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرط ،
كان أحد دعائهم في الابتداء ، فاستجاب له في دعوته رجالا من أهل الكوفة ، مائلا
إلى الزهد) (⁴) .

وقال الطبري : (وجاء في حوادث سنة (278هـ) ، وفيها وردت الأخبار بحركة قوم
يعرفون بالقرامطة ، بسواد الكوفة ، فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان
إلى سواد الكوفة ... وكان يظهر الزهد والتقشف .. ثم ذهب إلى الشام .. وكانوا
يسمونه كرميته لحمرة عينيه .. ثم خففوا كرميته فقالوا قرط) (⁵)

نسب القرامطة:

¹ - ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد 7: ص 377.

² - سعد القمي ، المقالات والفرق ، ص 83-86.

³ - محمد بن الحسن الديلمي : بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، ص 22 .

⁴ - أبو حامد الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 12-15.

⁵ - محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج1: ص 22-25 بتصرف .

سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها حمدان بن الأشعث الأهوازي الملقب بقرمط ، ويعود في أصله إلى خوزستان، وكان يُظهر الزهد والتقشف في أول عهده، فاستمال إليه بعض الناس، وقد لقب بـ(قرمط) لقصر قامته، ورجلاه قصيرتان بشكل يلفت الانتباه، الأمر الذي جعله ناقما على المجتمع.. وقد التقى مرة بأحد دعاة التشيع الإسماعيلي وهو (حسين الأهوازي) ، فاجتمع به وهو في طريقه من (سلمية) في بلاد الشام إلى سواد الكوفة، وذلك حوالي عام 265هـ، ولم يلبث أن أصبح (قرمط) من أتباع (الأهوازي) ، الذي كان ينتقد العباسيين ويتذمر من وضعهم، فلقي هذا مكانا في قلب (حمدان)، وعندما مات (حسين الأهوازي) أصبح (حمدان) القائم بالأمر مكانه، بناء على عهد منه.. وقد عُرف عن حمدان شخصيته القويّة ، وعلاقاته الاجتماعية الكثيرة ، وكان يعيش ضمن مجتمع يحقد على الخلافة العبّاسية، كلّ هذه الأمور مجتمعة ساعدته على نشر مذهبه، لكنّ حمدان القرمطي سرعان ما انقلب على الإسماعيلية الباطنية مُنشأً مذهبه الخاصّ به، كما أنشأ مركزاً له في الكوفة عام 277هـ أسماه دار الهجرة. ومن هذا المركز بدأ حمدان بإرسال دعائه الذين انتقاهم بدقّة لنشر دعوته بين جهلة الناس عامّة ، وبين المجوس المتستّرّين وأحفاد اليهود بصورة خاصّة، ومن أشهر دعائه : أخوه مأمون ، وزكرويه بن مهرويه (¹) الذي ورث عن أبيه كره الإسلام وأمل القضاء عليه ، وتأسيس دولة فارسية على أنقاضه ، تقوم على أساس الدين المجوسي، وكذلك كان ابن عمّ حمدان وصهره عبّدان مفكّر القرامطة ، وأبو الفوارس قائد تمرّدهم

¹ - ويسمى أيضا الفرج بن عثمان القاشاني ، وهو من دعاة عبيد الله المهدي ، وكان شابا ذكيا فطنا ، وهو الذي انتهى إليه دعائهم بسواد الكوفة ، ثم بالعراق والشام ، ولم يتم لهؤلاء دولة ، قتل سنة 294هـ..انظر تاريخ الطبري 10/ 130-134. والبداية والنهاية لابن كثير 11/ 119. واتعاظ الحنفا للمقريزي 1/ 155.

عام 289هـ .. والقرامطة جماعة من الإسماعيلية افترقوا عنهم من أجل الزعامة أولاً، ثم كانت بعض الخلافات الفكرية ، إذ تعتقد الإسماعيلية بإمامة أبناء محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق من بعده ، على حين يعتقد القرامطة أن محمد بن إسماعيل حي لم يمت، وله داعية يمثله ، ويعمل برأيه وحسب تعليماته..وبينما يعد الشيعة أئمتهم معصومين ، فإن الإسماعيلية تسوي بين الأنبياء وبين أئمتهم ، كما خلعت على أئمتها صفات إلهية، أما القرامطة فتعتقد أن روح الله تحل بإمامهم..

نشأة القرامطة وأهم معتقداتهم :

هي حركة دينية سياسية تفرعت من المباركية إحدى فرق الإسماعيلية (¹) ، قام القرامطة بحركاتهم في عدة مناطق، تشابهت في بعض جوانبها وتباينت في أخرى، واجتمعت على شيء واحد في محاربة الإسلام ، وهتك الأعراض ، وسفك الدماء ، والسطو على الممتلكات ، إرواء لأحقادهم الدفينة ضد الإسلام، وإشباعاً لغرائزهم الحيوانية، ورغبة من زعمائهم في السيطرة والتسلط والتشفي، وإشباع ضغائن النفوس.. وقد كتب عنهم معاصروهم وبينوا خطتهم.. كالطبري والغزالي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، والشهرستاني ، وابن الأثير ، وجميع المؤرخين وضّحوا حقيقتهم، وأهدافهم ، ومقاصدهم ، ووسائلهم التي اتبعوها، حتى غدت صورتهم كاملة في النفوس، وتمثل

¹ - هناك خلاف بين بعض العلماء حول أصل القرامطة ، ومدى علاقة هذا الأصل بالإسماعيلية عقيدة وتنظيماً ، وممن يؤيد بأن القرامطة فرع من الإسماعيلية كتاب (المقالات والفرق) لسعد القمي ، وكتاب (شجرة اليقين) للداعي القرمطي : عبدان . وكلاهما عاصر ظهور القرامطة . وانظر : د. فائزة بنت محمد اكلاس ، قرامطة البحرين ، من قطع طريق الحج إلى اقتلاع الحجر الأسود ، ص 305.

أبشع صورة لجماعة تائّرة على وضع، حاقدة على مجتمع، تسير وراء أهوائها وتتبع غرائزها.

عقائد القرامطة :

إعتمد القرامطة كغيرهم من فرق الباطنيّة على إخفاء ما يؤمنون به ، وإظهار أنفسهم على أنّهم مسلمون ، ليسهل عليهم الاندماج في المجتمع والدعوة إلى مبادئهم ، حتّى إذا وثقوا ممن تابعهم أطلعوه على خفايا عقيدتهم. وهم يتأولون الأحكام الشرعية على ما يوافق ضلالتهم وأهوائهم، فيتأولون قوله سبحانه وتعالى (واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين) (الحجر: 99) على أنّه من عرف التأويل فقد أتاه اليقين، وعليه فمن عرف معنى العبادة فقد سقط عنه فرضها.. وأولوا كذلك أركان الشريعة: فالصلاة عندهم موالاة إمامهم، والحجّ زيارته وإدمان خدمته، والصوم هو الإمساك عن إفشاء سرّ الإمام لا الإمساك عن الطعام والشراب، والمراد بالزنى عندهم إفشاء سرّهم بغير عهد وميثاق. والقرآن : هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ، ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً ..!؟

وقد اختلف المؤرّخون والمصنّفون في أصل مذهبهم، فمنهم من قال بأنّهم صابئة، ومنهم من ذكر بأنّهم من المجوس الإباضيّة أتباع مزدك الذي كان يقول بوجوب تساوي الناس في النساء والأموال.

وعقائدهم بالإجمال كجرب الحاوي .. جمعوا فيها جملة من مذاهب الفلاسفة ، والصابئة ، والمجوس وغيرهم . وهذا ما يلحظه الناظر في اعتقاداتهم التالية :

1- اعتقادهم في الإلهيات :

انتقلت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد أنهم قائلون بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان ، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، واسم العلة السابق ، واسم المعلول التالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، وقد يسمى الأول عقلا والثاني نفسا ويزعمون أن الأول هو التام بالفعل والثاني بالإضافة إليه ناقص لأنه معلوله ، وربما لبسوا على العوام مستدلين بآيات من القرآن عليه كقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا) و (نحن قسمنا) ، وزعموا إن هذه إشارة إلى جمع لا يصدر عن واحد ، ولذلك قال سبحانه اسم ربك الأعلى إشارة إلى السابق من الإلهين فإنه الأعلى ولولا أن معه إلها آخر له العلو أيضا لما انتظم إطلاق الأعلى ؟! وربما قالوا الشرع سماهما باسم القلم واللوح ، والأول هو القلم ، فإن القلم مفيد ، واللوح مستفيد متأثر والمفيد فوق المستفيد ، وربما قالوا اسم التالي قدر في لسان الشرع ، وهو الذي خلق الله به العالم حيث قال إنا كل شيء خلقناه بقدر¹) ثم قالوا السابق لا يوصف بوجود ولا عدم ، فإن عدم نفى الوجود سببه فلا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول ولا هو موصوف ولا غير موصوف وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه ، وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع ، فإنهم لو قالوا إنه معدوم لم يقبل منهم ، بل منعوا الناس من تسميته موجودا وهو عين النفي مع تغيير العبارة ، لكنهم تحذلقوا فسموا هذا النفي تنزيها ، وسموا مناقضه تشبيها ، حتى تميل القلوب إلى قبوله ، ثم قالوا العالم قديم أي وجوده ليس مسبوقا بعدم زمني ، بل حدث من السابق التالي ، وهو أول مبدع ، وحدث من المبدع الأول النفس الكلية الفاشية جزئياتها في

¹ - ومن ينظر في تأويلات الدكتور المهندس محمد شحرور يجدها لا تعارض هذه التأويلات الفاسدة ، بل

خرجتا من مربلة واحدة ؟!

هذه الأبدان المركبة ، وتولد من حركة النفس الحرارة ، ومن سكونها البرودة ، ثم تولد
منهما الرطوبة واليبوسة ، ثم تولدت من هذه الكيفيات الاستقصات الأربع ، وهي :
النار والهواء والماء والأرض ، ثم إذا امتزجت على اعتدال ناقص حدثت منها المعادن
، فإن زاد قربها من الاعتدال وانهدم صرفية التضاد منها تولد منها النبات ، وإن زاد
تولد الحيوان ، فإن ازداد قربا تولد الإنسان ، وهو منتهى الاعتدال.؟!
فهذا ما حكى من مذهبهم إلى أمور آخر هي أفحش مما ذكرناه ، لم نر تسويد البياض
بنقلها ، ولا تبيان وجه الرد عليها لمعنيين ، أحدهما : أن المنخدعين بخداعهم وزورهم
والمتدلين بحبل غرورهم في عصرنا هذا ، لم يسمعوها هذا منهم ، فينكرون جميع ذلك إذا
حكى من مذهبهم ، ويحدثون في أنفسهم أن هؤلاء إنما خالفوا لأنه ليس عندهم حقيقة
مذهبنا ، ولو عرفوها لوافقونا عليها ، فنرى أن نشتغل بالرد عليهم فيما اتفقت كلمتهم
وهو إبطال الرأي والدعوة إلى التعلم من الإمام المعصوم ، فهذه عمدة معتقدهم وزبدة
مخضهم ، فلنصرف العناية إليه ، وما عداه فمنقسم إلى هذيان ظاهر البطلان ، وإلى
كفر مسترق من الثنوية والمجوس في القول بالإلهين مع تبديل عبارة النور والظلمة
بالسابق والتالي ، إلى ضلال منتزع من كلام الفلاسفة في قولهم إن المبدأ الأول علة
لوجود العقل على سبيل اللزوم عنه لا على سبيل القصد والاختيار ، وأنه حصل من
ذاته بغير واسطة سواه ، نعم يثبتون موجودات قديمة يلزم بعضها عن بعض ويسمونها
عقولا ، ويحيلون وجود كل فلك على عقل من تلك العقول في خبط لهم طويل. (¹)
وقال الملطي في باب ذكر الرافضة وأصناف اعتقاداتهم : الفرقة الخامسة هم :

¹ - الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 38.

القرامطة والديلم : يقولون إن الله نور علوي لا تشبهه الأنوار ، ولا يمازجه الظلام ، وإنه تولد من النور العلوي النور الشعشاني فكان منه الأنبياء والأئمة ، فهم بخلاف طبائع الناس ، وهم يعلمون الغيب ، ويقدرّون على كل شيء ، ولا يعجزهم شيء ويقهرون ولا يُقهرون ، ويعلمون ولا يعلمون ، ولهم علامات معجزات وأمارات ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم ، يُعرفون بها ، وهم مباينون لسائر الناس في صورهم وأطباعهم وأخلاقهم وأعمالهم ، وزعموا أنه تولد من النور الشعشاني نور ظلامي ، وهو النور الذي تراه في الشمس والقمر والكواكب والنار والجواهر الذي يخالطه الظلام ، وتجاوز عليه الآفات والنقصان ، وتحل عليه الآلام والأوصاب ، ويجوز عليه السهو والغفلات والنسيان والسيئات والشهوات والمنكرات ، غير أن الخلق كله تولد من القديم الباري وهو النور العلوي الذي لم يزل ولا يزال ولا يزول ، سبق الحوادث وأبدع الخلق من غير شيء كان قبله ، قدره نافذ وعلمه سابق ، وإنه حي لا بحياة ، وقادر لا بقدرة ، وسميع بصير لا يسمع ولا يبصر ، ومدبر لا بجوارح ولا آلة فيصفون الإله جل وعز كما يصفه الموحدون ، مع قولهم إنه نور لا يشبه الأنوار ، ثم يزعمون أن الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض نافلة لا فرض ، وإنما هو شكر للمنعم ، وأن الرب لا يحتاج إلى عبادة خلقه ، وإنما ذلك شكرهم ، فمن شاء فعل ومن شاء لم يفعل ، والاختيار في ذلك إليهم ، وزعموا أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور ، أن من مات بلى جسده ولحق روحه بالنور الذي تولد منه حتى يرجع كما كان^(1) .

¹ - ابن عبد الرحمن الملطي : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تحقيق وتعليق د. محمد زينهم محمد عزب . ص 17-18.

2 - اعتقادهم في النبوات :

ومعتقدهم في النبوات المنقول عنهم قريب من مذهب الفلاسفة ، وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتقش عند الاتصال بالنفوس الكلية بما فيها من الجزئيات ، كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام ، حتى تشاهد من مجاري الأحوال في المستقبل إما صريحا بعينه أو مدرجا تحت مثال يناسبه مناسبة ما ، فتفتقر فيه إلى التعبير ، إلا أن النبي هو المستعد لذلك في اليقظة ، فلذلك يدرك النبي الكليات العقلية عند شروق ذلك النور ، وصفاء القوة النبوية ، كما ينطبع مثال المحسوسات في القوة الباصرة من العين عند شروق نور الشمس على سطوح الأجرام السفلية ، وزعموا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه ورمز إليه لا أنه شخص متجسم متركب عن جسم لطيف أو كثيف يناسب المكان حتى ينتقل من علو إلى أسفل ، وأما القرآن فهو عندهم تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو المراد باسم جبريل ، ويسمى كلام الله تعالى مجازا فإنه مركب من جهته وإنما الفائض عليه من الله بواسطة جبريل بسيط لا تركيب فيه ، وهو باطن لا ظهور له ، وكلام النبي وعبارته عنه ظاهر لا بطون له ، وزعموا أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها ، كما لا تستكمل النطفة الحالة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر ، فكذا هذه القوة كمالها في أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت ، وهكذا تنتقل إلى أشخاص بعضهم بعد بعض ، فيكمل

في السابع ... وهذه المذاهب مستخرجة من مذاهب الفلاسفة في النبوات مع تحريف وتغيير. (¹)

3 - اعتقادهم في الإمامة :

وقد اتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن والأخبار والمعقولات واتفقوا على أنه المتصدي لهذا الأمر وأن ذلك جار في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر ولا يجوز أن ينقطع إذ يكون فيه إهمال الحق وتغطيته على الخلق وإبطال قوله عليه السلام ((كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي)) (²) وقوله ((ألم أترك فيكم القرآن وعترتي)) (³) واتفقوا على أن الإمام يساوي النبي في العصمة ، والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور ، إلا أنه لا ينزل إليه الوحي ، وإنما يتلقى ذلك من النبي فإنه خليفته ، وبإزاء منزلته ، ولا يتصور في زمان واحد إمامان ، كما لا يتصور نبيان تختلف شريعتهما ، نعم يستظهر الإمام بالحجج والمأذونين والأجنحة ، والحجج هم الدعاة ، فقالوا لا بد للإمام في كل وقت من اثني عشر حجة ، ينتدبون في الأقطار ، متفرقين في الأمصار وليلازم أربعة من جملة الاثني عشر حضرته ، فلا يفارقونه ، ولا بد لكل حجة من معاونين له على أمره ، فإنه لا ينفرد بالدعوة بنفسه ، واسم معاون المأذون عندهم ، ولا بد للدعاة من رسل إلى الإمام ، يرفعون إليه الأحوال ، ويصدرون عنه إليهم، واسم الرسول الجناح، ولا بد للداعي من أن يكون بالغاً في العلم ، والمأذون وإن كان دونه فلا

¹ - الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 40 .

² - رواه البيهقي : 7: 64. وصححه الألباني في الصحيحة ، رقم : 2036.

³ - رواه الطبراني بإسناد جيد . وصححه الألباني .

بأس بعد أن يكون عالما على الجملة وكذلك الجناح, ثم إنهم قالوا كل نبي لشريعته مدة فإذا انصرمت مدته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته ، ومدة شريعة كل نبي سبعة أعمار ، وهو سبعة قرون فأولهم هو النبي الناطق ، ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله, ومعنى الصامت أن يكون قائما على ما أسسه غيره ، ثم إنه يقوم بعد وفاته ستة أئمة ، إمام بعد إمام ، فإذا انقضت أعمارهم ابتعث الله نبيا آخر ينسخ الشريعة المتقدمة ، وزعموا أن أمر آدم جرى على هذا المثال ، وهو أول نبي ابتعثه الله في فتح باب الجسمانيات وحسم دور الروحانيات, ولكل نبي سوس ، والسوس هو الباب إلى علم النبي في حياته ، والوصي بعد وفاته ، والإمام لمن هو في زمانه كما قال عليه السلام ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) (1) وزعموا أن آدم كان سوسه شيث وهو الثاني ، ويسمى من بعده متمما ولاحقا وإماما ، وإنما كان استتمام دور آدم سبعة لأن استتمام دور العالم العلوي بسبعة من النجوم ولما استتم دور آدم ابتعث الله نوحا ينسخ شريعته ، وكان سوسه سام فلما استتم دوره بمضي ستة سواه وسبعة معه ابتعث الله إبراهيم ينسخ شريعته ، وكان سوسه إسحاق ومنهم من يقول لا بل إسماعيل ، فلما استتم دوره بالسابع معه ، ابتعث الله موسى ينسخ شريعته ، وكان سوسه هارون ، فمات هارون في حياة موسى ، فصار سوسه يوشع بن نون ، فلما استتم دوره بالسابع معه ، ابتعث الله عيسى ينسخ شريعته وسوسه شمعون ، ولما استتم دوره بالسابع ابتعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - ، وسوسه علي - عليه السلام - ، وقد استتم دوره بجعفر بن محمد ، فإن الثاني من الأئمة الحسن بن علي ، والثالث الحسين بن

¹ - رواه الحاكم رقم " 4637. وأورده ضمن الموضوعات كل من : الشوكاني ، وابن عراق ، والألباني

علي، والرابع علي بن الحسين ، والخامس محمد بن علي والسادس جعفر بن محمد - عليه السلام - وقد استتموا سبعة معه ، وصارت شريعته ناسخة وهكذا يدور الأمر أبد الدهر هذا ما نقل عنهم مع خرافات كثيرة (¹)

واتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم، قائم بالحق، يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكال في القرآن والأخبار، وأنه يساوي النبي في العصمة؛ ولا يتصور في زمان واحد إمامان؛ بل يستظهر الإمام بالدعاة وهم الحجج، ولا بد للإمام من اثني عشر حجة: أربعة منهم لا يفارقونه. (²)

والصنف الثامن عشر من الرافضة وهم القرامطة يزعمون أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نص على علي بن أبي طالب ، وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ، وأن الحسن بن علي نص على إمامة أخيه الحسين بن علي ، وأن الحسين بن علي نص على إمامة ابنه علي بن الحسين ، وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن علي ، ونص محمد بن علي على إمامة ابنه جعفر ، ونص جعفر على إمامة ابن ابنه محمد بن إسماعيل ، وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي إلى اليوم لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به واحتجوا في ذلك بأخبار رويها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم. (³)

4 - اعتقادهم في القيامة والمعاد :

¹ - الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 42.

² - ابن الجوزي : القرامطة : ص 60 .

³ - أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ص 8.

وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار ، وحصول الإنسان من نطفة ، والنطفة من إنسان ، وتولد النبات وتولد الحيوانات لا يتصرم أبد الدهر وأن السموات والأرض لا يتصور انعدام أجسامهما وأولوا القيامة ، وقالوا إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان ، وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر ، وربما قال بعضهم إن للفلك أدوارا كلية تتبدل أحوال العالم تبديلا كلياً بطوفان عام أو سبب من الأسباب فمعنى القيامة انقضاء دورنا الذي نحن فيه وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد ولا الجنة والنار ولكن قالوا معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله ، والإنسان متركب من العالم الروحاني الجسماني، إما الجسماني منه وهو جسده فتركب من الأخطا الأربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم، فينحل الجسد ويعود كل خلط إلى الطبيعة العالية، أما الصفراء فتصير نارا، وتصير السوداء ترابا ، ويصير الدم هواء ، ويصير البلغم ماء وذلك هو معاد الجسد ، وأما الروحاني وهو النفس المدركة العاقلة من الإنسان ، فإنها إن صفت بالمواظبة على العبادات ، وزكيت بمجانبة الهوى والشهوات ، وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة من الأئمة الهداة ، اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها، وتسعد بالعود إلى وطنها الأصلي ، ولذلك سمي رجوعا فقيلا أرجعي إلى ربك راضية مرضية وهي الجنة ، وإليه وقع الرمز بقصة آدم وكونه في الجنة ثم انفصاله عنها ونزوله إلى العالم السفلي ثم عوده إليها بالآخرة ، وزعموا أن كمال النفس بموتها ، إذ به خلاصها من ضيق الجسد والعالم الجسماني ، كما أن النطفة في الخلاص من ظلمات الرحم والخروج إلى فضاء العالم ، والإنسان كالنطفة والعالم كالرحم والمعرفة كالغذاء ، فإذا نفذت فيه صارت بالحقيقة كاملة وتخلصت فإذا

استعدت لفيض العلوم الروحانية باكتساب العلوم من الأئمة وسلوك طرقها المفيدة بإرشادهم استكملت عند مفارقة الجسد وظهر لها ما لم يظهر ، ولذلك قال عليه السلام ((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)) (1) وكلما ازدادت النفس عن عالم الحسيات بعدا ازدادت للعلوم الروحانية استعدادا ، وكذلك إذا ركبت الحواس بالنوم اطلعت على عالم الغيب ، واستشعرت ما سيظهر في المستقبل إما بعينه فيغني عن المعبر أو بمثال فيحتاج إلى التعبير ، فالنوم أخو الموت وفيه يظهر علم ما لم يكن في اليقظة ، فكذا الموت تتكشف أمور لم تخطر على قلب بشر في الحياة ، وهذا للنفوس التي قدستها الرياضة العملية والعلمية ، فأما النفوس المنكوسة المغمورة في عالم الطبيعة المعرضة عن رشدها من الأئمة المعصومين ، فإنها تبقى أبد الدهر في النار على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني ، تتناسخها الأبدان فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام فلا تفارق جسدا إلا ويتلقاها آخر ولذلك قال تعالى (كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء:56] فهذا مذهبهم في المعاد وهو بعينه مذهب الفلاسفة وإنما شاع فيهم لما انتدب لنصرة مذهبهم جماعة من الثنوية والفلاسفة ، فكل واحد نصر مذهبهم طمعا في أموالهم وخلعهم ، واستظهارا باتباعهم لما كان قد ألفه في مذهبه ، فصار أكثر مذهبهم موافقا للثنوية والفلاسفة في الباطن ، وللروافض والشيعة في الظاهر ، وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة عن نفوس الخلق حتى تبطل به الرغبة والرغبة ثم ما أوهموه وهذوا به لا يفهم في نفسه ، ولا يؤثر في ترغيب وترهيب (2)

1 - قال الألباني في الضعيفة 102 لا أصل له .

2 - الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 44.

وكلهم أنكروا القيامة، وقالوا: هذا النظام، وتعاقب الليل والنهار، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبداً. وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام ، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ولا الجنة ولا النار ، ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء إلى أصله. قالوا: فجسم الآدمي يبلى، والروح إن صفت بمجانبة الهوى، والمواظبة على العبادات، وغذيت بالعلم ، استعدت بالعود إلى وطنها الأصلي، وكمالها بموتها، إذ به خلاصها من ضيق الجسد ، وأما النفوس المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدتها من الأئمة المعصومين، فإنها أبداً في النار، على معنى أنها تتناسخ في الأبدان الجسمانية، وكلما فارقت جسداً تلقاها آخر، واستدلوا بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا [النساء: 56] . وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية والفلاسفة في الباطن والروافض في الظاهر؛ وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الناس حتى تبطل الرغبة والرغبة. (1)

5 - اعتقادهم في التكاليف الشرعية :

المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها ، وإنكار الشرائع إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم وإنما الذي يصح من معتقدتهم فيه أنهم يقولون لابد من الانقياد للشرع في تكاليفه على التفصيل الذي يفصله الإمام ، من غير متابعة الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما وأن ذلك واجب على الخلق والمستجيبين إلى أن ينالوا رتبة الكمال في العلوم فإذا أحاطوا من جهة الإمام

¹ - ابن الجوزي : القرامطة ، ص 60.

بحقائق الأمور واطلعوا على بواطن هذه الظواهر ، انحلت عنهم هذه القيود وانحطت عنهم هذه التكاليف العملية ، فإن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم ، فإذا ناله استعد للسعادة القصوى ، فيسقط عنه تكليف الجوارح وإنما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحر التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة؟؟ وأما الأذكياء والمدركون للحقائق فدرجتهم ارفع من ذلك وهذا فن من الإغواء شديد على الأذكياء ، وغرضهم هدم قوانين الشرع ولكن يخادعون كل ضعيف بطريق يغويه ويليق به، وهذا من الإضلال البارد وهو في حكم ضرب المثال كقول القائل إن الاحتماء عن الأطعمة المضرة إنما يجب على من فسد مزاجه فأما من اكتسب اعتدال المزاج فليواظب على أكل ما شاء أي وقت شاء فلا يلبث المصغي إلى هذا الضلال أن يمعن في المطعومات المضرة إلى أن تتداعى به إلى الهلاك . (1)

ثم إنهم يعتقدون استباحة المحظورات، ورفع الحجر ولو ذكر لهم هذا لأنكروه وقالوا: لابد من الانقياد للشرع على ما يفعله الإمام، فإذا أحاطوا بحقائق الأمور انحلت عنهم القيود والتكاليف العملية؛ إذ المقصود عندهم من أعمال الجوارح للغمر الذين لا يرضون إلا بالسياقة. وغرضهم هدم قوانين الشرع. تأويلاتهم للظواهر من التكاليف : قالوا: وكل ما ذكر من التكاليف فرموز إلى باطن؛ فمعنى الجنابة؛ مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك. ومعنى الغسل؛ تجديد العهد على من فعل ذلك. والزنا؛ إلقاء نطفة العلم الباطن إلى نفس من لم يسبق معه عقد العهد. والاحتلام؛ أن يسبق الإنسان إلى إفشاء السر في غير محله. والصيام؛ الإمساك عن كشف السر.

¹ - الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 46.

والمحرمات؛ عبارة عن ذوي السر. والبعث عندهم؛ الاهتداء إلى مذاهبهم.

ويقولون: لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ [النساء: 11] الذكر الإمام، والحجة الأنثى. وقالوا:

(يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) [الأعراف: 53] أي يظهر محمد بن إسماعيل. وفي قوله:

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) [المائدة: 3] قالوا: الميتة: الحامل على الظاهر الذي لا يلتفت إلى التأويل. وقالوا: إن الشاء والبقر هم الذين حضروا محاربة الأنبياء والأئمة يترددون في هذه الصورة، ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح: اللهم إني أبرأ إليك من روحه وبدنه، وأشهد له بالضلالة، اللهم لا تجعلني من المذبحين. ولهم من الهذيان ما ينبغي تنزيه الوقت عن ذكره. وإنما علمت هذه الفضائح من أقوام تدينوا بدينهم ثم بانत لهم قبائحهم فتركوا مذهبهم. (¹)

وشر هؤلاء القرامطة؛ فإنهم يدعون أن للقرآن والإسلام باطنًا يخالف الظاهر؛ فيقولون:

الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة، أو هذه الصلاة إنما يؤمر بها العامة، وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا. والصيام: كتمان أسرارنا. والحج: السفر إلى زيارة شيوخنا المقدسين

ويقولون: إن الجنة للخاصة: هي التمتع في الدنيا بالذات، والنار هي التزام الشرائع والدخول تحت أنقالها. ويقولون: إن الدابة التي يخرجها الله للناس هي العالم الناطق بالعلم في كل وقت، وإن إسرافيل الذي ينفخ في الصور هو العالم الذي ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا، وجبريل هو العقل الفعال الذي تفيض عنه الموجودات، والقلم هو العقل الأول الذي تزعم الفلاسفة أنه المبدع الأول، وأن الكواكب والقمر والشمس التي

¹ - ابن الجوزي: القرامطة، ص 62.

رآها إبراهيم هي النفس والعقل وواجب الوجود، وأن الأنهار الأربعة التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي العناصر الأربعة، وأن الأنبياء التي رآها في السماء هي الكواكب . فآدم هو القمر، ويوسف هو الزهرة، وإدريس هو الشمس، وأمثال هذه الأمور .

وقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين والمتصوفين، لكن أولئك القرامطة ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، وعامة الصوفية والمتكلمين ليسوا رافضة يفسقون الصحابة ولا يكفرونهم، لكن فيهم من هو كالزيدية الذين يفضلون علياً على أبي بكر، وفيهم من يفضل علياً في العلم الباطن كطريقة الحربي وأمثاله، ويدعون أن علياً كان أعلم بالباطن، وأن هذا العلم أفضل من جهته، وأبو بكر كان أعلم بالظاهر . وهؤلاء عكس محققي الصوفية وأئمتهم، فإنهم متفقون على أن أعلم الخلق بالعلم الباطن هو أبو بكر الصديق . وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر أعلم الأمة بالباطن والظاهر، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد. (1)

هدف القرامطة: تقوم حركة القرامطة على غاية أساسية، وهي محاولة القضاء على دولة الإسلام بعد تسلم الحكم ، هي بهذا لا تختلف عن بقية الثورات التي قامت في

ذلك العصر مثل حركة الزنج (2)

¹ - ابن تيمية : مجموع الفتاوى 2: 203.

² - تعتبر ثورة الزنج من أخطر الثورات التي شهدتها العصر العباسي وأبرزها ، فقد هزت وبعنف أسس الدولة العباسية أكثر من أربعة عشر عاماً ، إذ بدأت منذ عهد الخليفة المهدي سنة (869م) وازداد خطرها في عهد الخليفة المتعمد (892) وكان زعيم هذه الثورة رجلاً ادعى النسب العلوي ، وعرف باسم : (علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) ، وتتنقل في بداية حياته بين مناطق

والبابكية الخُرمية (1) ، وما إلى ذلك من حركات.. ولم يكن للقرامطة أية برامج اجتماعية أو اقتصادية كما يحلو للبعض أن يصورهم ويضع لهم ما لم يفكروا فيه ليرفع

مختلفة في بغداد وسامراء والري والبحرين ، . وعندما قتل المنتصر عام (862م) انضم **علي بن محمد** إلى المعتقلين الذين زج بهم في السجن ، وعندما أطلق سراحه غادر **سامراء** إلى مدينة **هجر** أهم مدن البحرين ، وهناك أعلن ثورته وادعى النبوة وأنه يعلم الغيب ، وعلى أثر ذلك نشبت فتنة أسفرت عن قتل البعض ، فانتقل على أثرها إلى الأحساء واستقر في أحياء بنى تميم وبنى سعد ثم ما لبث أن أخذ ينتقل بالبادية من حي إلى حي مصطحباً معه جماعة من أهل البحرين . وفي البادية تمكن من أن يجمع حوله عدداً كبيراً من المؤيدين زحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له **(الردم)** وعنده حدثت موقعة عسكرية بينه وبين جنود الخلافة ، انهزم فيها وتفرق عنه أصحابه ، فانتقل إلى البصرة سنة (868م) مع عدد قليل ممن تبعوه ، ونزل بين عرب بنى ضبيعة ودعاهم إلى حركته فاتبعه جماعة منهم . تسلم **الموفق أخو الخليفة المعتمد** قيادة الجيوش العباسية وحارب **صاحب الزنج** في معارك عنيفة انتهت باحتلال **(المختارة ؟!)** عاصمة **علي بن محمد** وقتله سنة (883 م) . ثاروا مرة أخرى سنة (694 م) في عهد ولاية **الحجاج بن يوسف الثقفي** على البصرة وكانوا هذه المرة أكثر تنظيماً ، واتخذوا من بينهم زعيماً يدعى **(رباح)** ولقبوه **(شيرزنجي)** أي أسد الزنج وقد مد سلطته لتشمل منطقة الفرات والأبله . إلا أن **الحجاج** بمساعدة الأهالي تمكن من إنزال الهزيمة بهم وقتل قائدهم . ولم تقم لهم بعد قائمة . وقد تغلغل في هذه الثورة كذلك **العنصر اليهودي** على سبيل المثال فقد جاء رجل يهودي **خيري** يدعى **ماندويه** إلى **علي بن محمد** وزعم أنه يجد صفته في التوراه ؟؟؟! (انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 3 ، ص 43- 1760 ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 3 ، ص 40)

¹ - **بابك الخرمي** : ظهر سنة 816 م، في خلافة المأمون العباسي، وكثر أتباعه، وقاد ثورة على العباسيين بعد مصرع أبي مسلم الخراساني، استمرت حوالي عشرين سنة. جاء ت ثورته في عصر المعتصم العباسي، وتمكن المعتصم (في حملة قادها الأفشين حيدر بن كاوس) من دحرها سنة 837 م ، صُلِبَ في سامراء . أسست الخرمية من قبل الفارسي سنباذ المجوسي- الذي كان من أتباع أبي مسلم الخراساني-والخرمية خليط بين التشيع والمزدكية والزرادشتية ؛ وأحد أهم أسباب ثورة الخرمية هي الانتقام لإعدام أبو مسلم الخراساني الذي قتله أبو جعفر المنصور . ويرى بعض المؤرخين

من شأنهم، وإنما كانوا يظهرون عدم الرضا عن الوضع القائم، وكل ما اتخذوه من برامج إنما كانت وسائل آنية في سبيل كسب الأنصار إليهم..

نشر مذهبهم :

لقد استغلّ القرامطة -كغيرهم من الحركات الباطنية الهدامة- الظروف المحيطة بهم، خاصة وأنّ بداية دعوتهم وافقت القضاء على حركة الزنج، ولقد كانت الدولة الإسلامية آنذاك في بداية ضعفها وتسلّط العسكر عليها من ناحية، وانتشار الشعوبيين في أرجائها، وعمّ الجهل بتعاليم الإسلام بين أبنائها، ولقد ركّز القرامطة في دعوتهم على الأراضي الخصبة بنظرهم، كالموالي ، والعبيد الحاقدين على أسيادهم ، والأجراء والمزارعين الناقمين على أصحاب المهن والأراضي، لاعتقادهم بأنهم لا يعطونهم ما يستحقّونه لقاء كدّهم وتعبهم. ولكي يستقطبوهم ابتدعوا فكرة إشاعة المال وشيوعية الأراضي، وكذلك بثّوا آراءهم بين الشعوبيين الحاقدين على دولة الإسلام ، ووعدوهم بالقضاء على المسلمين وسلطانهم وإعادة الملك لهم ، سواءً أكانوا مجوساً أو هنوداً أو يهوداً أونصارى... وبقي عندهم العنصر الرئيس ألا وهو الشباب، الوقود الأساس لكلّ تمرّد

أن القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والكيسانية والزرارية والحكمية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية متأثرون بالخرمية بشكل أو بآخر. (انظر : موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديما وحديثا المؤلف: أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني ، و فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية : أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي التّناء الألوّسي) ومع فشل الحركة البابكية ، إلا أن البذور التي غرسها بابك لم تمت ، بل ظهرت لاحقاً في الفرق الاسماعيلية ، ومن خصوصاً القرامطة الذين أسسوا دولة مشاعية في البحرين (انظر : بابك الخرمي ، وثورته المشاعية ، وليد يوسف عطو - الحوار المتمدن)

وثورة..كما هو مشاهد ، ووجدوا أن خير أسلوب لجذبهم هو بثّ الفكر الانحلالي وجذبهم بالشهوات.. فاستباحوا الزنى والخمر واللواط وسائر المحرّمات، وجعلوا النساء مشاعاً بينهم، وأباحوا نكاح الأقارب من أخوات وبنات وما شابه هذا، بالإضافة إلى التخطيط الدقيق والإرهاب والبطش.. كلّ ذلك جعل العنصر الشبابي ينجذب إليهم انجذاب الفراش للنار...

وقد اعتمدوا في نشر دعوتهم على مراحل أسموها على النحو التالي:

التفرّس، والتأنيس، والتشكيك، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالآيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ.

فالتفرّس: أن يعرف الداعي من يدعو وكيف يدعوه، مميّزاً من يطمع في إغوائه ممّن لا يطمع فيه، وقد قالوا في وصاياهم لدعاتهم: لا تضعوا بذرتكم في أرض سبخة، ولا تتكلّموا في بيت فيه سراج، يقصدون من عنده علم. ومن شروط الداعي عندهم أن يكون عالماً بأنواع الناس وأصنافهم ، واختلاف مذاهبهم ، ونقاط ضعفهم ، والأبواب التي يدخل منها على كلّ واحد منهم.. فمن كان مشغلاً بالعبادة حبّياً إليه وحضّه عليها، ثمّ سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض، وشكّكه فيها حتى يدعها ويدخله مذهب. ومن كان رافضياً جاره في تعظيم آل البيت وحبّ عليّ ، ويطعن في أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطّاب ، وخيار الصحابة ، ثم يبغضه في بني تميم لكون الصديق منهم ، وبني عديّ لانتساب الفاروق إليهم، ويبغض في بني أميّة لكون عثمان ومعاوية - رضي الله عنهما - منهم، وكذلك الأنصار لعدم وقوفهم مع عليّ ومطالبتهم بحقه في الخلافة.. ثمّ يدخل عليه من باب الولاية والتأويل حتّى يخرج من الدين. وإنّ رآه ممّن يحبّ الشيخان مدحهما عنده ورفع من شأنهما ، وذكر له بأنّ صحبة الرسول لأبي

بكر في الغار كان القصد منها تعليمه التأويل، فإذا سأله المسكين عن التأويل يكون قد وقع في المصيدة، ووصل درجة التأنيس.. وأما إن كان المراد جذبه من أهل الفسق

والمجون، فإنه هو الصيد السهل، فيذكر أمامه قول الشاعر الماجن (¹):

أَتْرَكَ لَذَّةَ الصَّهْبَاءِ صَرْفًا ... لما وعدوه من طم وضم

حياةً ثم موتٌ ثم نشرٌ ... حديث خرافة يا أمَّ عمرو

ويشجعونه على الانغماس في المعاصي ، واستباحة الحرمات ، وإنكار البعث والثواب والعقاب وإنكار وجود الله ، والخروج من الإسلام.

ثم تأتي المرحلة الثانية، التأنيس: وهو التفرّس تقريباً، إلا أنه بعد أن يزيّن للصيد مذهبه ويشكّكه فيه لما يسأله عن التأويل.. فإذا سأله المدعو عن علم ذلك أجابه بأن علمه عند الإمام.. ويكون قد انتقل إلى مرحلة التشكيك، وهو الوصول بالضحية إلى الاعتقاد بأن المراد بالفرائض والظواهر شيئاً آخر غير معناها اللغوي أو الشرعي.. ويزينون له ترك الفرائض وارتكاب الموبقات، فيكون قد أصبح جاهزاً لمرحلة الربط، والربط عندهم طلب المدعو إلى معرفة تأويل أركان الشريعة، في تأولونها له، فإن قبلها على الوجه الذي دفعوها إليه، وإلا بقي على الشكّ والحيرة فيها.

أما التدليس.. فهو قولهم للضحية الجاهل: إن الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة.. ويستدلّون بقوله تعالى (فضرِبَ بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله

¹ - ديك الجن : واسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن مزيد بن تميم الكلبى الحمصى^[1] شاعر عربى عباسى، مولود فى العام 161هـ فى مدينة حمص، وتوفى فى العام 236 هـ. انظر ديوان ديك الجن : جمع عبد المعين الملوحى وزميله .

العذاب) (الحديد:13)، وإنّ لكلّ عبادة أو أمر ظاهر هو كالقشر ، وباطنه كاللبّ، واللبّ خير من القشر، فإذا سألهم عن تأويل باطن الباب.. طلبوا منه وأخذوا منه الموائيق والأيمان المغلّظة كالطلاق والعتاق ، وتسبيل الأموال ، والبراءة من الله ورسوله.. إلى آخر هذه الأيمان والنذور.. بأن لا يحدث أحداً بما سيخبرونه إلاّ بإذن من الإمام صاحب الزمان، أو المأذون له في دعوته، وأن يستر أمرهم ويحمي جماعتهم. فإن فعل المقرّر به ذكروا له حقيقة دينهم واعتقادهم، فإن قبل الجاهل مذهبهم فقد انسلخ من الملة وخلع الإسلام من عنقه، وإن رفض الدخول في عقيدتهم لعدم تقبّله واستهجانها لها ، لم يستطع أن يذيع سرّهم ويدلّ عليهم، بل إنّه يكتّم أمرهم، وقد يساعدهم، وذلك لما أخذوه منه من أيمان وموائيق ونذر يظنّ لجهله أن لا فكاك منها ولا يمكن حلّها.. وبذلك يضمن القرامطة عدم إفشاء سرّهم حتّى وإن لم يقبل المغرّر به الدخول في مذهبهم ودينهم..

التأسيس وأبرز شخصياتهم :

بدأ عبد الله بن ميمون القداح رأس الأفعى القرمطية بنشر المبادئ الإسماعيلية في جنوب فارس سنة 260 هـ .

- ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرّج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبيث الدعوة سرّاً ، وفي سنة 278 هـ نهض حمدان الأشعث الملقب بقرمط يبيث الدعوة جهراً قرب الكوفة ، ثم بنى داراً سماها دار الهجرة ، وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم
- هرب ذكرويه واختفى عشرين عاماً ، وبعث أولاده متفرقين في البلاد يدعون للحركة .

- استخلف **ذكرويه** أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج ، وهزم في حمص ، وسيق **ذكرويه** إلى بغداد وتوفي سنة 294 هـ .

وظهر في **البحرين** عام (281 هـ) (**أبو سعيد الجنابي**) واسمه (**الحسن بن بهرام**) ، التف حوله جماعة من القرامطة ، والشباب الذين أغراهم بالنساء التي جعلها مباحة لهم ، وظهرت جماعته في **القطيف** ، وعاثوا في الأرض فسادا ، فقتلوا وسلبوا في بلاد **هَجَر** ، ثم ساروا إلى **القطيف** فقتلوا الكثير من أهلها ، ثم توجهوا إلى **البصرة** ، فأرسل الخليفة **العباسي** جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل ، إلا أن **الجنابي** انتصر عليهم ، وأسر الجيش **العباسي** كله ، واستمر **أبو سعيد الجنابي** يعيث الفساد في المناطق التي يصل إليها ، حتى عام (326) هـ ، وكان من الدعاة إلى **الإسماعيلية** في **جنوبي العراق** (**مهرويه**) الذي يخفي عقيدته **المجوسية** وأصله **فارسي**، ومثله (**حسين الأهوازي**) الذي التقى **بحمدان بن الأشعث (الملقب بقرمط)** ، وصار **حمدان** من دعائهم ، ولما مات **حسين الأهوازي** خلفه على الدعوة (**حمدان**) ، وكان من أشهر دعائه ابن عمه (**عبدان**) و (**ذكرويه بن مهرويه**) ، واستطاع (**ذكرويه بن مهرويه**) التخلص من (**عبدان**) ، واستطاع كذلك التخلص من **حمدان** نفسه ، ثم اختبأ وأرسل أولاده دعاة ، ومنهم ولده **يحيى** ، و **الحسين** ، وكلاهما ادعيا أنهما من نسب **إسماعيل بن جعفر الصادق** ، وسار **الحسين** إلى **سلمية** بعد خروج **عبيد الله بن ميمون القداح** ، ودخل **الحسين سلمية** بعد أن أعطى أهلها الأمان ، ثم نكل بهم ، وقتل الهاشميين دلالة على حقه على آل البيت رغم ادعائه الانتساب إلى آل البيت ، ثم سار على رأس قرامطته إلى حماة، والمعرة ، و **بعلبك** ، وعمل القتل في أهل كل بلد وصل إليها ، وانتهى به الحال إلى أن أسره الخليفة (**المكتفي**) ، و **صلب** في **بغداد** (291 هـ). كما قتل أخوه

يحيى كذلك ...وعندئذ خرج أبوهما (زكرويه) من مخبئه ، وسار بأتباعه نحو بلاد الشام ، واخذ يعترض قوافل الحجيج والتجار ، حتى قُتل (301هـ) ..

مناطق الانتشار:

انتشرت الحركة القرمطية في الكوفة ، وواسط ، والبصرة من العراق ، ثم ظهر دعائهم في البحرين ، والقطيف ، وعظم أمرهم ، وأغاروا على نواحي هجر ، والأحساء ، والطائف ، وتغلبوا على سائر مدن اليمن ، وساروا إلى بعلبك وقتلوا عامة أهلها ، ثم ساروا إلى سلمية وصالحوهم وأعطوهم الأمان ، واستولوا على دمشق عام (260هـ) ومنها توجهوا إلى مصر ، وظهر أمرهم في المغرب ، وعُمان ، ولما كانت حركة القرامطة قد قامت في عدة بقاع، فقد نسب كل قسم إلى المنطقة التي قوي نفوذه فيها، فيقال قرامطة اليمن ، وقرامطة البحرين ، وقرامطة العراق ،وقرامطة الشام ، على الرغم من أن قيامهم كان في وقت واحد تقريبا، وضمت أخطا من الناس ، يجمع بينها قاسم مشترك عبّر عنه نصر بن سيار - (1) والي خراسان - خير تعبير حين قال :

ليسوا إلى عرب منا فنعرفهم ولا صميم الموالي إن هُم نُسبوا .
قوم يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب .
فمن يكن سائلي عن أصل دينهم فإن دينهم أن تُقتل العرب .
وبالنظر إلى تاريخ القرامطة ، فإن أخطرهم وأشدّهم همجية، وأذى للمسلمين هم قرامطة البحرين ،

¹ - نصر بن سيار الليثي الكناني آخر ولاية الأمويين على خراسان، ولأه هشام بن عبد الملك .توفي سنة 131 هـ (748 م) وكانت إقامته في مرو.

وقرامطة اليمن ، أما قرامطة العراق فإنهم تمكنوا من بعض مدن العراق فترات متقطعة بزعامة حمدان الأشعث الملقب بقرمط ، وصهره عبدان ، وقضي عليهم وعلى ثورتهم عام 289هـ ، ثم تجمعوا مرة أخرى تحت قيادة عيسى بن موسى ، وحريث بن مسعود ، وقد تمكن الجيش العباسي من القضاء على ثورتهم وقتل قادتهم ، حيث لم تقم لهم بعد ذلك قائمة . (1) أما القرامطة الذين قامت لهم دول بالمعنى الحقيقي فهم: قرامطة البحرين ، وقرامطة اليمن . أما قرامطة العراق ، وقرامطة الشام فكانت دولهم محدودة الزمان والمكان .

1- قرامطة البحرين :

لقد مكث القرامطة عهداً من الزمن ينشرون مذهبهم ويبثون عقيدتهم الباطنية بين العوام والجهلة، ومع ازدياد أعدادهم اتجهوا إلى تنظيم صفوفهم وإعداد خططهم، فلما قويت شوكتهم واشتدّ ساعدتهم ووجدوا أنّ الفرصة سانحة للخروج على دولة الخلافة أعلنوا تمردهم. وكانت بدايتهم من البحرين عام 286 هـ، وكان على رأسهم : الحسن بن بهرام أبو سعيد الجنابي (والجنابي نسبة إلى بلدة فارسية تسمى جنابة) ، ويقال أنّه كان يعمل كيّالاً في البصرة، ويعود أصله إلى الأهواز، وفي رواية أخرى من البحرين. وكان جلّ جنده آنذاك من بقايا فلول الزنج ، والخرمية ، وبعض الأعراب. وقد بدأ تمرده بغزو القرى المجاورة لمكان إقامته في الأحساء يغيث إفساداً فيها مرتكباً الأعمال الوحشية من قتل وتذبيح واستباحة أموال وأعراض، وقد كان يتبع خطة الإرهاب لغايتين اثنتين..

¹ - انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج6، ص 95 .

أولهما : إرضاء أتباعه وشفاء صدورهم وبثّ الأحقاد التي يكتّونها تجاه المسلمين..

والثانية : لإرهاب أعدائه وجعلهم يتركون له حواضرهم وأموالهم قبل دخوله لبلادهم. ولم

يمض عام 286هـ حتّى كوّن لنفسه جيشاً عظيماً واحتلّ أغلب المناطق المحيطة به

كالقطيف وغيرها من المدن، وحوّل وجهته للبصرة بقصد أخذها. وقد وجّه لهم الخليفة

العبّاسي المعتضد جيشاً قوامه عشرة آلاف بإمرة **العبّاس بن عمرو الغنوي**، والتقى

الجيشان في الطريق إلى البصرة وكانت نتيجة المعركة أن أسر الجيش العبّاسي بكامله

وأمرهم معهم، وكان جزاؤهم أنّه أحضر الأسرى جميعاً فأمر بقتلهم وتحريقهم ولم يبق

منهم إلّا أميرهم العبّاس بن عمرو الذي أرسله إلى الخلفية العبّاسي نذيراً وليعلمه بمقدار

قوّته⁽¹⁾ وقد استمرّ **أبو سعيد الجنابي** في حربه للمسلمين وفتكه بهم، وإن كان النصر

في أغلب حروبه معهم بجانبه إلّا أنّه هُزم مراراً، وأشهر المعارك التي خسرها كانت

معركة عام 288 هـ مع الجيش الإسلامي بقيادة **الأمير بدر**. وكانت نهايته على يد خادم

له عام 301هـ حيث قتله وقتل معه عدداً من قادة القرامطة. واختلف المؤرّخون في سبب

قتل خادم أبي سعيد له، وإن كانوا قد اتّفقوا على طريقة مقتله. والقول الأرجح أنّه في

إحدى غزواته أسر أحد الغلمان واستخلصه لنفسه وجعله على طعامه، وكان هذا الغلام

لا يزال على دين الإسلام يكتمه عن أبي سعيد، فلمّا رأى فسق أبي سعيد وفجوره أسرّ في

نفسه قتله والتخلّص منه، وقد حانت له الفرصة حين دخل والقرمطيّ الحمام ، وحاول أن

يُفجّر به فقتله الغلام، ثمّ ذهب الغلام وأخبر أحد قوّاد القرمطي بأنّ أبا سعيد يطلبه في

الحمام، فلمّا دخل ذلك القائد الحمام عمد إلى قتله أيضاً، وفعل ذلك بخمسة منهم أيضاً،

¹ - انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 6 : 431.

ولمّا اكتشف القرامطة أمره قبضوا عليه وقَرَضُوا لحمه بالمقاريض ، فتوفّي - رحمه الله - بعد أن خلّص الأُمّة من خمسة من أشدّ أعداء الإسلام ومن قواد جيش الكفر .

واستلم بعده قيادة القرامطة ولده سعيد ، ثمّ سليمان الذي خرج على أخيه . وقد كان سليمان من أشدّ ما ابْتُلي به المسلمون من أعداء في تاريخهم ، وقد كان زيادة على كفره وخروجه عن المِلّة الإسلامية قد أباح نكاح المحارم ، ولم يترك رذيلة إلّا فعلها . وقد كان يفعل ما يعجز اللسان عن ذكره من أفاعيل إجرامية بكلّ أرض وشعب تصل قبضته إليه ، وهو أوّل من سنّ هتك الأعراض الجماعي أمام أعين محارمهم ، وقد أدّت أفعاله تلك إلى نشر الرعب في بلاد المسلمين . وقد دخل البصرة عام 311هـ في ربيع الآخر فاستباح الحريم والأموال وذبح الشيوخ والأطفال ، وأحرق المسجد الجامع ومسجد طلحة ، وكذلك قطع الطريق على حجّاج العراق عام 312هـ ، فأخذ الأموال والحريم والمتاع وترك الرجال بدون طعام أو ماء أو ركب فمات أغلبهم جوعاً وعطشاً ، ثم أرسل يطلب من الخليفة المقتدر أن يتخلّى له عن الأهواز ، وحين رفض المقتدر ذلك اتّجه إلى الكوفة فدخلها وقتل أهلها ونهب ما استطاع نهبه وجعلها مباحة لجنده وزبانيته . وقد حاول قطع الطريق على حجّاج العراق مرّة أخرى ولكنّ حماة الركب العراقي اشتبكوا معهم بحرب خاطفة ، حتّى استطاعوا إعادة الركب إلى العراق ولم يحجّوا عامهم ذلك . وبقي على حاله تلك في قطع طريق الحجّاج أكثر أيّامه ، حتّى أنّ حجّاج خراسان والعراق والمشرق توقّفوا عن الذهاب إلى الحج . وفي عام 315هـ قصد بغداد والتقى بجيش المسلمين في الأنبار ، وكان عدد جيشه ألف فارس وسبعمائة راجل ، وجيش الخليفة أربعين ألف فارس . وعلى الرغم من ذلك فقد فرّ جيش العراق حتّى قبل أن يلتقوا بجنود القرمطيّ ، فدخل القرمطيّ الأنبار وحاول دخول هيت ، ولكنّ أهلها حصّنها وأنقذوها من يد القرمطيّ . وفي عام

316هـ دخل القرمطي الرحبة ، وقتل رجالها واستحلّ نساءها وأموالها ، وحاول دخول الرقة إلا أنه رُدَّ عنها. ولم يحجّ أحد في هذه السنة خوفاً من القرامطة.

وفي عام 317هـ اتّجه سليمان أبو طاهر القرمطي إلى مكة فدخلها يوم التروية ، فقتل الحجاج في المسجد الحرام وداخل البيت المعمور ، ورمى جثثهم في بئر زمزم ⁽¹⁾ ، وقتل أمير مكة ابن محارب وعزّى البيت ، وقلع بابه ، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه إلى عاصمته هجر ، وأقام بمكة ستّة أيّام. وقد رُوِيَ أنّه قد قتل ثلاثين ألفاً من الحجاج ومن سكّان مكة ، وكان ينشد وهو يقتل الحجاج والأبرياء من سكّان مكة:

أنا بالله و بالله أنا ... يخلق الخلق وأُفنيهم أنا.

و كان من جملة من قُتل ذلك العام التابعي الجليل عبدالرحمن بن عبدالله بن الزبير ، وقد سبى ما يقارب الثلاثين ألفاً من النساء والغلمان .. وأنشد إثر انصرافه من مكة قائلاً:

¹ - واقتلع الحجر الأسود وحمله معه إلى هجر حيث بقي حتى عام (339 هـ). واستمر (أبو طاهر الجنابي) يعيثُ فساداً ، ويقطع طرق الحجاج ، إلى أن مات عام (332 هـ)، فخلفه إخوته الثلاثة : سعيد أبو القاسم ، وأحمد أبو العباس ، ويوسف أبو يعقوب ، وتفرقت كلمتهم ، وفي سنة (339 هـ) أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة وقالوا : أخذناه بأمر وأعدناه بأمر ، وردوه في ذي القعدة ، فلما أرادوا رده حملوه إلى الكوفة ، وعلقوه بجامعها حتى رآه الناس ، ثم حملوه إلى مكة ، وكانوا أخذوه من ركن البيت الحرام سنة (317 هـ) وبقي عندهم في هَجَرَ (22 سنة) انظر : القرامطة- محمود شاكر - المكتب الإسلامي، بيروت- ط1- 1979م. والفرق بين الفرق للبغدادي - القاهرة. والملل والنحل ، للشهرستاني. ومذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي- دار العلم للملايين. والحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد أحمد الخطيب-مكتبة الأقصى. وكشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة-محمد بن مالك الحمادي اليماني ، الرياض . وفصائح الباطنية أبو حامد الغزالي- دار البحوث العلمية ، الكويت . . بتصرف واختصار

ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا .

لأنا حججنا حجة جاهلية مجللة لم نبق شرقا ولا غربا .

وأنا تركنا بين زمزم والصفاء جنائز لا تبغي سوى ربها ربا . (¹)

وبقي في إفساده وقتله للمسلمين ، وقطع طريق الحجاج وتقتيلهم ، حتّى امتنع الناس عن الحجّ ، كما حصل مع حجاج بغداد بين عام 319-327هـ، حيث لم يذهبوا لتأدية فريضة الحجّ خوفاً منهم ومن بطشهم. وقد حاول الركب العراقي خلال هذه الفترة أكثر من مرّة الذهاب للحج كما حدث عام 323هـ، إلّا أن تعرّض القرمطيّ لهم وقتل الحجاج وسبي الحريم جعلهم يقلعون عن محاولاتهم تلك، حتى أمّنهم القرامطة مقابل دفع ضريبة مقدارها خمسة دنانير على كلّ جمل وذلك عام 327هـ، وكانت أوّل مرة يدفع الحاج ضريبة لقاء توجّهه لأداء فرضٍ أوجبه الله عليه.

ومع هلاك سليمان القرمطيّ عام 331هـ صار الحكم في دولة قرامطة البحرين جماعيا ، وبدأت الخلافات تظهر بينهم ، فخفّت قوّة القرامطة ، وقلّ تهديدهم لدولة الإسلام، واقتصرت أعمالهم على قطع الطريق ، وبعض الهجمات الخفيفة لتأمين مصدرٍ لعيشهم. وقد كان الزمن كفيلاً بزيادة ضعفهم وحاجتهم إلى المال، فما أتى عام 339هـ حتّى استبدلوا الحجر الأسود بخمسين ألف دينار أعطاهم إيّاها الخليفة المطيع، فدلّ ذلك على مقدار ضعفهم وحاجتهم. وقد تجمع المسلمون سنة 470هـ لقتال القرامطة ، ففضوا عليهم ، واستأصلوا ذكرهم ، وجعلوهم عبرة لمن يعتبر ...

¹ - سهيل زكار (وأظنه من الاسماعيلية النزارية ؟!) : الجامع في أخبار القرامطة ، 1: 153. محمد بن مالك اليماني ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . باب في ذكر أبي سعيد الجنابي - لعنه الله - .

9 - قرامطة العراق :

كان جنوبي العراق مهد الشيعة الأول وأنصار هذه الفرقة كثيرون في هذه المنطقة وتلك الجهة قريبة من فارس مركز المجوس والجهل يخيم على تلك البقعة فيكم استغلال السكان وبخاصة الوافدين منهم - وما أكثرهم - والسير بهم حيث يريد المستغلون وعندما انقطعت الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية كان المجال واسعا لانتشار الإسماعيلية والتحاق أعداد ليست قليلة بها من الشيعة وانضمام أفراد من السكان إلهيا باستمرار نتيجة الدعايات والعمل السري الدائم والتنظيم الدقيق والدعوة باسم الرضا من آل البيت وإذا كانت الحركة قد انتقلت بمركزها إلى (الأهواز) ثم إلى السلمية إلا أن جنوبي العراق قد بقي القاعدة الرئيسة للدعوة وبقعة النفوذ الأساسية لها.

كان من الدعاة الإسماعيليين (مهرويه) أحد الذين يخفون عقيدتهم المجوسية وهو من أصل فارسي و(حسين الأهوازي) وهو من الفرس أيضا وربما كانت نسبته إلى (الأهواز) لإخفاء شخصية (حسين) الذي كان رسولا منتقلا لإمام الإسماعيلية وقد يكون على صلة وثيقة بصاحب الدعوة الأول وكثيرا ما كان أصحاب الدعوات الذين يريدون إخفاء شخصياتهم ينتسبون إلى هذه المنطقة لذا نلاحظ هذه النسبة كبيرة بين رجالات الإسماعيلية.

كان عبدالله بن ميمون القداح رأس الدعوة الإسماعيلية وكان يريد أن يعمي على نفسه فوزع دعائه في الأمصار وبخاصة أبناءه حتى لا تتجه الأنظار إلى مقر إقامته فأرسل ابنه (أحمد) ليقيم في (الطالقان) من بلاد خراسان وطلب من دعائه أن يرسلوه إلى هناك كما أعلن عن موت ابنه (حسين) وعرف باسم (حسين الأهوازي) وربما كان هو بالذات حسين بن عبدالله بن ميمون القداح كما يقال إن حسين الأهوازي هو رسول

الإمام أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل وهنا يبدو تشابه الأسماء بين أسرة أحمد بن عبدالله بن محمد إسماعيل وأسرة أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ومن هنا جاء الاختلاف وادعاء النسب القداحي إلى آل البيت كما أنه شاع الإعلان عن موت الأشخاص ثم ظهورهم في مكان آخر باسم ثان وبخاصة عند الإسماعيليين الذين يعتقدون في الأصل أعلن عن موت ابنه إسماعيل وما هو كذلك وإنما انتقل سرا إلى السلمية.

عرف (حسين الأهوازي) كداعية إسماعيلي في جنوب العراق بغض النظر عن نسبه وأصله وقد التقى مرة بـ (حمدان بن الأشعث) الذي عرف باسم (قرمط) وهو في طريقه إلى السلمية حسبما تدعيه الرواية القرمطية وقد استطاع (حسين) استمالة (حمدان) إلى دعوته وسار معه إلى قرته حيث بدأ العمل هناك بنشاط إذ أن حمدان كان صاحب علاقات اجتماعية كثيرة حيث كان ناقما على المجتمع وكثير الكلام على الأوضاع وكان المحيط الذي يعيش فيه حاقدا على الحكم العباسي فيستمع إلى من تعود على النقد فتوسعت الدعوة بحيث لم يعد أحد ينكر مركزها وترقى حمدان في سلمي الدعوى ووصل إلى مكان مرموق فيها وهناك من يقول إن أصل حمدان يعود إلى الفرس المجوس الذين يكثرون في ذلك الوسط ويخططون للعمل ضد الدولة ويعملون على تهديم الإسلام وهناك من يقول إن أصل حمدان يرجع إلى يهود نجران الذين كانوا يشبهون المجوس في الخطة والهدف وكثيرا ما عمل الفريقان في مخطط واحد.

في هذا الوقت كانت حركة الزنج قائمة في جنوبي العراق وقد سيطرت على مدينة البصرة وامتد نفوذها واستطاعت الانتصار على الجيوش العباسية في عدد من الوقائع رغب (حسين الأهوازي) أن يشارك في هذه الحركة كمرحلة من مراحل عمله إذ لا

يستطيع وحده آنذاك أن يقوم بعمل مثمر والحركات الانتهازية دائما يستغل بعضها بعضا أو يركب بعضها طريق الآخر حتى إذا تم له ما يريد انفرد وحده فالغاية عندهم تبرر الوساطة فالتقى حسين الأهوازي بصاحب الزند عام 266هـ وعرض عليه المساعدة مادامت الغاية واحدة والوسيلة واحدة إلا أن صاحب الزنج قد عرف رغبة الأهوازي في سرقة الثورة فرفض المساعدة حيث كان الزنج في أوج القوة التي وصلت إليها حركتهم فلم يبالوا بالعون.

لم تلبث حركة الزنج أن فشلت وقضى عليها العباسيون بعد أن عرفوا الأسباب التي دعت إليها فعندما حاولوا التخلص منها ودعوا إلى تطبيق الإسلام الذي يقضي عليها ووجد الدواء لها انفرط عقد الزنج وتخلص العباسيون من حركتهم عندما هدأت الأوضاع استطاع (حسين الأهوازي) أن يجدد نشاطه وأن يقنع أتباعه ويمنيهم بأنهم سيملكون الأرض وفرض دينارا على كل من أجابه لدعوته ليضمن نظمهم ووضع عنهم الصوم والصلاة والفرائض جميعا وأحل لهم أموال المخالفين لهم ودماءهم وأعراضهم ونظمهم تنظيما دقيقا إذ جعل منهم اثني عشر نقيبا وكان من أبرزهم (قرمط حمدان بن الأشعث).

مات (الأهوازي) فخلفه في رئاسة الدعوة (القرمطي حمدان بن الأشعث) فابتنى لأتباعه دارا للهجرة في سواد الكوفة عام 277هـ وسار على طريقة أستاذه الأهوازي وهكذا أصبح للدعوة القرمطية يؤمونه وقاعدة يمكنهم الانطلاق منها اختار القرمطي دعائه وكان من أشهرهم ابن عمه وصهره (عبدان) وهو الذي نسبت إليه كثير من كتب القرامطة و(زكرويه بن مهرويه) الذي أخذ الدعوة عن أبيه كما ورث عنه ما كان يشغل باله في القضاء على الإسلام وتأسيس أسرة فارسية يعود إليها الحكم و(أبو الفوارس)

الذي قاد ثورة القرامطة عام 289هـ.

فرض القرمطي على أتباعه مبالغ عليهم أن يدفعوها وتصرف في هذه الأموال ف جذب إليه الفقراء الذين قدم إليهم المساعدات واشترى السلاح فأخاف ني فالتحقوا بدعوته تخلصا من شره وطمعا في الغنائم التي مناهم بالحصول عليها من أموال المخالفين له وربما كان يعمل هذا القرمطي لنفسه أو أنه مقتنع بالعمل لإمامة الإسماعيلية الذين سيعملون بدورهم للغاية التي يعمل هو لها أو هكذا كان يظن.

كان القرامطة دعاة للإسماعيلية ثم انصرفوا عنهم عندما علموا أن الدعوة في السلمية لم تعد لأولاد محمد بن إسماعيل وإنما لأولاد عبدالله بن ميمون القداح وأصبح الاختلاف واضحا بين الفريقين في الوسائل التي اتخذوها وفي العقائد التي غدت للقرامطة وعدهم الإسماعيلية ملاحدة.

كان أتباع قرمط يتلقون التعليمات من السلمية ويسيرون حسبها بشكل دقيق ومنظم وذات مرة أرسل قرمط رسوله إلى مقر الدعوة في السلمية والتقى الرسول هناك بصاحب الدعوة الأول وبينما كان الحديث يدور بينهما عن الإمام المنتظر إذ أجيب الرسول أن هذا الموضوع إنما هو خرافة والدعوة هي لأولاد عبدالله بن ميمون إذ ظن صاحب الدعوة الأول أن القرامطة قد التزموا بالخط تماما وأنهم أصبحوا مرتبطين به بشكل أكيد وقد آن له أن يفتحهم بالأمر.

عاد الرسول إلى سواد الكوفة ونقل الخبر إلى (قرمط) الذي أدرك اللعبة وترك الصلة بالسلمية وبدأ العمل وحده منفردا ولنفسه وعندما حدث هذا التغير في طريقة (قرمط) حضر (أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح) من (الطالقان) إلى الكوفة وهو كبير الدعاة للإسماعيلية وصلة الواصل بين السلمية ودعاتها فعاتب عبدان ابن عم قرمط وهو مفكر

القرامطة عاتبه على السير على نهج خاص والعمل على انفراد وشق عصا الطاعة إلا أن عبدان قد عنفه وطرده من منطقة السواد إلا أن زكرويه بن مهرويه قد استقبله وتآمر الاثنان معا على قتل عبدان فتار أهل السواد حيث إن أكثرهم من أنصاره فخرج أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح من تلك الجهات على غفلة من أهلها خائفا يترقب واختفى زكرويه وهنا يبدو اتفاق زكرويه والسلمية كمرحلة من مراحل العمل ولكن لأن كلا منهما يريد الاستقلال والعمل لنفسه ويبغي استغلال الطرف الآخر لمصلحته إذ أن زكرويه يريد أن يكسب السلمية مركز الدعوة إلى جانبه حتى يربح الأنصار ويبقى على رأس العمل والسلمية تريد ألا تخرج منطقة السواح من قبضتها وإنما تريد أن تحافظ على بعض الدعاة أمثال زكرويه الذي يمكنه كسب تأييد المجوس المتسترين كافة ودعم اليهود المادي ومع هذا الاتفاق المرحلي حرص كل طرف على كسب أنصار له في منطقة نفوذ الآخر ففي الوقت الذي حرصت فيه السلمية على وجود أعوان لها في جنوبي العراق رأى زكرويه أن بلاد الشام منطقة خصبة للعمل إذ إن ضعف الطولونيين يساعد على النشاط هناك بينما هو محصور في مخبئه في منطقة السواد خوفا من أنصار عبدان.

يبدو أن هذا الانقسام قد حدث في أكثر من منطقة نتيجة نقل الإمامة من أبناء محمد بن إسماعيل إلى أبناء عبدالله بن ميمون القداح دون معرفة الأتباع والدعاة فأبو عبدالله الشيعي الداعية الإسماعيلي في المغرب كان قد حضر مرة إلى السلمية والتقى بالإمام أو قدم إلى شخص عرف بأنه الإمام فلما نجح في دعوته في المغرب بين أفراد قبيلة كتامة وانتقل إليه عبيد الله المهدي على أنه الإمام رأى أنه غير الذي عرفه بالسلمية فأراد أن ينفصل عنه ويقوم ضده إلا أن عبيد الله قد عرف ذلك منه فقتله وقامت قبيلة

كتامة تنصر داعيتها ولكن عبيد الله كان قد قويت جذوره فاستطاع إخماد ثورة كتامة وإطفاء تلك الفكرة التي شاعت بين الناس وعرف علي بن الفضل قرمطي اليمن الذي حدث في هذا الاختلاف فانفصل كذلك عن الدعوة القائمة في السلمية وبقيت حركته منفصلة عن غيرها في منطقة وحدها.

نقل زكرويه بن مهرويه نشاطه إلى بلاد الشام فأرسل ابنه الحسين إلى هناك عام 288هـ ومهد هذا ليحيى بن زكرويه كي يقوم بحركته في تلك الجهات كان زكرويه بن مهرويه وأبوه من قبل وأبناءؤه من بعد يرغبون في أن يتزعموا الحركة المناهضة وأنه تكون لهم الدعوة التي يجب أن تسير حسب عقائدهم القديمة وآرائهم الخاصة ويبدو هذا من خلافهم مع عبدان فعلى الرغم من أنهم كانوا من قادة الحركة ودعاتها الكبار إلا أنهم رأوا عبدان وحمدان وأنصارهم هم أصحاب السلطة الأوائل ورجال الدعوة المحركين لها لذلك تخلصوا نهم وبدا لهم أن يبقوا على صلة مع السلمية ليستمر الدعم لهم سواء أكان من الناحية المادية أم من الناحية العسكرية ثم عادوا فاختلّفوا مع السلمية عندما قوي مركزهم في بلاد الشام ونكلوا بآل المهدي عبيد الله الدعي لآل البيت وبآل البيت فعلا ثم ادعوا نسبا علويا حتى لا يفقدوا كل شيء يجعل منهم سادة تتجه نحوهم النظار ويقوي مركزهم بين أئمة الأتباع السذج الذين يسرون وراء كل دعي .

بايع أتباع زكرويه ابنه يحيى في سواد الكوفة عام 289هـ ولقبوه الشيخ كما كان يعرف أبو القاسم على حيث بقي أبوه زكرويه في مخبئه ويبدو أن يحيى هذا هو الذي قتل عبدان داعية القرامطة الأول.

ادعى يحيى نسبا إسماعيليا فزعم أنه محمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وسار يحيى إلى دمشق بعد أن انتهب وانتهك حرّمات البلاد التي مر عليها

كلها وحاصرها عام 290هـ إلا أنه عجز عن فتحها إذ جاءت نجدات من بغداد ومن مصر ولما عرف أنه مقتول لا محالة ادعى أنه سيطلع إلى السماء غدا وأنه سيبقى فيها أربعين يوما ثم يعود وأن أخاه الحسن سيأتي غدا في نجدة وكان قد بلغه ذلك فعليهم مبايعته والقتال معه والسير وراءه وفي معركة اليوم التالي قتل يحيى بن زكرويه على أبواب دمشق وعرف باسم صاحب الجمل حيث كان يمتطي جملا خاصا. اجتمع القرامطة على الحسين زكرويه فادعى نسبا إسماعيليا وأنه أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ووضع شامة على وجهه لذا عرف باسم صاحب الخال أو أبو شامة وقال إنها آية لما يتم على يديه وزعم أنه قادر على القيام بمعجزات خرج الحسين في جهات الكوفة وسار نحو أخيه إلى دمشق ومر في طريقه على الرملة غربي بيت المقدس وكان عبيد الله المهدي مختبئا فيها في طريقه إلى المغرب خوفا من العباسيين الذي عرفوا مكانه بالسلمية وقد عرف الحسين مكان عبيد الله وعرف اختلاف القرامطة فخرج عليه لاسترضائه وإظهار الطاعة عسى أنه يستفيد منه وقد أبدى عبيد الله رضاه ولكن ما إن تركه الحسين حتى خافه وخشي أن يقتله أو يخبر العباسيين بمكان وجوده إذ عرف رغبة أسرته في التفرد بالسلطة والرغبة في السيطرة والقضاء على كل من يقف في وجهها ومن جملتهم عبيد الله لذا فقد ترك الرملة مباشرة واتجه إلى مصر ومنها إلى المغرب حيث أقام دولته هناك.

سار الحسين من الرملة إلى دمشق فوجد أخاه يحيى قد قتل فالتف القرامطة حوله وحاصر بهم دمشق ولكنه عجز عن فتحها فطلبه أهل حمص فسار إليهم فأطاعوه ثم انتقل إلى السلمية فامتعت عنه ثم فتحت له أبوابها بعد أن أعطى أهلها الأمان وما عن دخلت حتى نكل بقاطنيها فأحرق دورها وهدم القلاع فيها وقتل الهاشميين فيها دلالة

على الحقد الذي في صدور القرامطة على آل البيت وإن ادعوا نسبا يتصل بهم وإظهارا لكرهيتهم للإسلام الذي قضى على المجوسية في فارس وكان الهاشميون قد قادوا الدعوة للإسلام ثم قتل آل عبيد الله المهدي جميعا دلالة على الخلاف بينهم على الرغم من أصول الدعوة الواحدة إذ أن كلا الأسرتين تريدان الزعامة والاحتفاظ بالدعوة وبالتالي التمكين لنفسها وبخاصة أن عبيد الله المهدي كان قد رفض إعطاء آل زكرويه مراكز هامة في الدعوة لما يتحسس منهم ويشعر عما في نفوسهم لذا نقموا عليه وبدأ الخلاف بين الطرفين وعندما التقى الحسين بالإمام عبيد الله المهدي في الرملة أظهر عبيد الله الإيجاب وأنه يحسن الظن بآل زكرويه وذلك حتى لا يضره فهو غير قادر على مقاومتهم في بلاد الشام ولا يملك من القوة إلا القليل من الأتباع الذين لا يستطيعون الدفاع عنه إضافة إلى أنه يخشى على أهله في السلمية وقد غادرها وذلك إذا تمكن آل زكرويه من السيطرة عليها وهذا ما قد وقع.

سار الحسين بقرامطته إلى حماة والمعة وبعلبك وقتل أهل كل بلد وصل إليها وأغارت جماعته على جهات حلب ولكنهم غلبوا لذا عادوا فاتجهوا إلى جهات الكوفة مقرهم الأصلي وهناك قاتلهم الخليفة العباسي المكتفي فوقع الحسين بن زكرويه أسيرا فحمل إلى بغداد حيث قتل وصلب فيها عام 291هـ وهكذا انفصلت دعوة آل زكرويه القرمطية عن دعوة عبيد الله القداحية.

وعندما قتل أولاد زكرويه خرج أبوهم من مخبئه الذي اختفى فيه مدة تقرب من ثلاث سنوات وعندما ظهر للناس سجد له أتباعه المقربون من الذين يبطنون المجوسية وهذا دليل على تأليه القرامطة لدعاتهم فأرسل زكرويه أتباعه إلى بلاد الشام فأمعنوا في القتل واعترض طرق القوافل والحجاج وارتكبوا من الفواحش ما يصعب وصفه وحاصروا مدينة

دمشق ولكنهم عجزوا عن فتحها وأخيرا هزم زكرويه وقتل عام 301هـ بعد أن عاث في الأرض الفساد وتشتت أتباعه فمنهم من انتقل إلى البحرين الذين تجمعهم بهم رابطة الفكر ومنهم من اختفى ثم تحالف مع القبائل الضاربة في البوادي والقفار أو سار إلى أماكن نائية حيث ضاع فعله وعاش في عداد السكان الآخرين. (1)

10- قرامطة الشام :

يعتبر مؤسس القرامطة في بلاد الشام زكرويه بن مهرويه، إذ أنه عندما شقّ حمدان وعبدان عصى الطاعة على مؤسس مذهبهم الإسماعيلي ، وأسّس حمدان قرمط مذهبهم الخاص، بقي زكرويه على ولائه لميمون القداح ، وذلك لغاية في نفسه. وقد حاول مراراً التخلص من مؤسسي المذهب القرمطي كعبدان وغيره، وقد نجح في قتل عبدان، إلا أنّ نعمة أتباع عبدان عليه جعلته يختبئ في جنوب العراق ، وبعث أبناءه إلى بلاد الشام عامّة ، وإلى السّلمية الإسماعيلية بشكل خاص ، لبثّ دعوته والسيطرة على أتباع أسرة ميمون القداح، وقد نجح في ذلك، ممّا دفع أبناء ميمون القداح للهجرة إلى المغرب، فأسسوا هناك دولة العبيديين (الفاطميّين) وإن كان أبناء زكرويه اتخذوا أسماءً أخرى ، وانتسبوا إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، كما فعل يحيى بن زكرويه حين ادّعى أنّه حفيد إسماعيل بن جعفر الصادق ، إلا أنّهم لم يستطيعوا أن يلصقوا أنفسهم بأهل البيت كما فعل العبيديون.

خروجهم على الخلافة :

بعث زكرويه من مخبئه في العراق ابنه يحيى إلى بلاد الشام مع أتباع له من سلمية ،

¹ - محمود شاكر : القرامطة : ص 55. وعارف تامر القرامطة . اصلهم , نشأتهم.

ومحمد عبد الفتاح عليان . قرامطة العراق . صفحات مختلفة .

ومن بادية الشام وذلك عام 289هـ، وهاجموا الرقة وانتصروا على عسكرها، وساروا إلى دمشق وحاصروها، إلا أن جيوشها والمدافعين عنها رفضوا تسليمها ، واستطاع المدافعون عنها الصمود بمساعدة من أتاهم من مصر ومن الموصل بعد معارك طاحنة قتل فيها الكثير من الجيش الإسلامي، وما أن آلت إمارة الجيوش إلى **بدر الحمامي** صاحب ابن طولون ، حتى انقلبت موازين المعركة لصالح المسلمين، فهزم عساكر القرامطة ، وقتل **يحيى بن زكرويه القرمطي**، وقبل مقتله أخبر جيشه بأنه سيتركهم، ويصعد إلى السماء، وأنه سيبقى فيها أربعين يوماً ، وأن أخاه الحسين سيأتي ليحلّ محله في قيادة الجيش ، وأمرهم بالسمع لأخيه والطاعة له، ومع استلام الحسين لإمارة الجيش القرمطي انسحب من دمشق وهاجم حماة والمعة وبعلبك، وكان يبتّ حقه على كلّ منطقة يصل بطشه إليها ، فيقتل أهلها ويستحلّ نساءها ، ويعيث في الأرض الفساد. وقصد حلب في عام 291هـ غير أنهم هُزموا وعادوا إلى حمص، ولكنهم فوجئوا بجيش الخليفة هناك وعلى رأسه **محمد بن سليمان** الذي ما لبث أن اشتبك معه في معركة كان النصر فيها للمسلمين ، والخزي والعار للقرامطة، وأُسر الحسين هذا وأُرسل إلى الخليفة ببغداد، فعذبهم وقطع أيديهم ثم أحرقهم. فلما رأى زكرويه أنه قد فقد ولديه رأى أن لا شيء أمامه إلا أن يظهر نفسه، فجمع جموعاً واتّجه بهم إلى الكوفة ، وقاتل أهلها في عام 293هـ يوم النحر وقاتله أهلها قتالاً ثبتوا فيه وردّوا جيوشه إلى القادسيّة، ووجّه الخليفة جيشاً لحربهم إلا أن جيش الخليفة هُزم شرّ هزيمة، مما أعطى قوّة معنوية لزكرويه القرمطي، وبدأ في قطع الطريق على الحجاج كصاحبه القرمطي السابق، وكان إذا اعترض قافلة للحجاج لا يترك أحداً من رجالها إلا وقتله وأخذ أمواله، ولم يترك امرأة في ذلك الركب إلا سباها واستحلّ عرضها. وفي عام 294هـ اعترض قافلة فيها نساء

وخواصاً للخليفة وأموالاً وخزائن له، فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخذوا الأموال، فلما علم الخليفة المكتفي بذلك أرسل جيشاً على رأسه وصيف بن صوارتكين والتقى جيش الخليفة بجيش القرمطي، وبعد معركة طاحنة استبسل فيها جيش المسلمين انتهى اليوم الأول فيها سجالاً، وما إن أصبح الصباح حتّى رجحت كفة جيش المسلمين وأعملوا بجيش اللعين السيف، ومع حلول الظهر جرح زكرويه وقتل أغلب جيشه، وفرّ من بقي منهم فماتوا عطشاً في البادية، وحُمِلَ زكرويه إلى الخليفة إلاّ أنّه هلك في الطريق بعد خمسة أيّام، فشقّوا بطنه وحملوه إلى بغداد ليجعلوه عبرة لمن يعتبر، ومع مقتله انتهت سطوة القرامطة في العراق والشام، وبقيت فلول لهم غير ذات أثر هناك.⁽¹⁾ وقد انتهى قرامطة الشام بعد مقتل (يحيى بن زكرويه عام 290هـ) ومقتل أخيه (الحسين) عام (291هـ)، وتشتتوا وتفرقوا في البلاد ... (2) .

11- قرامطة اليمن :

اشتهرت اليمن بكثرة مذاهبها وطوائفها ، وكان دعاة الإسماعيلية يعتقدون أن دولة المهدي ستظهر في بلادهم ، وتمكن بالفعل (ابن حوشب) (3) وهو أول داع للإسماعيلية في

¹ - انظر : الملل والنحل، الشهرستاني، جزء 1. البغدادي ، الفرق بين الفرق، الفصل بين الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، جزء 2. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، جزء 5 و6. تاريخ الإسلام، الذهبي، حوادث عام 281 حتّى 320. باختصار

² - انظر : المقرئزي ، اتعاظ الحنفا ، ج1: ص 179.

³ - ورد اسم ابن حوشب عند المؤرخين على عدة صور ، فالداعي الإسماعيلي القاضي النعمان وهو أقربهم زمنياً إلى ابن حوشب قال : هو أبو القاسم الحسن فرج بن زاذان الكوفي ، والحمادي اليماني يسميه المنصور الحسن بن زاذان ، ويسميه ابن الأثير بأنه : رستم بن الحسين بن حوشب ، وجعل له ابن خلدون في كتابه العبر اسمين مختلفين ، وذكر المقرئزي له ثلاثة أسماء ولكني أميل إلى ما ذكره الداعي الإسماعيلي القاضي

اليمن مع حليفه علي بن الفضل القرمطي من إقامة دولة إسماعيلية في اليمن ، بعد دعوة استمرت سرا لمدة سنتين، ثم أظهرتا دعوتها سنة سبعين ومئتين . (¹) قال د. محمد كامل حسين : (ولعل أول حركة إسماعيلية ناجحة هي تلك الحركة التي قامت ببلاد اليمن ، حيث أن الداعي ابن حوشب استطاع أن يؤسس باسم الإمام الإسماعيلي المنتظر أول دولة إسماعيلية في التاريخ) (²) لكن المهدي عدل عن اليمن لنجاح الدعوة أكثر في المغرب ، محققا رغبة أبيه في إقامة دولته بالمغرب ، حين قال له مشيرا إلى نجاح ابن حوشب في اليمن : هذه دولتك قد قامت ، لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب . (³) وظلت الدعوة الإسماعيلية تنتشر في اليمن ويكثر أتباعها ، حتى طمع علي بن الفضل القرمطي في الاستقلال عن ابن حوشب ، فخلع طاعة عبيد الله المهدي ، وعادى صاحبه ابن حوشب ، واستولى على (المذيخرة) وأظهر بها مذهب القرمطي ، وجعلها دار ملكه ، وكتب إلى ابن حوشب ردا على معاتباته بقوله : (إنما هذه الدنيا شاة

النعمان فهو أقرب المؤرخين زمنيا الذين كتبوا عن ابن حوشب ، إضافة إلى أن القاضي النعمان كان قاضي قضاة الدولة الفاطمية . وأما لقبه فهو : منصور اليمن وقد اكتسبه بعد نجاحه في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن . انظر : القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص 32. والحمادي ، أسرار الباطنية ، ص 22. وابن الأثير ، الكامل : ج 8، ص 30. وابن خلدون : العبر ج 3، ص 760. وج 4، ص 68. والمقريري : اتعاظ الحنفا ، ص 68. والخطط ، ج 2: ص 160.

¹ - انظر : ابن حيون ، افتتاح الدعوة ، ص 44.

² - د. محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص 24.

³ - انظر : د. سليمان عبد الله السلومي ، أصول الإسماعيلية : ج 1 ص 381-382.

، ومن ظفر بها افترسها ، ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة ، لأنه خلع ميمونا وابنه ودعا إلى نفسه ، وأنا أدعو إلى نفسي.) (1) فوصفه دعاة الاسماعيلية بالكفر والضلال .. ودالت دولة قرامطة اليمن بعد موت علي بن الفضل (2) مسموماً عام (303 هـ) .. بعد أن عاث في اليمن فسادا استمر ما يقرب من خمسين سنة ، حيث ابتدأ أمرهم سنة

¹ - انظر : الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ، ص 33. و د. سليمان عبد الله السلومي ، أصول الإسماعيلية : ج1 ص383-384.

² - علي بن الفضل : هو أبو سبأ، الجَدَنِي، الخنفرِي، الجِشَانِي؛ عاش وتوفي في بلدة (المذيخرة) من بلاد (العدين)، في محافظة إب.....وهو مؤسس الدعوة (القرمطية) في اليمن، كان في أول عمره ينتحل عقيدة (الشيعية الاثني عشرية)، مغالياً في التشيع، وكان خاملاً لا عمل له ولا شهرة، إلا أنه كان أديباً، لبيباً، ذكياً، جريئاً.

خرج للحج، وزار قبر النبي - ﷺ - ، ثم ارتحل إلى الكوفة، لزيارة قبر (الحسين بن علي) - رضي الله عنه- ، فبكى عنده بكاءً شديداً، وكان إلى جواره رجلٌ يقال له: (ميمون بن داود بن سعيد القداح) أحد دعاة (الإسماعيلية)، و(عبيد الله الفاطمي) صاحب الدعوة (الفاطمية) بمصر، فلما أبصره سرهما حاله، وطمعا به، وعلما أنه ممن يميل إليهما، فاستمالاه، وأرسله عام 277هـ/889م، مع (منصور بن حسن بن حوشب) إلى اليمن، لنشر الدعوة الفاطمية فيها، وخرجا عن طريق البحر إلى ميناء (غليفة)، على سواحل بلاد زبيد، وافترقا هناك؛ فأقام صاحب الترجمة في منطقة (يافع)، وقصد رفيقه (ابن حوشب) بلاد (عدن لاعة)، في بلاد حجة. وفي (يافع) اعتزل صاحب الترجمة الناس، وسكن في جبل، وانقطع للعبادة، والظهور بمظهر العابد الصالح، حتى أسر الناس وأغراهم، فبايعوه، وبدأ بالاستيلاء على الحصون والقلاع، والسيطرة عليها، وعلى العديد من المدن، حتى دخل مدن صنعاء وزبيد، وادعى النبوة، فقال فيه بعض شعرائه:

خذي الدفَّ يا هذه والعبي وغنِّي هزاريك ثم اطربي

تولى نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب

فَحَطَّ الصلاة وحط الزكاة وحط الصيام ولم يُتَعَبِ

لكل نبي مضى شرعةً وهذي شريعة هذا النبي

أحل البنات مع الأمهات ومن فضله زاد حل الصبي

سبعين ومئتين ، وقضي عليهم نهائيا سنة 319 هـ، على يد أسعد بن أبي يعفر الذي وصفه الحمادي بقوله : (إن من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه ، بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه ، وقتل القرامطة ، وأحيا

إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين من الأقربين أو الأجنبي
فكيف حلت لهذا الغريب وصرت محرمة للأب؟
أليس الغراس لمن ربّه وأسقاه في الزمن المجذب
وما الخمر إلا كماء السماء حالاً فقدست من مذهب

وجعل عاصمة حكمه مدينة (المذيخرة)، بعد أن قتل سلطانها، وانتشر مذهب (القرامطة الباطنيين) في اليمن انتشاراً رهيباً، وكان الناس يدخلون فيه، خوفاً من بطش **علي بن الفضل** ؛ الذي لم يكن يتورع من ارتكاب أعتى الجرائم. وقاومه بشدة الأمير (**أسعد بن يعفر الحوالي**) أمير مدينة صنعاء، وحدثت بينهما العديد من المعارك، إلى أن قدم إلى مدينة صنعاء طبيب من أهل بغداد، وأعلن للحوالي عزمه على قتل صاحب الترجمة، وكان طبيباً مشهوراً بعمليات الفصد والحجامة، فأقام في مدينة (المذيخرة) مدة يداوي فيها الناس، حتى اشتهر ذكره. فطلبه **علي بن الفضل** ؛ ليجري له عملية فصد لدم في ظهره، وكان الداخل إليه يفتش تفتيشاً دقيقاً من قبل حراسه، فاستطاع الطبيب بحيلة ذكية أن يرش على لحيته قليلاً من السم، ولما دخل على (ابن الفضل) غير ثيابه أمامه، وغسل المبرد غسلاً جيداً، وكذلك يده، ثم مسح المبرد على لحيته، بقصد تجفيفه من الماء، ثم شق به ظهر صاحب الترجمة لإخراج الدم الفاسد، وبعدما أكمل مهمته، ركب فرسه وانطلق، ف شعر صاحب الترجمة بأثر السم يجري في دماؤه، فأمر حراسه بمطاردة الطبيب، فطارده؛ حتى وجدوه في (وادي السحول) شمالي مدينة إبّ، فقاتلهم حتى قُتل. ومات **علي بن الفضل** (303 هـ - 915م) بعد حكم دام تسعة عشر عاماً، عانت اليمن فيها أحلك فترات التاريخ السوداء. انظر: موسوعة أعلام اليمن ، للدكتور عبد الولي الشميري . نسخة اليكترونية .

الإسلام) (¹) وبعد سقوط المذخرة أخذ حكام اليمن يتتبعون بقايا القرامطة ، للقضاء عليهم وقطع دابرهم .

حقيقة القرامطة :

القرامطة من الإسماعيلية ، ساقوا الإمامة من إسماعيل بن جعفر الصادق ، إلى ولده محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنكروا موته ، وقالوا برجعته (²) ، وأنه المهدي المنتظر عندهم ، وهي أيضا فرقة باطنية إسماعيلية اعتمدت التنظيم السري ، وانتهجت المنهج العنيف في نشر آرائها ، وكانت في مجمل آرائها إباحية وملحدة . هذه هي حقيقة القرامطة .. (³)

بينما نجد بعض الكتاب من أصحاب الشمال ، يساريين ، وبقايا علمانيين ، وحدائيين ، يشيدون بهذه الفرقة ، ويصفونها بأوصاف لا تستحقها ، من أمثال الكاتب اليساري : الدكتور محمود إسماعيل . فقد حاول هذا الكاتب أن يثبت في الفصل الخامس من كتاب (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام . لبندلي الجوزي ، دراسة

¹ - انظر : الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ، ص 37-38.

² - الرجعة عند الشيعة تعني ، العودة بعد الموت . وهي من أصول المذهب الشيعي الاثني عشري وغيره يقول ابن بابويه (في الاعتقادات ص 90) : (واعتقادنا في الرجعة أنها حق) ، وقال المفيد : (وافقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات) (أوائل المقالات : ص 51) . قلت : هذا الأمر الذي اتفقت عليه الشيعة فيه مخالفة صريحة للكتاب والسنة اللتان نصتا على أن من قضى نحبه وانتهى أجله أنه لا يعود مرة أخرى حتى يبعث الناس من قبورهم يوم القيامة لقوله تعالى : (قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت . كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) وقوله تعالى : (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) صريح في أن الناس بعد موتهم يمكنون في البرزخ حتى تقوم الساعة .

³ - انظر : الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص 12.

وتحقيق) . أن هذه الحركة السرية التي كانت تعمل على تحطيم الإسلام هي حركة
تقدمية، تحررية مستتيرة..

وكان قد قال قبل ذلك " : (لا ريب في أن الإسماعيلية حزب شديد البأس ، يكاد
يكون حزبا حربيا ، خطته أقرب إلى الهجوم منها إلى الدفاع ، حزب حاول أن يقضي
على دولة بني العباس ، ويبني على أنقاضها دولة جديدة ذات نظام اشتراكي) (¹)
وقال في موضع آخر (²) : " إن القرامطة تجربة رائدة في الاشتراكية"، وتحت هذا
العنوان جعل " داعيتهم **عبدان**".. ليس داعياً مشهوراً، تقانى في نشر الدعوة وحسب، بل
صاحب مدرسة ورائد جماعة فكرية، ظلت مخرصة لآرائه بعد مماته، ونقل عن

الفهرست لابن النديم أنه أَلَفَ في المذهب عشرة كتب قيِّمة !! ؟ ثم قال في
الصفحة نفسها " :ولكن شيئاً من تراث تلك المدرسة لم يصل إلينا (فكيف عرف
أنها قيمة .. أم أنه عرف ذلك بالتجسيم كعادة اليساريين عموماً .. ؟!) ومن ثم فكل ما
يعول عليه دراسة القرامطة مستمد من المصادر السنية والشيعية فقط، وهي معادية
للقرامطة على طول الخط.. وهذا الاتفاق والإجماع لا يمكن أن يُتخذ بحال ذريعة
للتسليم بصحة ما أورده مؤرخو الشيعة والسنة عن القرامطة ، إذ ينطوي على افتراءات
واتهامات باطلة .. فالمعقول أن هذا الإجماع مدعاة للشك أكثر منه قرينة على اليقين.."
ثم غمز علماء الأمة جميعاً قائلاً: "إنهم ينتمون إلى طبقة أهل القلم التي تدين بوضعها

¹ - بندلي جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، دراسة وتحقيق د. محمود إسماعيل ، ص 180

² - انظر : د. محمود إسماعيل ، الحركات السرية في الإسلام ، ص 149 وما بعدها . وكل ما ذكره هذا

الكاتب تلخيص وترديد لما ذكره بندلي جوزي من افتراءات في كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية في

الإسلام) .

المتفوق لإنعامات وهبات الحكام، وبديهي أن ينظر هؤلاء وأولئك باستعلاء لحركة قوامها المستضعفون من العمال والفلاحين..". وراح الكاتب (¹) يكشف عن عظمة القرامطة، وما أدوه من دور في التاريخ الإسلامي، داعياً لنا أن نقف على عبقرية ذلك العمل السري الذي أقام تلك الدولة لتظل شوكة في جنب الخلافة العباسية ما ينيف على قرن من الزمان" كما كان الخوارج شوكة في جنب الخلافة الأموية () والخوارج والاسماعيلية من أتباع ابن سبأ اليهودي اليماني كما أثبتنا في دراسة مستقلة عنه ستتشق قريباً) وهو يرى أن القرامطة أهل صلاح وثقى ينقطعون للصلاة والعبادة.. وأن داعيتهم زكرويه القرمطي عظم قدره في أعين الناس، وصارت له مرتبة في الفقه والدين، وأن حمدان قرمط . زعيم الحركة . عرف بالزهد والتعبد.. فحركة القرامطة عنده كانت ثورة اجتماعية باسم الدين، وليست حركة مروق.."

أما جرائمهم وسفكهم الدماء، وقطعهم الطرق، وترويعهم الآمنين، وفتكهم بحجاج بيت الله الحرام الآمنين، وقتلهم للحجاج ، ورميهم في بئر زمزم ، وفضائهم التي تقشع لاهولها الأبدان، من تدمير للبلاد، وحرق للزروع، وطمر للآبار وعيون المياه، بالجثث، وعظام الضحايا وجماجمهم ... كل ذلك عند الكاتب مغفور للقرامطة (²) ثم يقول مؤنباً كتاب عصرنا: "والواقع أن المعاصرين لم ينظروا إلى هذا الحادث باعتباره حادثاً جليلاً،

¹ - وهكذا كل الكتاب (الشلفاويين) اليساريين أمثال : الكاتب : نبيل عبد الأمير الربيعي ، في الحوار المتمدن العدد : (3357) . وانظر : د. محمود إسماعيل ، الحركات السرية في الإسلام ، ص 149-195 .

² - دخل القرامطة المسجد الحرام فسفكوا دم الحبيج في وسط المسجد وحول الكعبة وكسروا الحجر الاسود واقتلعوه من موضعه، وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فمكث غائباً عن موضعه من البيت ثنتين وعشرين سنة ؟!

كما فعل اللاحقون ، فقد انتهكت حرمة الكعبة مرتين، وضربت بالمجانيق في العصر الأموي، كما كان المتصوفة -آنئذٍ- يعتبرون الحجر الأسود وتقديسه ضرباً من الوثنية...!!

ولذلك وجب على الدارسين التخفيف من غلوائهم، ولننظر إلى هذا الحادث على أنه أمر طبيعي أملتة طبيعة العصر وظروفه السياسية...أسمعتهم؟ إن العدوان على الحرم ونزع الحجر الأسود أمر طبيعي أيها الرجعيون فخففوا من غلوائكم!!! ويمضي الكاتب في تزييفه للحقائق،وتأويلاته الفاسدة قائلاً: "أجمع مؤرخو السنة والشيعنة على اتهام القرامطة بإبطال التكاليف الشرعية؛ فذكر "الملطي": أنهم يزعمون أن الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض نافلة لا فرض، كما قال "البغدادي": وزعموا أن من عرف العبادة، سقط عنه فرضها، وفي الاتجاه نفسه نجد الغزالي يقول: "ترك القرامطة تأدية العبادات...هكذا يوهم القاريء بالحيدة العلمية وأنه يذكر الآراء المخالفة لرأيه من مراجعها الأصلية، ويعزوها إلى أماكنها من الصفحات والأجزاء قبل أن يناقشها ويردها...!!

جاء في الطبري ما نصه: "وفيها أي في سنة (278هـ) وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة..فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف، ويأكل من كسبه، ويكثر الصلاة فأقام على ذلك مدة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين، وزهده في الدنيا، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة، حتى فشا ذلك عنه...". هذا بعض ما ذكره الطبري وهو يتحدث عن بدء أمر القرامطة... ثم قال في موضع آخر: "...فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة، وأنهم قد أحدثوا ديناً غير

الإسلام، وأنهم يرون السيف على أمة محمد، إلا من بايعهم على دينهم.. وأنهم جاؤوا بكتاب فيه: "... بسم الله الرحمن الرحيم: يقول الفرج بن عثمان..... أن الصلاة أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، مرتين، أشهد أن آدم رسول الله، أشهد أن نوحًا رسول الله، أشهد أن إبراهيم رسول الله، أشهد أن موسى رسول الله، وأشهد أن عيسى رسول الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنيفة رسول الله، وأن يقرأ في كل ركعة دعاء الاستفتاح، وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنيفة، والقبلة إلى بيت المقدس، والحج إلى بيت المقدس، ويوم الجمعة هو يوم الاثنين لا يُعمل فيه شيء ويقرأ السورة (الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه، المتخذ لأوليائه بأوليائه، قل إن الأهلّة مواقيت للناس، ظاهرها ليُعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنها أوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيلي، اتقون يا أولي الألباب، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم....).

ثم يركع ويقول في ركوعه: سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون !
يقول لها مرتين، فإذا سجد قال: الله أعلى، الله أعلى، الله أعظم، الله أعظم...
والصوم عندهم يومان في السنة وهما : المهرجان والنيروز، وأن النبيذ حرام والخمر حلال، ولاغسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة، وأن من حاربه وجب قتله ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية.⁽¹⁾ هذا ما ورد في الطبري في الموضعين

¹ - تاريخ الطبري ج7، ص70-71.

الذين أشار إليهما المؤلف، فما ذكره الطبري عن القرامطة: عند كل من يعرف القراءة والكتابة هو بنص الطبري:

. أحدثوا ديناً غير الإسلام..... - . لهم كتاب غير القرآن.

. صلاتهم غير صلاتنا (مرتان في اليوم).....

- . حجهم وقبلتهم إلى بيت المقدس.... . يرون السيف على أمة محمد - ﷺ -

. . لهم نبي غير نبينا - ﷺ - .. عيدهم الأسبوعي يوم الاثنين وليس الجمعة.

صومهم يومان في السنة (يوم المهرجان ويوم النيروز) وهما من أعياد المجوس.

الخمر حلال..... ولا يتطهرون من الجنابة....ومن يقاوم مذهبهم يجب قتله.

هذا ما جاء به القرامطة، وهذا هو دينهم، وهذا ربما قرأه الأستاذ الدكتور في الطبري ،

فهل يقرأ هذا الكلام عاقل، ثم يحدثنا عن صلاح القرامطة، وورعهم، وصدق دينهم،

وأن أعداءهم من كتاب السلاطين كذبوا عليهم ، وادعوا عليهم افتراءات واتهامات

باطلة؟؟ (¹)

إن حركة القرامطة حركة باطنية إباحية هدامة ، قامت على الاشلاء والدماء ، وعبثت

بالقيم والأخلاق ، فدمرت القرى والمدن ، وقتلت الشيوخ والنساء والأطفال ، ووصل بها

الأمر إلى انتهاك حرمة الأماكن المقدسة ، وقتل حجاج بيت الله الحرام ، والقاء جثثهم

في بئر زمزم؟؟ وهو ما قامت به حركات يسارية مثل (أنصار السلام) و (المقاومة

¹ - المرجع السابق ج 7 : ص 74-75 . وانظر : د. عبد العظيم محمود الديب :نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ص 65 -69 ، بتصرف واختصار . وانظر : د. محمود إسماعيل ، الحركات السرية في الإسلام ، ص 149-195.

الشعبية) وهم واجهات الحزب الشيوعي العراقي في كل من مدينة الموصل (آذار 1959م) و مدينة كركوك (تموز 1959م) من قتل وذبح للمعارضين لهم من العرب والتركمان ، وسحل الجثث في الشوارع وتعليقها على أعمدة الكهرباء ، أو دفنهم أحياء ، وأقاموا حمامات الدم في كل المناطق التي ابتليت بهم ، والصور والوثائق العيانية ما زالت شاهدة ، فضلا عن شهود العيان وذوي الشهداء الذين مازالوا أحياء ...!!! بل إن كثيرا من هذه الحركات اليسارية كانت تنادي علنا بشعارهم القرمطي السخيف في مظاهراتهم الماجنة قائلين : [بعد شهر ماكو مَهْر ونُذْبِ (أي : ونَرْمِي) القاضي بالنَّهر]؟! على أية حال .. فهكذا كان دور الماركسيين واليساريين عموما في الوطن العربي حتى أسلموه للاستعمار العبري ..!

وهل يلعن النور ، وينصر الظلام ويمدحه سوى الصُّم ، البُكْم ، العُمي ، الذين لا يعقلون ؟!..

رابعاً : طائفة الدروز

التسمية والنشأة :

طائفة الدروز طائفة باطنية، انشقت عن الإسماعيلية ، وجاهرت بالغلو في شخصية الحاكم فانشقت عن المذهب الإسماعيلي ، ورغم انشقاقها وتفردتها ببعض المعتقدات ، فإنها بلا شك وليدة الدعوة الإسماعيلية وبتعبير أدق جناحا من أجنحتها.

(1) واتخذت لها مبادئ تخالف في ظاهرها مبادئ الإسماعيلية، وإن كانت تتفق معها في جوهرها .

ولعدم اظهار هذه الفرقة لمعتقدها ، ولكتبها واحاطتها بسرّية كبيرة، فإن معظم ما كُتِبَ في بيان معتقدها، - كما يقول آية الله جعفر السبحاني الاثنى عشري - لا يمكن الركون أو التعويل عليه (2)

والمعلوم عن أصل هذه الفرقة هو، أنّه وبعد توقف " الواقفية " عند " اسماعيل بن جعفر "، استمرت جماعة من الإسماعيلية بالقول باستمرار الإمامة في ذريّة " اسماعيل "، فأمنوا بأنّ الإمامة بعد " اسماعيل بن جعفر " انتقلت إلى ابنه: محمد بن اسماعيل " الملقّب بـ " الحبيب "، ثم في ذريته من بعده، إلى أنّ وصلوا إلى: المنصور بن نزار بن معد، الملقّب بـ الحاكم بأمر الله ، فخرجت جماعة عن الخط العام للإسماعيلية، من خلال توقفهم عند إمامة الحاكم بأمر الله وقالو بغيبته، فسموا بالدروز وكذلك يُعرفون بـ بني معروف .

ووجه التسمية لهذه الفرقة، تعود لمؤسسها المتصوف الباطني حمزة بن علي بن أحمد الحاكمي الدرزي الفارسي الأصل، الذي استقدمه الحاكم بأمر الله ، أو قدم هو بنفسه إلى مصر، وبعد موت " الحاكم بأمر الله "، استقرّ في بلاد الشام ينشر دعوته فيها، وقد نفى حمزة الدرزي موت الحاكم بأمر الله وادّعى غيبته، بل هناك من

1 - أصول الاسماعيلية ، سليمان بن عبد الله السلومي ، 2: 358

2 - الملل والنحل للسبحاني، ج 8 ص 343 - 361، الباب السادس

يقول أنه أَلَّهَهُ وقال بحلول الخالق فيه، ويعتبر حمزة من الشخصيات التي لها مكانة وقداسة رفيعة عند الدروز. (1)

والدروز في اللغة : لفظ فارسي معرب، ويُقال للقمل والصئبان بنات الدروز، وبنو درز: الخياطون والحاكة، وأولاد درزة: السفلة، والغوغاء من الناس(2). وسبب تسميتهم بهذا الاسم يرجع إلى محمد بن إسماعيل الدرزي المسمى نشتكين، والدروز "يعتبرون نشتكين الدرزي" زنديقًا ومحرّفًا للحقائق، ويحب الدروز أن يُلقبوا بالموحدين، أو (ببني معروف) ولا يحبون أن يُطلق عليهم اسم الدروز، حيث إن حمزة بن علي في رسائله يكثر من ذكر (الموحدين) فيقول في أحد رسائله: (معاشر الموحدين إن الإسلام باب الإيمان، والإيمان باب التوحيد)(3). جاء في لسان العرب: (الدَّرَزُ واحد دُرُوز الثوب، ويقال للقمل والصئبان بنات الدُرُوز. وبنو دَرَزٍ: الخياطون والحاكة. وأولاد دَرَزَةٍ: الغوغاء. ويقال للدَّعِيّ هو ابن دَرَزَةٍ، إذا كان ابن أُمّةٍ تُساعي فجاءت به من المُساعاة ولا يعرف له أب، ويقال للسَّفَلَة: أولاد دَرَزَةٍ كما قال الشاعر يخاطب زيد بن علي: (أولاد دَرَزَةٍ أَسْلَموكَ وطاروا)(4) وعلى هذا فإن كلمة "درزي" لحقت محمد بن إسماعيل، كمزمنة يُذم بها؛ لأن كلمة (خياط وحائك) تطلق على من يلفق الأمور وينسج الأكاذيب ويحيك المؤامرات على منوال ما ينسج الحاكة الثياب؛ وهذه

1 - المذاهب الإسلامية للسبحاني: ص 342

2- انظر: لسان العرب 348/5، والقاموس المحيط 175/2، مختار الصحاح ص202.

3- مذهب الدروز والتوحيد، ص83.

4 - لسان العرب مادة درز

الصفة هي التي وصف (حمزة بن علي) بها محمد بن إسماعيل، حيث كان يقول:
(وغطريس هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين..) (¹)
كما أن كلمة "درزي" تطلق على الغوغاء والسفلة والأدعياء.. وهذا ما أطلقه المسلمون
على هذه الفرقة التي ادعت إلهية الحاكم بأمر الله، ولكن اسم "دروز" لصق بهم؛ لأن
مصنفي الفرق الإسلامية يطلقون على خصومهم، نكاية بهم، أشد ما يكرهون من
الأسماء.

نشأتها :

ظهرت الطائفة الدرزية في القرن الحادي عشر ، في عصر سادس الخلفاء الفاطميين
أبي علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي، الملقب بـ "الحاكم بأمر
الله" ، الذي تولى حكم مصر في القرن الرابع الهجري ، وكان عمره آنذاك أحد عشر
عاماً، وتولى معه شئون الدولة ثلاثة من الأوصياء، وبقي الأمر كذلك حتى سنة
390هـ حينما استطاع الحاكم قتل أحد الأوصياء عليه، وتولى منذ ذلك الحين زمام
الأمر .

وقد بدأ الحاكم بأمر الله الفاطمي حكمه بقتل عدد من كبار رجال الدولة، وإصدار
قوانين غريبة شاذة، يحرم فيها أشياء كثيرة، ثم يعود بعد ذلك إلى إباحتها، بشكل
متناقض، وأتبع ذلك بقتل الكثير من خدم قصره ، والكُتّبة ، ومن عامة الناس، وكان
كل هذا تمهيداً لإعلان ما يعتلج في نفسه من ادعاء الربوبية⁽²⁾ .

¹ - رسالة الغاية والنصيحة ، تأليف حمزة، وتاريخها شهر ربيع الآخر سنة 409 هـ.

² - انظر : عقيدة الدروز : للخطيب ، ص30 ، دراسات في الفرق والمذاهب ، ص158-159.

ولقد وصفه (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي) في كتابه (النجوم الزاهرة) فقال : (وكانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام، وجبن وإحجام، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميل إلى الصلاح وقتل الصالحاء، وكان الغالب عليه السخاء، وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط، وأقام يلبس الصوف سبع سنين ، وامتنع عن دخول الحمام، وأقام سنين في ضوء الشمس اللامع ليل نهار ، ثم عنَّ له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة، وقتل من العلماء والكتاب الأوائل ما لا يحصى، وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعائشة ، وطلحة ، والزبير ومعاوية ، وعمر بن العاص، ثم محاه بعد سنتين □□⁽¹⁾ .

ويقول عبد الله النجار : □ (كان غريب الأطوار، مستبدًا، متقلبًا، كثير السخاء والجود، متصوفًا، زاهدًا ، لبس الصوف الخشن تنسكاً وقنوتاً سبع سنوات، وأنار الشموع ليلاً ونهاراً سبع سنوات، وألزم نساء القاهرة بيوتهن سبع سنوات، ومنع فتح نوافذ للبيوت تطل على الشوارع، ونهى عن أكل الملوخية، وحرّم من البقول الجرجير ، كما حرّم الخمر بموجب سجل قُرئ على المنابر، ومنع صلاة التراويح عشرين سنة ثم أباحها ⁽²⁾ .

وكان يتظاهر بأنه يعلم الغيب حيث اتخذ عدداً كبيراً من الجواسيس رجالاً ونساءً يندسون في البيوت ويعملون فيها كخدم ويرفعون إليه الأخبار يومياً فيحدث الناس بخصوصياتهم حتى يخيل إليهم أنه يعلم الغيب⁽³⁾ .

¹ - عقيدة الدروز ، ص42 ، عن كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، 4/176-177.

² - مذهب الدروز والتوحيد : عبد الله النجار ، ص106 .

³ - انظر : دراسات في الفرق والمذاهب ، ص159 .

وقام الحاكم بأمر الله الفاطمي بتأسيس مقرأ لإعداد الدعاة الإسماعيليين أسماه
(دار الحكمة) حيث التف حوله طائفة من دعاة الإسماعيلية الذين زينوا له فكرة
ألوهيته التي كانت تعتلج في نفسه ، ويتحين الفرصة للإعلان عنها⁽¹⁾.
بدأت الدعوة الجهرية لألوهية الحاكم عام 408هـ على يد ثلاثة من دعاة
الإسماعيلية هم : حمزة بن علي الزوزني □ ، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل
الدرزي المعروف بنوشتكين أو أنوشتكين ، والحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف
بالأخرم أو الأجدع .

1 - أما حمزة بن علي بن أحمد الزوزني ويعرف باللباد أصله من زوزن بالقرب من
نيسابور، أي أنه فارسي الأصل قدم مصر سنة 405هـ، وانتظم في سلك الدعاة
الذين كانوا يختلفون إلى دار الحكمة ، ويعتبر حمزة بن علي، من الذين تأثر بهم
الحاكم، وربما كان هو الذي أوحى إليه بكل ما قام به من أعمال متناقضة، وتصرفات
شاذة⁽²⁾... ويعتبر (حمزة بن علي) كذلك مهندس النحلة الدرزية، وكان على درجة عالية
من الفلسفة والعلم وتقرب من بلاط الحاكم بأمر الله، حتى قرب منه وبدأ يكتب الرسائل
وفلسف الأفعال غير المنطقية والشاذة للحاكم بأمر الله، وأغدق عليه الأموال وبدأ يزداد
نشاطه في الدعوة ، وفي كتابة رسائل الحكمة الدرزية.

وخلال وجود حمزة بقصر الحاكم، كان يطلع على كتب الدعوة الفاطمية، فأفادته في
تلوين عقليته، وتوجيه فكره إلى ما يرضي طموحه، ويحقق آماله، وفي (سنة 408هـ)

¹ - انظر : دراسات في الفرق والمذاهب ، ص 159 .

² - انظر: د. محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص 72..

لقبه (الحاكم) بالإمام، وأطلقه يذيع المذهب الجديد، ولذلك جعلت تلك السنة (مبدأ تقويم حمزة) وبالتالي (مبدأ تقويم الدروز) وتسمى سنة الكشف⁽¹⁾.

2- وأما محمد بن إسماعيل الدرزي فيقال إنه تركي أصله من فارس ويُدعى نشتكين، جاء إلى مصر عام 407هـ أو قبلها بقليل، واتصل بحمزة وعمل معه على رسم خطط الدعوة، وقد اتفق حمزة معه ومع غيره على ألا يجهر أحد بالدعوة، أو يكشف مضمون المذهب إلا بعد الإذن في ذلك منه، ولكن يبدو أن الداعي نشتكين بادر إلى الكشف عن أسرار الدعوة، واتصل بالحاكم وحسّن له فكرة ادعاء الألوهية، ويبدو أن الحاكم وافقه سرّاً وترك له إعلان هذا الأمر، فلما أعلن الدرزي الدعوة إلى تأليه الحاكم بالجامع الأزهر بالقاهرة، ثار عليه الناس وأرادوا الفتك به، فأعلن الحاكم البراءة منه ومن دعوته، ولكن في نفس الوقت وفر له طريق الفرار إلى بلاد الشام، فأخذ يدعو إلى المذهب الجديد، فاستمال الكثير من سكان وادي التيم⁽²⁾ - وهو ما يعرف الآن بالشوف، وما يجاورها في -الجمهورية اللبنانية - حيث بث الدعوة بين سكان هذا الوادي ولقي استجابة منهم، ولكنه انحرف بعد ذلك عن مبادئ حمزة فأمر بقتله فقتل، وقيل أن حمزة دبر قتله غضباً عليه لجهره بالدعوة قبل أن يأذن له .

ولم يكن نشتكين على قسط كبير من العلم والفلسفة والتأليف مثل (حمزة بن علي)، فلم

¹ - انظر : مذهب الدروز والتوحيد- عبد الله النجار ص 111.

² - وادي التيم : هو وادي طويل وخصيب على السفوح الغربية لجبل الشيخ في جنوب شرق لبنان. يربط الجنوب اللبناني الحالي بالبقاع ويمتد من راشيا الوادي إلى مرج الزهور وحتى حاصبيا وكوكبا. يمر به ويسقي سهوله نهر الحاصباني لذلك ازدهرت العديد من الزراعات فيه وبالاخص الكرمة والزيتون. وكانت المنطقة مركز نشوء مذهب الدروز. واحتلها الصليبيون وأنشأوا فيها القلاع والحصون. وهو ما يعرف الآن بـ (الشوف) ويتبع الجمهورية اللبنانية وهو مركز من مراكز تواجد الدروز في لبنان. انظر : ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

يعرف عنه أي مؤلفات أو شروحات للعقيدة الدرزية ، إنما كان نبوغه في التطبيق العملي للتعاليم الدرزية التي حفظها عن حمزة بن علي، وكان له قدرة على مخاطبة الجماهير والتأثير بهم، والعجيب انه بالرغم من قلة درايته بالكتابة والتأليف، وضآلة حظه من العلم والفلسفة فإنه يرجع إليه الفضل في نشر المذهب الدرزي في الشام، ولولاه لما انتشر المذهب الدرزي في وادي التيم وغيره، حيث هرب إلى هناك ، ومكث يدعو إلى هذه النحلة الجديدة حتى هلك¹ وكان من أهم الأسباب وراء اختفاء اسمه الحقيقي قصر باعه في الكتابة والتأليف حيث لم يعرف عنه أي أثر كتابي يذكر فيه اسمه الحقيقي، إنما عرفنا اسمه من خصومه الذين كانوا يبغضونه ويلقبونه بالدرزي نكاية به وسخرية منه¹. (1)

3- وأما الحسن بن حيدرة الفرغاني الملقب بالأجدع أو الأخرم ، فلا يعلم عنه إلا الشيء القليل، ذلك أنه ظهر بمدينة القاهرة عقب ظهور حمزة بقليل، حيث دعا إلى مثل ما دعا إليه حمزة من الحلول وألوهية الحاكم، ولكن يقال إنه بث دعوة تأليه الحاكم بتواطؤ مع الحاكم نفسه وبإيعاز منه حيث كان يبعث بالرسائل إلى الناس يدعوهم فيها إلى العقيدة الجديدة، مما جعل الحاكم يقربه منه ويكرمه ويرعاه ، ولكن لم يدم ذلك طويلاً حيث وثب على الفرغاني رجل من المسلمين فقتله ، وقتل معه ثلاثة رجال

¹ - انظر : د. نافذ الشاعر ، الدروز في القرآن ، ص 1 .

من أتباعه، فغضب الحاكم وأمر بإعدام قاتله ، ودفن الأخرم على نفقة القصر في حفل رسمي، كما أن جمهور المسلمين احتفلوا بمآتم القاتل ودفنوه مكرماً⁽¹⁾ .

هذه الشخصيات الثلاث قامت بالتنسيق مع الحاكم بأمر الله الفاطمي بتأسيس عقيدة الدروز القائمة أساساً على تأليه الحاكم، وقد كان الاتفاق بينهم على سرية الفكرة وعدم الإعلان عنها إلا بأمر من حمزة، ولكن تسرع محمد الدرزي وأعلن عن عقيدتهم مخالفاً تعليمات حمزة ، فما كان من حمزة الزوزني إلا أن جهر هو كذلك بالدعوة الجديدة^[2] ، وأخرج مذهبهم من دور الستر إلى العلن، فدعا إلى تأليه الحاكم ، وأظهر نشاطه هذا سنة 408هـ فأدى ذلك إلى محاربة المسلمين لهذا الكفر، وقتل الفرغاني ، وملاحقة حمزة والدرزي، مما أدى إلى تدخل الحاكم بأمر الله الفاطمي وحمائيهما، ففر محمد الدرزي إلى بلاد الشام. **ويقال:** إن الحاكم هو الذي نصح الدرزي بالرحيل إلى هذه المنطقة في الشام، وأعانه بالمال اللازم لذلك. وبعد اختفاء الدرزي وبقيّة الدعاة من الساحة، صار أمر الدعوة الجديدة إلى (حمزة بن علي) فلقب نفسه بـ (هادي المستجيبين) و(إمام الزمان)، و(قائم الزمان)، ثم أخذ يكتب الرسائل التي أودعها مبادئ مذهبهم، ويبعثها إلى المؤيدين والمخالفين، إلى أن كثر مؤيدوه وأتباعه، ثم أخذ حمزة ينظم دعوته، ويعين الدعاة في الأقاليم متقبساً نفس النظام الذي تعلمه من الإسماعيلية، واستطاع بواسطتهم نشر مذهبهم في معظم البلدان التابعة للدولة الفاطمية

¹ - انظر: مذهب الدروز والتوحيد، ص123 وما بعدها، عقيدة الدروز، ص103 وما بعدها، دراسة عن الفرق، ص262-263، الحركات الباطنية: للخطيب، ص208-209، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص320 .

آنذاك، وبخاصة في بلاد الشام⁽¹⁾. يقول عبد الله النجار: (اختفى حمزة فلم نقف له على ذكر عَلي مدى سنة 409هـ التي وصفت في مواضع كثيرة من الرسائل بأنها سنة المحنة والامتحان والعذاب، لم يمارس فيها حمزة سلطته . وقالوا: (إن القصد من الغيبة امتحان الموحدين .. ويبدو أن حمزة لم يكن في القاهرة حيث يقيم الحاكم، بل كان مختفياً في مكان آخر ، كما يبدو أنه كان حائزاً تأييد الحاكم □)⁽²⁾ .

ثم ظهر حمزة سنة 410هـ واستمر في دعوته ونشر رسائله حتى مقتل الحاكم عام 411هـ حيث اختفى ثانية، ولكنه استمر في نشاطه بعد هذا التاريخ ولفترة استمرت قرابة العشرين عاماً، إذ نسبت له رسائل خلال هذه الفترة، ولكن اختفائه بعد مقتل الحاكم يعتبر الغيبة الأخيرة والتي مات فيها وهي سنة 430هـ ، حيث كتب لأتباعه يدعوهم للإيمان برجوع حمزة، وإلى طاعة ولي الحق الإمام المنتظر . كما عهد بالدعوة من بعده إلى المقتنى بهاء الدين أبي الحسن علي بن أحمد المعروف (بالضيف) وأوكل إليه القيام بشؤون الدعوة، وقد قام الضيف بنشاط كبير حيث كتب الكثير من الرسائل ، كما شرح رسائل حمزة ، واستمر في نشاطه حتى اعتزاله سنة 434هـ ، بعد أن أقفل باب الاجتهاد حرصاً على الأصول والأحكام التي وضعها حمزة وما وضعه هو نفسه⁽³⁾ .

¹ - انظر طائفة الدروز - د. محمد كامل حسين ص 77.

² - مذهب الدروز والتوحيد، ص 115-116 .

³ - انظر : مذاهب الدروز والتوحيد ص 125-126 ، الحركات الباطنية ، ص 264، دراسة عن الفرق ،

ص 265 .

وأما نهاية الحاكم بأمر الله الفاطمي فقد كانت غامضة حيث حصل خلاف حول نهايته، ف قيل إن أخته ست الملك دبرت اغتياله أثناء جولته التي كان يقوم بها على سفح جبل المقطم، ومما دفعها لذلك أنه اتهمها في أخلاقها، وكان يبدي سخطه عليها ، وكرهه لها ، فاننقمت منه، وإلى جانب ذلك تصرفات الحاكم غريبة الأطوار التي خوفتها من أن تؤدي إلى نهاية الدولة الفاطمية فكان لا بد من التخلص منه⁽¹⁾ . وعندما قتل الحاكم بأمر الله بجوار جبل المقطم في القاهرة،⁽²⁾ أعلن (حمزة) أن الحاكم صعد إلى السماء.. وسيعود في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويُظهر مذهب الدروز على غيره من المذاهب والأديان⁽³⁾ .

وبالفعل استقر حمزة في مصر مدة ثلاث سنوات، كتب خلالها رسائل كثيرة ، ولما وجد ان دعوته وضعت أقدامها في الشام، رأى من الضرورة أن يتوجه إلى (وادي التيم) ، بصحبة دعائه (أبي عبد الله محمد بن وهب القرشي) و(أبو إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي)، وأن يلقي بأعباء الدعوة في مصر على الداعي (بهاء الدين أبي الحسن علي بن أحمد السموقي)، المعروف بـ (الضيف)، واستمر بهاء الدين بنشر الدعوة، وتوجيه الرسائل إلى الذين ارتدوا عن المذهب، بعد أن كانوا من دعائه أمثال (معاذ بن محمد) و(ظاهر بن تميم)، فوجه لهما رسالة تحت عنوان (التبنيه والتأنيب) كما وجه رسالة أخرى أسماها (الحقائق والإنذار والتأديب لجمع الخلائق) إلى أتباعه في لبنان، واقليم حوران، ووادي التيم، يندد فيها ببعض الأفكار التي انتشرت بفعل المرتدين عن المذهب

¹ - انظر : البداية والنهاية 10/12 ، مذهب الدروز ص109 ، دراسة عن الفرق ص268 .

² - وبالتحديد قرب مصنع هلال شتا ..الواقع بين جامعة الأزهر ومدينة البعوث الاسلامية في العباسية بالقاهرة

³ - انظر : عقيدة الدروز ، ص84 .

بعد وفاة (حمزة)، والتي اعتبرها مخالفة لتعاليم (قائم الزمان)، واتهم الدعاة الذين يروجون لتلك الأفكار، بأنهم دجالون مخادعون. ولما شعر - بهاء الدين - باضطراب الأحوال، بعد أن كثرت الآراء الدخيلة على المذهب، اعتزل الدعوة بعد أن أقفل باب الاجتهاد، حرصاً على الأصول والأحكام التي وضعها بالإشتراك مع التميمي وحمزة⁽¹⁾. ومنذ ذلك الوقت اقتصر الدروز على شرح كتب ورسائل دعائهم، دون أن يحاولوا ادخال تعديل عليها، بل امتنعوا عن التبشير بمذهبهم وعقيدتهم، وأغلقوا باب الانتساب لهذا المذهب.. وبقيت العقيدة الدرزية جامدة على أصولها ، إلى أن ظهر كمال جنبلاط - وهو أحد زعماء الدروز ، ومن السياسيين اللبنانيين البارزين - اغتيل سنة 1977م في أحداث لبنان - حاول أن يطور دينه الدرزي بما يتناسب وروح العصر ، فكتب كتاباً أسماه (مصحف الدروز " أو المنفرد بذاته) بالتعاون مع الدرزي - المقيم في أمريكا - عاطف العجمي، وحاول أن ينسبه إلى حمزة بن علي ، ولكن ألفاظه وأسلوبه العصري يدلان على أنه كُتب في العصر الحديث ، واقتبس كثيراً من آيات القرآن التي توافق هواه ، فبدل وغير فيها ما يشاء، وخاصة آيات القيامة والجنة والنار، وآيات الوعيد للكافرين ، فحرفها لتدل على ما يرمي إليه ، وهو أن العذاب سيكون لكل من يكفر بالوهمية الحاكم، والنعيم سيكون للموحدين الذين يعبدون الحاكم⁽²⁾

وأما مصادر الشريعة عندهم فهي الديانات السابقة ، والفلسفات والمذاهب القديمة ، والأفكار الباطنية □، يقول عبد الله النجار عن المذهب الدرزي بأنه : (منسوب إلى

¹ - انظر الحركات الباطنية في الإسلام، د. مصطفى غالب ص 252.

² - انظر : المرجع السابق : ص 95-96 .

أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس. ومن هذه المصادر الثلاثة انحدر المذهب إلى الدروز الذين يعتبرون هؤلاء الفلاسفة أسيادهم الروحيين . ويقول أيضاً: والدروز يقولون إن إخوان الصفاء إخوانهم وقد تكون كتب الحكمة الستة إتماماً لرسائلهم (¹). ويقول كمال جنبلاط: (الشريعة الدرزية مأخوذة من القرآن، ومن ستة عشر كتاباً خطياً لا يسمح لأحد بالاطلاع عليها، كما أنها تأخذ تعاليمها من الفلسفة اليونانية وبخاصة الأفلاطونية القديمة، والمسيحية ، والإسلام، والبوذية، والفرعونية القديمة، ويعتبرون إخوان الصفاء من الدروز لتشابه الأفكار بينهما، وقد كان إخوان الصفاء يطالبون بمزج الشريعة الإسلامية بالفلسفة اليونانية) (²).

من عقائد الدروز:

قليل الكثير ممن كتب عنهم، فمنهم من أخرجهم من الإسلام بالجملة: بسبب قولهم بتناسخ الأرواح، وحلول الخالق في " الحكام بأمر الله " الفاطمي، وقولهم بنبوة " سلمان الفارسي"، بل هناك من ينقل أنهم لا يؤمنون ببعض الأنبياء ومنهم نبي الله محمد - صلى الله عليه وسلم - (³). ومنهم من نقل عنهم: كونهم موحدين لله، ومؤمنين برسالة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وباقي الأنبياء والرسل ، ونزّههم عن كثير ما قيل عنهم . (⁴) وعند الله تجتمع الخصوم .

¹ - مذهب الدروز والتوحيد : عبد الله النجار ، ص 28 .

² - عقيدة الدروز ، ص 100 . وإخوان الصفا إسماعيليون كالدروز .

³ - دائرة معارف القرن الرابع عشر، لفريد وجدي: ج 4 ص 26

⁴ - دائرة المعارف للبستاني: ج 7 ص 675

يستمد الدروز عقائدهم من مجموعة رسائل مقدسة عندهم وتسمى (رسائل الحكمة) وعددها (111) رسالة، وهي منسوبة إلى أئمتهم كحمزة بن علي، وبهاء الدين ، والتميمي وغيرهم⁽¹⁾ وقد أصبحت هذه الرسائل بالنسبة للدروز بعد غيبة هؤلاء مصدراً أساسياً لمعتقداتهم والتي أبرزها وأهمها ما يلي :

1- التوحيد: لا يقصد بالتوحيد الدرزي نفس المقصود من مفهوم التوحيد الإسلامي، فالتوحيد في الدين الإسلامي هو: إعطاء العبادة لله وحده دون شريك ، أما التوحيد الدرزي فهو: إعطاء العبادة للحاكم بأمر الله وحده ، وهم عندما يذكرون الحاكم بأمر الله، فإنهم يذكرون كلمة "الحاكم فقط، أو مولانا، لأن هذه الكلمات تطلق على الله، وبالتالي يجعلوها محتملة لأي معنى. فإذا كان التوحيد الدرزي هو تمجيد أفعال الحاكم بأمر الله والاقتراء بها في السر والعلن، لأن إليه المنتهى ومنه الابتداء في جميع الأمور، فإن مولانا الحاكم، له سنين كثيرة ما صلى بالناس ولا صلى على جنازة، ولا نحر في العيد، فلما تركه مولانا جل ذكره، علمنا بأنه قد نقض الحالتين جميعاً الصلاة والنحر، وقد أبطل صلاة العيد وصلاة يوم الجمعة بالجامع الأزهر، وهو أول جامع بني في القاهرة، فهذا ظاهر الصلاة ونقضها □□

وكذلك هدم الصوم بكامله مدة سنين كثيرة، وأمرنا بالإفطار في ذلك اليوم الذي يعتقد المسلمون كلهم بأنه خاتم الصوم، ولا يكون في نقض الصوم أعظم من هذا ولا أبين منه لمن نظر وتفكر وتدبر.

¹ - انظر : الموسوعة الميسرة ، ص226 ، دراسة عن الفرق ، ص268 .

أما الحج الذي هو المجيء إلى مكة والوقوف بعرفات وإقامة شروطه، وجميع ما يعملون به من شروط الحج؛ فهو ضرب من ضروب الجنون، من كشف الرؤوس وتعرية الأبدان، ورمي الجمار، والتلبية ومولانا جل ذكره قد قطع الحج سنين كثيرة، وقطع عن الكعبة كسوتها، وقطع كسوة الشيء كشفه وهتكه، ليبين للعالم بأن المراد في غيرها، وليس فيها منفعة.. (¹)

وعلى هذا، **فالتوحيد الدرزي معناه التوحد مع أفعال الحاكم بأمر الله**، مهما كانت شاذة أو متناقضة أو غير مقبولة، ومن ثم اعتبارها تهدف إلى غاية واحدة، هي هدم الأديان جميعا وإسقاط الشرائع وتعاليم الأنبياء، وإظهار الدروز على جميع العالم وهذا هو هدف التوحيد الدرزي في العصر الحديث الذي يسعى لهذه الغاية الواحدة والوحيدة في هدم كل الديانات وإسقاط كافة الشرائع (²)

1- ألوهية الحاكم بأمر الله، وأن -حمزة بن علي - نبيه، ويقولون : (إننا لا نشك بأن الحاكم بَشَرٌ في الأعين المجردة، وعاش بين الناس كما يعيش البشر، ولكنه إله معبود اتخذ لنفسه صورة إنسية، مثلما يتخذ الإنسان ثيابه فيرتديها، ثم ينزعها فيرتدي غيرها، والثياب ليست من جنس من يرتديها، ولا تشبهه في شيء، وكذلك الإله المعبود ليس من جنس الصورة التي اتخذها، ولا هي شبيهة به) (³)، ومما يؤيد اعتقاد الدروز بألوهية الحاكم، ما جاء في (رسالة الغيبة)، والتي بعث بها دعاة القاهرة إلى أتباعهم

¹ - انظر : حمزة بن علي ، واسماعي التميمي ، وبهاء الدين السموقي : رسائل الحكمة ، المجلد الأول : النقض الخفي، ص 49-63

² - انظر : د. نافذ الشاعر ، مقال الدروز في القرآن .

³ - انظر مذهب الدروز والتوحيد ص 111.

بالشام بعد شهر من مقتل الحاكم، ونصه : (أظهر لنا ناسوت صورته تأنيساً للصور، فحار فيها الفكر حين فكر، وعجزت العقول عن إدراك أفعالها، واعترفت بالعجز والتقصير في معلومها، فبتقدير أحكامه من على خلقه بوجود صورته من جنس صورهم، فخاطبتهم الصورة بالمألوف من أسمائهم، فأنست العقول إلى ظاهر صورته، واستدرجتهم إلى معرفته بلطيف حكمته، امتناناً منه على خلقه... الخ)⁽¹⁾.

ويقول - عبد الله النجار-: (واني لأذكر عتاب كبير الأشياخ الثقات، لأنني ذكرت في أحد الكتب المطبوعة أن أم الحاكم كانت صقلبية، إذ قال لي: أن الحاكم لا أم له، مردداً ما جاء في الرسالة -26- (حاشا مولانا جل ذكره من الأب، والإبن، والعم، والخال، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)⁽²⁾. ويؤيد ذلك أيضاً - أي قول الدروز بالوهية الحاكم- ما جاء في (ميثاق ولي الزمان) وهو الميثاق الذي وضعه- حمزة بن علي- ويؤخذ على كل مستجيب للمذهب الدرزي..: ونصه

: (توكلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، أقر فلان بن فلان، إقراراً أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه، في صحة من عقله وبدنه، وجواز أمره، طائعاً غير مكره ولا مجبر، أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها، على أصناف اختلافاتها، وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره، والطاعة هي العبادة، وأنه لا يشرك في عبادته أحداً، مضى أم حضر أو ينتظر، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده، وجميع ما

¹ - الألوهية في المعتقدات الإسلامية- الكتاب الخامس- مبحث الدروز ص 45 ورسالة الغيبة تقع في المجلد الثاني من رسائل الدروز رقم (35).

² - انظر مذهب الدروز والتوحيد ص 105-106.

يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره، ورضي بجميع أحكامه له وعليه، وغير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ، ساءه ذلك أم سره، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم – جل ذكره – الذي كتبه على نفسه ، وأشهد به على روحه ، أو أشار به إلى غيره ، أو خالف شيئاً من أوامره ، كان بريئاً من الباري المعبود ، واحترم الافادة من جميع الحدود ، واستحق العقوبة من البار العلي جل ذكره ، ومن أقر أن ليس في السماء إله معبود ، ولا في الأرض إمام موجود ، إلا مولانا الحاكم جل ذكره ، كان من الموحدين الفائزين . وكتب في شهر كذا وكذا من سنين عبد مولانا ، جل ذكره ، ومملوكه حمزة ابن علي ابن أحمد ، هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين ، والمرتدين ، بسيف مولانا جل ذكره ، وشدة سلطانه وحده ... تَمَّ (¹)

¹ - انظر (الشيعة- المهدي- الدروز- د. عبد المنعم النمر) وقد نشر نص الميثاق في الملحق الثالث مع بعض صفحات من (مصحف المنفرد بذاته) وهو المصحف الذي كتبه لهم مؤخراً النائب اللبناني الدرزي كمال جنبلاط، بالتعاون مع الدرزي المقيم في أمريكا : فؤاد عجمي ... وانظر : رسائل الحكمة ، المجلد الأول ، ص 48-47 .

وهذه صورة عن ميثاق ولي الزمان -

2

وَالْإِعْتِقَادَاتِ كُلِّهَا عَلَى أَصْنَاءِ اخْتِلَافِهَا
وَأَنَّ لَا يَعْرِفُ شَيْءًا غَيْرَ طَاعَةِ مَوْلَانَا
لِحَاكِمِ جَلِّ ذِكْرُهُ وَالطَّاعَةِ هِيَ الْعِبَادَةُ
وَأَنَّ لَا يَشْرُكُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا مَعَ
أَوْ حَضَرَ وَبَشَّرَهُ وَأَنَّ قَدْ سَلَّمَ رُوحَهُ
وَجِسْمَهُ وَمَالَهُ وَوَلَدَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ مَا
يَمْلِكُهُ لِمَوْلَانَا الْحَاكِمِ جَلِّ ذِكْرُهُ وَرَضِيَ
بِكُلِّ أَحْكَامِهِ لَهُ وَعَلَيْهِ غَيْرُ مُعْتَرِضٍ
وَلَا مُنْكَرٍ لَشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ سَاءَ ذَلِكَ
أَمْرُهُ وَمَتَى رَجَعَ عَزَّ دِينِ مَوْلَانَا الْحَاكِمِ

ميثاق علي بن أبي طالب
تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْحَاكِمِ الْأَحَدِ
الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْمُنَزَّهِ عَنِ الْأَزْوَاجِ وَالْعَدِيدِ
أَقْرَبَ لَنَا مِنْ قُلَانِ أَقْرَبَ أَوْجِبَهُ عَلَيَّ
نَفْسِي وَاشْهَدَ بِهِ عَلَيَّ رُوحِي فِي صِحَّتِي
مِنْ عَقْلِي وَبَدَنِي وَجَوَانِ أَمْرِي طَائِعًا
غَيْرَ مُنْكَرٍ وَلَا مُجَبِّهِ وَأَنَّهُ قَدْ تَبَرَّأَ مِنْ
جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ الْمُتَفَلَّاتِ وَالْأَدْيَانِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ

ذات

ذِكْرُهُ وَمَمْلُوكِهِ حَمْدُهُ ابْنِ عَلِيٍّ ابْنِ
أَحْمَدَ هَادِي الْمُتَجَبِّينَ الْمُتَنَقِّمِينَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ بِسَيْفِ مَوْلَانَا
جَلِّ ذِكْرُهُ وَشِدَّةِ سُلْطَانِهِ وَخَدَّةِ تَعَمُّدِهِ

ميثاق النعمان

تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْحَاكِمِ بَنِي حَاتِهِ
وَعَزَّ عَنْ حُكُومَةِ الْأَوْهَامِ سُلْطَانَهُ وَلَا
مَعْبُودٍ سِوَاهُ مَا نَظَرْتُ مَعَاشِرَ الْحُدُودِ
الرُّوحَانِيِّينَ بِنُورِهِ الْقَامُ وَبَصُوفِي لِدَعْوَتِهِ

جَلِّ ذِكْرُهُ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَيَّ نَفْسِي وَاشْهَدَ
بِهِ عَلَيَّ رُوحِي وَأَشَارَ بِهِ إِلَيَّ غَيْرُهُ أَوْ
خَالَفَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ كَانَ بَرًّا مِنَ الْبَارِ
الْمَعْبُودِ وَاحْتَرَمَ الْأَقَادِمَ مِنْ جَمِيعِ الْحُدُودِ
وَأَسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ مِنَ الْبَارِ الْعَلِيِّ جَلِّ ذِكْرُهُ
وَمَنْ أَقْرَبَ لَنَا لَيْسَ لَهُ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ مَعْبُودٌ وَلَا
فِي الْأَرْضِ إِمَامٌ مُوجُودٌ إِلَّا مَوْلَانَا الْحَاكِمُ
جَلِّ ذِكْرُهُ كَانَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْفَائِزِينَ
وَكُتِبَ فِي شَهْرِكَ كَذَا وَكَذَا مِنْ سَنَةِ
كَذَا وَكَذَا مِنْ سَنِينَ عَبْدِ مَوْلَانَا جَلِّ

ذِكْرِهِ

كما ورد في مصحف الدروز ما يسمى (بالعهد) وفيه: (آمنت بالله ربي الحاكم العلي الأعلى، رب المشرقين، ورب المغربين ، وإله الأصليين والفرعين، منشئ الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره، الذي على العرش استوى، وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى، وآمنت به، وهو رب الرجعى ، وله الأولى والآخرة ، وهو الظاهر والباطن إلى أن يقول وعلى هذا أشهدك ربي ومولاي من بيدك الميثاق، وأقر بأنك أنت الحاكم الإله الحقيقي المعبود، والإمام الموجود جل ذكره، فاجعلني من الموحدين الفائزين الذين جعلتهم في أعلى عليين، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، مولاي إن تشاء آمين) (1) .

ويعتقد الدروز أن ظهور الحاكم هو الظهور الأخير للإله ، ويعطون ذلك بقولهم " لأن المعبود غضب - بعد ذلك - على كل خلقه ما عدا الموحدين، ولذلك أغلق باب دعوته فغاب إلى داخل السور المسمى (سد الصين) ليبقى إلى أن يشاء ثم يظهر يوم الدين " (2)

3- ويعتقد الدروز بالتقمص :

يؤمن الدروز بعقيدة التقمص، بمعنى أن الإنسان إذا انتهت حياته، وصعدت روحه فإنها لا تذهب إلى الحياة البرزخية الثابتة في العقيدة الإسلامية، ولكنها تتقمص مولوداً جديداً، فروح الرجل تتقمص طفلاً وليداً، وروح المرأة تتقمص طفلة وليدة، فالجسد أو الجسم البشري - حسب اعتقادهم - ثوب أو قميص للنفس ، أو الروح ، تتقمصه عند الولادة، وتنتقل منه بالموت مروراً إلى جسد مولود دون تمييز عنصري أو مكاني،

¹ - انظر : عقيدة الدروز ، ص123-124 عن مصحف الدروز ، ص107-110 .

² - انظر : عقيدة الدروز ، ص140 .

وتظل بعد كل موت تخلع به الثوب البالي لتلبس ثوباً جديداً إلى نهاية الأجيال، أي بانتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر، باعتبار أن النفس لديهم لا تموت، بل يموت قميصها وهو الجسم، ويصيبه البلى، فتنقل النفس إلى قميص آخر. وهم ينكرون المسخ في التناسخ إنكاراً صريحاً (أي : حلول الروح الإنسانية في الحيوان ، أو النبات ، أو الجماد) ، وينفونه نفياً قاطعاً، لذا استبدلوا لفظه التناسخ بـ (التقمص)، فالنفس عندهم لا تنتقل من جسم إنسان إلى حيوان، أو نبات، كالنصيرية مثلاً.. ويعتقدون أن الدرزي إذا مات تنتقل روحه في أول مولود منهم لا من غيرهم ، لأنهم - حسب زعمهم - جميعاً من أهل الجنة، ولكن المسيء منهم تتطهر روحه بتنقلها في أجسام الفقراء أو المرضى، فإذا طهرت لبست أجسام السعداء من الرؤساء والأغنياء⁽¹⁾ ويعتقدون أن العالم خلق دفعة واحدة، لأن البشر خلقوا سوية، وليسوا بمتناسلين من أب واحد، فعدد الأنفس البشرية لا تزيد ولا تنقص، والدرزي الذكر عندما يموت تتقمص روحه جسد مولود درزي ذكر، وهكذا الأنثى تتقمص روحها جسد مولودة درزية أنثى، وبناء على ذلك فإذا مات أحد من أبناء مذهبهم، فإنه يولد على نفس هذا المذهب، ولهذا فهم لا يقبلون أحداً في مذهبهم، حتى لو اطلع على كتبهم، وعرف ديانتهم، واعتقد بصحتها، لأنه حين موته ترجع روحه إلى مذهبه القديم. والعذاب عندهم يكون بنقلة الإنسان من درجة عالية إلى درجة دونها من درجات الدين، ويستمر تنقله من جسد إلى آخر، وتقمصه في الأجساد حتى تقل مرتبته الدينية، وأما الثواب فيكون ما دام يتكرر في الأجساد، فهو في زيادة درجته في العلوم الدينية وارتفاعه من درجة

¹ - انظر : مذاهب الدروز والتوحيد ، ص62 ، إسلام بلا مذاهب ، ص279 . دراسات في الفرق ، ص156-

إلى درجة⁽¹⁾. ويقولون عن ذوي العاهات المصابين: كالأعمى، والأعرج، والفقير، والجاهل، إن مصابهم هو قصاص عن ذنوبهم في مدة حياتهم السابقة⁽²⁾. إذن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار.

وفي هذا إنكار لركن من أركان العقيدة الإسلامية وهو المعاد واليوم الآخر، وتكذيب لصريح الآيات والأحاديث، التي أثبتت البعث والثواب والعقاب. ... ويستدل الدروز بآيات من القرآن الكريم يؤولونها تأويلاً فاسداً، لا تشهد له اللغة، ولا السياق، ليثبتوا صحة مزاعمهم ..

ومن هذه الآيات: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا .) (النساء: 56) ... وقوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .) (البقرة: 28) .

ونقول: إن الآية الأولى التي زعموا أنها تشهد لهم بصحة التقمص، تتحدث عن جزاء المكذبين يوم القيامة، وتعرض هذا الجزاء في صورة مشهد عنيف مع مشاهد يوم القيامة أنه مشهد لا يكاد ينتهي.. والمراد بالذين كفروا هنا: كل كافر سواء أكان من بنى إسرائيل أم من غيرهم. وقوله: (نُصْلِيهِمْ) من الإصلاء وهو إيقاد النار. والمراد هنا إدخالهم فيها وقوله: (نَضِجَتْ) من النضج وهو بلوغ نهاية الشيء. يقال: نضج الثمر واللحم ينضج نضجاً إذا أدرك وبلغ نهايته. والمراد هنا: احتراق الجلود احتراقاً تاماً.

¹ - الحركات الباطنية في الإسلام، د. مصطفى غالب، ص 263.

² - انظر الدروز والثورة السورية - كريم ثابت ص 48.

والمعنى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على أن الله وحده هو المستحق للعبادة والخضوع (سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا) أى: سوف ندخلهم نارا هائلة عظيمة وسوف هنا - كما قال سيبويه - للتهديد وتأکید العذاب المقبل ولو مع التراخي ، وتراخي العذاب مع تأكيده يجعل النفس فى فزع دائم، وخوف مستمر حتى يقع.

وقوله (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) بيان لشدة العذاب ودوامه أى: كلما احترقت جلودهم وتلاشت أعطيناهم بدل الجلود المحترقة جلودا غير متحرقة مغايرة للمحترقة.

فالتبديل على هذا تبديل حقيقي مادي. بمعنى أن يخلق الله - تعالى - مكان الجلود المحترقة جلودا أخرى جديدة مغايرة للمحترقة.

ويرى بعضهم أن الجملة الكريمة كناية عن دوام العذاب لهم. وقد ذكر هذا الرأى الفخر الرازي فقال : (ويمكن أن يقال: هذا استعارة عن الدوام وعدم الانقطاع. كما يقال لمن يراد وصفه بالدوام: كلما انتهى فقد ابتدأ. وكلما وصل إلى آخره فقد ابتدأ من أوله. فكذا قوله (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا).

والذى نراه أن حمل التبديل على حقيقته أولى، لأنه ليس لنا أن نعدل فى كلام الله عن الحقيقة إلى المجاز، إلا عند الضرورة. وهنا لا ضرورة لذلك. وكلمة (كل) تدل على دوام العذاب وعدم انقطاعه، وقوله { لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } جملة تعليلية لقوله { بَدَّلْنَاهُمْ } أى بدلناهم جلودا غيرها ليقاسوا شدة العذاب، :واختار تبديل الجلود على غيرها، لأنها مجامع الإحساس..(¹) وعبر في ختام الآية بقوله (ليذوقوا العذاب) فأتى بلفظ

¹ - د. محمد السيد طنطاوي ، التفسير الوسيط ، المجلد الثالث ، ص 243-244.

(الذوقوا) حيث أن المراد بالإذاقة: إصابة القوم وإبتلاؤهم بآلام العذاب ابتلاء بلغ حد الإحساس به، فأصبح كالشيء الذي يذاق إلى غير ذلك مما احتوته الآية من أسرار، لا صله لها بمزاعمهم.

وقوله : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) تذييل قصد به تأكيد التهديد والوعيد الذى اشتملت عليه الآية الكريمة. أى: أن الله - تعالى كان وما زال عزيزا لا يغلبه غالب، ولا يمنع عقابه مانع (حكيماً) فى تدبيره وتقديره ، وتعذيب من يعذبه وإثابة من يثيبه. أما احتجاجهم بقوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .) (البقرة : 28) فالآية تنص على حياتين اثنتين، وموتتين اثنتين فقط، فى حين أن التناسخ لا يحدد عدداً لدورات حياة الإنسان على الأرض، وعدد مرات رجعة الروح، وتكاد تكون هذه الرجعات التناسخية - فى زعمهم - لا نهاية لها⁽¹⁾.

ويقول ابن كثير فى تفسيره للآية: (قد كنتم عَدَمًا فأخرجكم إلى الوجود، ويروى عن ابن عباس قوله: كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى)⁽²⁾...

وقد أول التناسخيون كثيراً من آيات القرآن الكريم بما يتفق ومزاعمهم وحالوا جذب النص القرآني ليستدلوا به على صحة عقيدتهم التناسخية، وقد بينا فساد ذلك.

¹ - انظر تناسخ الأرواح - مصطفى الكيك - ص 38.

² - انظر تفسير ابن كثير 1 : 96-98 ط الشعب.

لذا رفض علماء الإسلام هذه العقيدة رفضاً قاطعاً، لأنها تناقض أصلاً ثابتاً من أصول العقيدة التي قررها وهي: البعث والثواب والعقاب في اليوم الآخر، بينما تقوم نظرية التناسخ على أن الثواب والعقاب في الحياة الدنيا، عن طريق حلول الروح في الأجساد والأشكال، فمن يقول بالتناسخ، هو في الحقيقة منكر لمبدأ البعث والمعاد، واليوم الآخر.

ثم إن ما قاله التناسخيون رجماً بالغيب، وتوسيع لأوهام العقل، وخيالاته الجامحة، فما كانت قصة الحياة الإنسانية في دابرها ومستقبلها، لتؤخذ من أفواه الناس هكذا، كأحدثة عجيبة، أو رواية طريفة، بل لابد من إلقاء السّلم لبارئ الحياة، وخالق الأحياء، يقص الحق وهو خير الفاصلين.

4 - : توحيد الله في العقيدة الدرزية لا يكمل إلا بمعرفة الحدود الخمسة :

ويعتقد الدروز أن معبودهم الحاكم أبدع من نوره الحدود الخمسة ، وأنهم ظهوروا في جميع ظهوراته ، وآخرها عند ظهورهم مع الحاكم بأمر الله، وهؤلاء الحدود في اعتقادهم ليسوا مولودين ولا يمسه الموت ، إذ هم الروح الحقيقي الذي لا يخلوا منه عصر، وإن أخذوا أسماء مختلفة وأقمصة مختلفة على مر العصور ، وتوحيد الله في العقيدة الدرزية لا يكمل إلا بمعرفة الحدود الخمسة وهي:

أولاً: العقل الكلي: وهو الإمام الأعظم حمزة بن علي، وألقابه : علة العلل ، والآمر ، والإرادة ، قائم الزمان ، هادي المستجيبين. **وقال حمزة** إنه مُبدع من نور الحاكم مؤيد بروح قدسه، مخصوص بعلمه ، مفوض إليه أمره، وقد أطلعه الحاكم على مكنون سره، فحق له بذلك هذه المنزلة ولا يكتفي حمزة بذلك، بل يزعم أنه إسرافيل وأنه سينفخ في الصور، وأنه ميكائيل صاحب الراجفة، بل ينسب إلى نفسه المعاني

القرآنية، فيزعم أنه الطور والكتاب المسطور، وهو البيت المعمور ، وصاحب البعث والنشور .

ويزعم الدروز أن حمزة ظهر في جميع الأدوار بأسماء مختلفة :

- في دور آدم كان اسمه شطنيل .
- في دور نوح كان اسمه فيثاغورس .
- في دور إبراهيم كان اسمه داود .
- في دور موسى كان اسمه شعيب .
- في دور عيسى كان اسمه المسيح يسوع ، وهو المسيح الحقيقي صاحب الإنجيل

- في دور محمد - صلى الله عليه وسلم - كان اسمه : سلمان الفارسي .

- في دور الحاكم كان اسمه : **حمزة بن علي**⁽¹⁾ .

ثانياً: النفس الكلية : وتأتي هذه المرتبة بعد العقل الكلي ، وقد أعطى الدروز هذه المرتبة لأبي إبراهيم إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي، هُرمس الهرامسة ، صهر حمزة بن علي. وهو ثاني الحدود باعتبار أن النفس فيض من العقل، وجزء متمم له، انبثقت عنه ونسبت إلى العقل ، كنسبة العقل إلى الخالق . وقد أطلقوا عليه عدة ألقاب منها التالي، داعي الإمام، صفوة المستجيبين، والشيخ المجتبى ، وإدريس زمانه ، وأخنوخ الأوان ، وهرمس الهرامسة ، والحجة الصفية الرضية . وللتميمي عدة رسائل يعتمد عليها الدروز في تقرير مذهبهم، ورغم قيمة ومكانة التميمي عند الدروز إلا أنه

¹ - انظر :مذاهب الدروز والتوحيد ،ص127،123، 137 ،دراسة عن الفرق ، ص272-273.

بعد اختفاء حمزة بعد مقتل الحاكم سنة 411هـ لم يبق بأي نشاط إلا أنه يقال إنه بقي حياً حتى 427هـ ، أي إنه اختفى مع حمزة وباقي الدعاة⁽¹⁾ .

ثالثاً: الكلمة: وهو سفير القدرة، فخر الموحدين، وبشير المؤمنين ، وعماد المستجيبين ، الشيخ الرضي ابو عبد الله محمد بن وهب القرشي. ثالث الحدود، وأول الثلاثة الذين أضيفوا إلى العقل والنفس، ويطلق عليه عدة ألقاب منها : داعي القائم، المرتضى، الجناح، والذي قلده هذه المكانة حمزة، وقد انقطعت أخباره بعد الحاكم⁽²⁾ .

رابعاً : السابق: وهو الجناح الأيمن، نظام المستجيبين، وعز الموحدين، وهو الحد الرابع ، وتُنسب هذه المرتبة إلى **أبي الخير سلامة بن عبد الوهاب السامريّ** ، ويطلق عليه عدة ألقاب منها : الباب السابق، الباب الأعظم، الجناح الأيمن، والشيخ المصطفى . والسابق يعتبر الجناح الأيمن في الحدود، وهو والتالي يعتبران ينبوع الذي يجري بالمعرفة الإنسانية⁽³⁾ .

خامساً: التالي: هو الجناح الأيسر لسان المؤمنين، وسند الموحدين، ومعدن العلوم، الشيخ المقتنى بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف⁽⁴⁾. **ومن ألقابه :** الجناح الأيسر، ولسان المؤمنين، وسند الموحدين ، والشيخ المقتنى. وغير ذلك من الألقاب التي أطلقها عليه حمزة، ويعتبر بهاء الدين من أخطر دعاة

¹ - انظر : مذهب الدروز والتوحيد ، ص139-140 ، عقيدة الدروز ، ص161-162 .

² - انظر : مذهب الدروز والتوحيد ، ص140، الحركات الباطنية ، ص269 .

³ - انظر : مذهب الدروز ، ص141 ، عقيدة الدروز ، ص163 .

⁴ - انظر: د. محمد الخطيب : عقيدة الدروز ، ص 153.

الدروز بعد حمزة، إذ قام بأعظم قسط في نشر المذهب الدرزي بعد اختفاء حمزة، حيث إن الكثير من رسائل الدروز هي من تأليف بهاء الدين .

ويبدو أن بهاء الدين، كان على اتصال مع حمزة أثناء غيابه بعد مقتل الحاكم، وكان على معرفة بمقره السري ، حيث كان يتلقى منه الأوامر والتوجيهات، وانتهت دعوة بهاء الدين سنة 434هـ عندما أعلن غيبته في رسالته (منشور الغيبة) والذي يبدو أنها كانت رسالة الوداع ، حيث أعلن فيها إقفال باب الاجتهاد في المذهب ، وذلك ليحافظ على آراء حمزة وآراء الحدود الآخرين⁽¹⁾ .

ولكل حد من هذه الحدود حجج ودعاة، وهم جميعاً سبعون رجلاً في دعوة التوحيد الدرزية، وهم أذرع السلسلة التي ذكرها القرآن الكريم بقوله: (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)(الحاقة: 30) ، والآية بالطبع لا تشهد لمدعاهم، لأنها في سياق آيات تتحدث عن أنواع العذاب التي يعذب بها الكافرون يوم القيامة من أخذ ، وغلٍ ، وسلْك... يقصد به التهويل والتفظيع، لعل ذلك يردعهم عما هم فيه من غيٍ وضلال.

ولكل حد من الحدود الخمسة عند الدروز لون مخصص له ، فاللون الأخضر مخصص لحمزة، والأحمر مخصص للتميمي، والأصفر مخصص للقرشي، والأزرق لسلامة بن عبد الوهاب السامري، أما الأبيض فهو لبهاء الدين، ولهذا عندما أعلن الاستعمار الفرنسي قيام (إمارة جبل الدروز المستقلة) ارتفع علم ذو ألوان خمسة مكون من

(1) انظر عبد الله النجار : مذهب الدروز والتوحيد ، ص142 وما بعدها ، عقيدة الدروز ، ص163-164 .

الأخضر والأحمر والأصفر والأزرق والأبيض على المراكز الرسمية في الجبل، ولا يزال هذا العلم يرتفع على بيت الطائفة الدرزية في بيروت⁽¹⁾ .

واحترام الحدود عند الدروز عقيدة ، لأنهم - حسب زعمهم - وسائط الله وأبوابه وسفراؤه، وبهم الوصول إليه، ولا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى الخالق أبداً إلا بهم ، ومنهم ، وعلى يدهم ، وبتعليمهم وإرشادهم⁽²⁾ .

5- عقيدتهم في اليوم الآخر والثواب والعقاب:

اليوم الآخر في المذهب الدرزي ليس يوم القيامة، إذ ليس فيه موت للأرواح ، ولا قيامة لها ولا بعث، (يوم الحساب عند الدروز ليس يوم القيامة، إذ ليس فيه موت للأرواح ولا قيامة لها ولا بعث، فالأرواح لا تموت لتبعث ولا تنام لتوقظ، بل إن يوم الحساب أو الدينونة نهاية مراحل الأرواح وتطورها، إذ يبلغ التوحيد غايته في الانتصار على العقائد الشريكية، وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المادية لتتصل الأرواح الصالحة بالعقل الكلي "⁽³⁾ .

(وفي هذا اليوم- كما يزعمون- يظهر المعبود، الحاكم بأمر الله، في الصورة الناسوتية، ولم تحدد رسائل الدروز تاريخ هذا اليوم، ولكنها تقول إنه سيكون في شهر جمادى أو رجب، وعلامة قرب هذا اليوم هو: عندما يتسلط المسيحيون واليهود على البلاد، ويستسلم الناس إلى الآثام والفساد والآراء الفاسدة، ويتملك شخص من ذرية

¹ - انظر : عقيدة الدروز ، ص164-168 . ورسائل الحكمة : 2 / 240-241 . ومحمد كامل حسين

طائفة الدروز : ص 110

² - المرجع السابق ، ص157 .

³ - مذهب الدروز والتوحيد ، ص81 .

الإمام، يعمل ضد شعبه وأمته، ويضع نفسه تحت سلطان المخادعين، ويمتلك اليهود بيت المقدس، إلى غير ذلك من علامات الساعة التي يذكرونها)،

فالدروز لا يؤمنون بيوم الدين الذي يؤمن به المسلمون وإنما حسب اعتقادهم هو نهاية مراحل الأرواح التي تتكرر في الأجساد ، وهي المرحلة التي ينتصر فيها الدروز على المسلمين والنصارى - حسب زعمهم - بقيادة الحاكم بأمر الله الفاطمي وهو معبودهم، وسيكون ذلك في بلاد الصين حيث يخرج وحوله **يأجوج ومأجوج**، ويسمونهم القوم الكرام، ويكونون مليونين ونصفاً من العساكر مقسمة إلى خمسة أقسام، وكل قسم منها يتأهله أحد الحدود الخمسة، فيدخلون مكة المكرمة، وفي صباح ثاني يوم وصولهم يتجلى لهم معبودهم الحاكم بأمر الله على الركن اليماني من الكعبة، ويتهدد الناس بسيف مذهب، ثم يدفع السيف إلى حمزة فيقتل فيه الكلب والخنزير - يريدون الناطق والأساس - ⁽¹⁾ ثم يدفع حمزة السيف إلى محمد الكلمة أحد الحدود الخمسة فيهدمون الكعبة ويفتكون بالمسلمين والنصارى في جميع الأرض ومن يبقى يكون عندهم في الذل والهوان⁽²⁾ . ويصير الناس أربع فرق :

أ - **الموحدون** : وهم عقال الدروز وهم الوزراء والحكام والسلاطين .

ب- **أهل الظاهر** : وهم المسلمون واليهود .

ج- **أهل الباطن** : وهم النصارى والشيعة .

¹ - **الناطق** هو النبي الذي يبلغ الكلام المنزل، والأساس هو الإمام الذي يفسر الكلام المنزل معتمداً على التأويل، ولذلك يقولون أن محمداً هو الناطق وعلياً هو الأساس، ويطلقون على الناطق عقلاً والأساس نفساً . عقيدة الدروز ، ص25

² - انظر : عقيدة الدروز ، ص87، 166، 171 .

د - المرتدون : وهم جهال الدروز .

ويجعل حمزة لكل طائفة غير أصحابه ، سمة في جبينه أو يده ، وعذاباً يتأذى به، وجزية يؤديها كل عام ، ونحو ذلك من الهوان⁽¹⁾ .

وأما اعتقادهم بالثواب والعقاب فهو اعتقاد يخالف ما عليه المسلمون، وما جاء به الكتاب والسنة ، نظراً لاعتقادهم بالتقصص ، حيث زعموا أن الثواب هو مقدار ما يكتسبه الإنسان من المعرفة والعلم ، وفي هذا يقول عبد الله النجار : (إن الجزاء والمثوبة للنفس هي بمقدار ما تكتسبه من المعرفة والعلوم الروحية في أدوار انتقالها من قميص إلى قميص، أي من جسد إلى جسد بالنقلة، بزيادة درجتها في العلوم، وارتفاعها من درجة إلى درجة حتى تبلغ حد المكاسرة - وهو حد من حدود الدين - بل حد الإمامة)⁽²⁾ .

إن هذا الاعتقاد من الدروز في الثواب جعلهم ينكرون الثواب الأخروي في الجنة ويؤولونه تأويلات توافق أهدافهم ومعتقداتهم ، فجعلوا العلوم والمعارف هي الأساس في انتقال الدرجات، فكلما زادت المعارف والعلوم ، زادت الدرجة حتى يصل إلى درجة الإمامة ، وهي أعلى درجة .

وأما العقاب عندهم فهو في نقصان المنازل - الدرجات - ، حيث ينتقل الإنسان من درجة عالية إلى دونها في الدين، وفي قلة معيشتة وعمى قلبه في دينه ودنياه، وكذلك نقلته من قميص إلى قميص على هذا الترتيب، وتغير الصور يوم الجزاء

¹ - انظر : دراسات في الفرق ، ص148-149 ، عقيدة الدروز ، ص166 .

² - مذهب الدروز والتوحيد ، ص58، 59 .

والمعاد، كما يزعمون أن ذوي العاهات والأمراض، كان مصابهم هو قصاص عن ذنوبهم في مدة حياتهم⁽¹⁾ .

إن اعتبار المصابين بالعاهات والأمراض عقاب وقصاص لهم عن مدة حياتهم السابقة قول لا يسنده دليل ، بل هو مخالف للأدلة الصحيحة الصريحة، لأن المرض أو العاهة ربما يكون ابتلاءً وامتحاناً لهذا الإنسان . فهل يصبر ويرضى ، أم ييأس ويكفر ؟ وهذا البلاء كذلك عبرة للأصحاء لكي يشكروا الله تعالى على ما أنعم به عليهم من الصحة والعافية .

وقد أدى هذا الاعتقاد عند الدروز إلى إنكار وجود الجنة والنار ، بل السخرية ممن يعتقد بهما ، يقول حمزة في رسالة الزناد : (وأما زعمهم بأن الجنة عرضها السموات والأرض فقد جهلوا معنى هذا القول ، فإذا كان عرضها السموات والأرض، فكيف يكون طولها ؟ وأين تكون النار منها ؟ ولو عرفوا الطول عرفوا العرض ، وكل شيء طوله أكثر من عرضه... وأما معنى الطول والعرض، فإن طولها هو العقل الكلي ... وكان عرضها مثل النفس القابل لبركات العقل والتأييد ... وأما النار الكبرى الموقدة التي تطلع على الأفئدة فإنها مثل العقل لأنه مطلع على سرائر العالم) (2) .

كما ينكر الدروز وجود الملائكة والجن ، فالملائكة في نظرهم هم أتباع المذهب الدرزي، والشياطين هم مخالفو هذه العقيدة (3)

6. - عقيدتهم في الأنبياء :

¹ - انظر : مذهب الدروز والتوحيد ، ص59-61 ، والحركات الباطنية ، ص242 .

(2) عقيدة الدروز ، ص168-169 .

(3) انظر : عقيدة الدروز ، ص169 .

ينكر الدروز جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وينسبونهم إلى الجهل، ويرون وجوب محاربة جميع الأنبياء والبراءة من شرائعهم الفاسدة، (فالناطق والأساس عندهم هما إبليس والشيطان، فالأول - أي إبليس - حل في جسم آدم، ثم انتقل إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، ثم إلى محمد، ثم إلى سعيد. وأما الثاني - أي الشيطان، فظهر أولاً في جسم شيث بن آدم، ثم في سام، ثم في إسماعيل، ثم في يشوع بن نون، ثم شمعون الصفا، ثم في علي بن أبي طالب، ثم في قذّاح).

ويزعمون أنه (عندما يتجلى الحاكم في الركن اليماني - من الكعبة - وفي يده السيف، ينادي على المشركين بالغضب والرجز، ويعطي السيف حمزة فيقتل شخصين لا غير، أحدهم متقمص فيه محمد بن عبد الله صاحب دين الإسلام؟! والثاني علي بن أبي طالب؟! ثم يرسل الصواعق على الكعبة فتدك دكا) ⁽¹⁾ . ويعتقدون أن حمزة ظهر بصورة مختلفة في جميع الأدوار، وكان في زمن محمد - ﷺ - بصورة سلمان الفارسي، ولهذا فإنهم يزعمون أن القرآن قد أوحى حقيقة إلى سلمان الفارسي، وأنه كلامه، وأن محمداً أخذه وتلقاه عنه.. حتى زعموا بأن خطاب لقمان الذي خاطب به ولده: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) ⁽²⁾ هو خطاب سلمان لمحمد ⁽³⁾ .

¹ - مخطوط - حصر اللثام عن الإسلام - رزق حسونة الحلبي - الجامعة اليسوعية بيروت، ويوجد عنه شريط في الجامعة الأردنية رقم (749).

² - سورة لقمان : 17 .

³ - الحركات الباطنية ، ص303 ، عن كتاب خطط الشام ، محمد كرد ، 265/6-266 .

7 - نسخ الشريعة الإسلامية :

يعتقد الدروز أن مذهبهم ناسخ للشريعة الإسلامية ، بل لجميع الأديان والشرائع السابقة ، وفي رسالة خاصة من رسائلهم المعروفة بـ (**النقض الخفي**) ، يقولون ذلك ، ومن نصوصها : (أما بعد : فقد سمعتم قبل هذه الرسالة نسخ الشريعة بإسقاط الزكاة عنكم .. وأن الزكاة هي الشريعة بكمالها ، وقد بينت لكم في هذه الرسالة نقضها دعامة دعامة ، ظاهرها وباطنها ، وإن المراد في النجاة في غير هذين جميعا . وقد سمعتم بأن يصير هذا الباطن المكنون الذي فيأيديكم ظاهرا ، والظاهر يتلاشى ، ويظهر معنى حقيقة الباطن المحض ، وهذا وقته وأوانه ، وتصريح بيانه للموحدين لا للمشركين ، إلى أن يظهر السيف ، فيكون ظاهرا مكشوبا ، طوعا وكرها ، وتتخذ الجزية من المسلمين والمشركين ، كما تؤخذ من أهل الذمة وقد قرب إن شاء مولانا وبه اتوفيق .) (¹) ويرى الاستاذ محمد عنان أن الدروز يعتقدون أن مذهبهم نسخ جميع الأديان ، والشرائع السابقة ، وهو في اعتقادهم خاتمة الأديان ، وأن الحاكم بأمر الله هو الذي أتى بشريعة جديدة . (²)

8 - عقيدة الستر والكتمان :

تعتبر عقيدة الدروز من العقائد السرية التي لا يبيحون لأحد سواهم الاطلاع عليها، بل لا يُطلعون الدرزي عليها إلا إذا وصل إلى درجة معينة عندهم، ولذا فالدروز يعدون من الطوائف الباطنية الموجودة في بلاد المسلمين، والتي تؤمن بالتقية

¹ - انظر نص الرسالة في مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ج2: ص707-728. وفي رسائل الحكمة ، المجلد الأول ص 49 .

² - انظر : محمد عبد الله عنان ، الحاكم وأسرار الدعوة ، ص 188.

، والقول بالباطن ، وبسرية العقائد . يقول عبد الله النجار : (كان الموحدون - الدروز - منذ نشأة مذهبهم، في مطلع القرن الخامس للهجرة - الحادي عشر للميلاد - محترسين في كتمانهم، مشيحين عن إعلانهم ... فكان الدعاة يوصون أتباعهم بالحذر والكتمان، حفظاً لسلامتهم من الاضطهاد الذي نزل بهم سنين متواصلة، بعد غيبة الحاكم ووزيره حمزة⁽¹⁾) .

ولذلك فالدروز يحرصون على كتمان عقائدهم السرية، وقد حرصوا على هذا الكتمان المطبق طيلة القرون السابقة، ولم تُعرف خفايا مذهبهم إلا منذ قرن حينما غزا إبراهيم باشا مناطقهم الجبلية ، ووقعوا على بعض كتبهم المقدسة، وعرفت محتوياتها حيث نُقلت هذه الكتب إلى مكتبات أوروبا وأمريكا كمخطوطات هامة⁽²⁾ .

يقول حمزة في إحدى رسائله: (إن أكبر الآثام وأعظمها إظهار سر الديانة، وإظهار كتب الحكمة، والذي يظهر شيئاً من ذلك يقتل حالاً ولا أحد يرحمه ... عليكم أيها الإخوان الموحدون في دفن هذه الأسرار ولا يقرأها إلا الإمام على الموحدين في مكان خفي، ولا يجوز أن تظهر كتب الحكمة التي كلها رسم ناسوت مولانا سبحانه، وإن وجد شيء من هذه الأسرار في يد كافر فيقطع إرباً إرباً، فأوصيكم أيها الموحدون بكتمان الأسرار)⁽³⁾ .

ويعتبر الدروز التستر والكتمان من صحة العقيدة، حتى ولو أدى ذلك إلى أن يُظهر أي شيء مخالف لعقيدته، لدرجة أنهم يدعون أتباعهم للتعرف على عبادات

¹ - مذهب الدروز والتوحيد ، ص18 .

² - الحركات الباطنية ، ص294 .

³ - عقيدة الدروز ، ص175 .

المسلمين من وضوء وصلاة وقراءة قرآن بحيث لا ينكشف معتقدتهم، حتى أن صلاة الجنازة التي يصلونها على موتاهم هي كصلاة المسلمين، وما تشبههم بالمسلمين إلا للاستتار أمامهم عن حقيقتهم⁽¹⁾

وأما من يحاول كشف أسرارهم فمصييره القتل ، وهذا ما حصل مع عبد الله النجار - وهو من طائفة الدروز - حيث قام بكشف أسرارهم في كتابه (مذهب الدروز والتوحيد) فقاموا بجمع نسخ الكتاب من الأسواق وأحرقوها، كما استغلوا أحداث لبنان والحرب الأهلية وقاموا باغتياله .وهذا يدل بوضوح على أهمية التستر في عقيدة الدروز، وشدة تعاملهم مع من يكشف أسرارهم وحقائق معتقداتهم.

من تأويلات الدروز الباطنية :

خالف الدروز أسلافهم من الإسماعيليين في تأويل الصلاة ، قال "حمزة بن علي " في رسالته الموسومة بـ(كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل) يتحدث فيها عن ألوهية الحاكم: (فأول ما أظهر من حكمه، ما لم يعرف في كل عصر وزمان، ودهر وأوان، وهو ما ينكره العامة من أفعال الملوك: من تربية الشعر ولباس الصوف، وركوب الحمار بسروج غير محلاة لا بالذهب ولا بالفضة ، وللثلاث خصال معنى واحد في الحقيقة، لأن الشعر دليل على ظواهر التنزيل، والصوف دليل على ظواهر التأويل، والحمير دليل على النطقاء ... والناطق هو النبي....؟! بقوله

¹ - انظر : الحركات الباطنية ، ص 296 .

لمحمد.... !! (يا بني أقم الصلاة وآت الزكاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر إن ذلك من عزم الأمور)؟..⁽¹⁾

(أقم الصلاة): إشارة إلى توحيد مولانا (أي الحاكم بأمر الله) جل ذكره.

(وآت الزكاة): يعني طهر قلبك لمولانا جل ذكره ولحدود ودعائه.

(وأمر بالمعروف): وهو توحيد مولانا جل ذكره

(وأنه عن المنكر): يعني شريعته وما جاء به من الناموس والتكليف..

(إن ذلك من عزم الأمور) يعني الحقائق وما فيها من نجات من نطق الناطق) ، وهذا

بالطبع تحريف لمعاني ومقاصد الآيات، لا يلتزم بقواعد التفسير ولا ضوابط التأويل.

(والصلاة لا تجوز إلا باستقبال القبلة. والقبلة ههنا: الدعوة إلى الحقيقة.. وليس للحقائق

الشريفة رئيس غير الأساس⁽²⁾ (أي علي) فصار هو قبلة المرتادين، قال تعالى في

تصديق ما قلناه...!!: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا

(¹) مع أن الآية هكذا : (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)) (سورة لقمان : 17) أي : ليس فيها (وآت الزكاة) فبالإضافة إلى تأويلاتهم

المنحرفة ، يحرفون الكلم عن مواضعه ؟...

(²) انظر عقيدة الدروز - د. محمد أحمد الخطيب ص 64 وقد نشر فيها رسالة حمزة بن علي السالفة الذكر.

الأساس: من المصطلحات الإسماعيلية تطلق على الوصي عليّ - كرم الله وجهه- بمعنى ان أساس

المؤمنين لبيان آخرتهم بما يقفون به على بيان الوحي.. ويقال له أيضاً: الصامت، والتالي، أما الرسول

فيرمزون له بالناطق مقابل الصامت ، والسابق مقابل التالي، والرسول صاحب التنزيل والوصي صاحب

التأويل انظر (تحفة المستجيبين - للسجستاني ص 151-154).

الْكِتَابِ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145) (1). يعني
تقلب فكرتك في شريعتك، وما تحتاج إلى من يقوم بتأويلها (يعني: فلنيسرن لك (وصياً)
ترضاه. أي فسلم نصف ما أفيض عليك إليه (أي إلى علي..!) ، يعني: وحيثما كنتم
فأضيفوا نصف المرتبة إلى وصيه. أي: وإن الذين أوتوا الظاهر ليعلمن أنه (أي علي)
صاحب الحق دونهم..

ثم قال: (ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك). يعني: ولئن أقمت
الحجة عليهم بكل وجه ما تبعوا أساسك (وما أنت بتابع قبلتهم) ، يعني: وما أنت بتابع
رأيهم فيما عزموا عليه من صرف الخلافة عنه إلى غيره.

(وما بعضهم بتابع قبله بعض) يعني: وما كل فريق منهم بتابع رئيس القوم الآخر، بل
يتبرأ بعضهم من بعض، (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن
الظالمين) يعني: ولئن اتبعت اختيارهم في تسليم الأمر إلى من أختاروه من بعد الذي
جاءك من التأييد، كنت واضعاً للحق في غير موضعه، فهذا معنى القبلة (2) أ. هـ.
وهذا منهج في التأويل مُعَوَّج، وتلاعب بآيات القرآن والشريعة السماوية حسب أهوائهم
وأغراضهم، ويتناقضون ويتعارضون في تأويل الشيء الواحد مع زعمهم المستمر بأن
هذا التأويل مأخوذ عن إمامهم المعصوم.

ومن تأويلات الدروز للصوم :

(1) سورة البقرة : 144-145.

(2) بلحنه وكفره من كتاب الافتخار للسجستاني ص 116-117.

(الصوم عند أهل الظاهر، وكافة المسلمين يعتقدون بأن الناطق قال لهم (صوموا لرؤيته) ويرون في اعتقاده أن من أفطر يوماً واحداً في شهر رمضان، وهو يعتقد أنه أخطأ وجب عليه صوم شهرين وعشرة أيام كفارة ذلك اليوم..؟! وإن اعتقد أن إفطاره ذلك اليوم حلال له، فقد هدم الصوم كله، ومولانا (أي الحاكم بأمر الله) جل ذكره، هدم الصوم بكماله مدة سنين كثيرة، بتكذيب هذا الخبر (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)⁽¹⁾، وأمرنا بالإفطار في ذلك اليوم الذي يعتقد المسلمون كلهم بأنه خاتم الصوم، ولا يكون في نقض الصوم أعظم من هذا ولا أبين منه، لمن نظر وتفكر وتدبر..

وباطن الصوم: فقد قال فيه الشيوخ: بأن الصوم هو الصمت. بقوله لمريم وهي حجة صاحب زمانه (فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا). (مريم: 26).

يعني بالأكل: علم الظاهر، وبالشرب: علم الباطن.

(قري عينا) لمزيده، (فإما ترين من البشر أحداً) يعني أهل الظاهر.

(فقولي إني نذرت للرحمن) أي الإمام. (صوماً) أي السكوت.

فبان لنا نقض ما كان في المجلس، وما وصفه الشيوخ من باطن الصوم وسكوته، وأن مولانا -جل ذكره- فَطَرَ الناس في ظاهر الصوم، وفطروهم في باطنه، وهو بالحقيقة غير الصومين المعروفين من الشريعتين: وهو: صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا -جل ذكره- ، ولا يصل أحد إلى توحيده إلا بتمييز ثلاثين حداً ومعرفتهم، روحاني وجسماني: وهي:

¹ - متفق عليه، أخرجه البخاري 1219/4 برقم (1909) ومسلم 762/2 برقم (1081).

(الكلمة، والسابق، والتالي، والجد، والفتح، والخيال، والناطق، والأساس، والمتم،
والحجة، والداعي، والأئمة السبعة، والحجج الاثنا عشر، فصار الجميع ثلاثين
حداً⁽¹⁾).

هذه بعض تأويلاتهم للصيام، المتعارضة بعضها مع بعضها الآخر، فليس لتأويلاتهم
قواعد ثابتة- كما أسلفنا- وأصول راسخة، مع زعمهم أنها مأخوذة من المعصوم الذي لا
يخطيء.. وما هي إلا تلاعب وتحريف لمعاني آيات القرآن، حيث عجزوا عن تحريف
نصوصه المحفوظة.

ومن تأويل الدروز للحج قولهم :

لا يختلف أمر الحج عن العبادات الأخرى، فقد جعله القوم غرضاً لتأويلهم الباطني
الفاسد، كما فعلوا بأركان الإسلام الأخرى.

فقال حمزة بن علي في تأويل قوله تعالى : (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ
كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ .) (آل عمران : 97) ..

قال أهل الظاهر عن الناطق: إن الحج هو المجيء إلى مكة، والوقوف بعرفة، وإقامة
شروطه، وما رأيناه يخالف قوله (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا).

وقد شاهدنا في هذا الحرم قتل الأنفس، ونهب الأموال، وداخل الكعبة أيضاً السرقة،
وجميع ما يعملون به من شروط الحج فهو ضرب من الجنون، من كشف الرؤوس،
وتعرية الأبدان، ورمي الحجار، والتلبية من غير أن يدعوهم أحد، وهذا من الجنون. !!.

¹ - انظر عقيدة الدروز - للدكتور محمد الخطيب نقلاً عن كتاب (النقض الخفي) لحمزة بن علي.

ومولانا (أي الحاكم بأمر الله) جل ذكره، قد قطع الحج سنين كثيرة، وقطع عن الكعبة كسوتها، وقطع كسوة الشيء: كشفه وهتكه، ليبين للعالم بأن المراد في غيرها ، وليس فيها منفعة.

وقال الشيوخ في الباطن:

بأن الحرم هي الدعوة، وهو اثنا عشرة ميلاً من كل جانب، وكذلك للدعوة اثنا عشر حجة.. والبيت دليل على الناطق، والحجر دليل على الأساس..

والطواف به سبعاً : هو الاقرار به في سبعة أدوار..

والوقوف بعرفة: معرفتهم بعلم الناطق..

ومنى: ما كان يتمنى الراغب من الوصول إلى الناطق والأساس وحدودهما، وقد بطل الحج بإظهار محبة أبي بكر وعمر، وضمور ذكر علي بن أبي طالب فعلمنا أن الحج

غير هذا الذي كانوا يعتقدون ظاهراً وباطناً، كما قال مولانا المنصور:

هلم أريك البيت توقن أنه هو البيت بيت الله لا ما تَوَهَّمتا

أبيت من الأحجار أعظم حرمة ... أم المصطفى الهادي الذي نصب البيت

والبيت: هو توحيد مولانا جل ذكره، موضع السكن والمأوى الذي يطلب المعبود به..

كذلك الموحدون (أي الدروز) أولياء مولانا جل ذكره سكنت أرواحهم فيه..

ورب البيت: هو مولانا جل ذكره في كل عصر وزمان، كما قال: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ

هَذَا الْبَيْتِ) (قريش : 3) : يعني مولانا (الحاكم بأمر الله) جل ذكره⁽¹⁾.. والبيت عند

حمزة هو توحيد الحاكم، أما البيت عند الإسماعيليين فهم الأئمة أهل بيت النبي. !!⁽¹⁾.

¹ - رسالة حمزة بن علي (كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره) نشرها الدكتور الخطيب في كتاب

7 - تأويلات درزية لبعض الآيات:

1- يتفق الدروز مع الإسماعيلية في تأويلاتهم، إلا أنني وجدت بعض الآيات يؤولونها لنتفق ومبادئ عقيدتهم. فيؤولون مواعظ لقمان الحكيم لولده والتي حكاها القرآن الكريم (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ .) (لقمان: 17-19).

يقول حمزة بن علي: (والعامة يرون أن هذه الآية حكاية عن لقمان لولده فكذبوا وحرّفوا القول، إنما هو قول - سلمان - لمحمد (أقم الصلاة)، إشارة إلى توحيد مولانا جل ذكره ، أي الحاكم بأمر الله - .

2- (وآت الزكاة) - وهذه الفقرة غير موجودة في آية سورة لقمان ؟!- أي: طهر قلبك لمولانا جل ذكره ولحدوده ودعائه.

(وأمر بالمعروف) وهو توحيد مولانا جل ذكره..

(وانه عن المنكر) يعني شريعته، وما جاء به من الناموس والتكليف ..

(إن ذلك من عزم الأمور) يعني الحقائق، وما فيها من نجاة الأرواح من نطق الناطق.

(ولا تصغر خدك للناس) الخد: وجه السابق، وتصغيره: ستر فضيلته ..

(واغضض من صوتك) أي: اخفض وانقض واستر نطقك بالشرية ..

(إن أنكر الأصوات) يعني الدعوة الظاهرة ..

¹ - انظر كتاب الكشف ص 93-98.

(لصوت الحمير) يعني بذلك أشر كلام وأفحشه وأنكره: نطق الشرائع المذمومة في كل عصر وزمان).

3 - وقال في تأويل قوله تعالى: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا). (الإسراء : 37)...

(والمرح: هو التقصير واللعب في الدين، والأرض ههنا: هو الجناح الأيمن الداعي إلى التوحيد المحض.

(إنك لن تخرق الأرض) أي لن تقدر على إبطال دعوة التوحيد ..

(ولن تبلغ الجبال طولا): والجبال هم: الحجج الثلاثة الحرم..ورابعهم: السابق الذي يعده العالم دون الثلاثة، وأجلهم الحجة العظمى ، واسمه في الحقيقة : ذو معة ، لأن قلبه وعى التوحيد والقدرة من مولانا بلا واسطة بشرية .

(وانقص في مشيك) : (ليس في الآية : وانقص ... إنما : واقصد) يعني اخفض من دعوتك في الظاهر ، الذي هو يمشي في العالم مثل ديبب النملة السوداء على المسح الأسود في الليلة الظلماء ، وهو الشرك بذاته .

(واغضض من صوتك) يعني بذلك : اخفض وانقص واستر نطقك بالشرعية .

(إن أنكر الأصوات) : يعني الدعوة الظاهرة .

(لصوت الحمير) يعني بذلك : أشر الكلام وأفحشه ، وأنكره نطق الشرائع المذمومة في كل عصر وزمان ، فمنهم تظهر الشكلية والضدية والجنسية .

قال حمزة : (والعامة (¹) يرون أن هذه الآية حكاية عن لقمان الحكيم لولده ، فكذبوا وحرفوا القول ، وإنما هو قول السابق ، وهو سلمان ، وإنما سمى الناطق ولده لحد التعليم والمادة ، إذ كان سائر النطقاء والأوصياء أولاد السابق المبدع الأول ، وهو سلمان) (²)

4 - وقال في تأويل سورة الناس : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .) (الناس 1-6 .) ورب الناس ههنا هو التالي .. وهو في عصر محمد: المقداد.

(من شر الوسواس الخناس) يعني: زخرف الناطق ، أي الرسول ..
(الذي يوسوس في صدور الناس) يعني الدعاة والمأذونين والمكاسرين، حتى يردهم عن توحيد مولانا الحاكم بذاته، المفرد عن مبدعاته جل ذكره)⁽³⁾.
تفنيـد هـذه التـأويـلات: إن ما ذكره هذا العـلـج (⁴) هو تحريف لا تأويل، لأنه لم يلتزم بضوابط التأويل ، ولا قواعد التفسير ، ولا أصول اللغة، فصرف ظواهر الآيات إلى معانٍ باطنية موجودة في ذهنه فقط، لا تدل عليها الآيات لا حقيقة ولا مجازاً.

¹ - لفظ العامة عند إطلاقه عند عموم الشيعة يقصدون به أهل السنة ، ويطلقون على أنفسهم لقب الخاصة .

انظر : د. محمد الخطيب ، عقيدة الدروز ص 63. حاشية رقم : 86 .

² - انظر : رسائل الحكمة ، ج1: 99- 101 .

³ - انظر مذاهب الإسلاميين د. عبد الرحمن بدوي 2: 757 نقلاً عن رسالة حمزة بن علي الموسومة بـ (كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل).

⁴ - العـلـج في اللغة العربية هو الرجل الغليظ من كفار العجم والعلوج هي جمع علج، وكل صلب وشديد من الرجال يسمى علج. ويسمى الحمار الوحشي بالعلج، لأستعلاج خلقه وغلظه. واعتلج موج البحر أي إلتطم،

فالآيات في سورة لقمان تعالج قضية الشكر لله وحده، وتنزيهه عن الشرك كله،
تركز على قضية التوحيد، وقضية الآخرة وما فيها من جزاء عادل وحساب دقيق، ثم
تبين أدب الداعية مع الله.. وسورة الناس تعليم للتعوذ بالله من المضار المتوقعة من شر
الناس والشياطين، واستحضار ما يدل على الذات العلية، التي كان المشركون معرضين
عن مراعاتها، ولا صلة بين تأويل هذا الدرزي الذي حُوِّلَ في عقله ، وهذه المعاني
الجميلة التي قررتها الآيات...فسروها ، بل أولوها على مقتضى أصولهم العاطلة ،
وعقائدهم الباطلة ، بمعان لا أصل لها ولا أساس ، بل هي من فيوضات الوسواس
الخناس . (1)

التقسيمات الاجتماعية عند الدرزي :

ينقسم المجتمع الدرزي من الناحية الدينية إلى قسمين: **روحاني وجثماني** .
والروحانيون هم رجال الدين الملمون بأصول المذهب ، وأسرار الطائفة ، وينقسمون
إلى ثلاثة أقسام : **الرؤساء ، والعقال ، والأجاويد** .
أما الرؤساء : فبيدهم جميع الأسرار الدينية ، **والعقال** : بيدهم الأسرار التي
تتعلق بالتنظيم الداخلي للمذهب، **وأما الأجاويد** : فبيدهم الأسرار الخارجية التي تختص
بعلاقة مذهبهم بغيره من المذاهب .

واعتلجت الأرض طال نباتها، وورد ذكره في حديث قتل عمر بن الخطاب حيث قال عمر -عندما طعنه
المجوسي- لإبن عباس : ((لقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة)).

¹ - الوسواس الخناس هو الشيطان ، والوسوسة هي حديث النفس ، ووصف بالخناس لأنه كثير الاختفاء . وقيل
: لأنه يخنس إذا ذكر العبد الله . أي : يتأخر . انظر تفسير القرطبي : 22 : 579 - 584.

والروحانيون يتمسكون بالقواعد السلوكية في المذهب، فلا يدخنون ولا يشربون الخمر، كما أنهم يتزهدون في مآكلهم وملبسهم، ولهم زي خاص يميزهم عن طبقة الجهال يتمثل في عمامتهم ، ولبس القباء الأزرق الغامق، وإطلاق لحاهم، ولهم أماكن خاصة للعبادة تعرف بالخلوات ، يجتمعون فيها لسماع ما يتلى عليهم من كتابهم المقدس ، وممارسة طقوس عبادتهم، وأعظم الخلوات عندهم خلوة البياضة ، وهي في حاصبيا بלבناو ويسمونها خلوة الخلوات حيث يحجون إليها⁽¹⁾. وأما

الجهثانيون : فهم الذين لا يبحثون في الروحانيات ، بل يبحثون في الدنيويات وينقسمون إلى قسمين : أمراء ، وجهال ، أو عامة، والأمراء هم أصحاب الزعامة الوطنية وأما الجهال : فهم سائر أفراد جماعة الدروز ، ويسمون أحياناً الشراحين، لأنهم لا يحق لهم الاطلاع على رسائل الدروز ، بل يطلعون فقط على شروح هذه الرسائل التي يقدمها لهم العقال، كما لا يحق لهم حضور طقوس العبادة إلا بعد امتحانات طويلة تحتاج إلى صبر ومجادة، فإذا ما اطمئن إلى إيمان الشخص أخذت عليه المواثيق، وبذلك يتدرج في مراقي الدرجات الدينية، ويرخص لطبقة الجهال في الاستمتاع بكل الممنوعات على العقال من تدخين، وشرب خمر ، وترف في المعيشة وبذخ، وليس لهم زي خاص يميزهم⁽²⁾.

(1) انظر : مذاهب الإسلاميين 658/2-659 ، عقيدة الدروز ، ص238 ، دراسة عن الفرق ، ص280-281 .

(2) انظر : دراسة عن الفرق ، ص281 ، إسلام بلا مذاهب ، ص292-296 ، مذاهب الإسلاميين 658/2-659 .

والنساء في المجتمع الدرزي ينقسمن أيضاً إلى : عاقلات ، وجاهلات مثل الرجال تماماً، والنساء العاقلات يلبسن النقاب وثوباً خاصاً بهن اسمه (صاية)، وإذا وجدت عاقلة زوجة لأحد الجهال فلا يجوز لها أن تخاطبه بشيء من أمور الديانة، ولا تطلعه على شيء منها ويجب أن تخفي كتبها عنه⁽¹⁾ .

وللدروز رئيس ديني يلقب بشيخ العقل، ويتولى منصبه بالانتخاب أو بالاتفاق بين الزعماء وكبار رجال الطائفة، ولشيخ العقل أعوان في كل قرية أوناحية .. وشيخ العقل قد يتعدد ، ففي لبنان للدروز شيوخ عقل هم : الشيخ نعيم حسن ، والشيخ نصر الدين الغريب ، والشيخ بهجت غيث، وفي جبل الدروز بسورية للدروز شيخان للعقل هما : شيخ العقل حمود الحناوي، وشيخ العقل يوسف جربوع. وفي فلسطين شيخ العقل : موفق طريف .⁽²⁾ .

مقامات الدروز المقدسة في فلسطين المحتلة ، مثل :

1 - مقام النبي شعيب في منطقة حطين: يقع مقام النبي شعيب في منطقة

حطين، وهو مطل على بحيرة طبريا، ويتمتع المقام بأهمية بالغة في حياة أبناء الطائفة الدرزية منذ سنوات طويلة، وقد تحوّل مع الزمن إلى رمز وشعار للدروز، وذلك للعوامل التالية حسب اعتقادهم.. والمقام هو أقدم موقع ديني درزي في البلاد، فقد ذكرت المصادر الدرزية المتصلة بتاريخ الطائفة أن المقام بني في عهد صلاح الدين الأيوبي، أي بعد انتشار الدعوة الخاصة بالإيمان الدرزي بحوالي مائة سنة فقط، وهو قائم منذ ذلك الوقت. وكان في فترات مختلفة، بشكل أو بآخر هدفاً دينياً مرموقاً ومقصداً للحجاج

(1) عقيدة الدروز ، ص240 .

(2) انظر : المرجع السابق ، ص242 .

والزوار والمؤمنين. وكان الدروز يتوافدون على المقام في مراحل مختلفة من التاريخ، مما يثبت أنه المكان المركزي منذ القدم. وقد ازدادت أهمية المقام بعد أن تم ترميمه عام 1882م من قبل الرئاسة الروحية للطائفة آنذاك، وبمبادرة من الرئيس الروحي للطائفة الشيخ مهنا طريف، وبعد هذا التاريخ تحول المقام إلى موقع مركزي في حياة الدروز، ليس فقط في فلسطين، وإنما في كافة الأماكن التي يتواجد فيها أبناء الطائفة الدرزية. .. والنبي شعيب عليه السلام هو من أهم الشخصيات الدينية لدى الدروز، حيث يحظى سيدنا شعيب - عليه السلام - بمكانة مرموقة لدى الطائفة الدرزية، فمكانته مرموقة عند رجال الدين الموحدين، وعند غير المتدينين من أبناء الطائفة. وفضلا عن كونه شخصية دينية مرموقة، فهو أيضا شخصية تاريخية، لعبت دوراً في حوادث الأيام، خاصة في الدور الكبير الذي قام به مع النبي موسى - عليه السلام - حسب رأيهم، حيث دعمه وأرشده وعلمه أصول الإدارة، وتنظيم صفوف شعبه، كما انه كان معه حينما تسلم الوصايا العشر ونزلت عليه النبوءة. ويذكر التاريخ كذلك موقفه من شعب مدين الذي خالف أصول المعاملات التجارية، ودعوته إلى الصدق والأمانة في البيع والشراء، ومواقفه الأخرى بين الشعوب التي عاصرتة. ويحظى النبي شعيب - عليه السلام - ، بقدسية عند كافة الطوائف والأديان، وبمكانة تاريخية هامة عند رجال التاريخ والفكر، وهذا المركز الرفيع يؤثر على تعلق الدروز به ، وبمكانته وبمنزلته ، وتهافتهم على زيارة المقام الشريف. وأحياناً يُعرّف شعيب بأنه **يثرون كاهن مدين** المذكور في العهد القديم، رغم عدم تتطابق ما ينسب إليهما من أفعال وأحداث في الدينين الإسلامي واليهودي. يذكر العهد القديم أن يثرون (بالإنجليزية: Jethro) هو حَمُو موسى - عليه السلام - ، وهو كاهن مدين الذي لجأ إليه موسى عندما هرب من فرعون ملك مصر ، وتزوَّج ابنته صفورا ؟!

هو أيضا نبي ذو مكانه فريده في مذهب الدروز، ويعتبر من أسلاف الدروز.



مقام النبي شعيب في منطقة حطين؟؟

2- مقام النبي سبلان !؟ :



مقام النبي سبلان في قرية حرفيش

يقع مقام النبي سبلان - (وهو أحد أنبياء الدروز في القرن الحادي عشر؟؟!! ويعتقدون بأنه هو "زبولون" الابن السادس لسيدنا يعقوب) - فوق قمة جبل في قرية حرفيش الدرزية، وهو أحد الأماكن المقدسة بالنسبة لأبناء الطائفة ، حيث يعتقدون بأن نبيهم سبلان سكن مغارة في المكان، وتحمل المشاق والصعوبات كي يوصل رسالة التوحيد إلى الناس في هذه المنطقة، فكان الملجأ والحاكم والقاضي بين الناس. وقد تحولت المغارة "مكان سكنه" إلى محجّ يؤمها الناس في العاشر من شهر أيلول/ سبتمبر في كل

سنة من كل حذب وصوب لنيل البركة وترسيخ الإيمان في قلوبهم. وفي السنوات الاخيرة، قامت الرئاسة الروحية، وفي مقدمتها الشيخ امين طريف، بالإعلان عن زيارة النبي سبلان ، كزيارة رسمية وكعيد معترف به، من قبل الدولة. وقام السيد ابو لطفي امل نصر الدين، مشكورا، حينما انتُخب للكنيسة عام 1977، بالحصول على اعتراف رسمي، من قبل دائرة أراضي اسرائيل والدولة بالموقع الذي يقع فيه المقام، وعلى مساحة اكثر من مائة دونم، كوقف رسمي للطائفة الدرزية، حيث أصبحت الارض ملكاً للمقام وللطائفة . وهكذا تمّ توسيع مبنى المقام، وتمّ إعداد مساحات خاصة، من قبل المجلس المحلي في حريفش، لاستيعاب السيارات والزوار، في المناسبات العامة والخاصة. وبذلك يكون قد تم ترسيخ موضوع الزيارات الرسمية، في اذهان المواطنين، بحيث يستطيع كل انسان ، وفي اي وقت ، ان يلجأ للمقام ، وان يجد فيه الدواء الشافي ، كما يزعمون - ، ان كان قد أصيب بعلّة او بحاجة ، او بسبب يجعله يتقرب من الله سبحانه وتعالى، ومن أوليائه الصالحين.؟!

3 - مقام النبي زكريا:



يقع مقام النبي زكريا في الجهة الشمالية من قرية أبو سنان المجاورة لمدينة عكا، ويعود تاريخ تشييد المقام إلى سنة ألف ومائة وثلاثين هجرية (1710م)، كما يشير النص

المنقوش على الحجر المعلق فوق مدخل للمقام. يتألف البناء الأساسي لمقام النبي زكريا من حجرة مربعة بمساحة قدرها خمسة وعشرين متراً مربعاً قائمة فوق الكهف الذي كان يأوي إليه النبي زكريا حسب رواية أبناء الطائفة. وتبلغ مساحة حرم المقام حوالي أربع دونمات ونصف، وليس ثمة تاريخ محدد لعقد الاجتماعات العامة فيه من قبل أبناء الطائفة الدرزية.

4- **مقام النبي الخضر؟!:** يقع مقام الخضر في قرية كفر ياسيف بالقرب من مدينة عكا على شاطئ المتوسط. والنبي الخضر هو الاسم المنسوب للنبي إيليا في التقاليد الإسلامية، ويعتبر مقام الخضر من أشهر المقامات لدى الطائفة الدرزية، وإليه يلوذون في ساعات الضيق طلباً للرحمة والفرج. ويحتفل أبناء الطائفة الدرزية في الخامس والعشرين من كانون الثاني/يناير من كل عام بعيد زيارة مقام الخضر، وقد تم التوافق على هذا التاريخ بين رجال الدين الدروز منذ الزمن البعيد.



:-

5- **مقام أبو إبراهيم ؟!:**

يقع مقام أبو إبراهيم في قرية دالية الكرمل الدرزية على جبل الكرمل. الواقعة جنوب مدينة حيفا. ويعتبر هذا المقام أقدم موقع في القرية التي بُنيت حوله تدريجياً منذ حوالي أربعمئة سنة. يتكون المركز الرئيسي للمقام من غرفة مربعة الشكل عليها قبة، وتغطي هذه الغرفة مغارة منحوتة بالصخر، ينزلون إليها بواسطة درج حجري. ويُعتقد أن سيدنا إبراهيم كان يتعبّد في هذه المغارة، ومن هنا جاءت قدسيتها وقُدسية المكان. يتكون المقام اليوم من الغرفة الرئيسية، وقد بُنيت بجوارها في اتجاه الشرق غرفة كبيرة لأداء الصلاة. وأمام المقام، عبر الساحة أقيمت قاعة كبيرة للاجتماعات الشعبية، فيما الطابق الأسفل مكرس لإيفاء النذور.

6- مقام السيد أبو عبد الله؟! :



يقع مقام سيدنا أبو عبد الله في وادٍ في قرية عسفيّا يتجه إلى الجنوب نحو دالية الكرمل.

أقيم المقام مؤخراً بالقرب من عين ماء اعتُبرت مقدسة ونبتت أمامها شجرة قيل أن سيدنا أبو عبد الله كان يستظل بظلها ويشرب من العين المجاورة. وكان سكان عسفيّا خلال عشرات السنين يحصلون على مياههم من هذه العين، وكانوا يشعرون دائماً بهالة من

القداسة حولها تميّزها عن باقي عيون الماء في المنطقة حسب رأيهم. وفي الستينيات من القرن العشرين بادر الشيخ فارس أبو فارس إلى إقامة المقام حيث بنيت مع الوقت قاعات وغرف كثيرة وأقيم ضريح يُزار وتوقد حوله الشموع. وفي التسعينيات من القرن العشرين عيّنت الرئاسة الروحية للطائفة زيارة رسمية للمقام في الخامس عشر من شهر تشرين ثاني/نوفمبر من كل سنة. وسيدنا أبو عبد الله هو الجدّ الثالث وكان يتردد على المنطقة في طريقه من مصر لتفقد شؤون الدعوة في آسيا الصغرى.

7- مقام الست خضرة !؟ :

مقام جديد نسبياً تم افتتاحه والاعتراف به عام 2003م. يقع بين الجبال في موقع جميل من الكرمل بين دالية الكرمل وقرية عسفا. والست خضرة هي ولية صالحة عاشت في المنطقة في الماضي ولها ذكر طيب وأعمال صالحة وكانت مصدر وحي وإلهام لسكان المنطقة الدروز فحصلت على هذه المكانة الرفيعة. !؟

8- مقام الست سارة !؟ :

شيد مقام الست سارة على حدود الأراضي الغربية لقرية دالية الكرمل بالقرب من عين أم الشقيف. ويقول أبناء الطائفة الدرزية بأن في المكان صخرة تحتوي على آثار دعة الست سارة. وكان سكان القرية وخاصة النساء ينتبهون إليها ويتباركون بها كأثر مقدس له أهميته في تاريخهم وعقيدتهم.



مقام الست سارة بجوار دالية الكرمل

والست سارة هي صانعة سلام بالنسبة لأبناء الطائفة الدرزية، حيث يقول الدروز بأنها أوفدت من قبل مولانا بهاء الدين على رأس بعثة إلى وادي التيم عقب الاضطرابات التي اثارها دعاة انحرفوا عن السبيل السوي، وهذه البعثة ضمت رجالا أيضا، وقد نجحت في مهمتها، وحفظت أمن البلاد.

9- مقام النبي اليعفوري ؟! :

لم يأت ذكر النبي اليعفوري في أي ديانة أخرى، وهو ليس اسما عربيا ولا فارسيا. ويوجد ضريحه بجوار قرية مجدل شمس في هضبة الجولان، ويعتبر من الأماكن المهمة بالنسبة للدروز.

البلدات والقرى الدرزية في فلسطين المحتلة :

1- دالية الكرمل : تقتصر معظم البلدات والقرى الدرزية في إسرائيل على أبناء الطائفة الدرزية، رغم أن القرن الأخير شهد توطن أقليات مسيحية ومسلمة في بعضها. وهي تقع في شمال البلاد، ومعظمها على رؤوس الجبال، وذلك لاعتبارات دفاعية وعلى خلفية الاضطهاد الذي تعرض له الدروز. وتعتبر بلدة دالية الكرمل أكبر البلدات الدرزية في إسرائيل وتقع في أقصى جنوب خارطة القرى الدرزية في إسرائيل، وعلى جبل الكرمل وفي قلب حديقة الكرمل الوطنية إلى الجنوب الشرقي من حيفا. تأسست

البلدة قبل نحو 400 سنة، ويبلغ عدد سكانها من الدروز 13,000 نسمة تعود جذورهم التاريخية إلى المنطقة الجبلية المجاورة لمدينة حلب السورية الشمالية، كما تشهد بذلك لهجتهم القريبة جدا من لهجة حلب، بالإضافة إلى اسم أكبر عائلة في القرية، وهي عائلة حلبى. وتستقطب السوق الكبيرة التي تتوسط البلدة والتي تعرض السلع الدرزية والعربية التقليدية، أعدادا من السياح من داخل إسرائيل وخارجها، وتحتضن مركزا تذكاريًا لتخليد أرواح شهداء جيش الدفاع الإسرائيلي من أبناء الطائفة الدرزية. ويقع مقام سيدنا إبراهيم في البلدة وتوجد بجوارها بقايا عدد من القرى الدرزية.

2- عسّيفيا : أما بلدة عسّيفيا التي تقع هي الأخرى على جبل الكرمل، فقد تم إنشاؤها على أنقاض مستعمرة بيزنطية، حيث يعتقد بعض المؤرخين، بناء على الخزاف وبقايا المقدسات الموجودة على جدران المنازل، بأن القرية كانت في السابق مركزا للصليبيين. وكانت بقايا قرية حوسيفا اليهودية التي يعود عهدها إلى القرن الخامس الميلادي قد تم اكتشافها داخل عسّيفيا سنة 1930، وقد ضمت كنيسة يتضمن أرضية فسيفساء تحوي بعض الرموز اليهودية ونصا يقول "سلام على إسرائيل" وحوالي 4500 مسكوكة ذهبية تعود للعهد الروماني. أما القرية الحديثة فتأسست في أوائل القرن الثامن عشر، حين كان السكان يعيشون على صناعة زيت الزيتون والعسل وزراعة العنب الفائق الجودة المعروفة به المنطقة. ويبلغ عدد سكان عسّيفيا نحو 9000 نسمة، يصل نصيب الدروز منهم إلى 70%، والباقيون مسيحيون ومسلمون. ويوجد في القرية مقام أبي عبد الله .

3- شفاعمرو : وتقع إلى الشمال الشرقي من حيفا مدينة شفاعمرو الضاربة جذورها في العهد القديم، حيث ورد ذكرها في التلمود، وكانت خلال القرن الثاني مقرا للـ "سنهدين"، وهي المحكمة الشرعية والقضائية العليا اليهودية. وقد اضمحلت الطائفة

اليهودية التي يعود تاريخها إلى نهاية العصور الوسطى شيئاً فشيئاً خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ويسكن في بلدة شفاعمرو اليوم نحو 27 ألفاً من الدروز والمسيحيين والمسلمين، وتحتضن البلدة عدداً من الأماكن المقدسة ودور العبادة التابعة للطوائف الثلاث جميعاً، كما توجد فيها مساكن للجنود الدروز المسرحين.

4- المَغار : وفي منطقة شمالية أبعد من شفاعمرو، وفي موقع يطل على بحيرة طبريا تقع قرية المغار التي يعتقد بأنها هي مدينة معاريا التي سكنت فيها عائلة من الكهنة في عهد التلمود. وقد أشارت المراجع التاريخية إلى أشجار الزيتون الكثيرة التي تحيط بالقرية، وهي الأشجار التي ما زالت تنمو بكثرة إلى يومنا هذا. ويبلغ عدد سكان المغار نحو 17,000 شخص، 60% منهم دروز و 20% مسلمون و 20% مسيحيون.

5- الرامة : وبنيت قرية الرامة البالغ عدد سكانها 7000 نسمة، في موقع بلدة راموت نفتالي التوراتية، وقد اشتهرت بمستواها الثقافي العالي منذ عهد الانتداب البريطاني. حيث كانت نسبة الأطباء والمحامين والمهندسين فيها سنة 1948 أعلى نسبة في القطاع العربي.

6- سجور : وتقع بجوار الرامة قرية سجور الأصغر منها . وإلى الشمال من الرامة، وعلى قمة جبل ميرون (الجرمق)، تقع قرية بيت جن التي ينتمي جميع سكانها إلى الطائفة الدرزية، والتي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر 940 متراً، وهي أعلى نقطة في إسرائيل. ويبلغ عدد سكان القرية حوالي 9000 نسمة. وعلى مسافة غير بعيدة منها تقع قرية البقيعة، وهي إحدى أكثر قرى البلاد قِدَمًا، حيث كثيراً ما ورد ذكرها في المراجع التاريخية اعتباراً من القرن الثالث عشر، بما في ذلك الإشارة إلى كثرة ينابيعها

وازدهار بساينها ومزارعها والطائفة اليهودية الصغيرة المقيمة فيها منذ عهد الهيكل الثاني. وتحتضن القرية ومحيطها مواقع مهمة للدروز واليهود، بما فيها كنيس يهودي معاد بناؤه ويعود تاريخ إقامته إلى العهد الروماني. وقد تم إنشاء أقدم مدرسة في المنطقة داخل البقيعة من قبل الكنيسة الروسية في أواخر القرن التاسع عشر .

7- عين الأسد : وتعتبر قرية عين الأسد القرية الدرزية الوحيدة التي تم إقامتها في القرن العشرين، وتقع بجوار البقيعة. وقد أتى سكانها الأصليون من بيت جن وسوريا ولبنان. أما قرية كفر سميع الواقعة غربي البقيعة فيعتقد بأنها مقامة في موقع بلدة كفر ساما التي أشارت إليها الكتابات العبرية القديمة .

8- كسرا : وتقع إلى الجنوب من كفر سميع قرية كسرا، التي كانت أصغر قرية درزية في البلاد في القرن التاسع عشر. أما اليوم فيبلغ تعداد سكانها 3500 نسمة تقريبا. وتجاور كسرا قرية يانوح التي ورد ذكرها في التوراة والتلمود بالإضافة إلى وثائق من عهد الصليبيين. ويقع بجانب القرية مقام النبي شمس المسلم .

9- يركا : وتعتبر بلدة يركا البلدة الدرزية المحضة الوحيدة في الجليل الغربي، وتضم أحد أكبر مصانع الشرق الأوسط، وهو مصنع الصلب التابع لشركة الإخوان قضماني. وقد مكن هذا المصنع البلدة من تطوير منطقة صناعية وتجارية كبيرة. ويبلغ عدد سكان البلدة نحو 11,000 شخص، وتحتضن عددا من المواقع الهامة، أهمها ضريح أبو السرايا غنايم، وهو عالم من علماء الدروز في القرن الحادي عشر.

10 - أبو سنان : وتقع في المنطقة بلدة أبو سنان، وهي أيضا من أكبر البلدات الدرزية، وقد ذكرت في وثائق للصليبيين من عام 1250 باعتبارها قلعة بوسنين . وقد زادت أهميتها في عهد الأمير الدرزي فخر الدين المعني الذي شيد قصرا في البلدة

لابنه علي سنة 1617. ويسكن في أبو سنان اليوم حوالي 10,000 شخص، 35% منهم دروز والباقي مسيحيون ومسلمون. وتحتضن البلدة ضريحي النبي زكريا والشيخ الحنبلي.

11 - جولس : وإلى الجنوب من أبو سنان تقع قرية جولس الساكنة، مسقط رأس الشيخ أمين طريف الزعيم الروحي الراحل للطائفة الدرزية الذي توفي في شهر أكتوبر تشرين الأول من عام 1993. وكان حفيده السيد صالح طريف أول أبناء الطائفة الدرزية الذي تم تعيينه وزيرا في الحكومة الإسرائيلية .

12- جَت : ويعيش الدروز في قرية جت الصغيرة الواقعة شمالي شرقي أبو سنان منذ القرن الحادي عشر. وجاء في النصوص المقدسة للدروز ذكر الشيخ أبو عروس الذي كان مسؤولا عن نشر العقيدة الدرزية في المنطقة ودفن في القرية. ويبلغ عدد سكان (جت) 8000 نسمة .وهي غير (قرية جيت - قضاء نابلس وكل أهلها من السنة) .

13- حُرفيش : وتقع قرية حرفيش على الطريق الذي يمتد شرقا من مدينة نهاريا الساحلية ومقام النبي سبلان الذي يعتبر موقعا مهما، حيث درج الدروز في العاشر من سبتمبر أيلول من كل عام على الاحتفال بذكراه في القرية. وقد تم في عام 1972 إقامة نصب في حرفيش تخليدا لذكرى الجنود الدروز الذين استشهدوا خلال أدائهم لخدمتهم العسكرية في جيش الدفاع الإسرائيلي. تعتبر قرية مجدل شمس البالغ عدد سكانها 8000 نسمة مركز الطائفة الدرزية في الجولان. وتعد عائلتا أبو صالح وصفدي أهم عائلات القرية روحيا وسياسيا. وتقع مجدل شمس على السفوح الجنوبية لجبل الشيخ، تحيط بها آلاف الدونمات من مزارع التفاح والكرز وغيرهما .

ويعود أصل معظم سكان قرية مسعدة والبالغ عددهم 3000 نسمة إلى عائلتي أبو

صالح وصفدي المقيمتين في مجدل شمس، علما بأن **مسعدة** كانت أصلاً مزرعة مقامة إلى الجنوب من مجدل شمس، ولكنها على مر السنين تطورت لتصبح قرية كبيرة يمتلئها أبناءها الإنتاج الزراعي . وإلى الجنوب من **مسعدة** تقع قرية **بقعاتا** التي تم تأسيسها قبل ما يزيد عن 100 عام كنتيجة لنزاع عائلي في مجدل شمس تمخض عن هروب عدد كبير من سكانها خوفاً من الثأر والانتقام. أما اليوم فيعيش سكان بقعاتا البالغ عددهم 5000 شخص على زراعة التفاح والعنب . وتقع **عين قينيا** على السفوح الجنوبية الشرقية لجبل الشيخ، فوق محمية البانياس الطبيعية. وكان من بين سكانها حتى حرب الأيام الستة سنة 1967 مجموعة من المسيحيين، ولكن أصبح اليوم جميع سكانها البالغ عددهم 1600 من الدروز. (¹)

من الشخصيات الدرزية البارزة في فلسطين المحتلة :

1 - **الشاعر سميح القاسم**: أحد أهم وأشهر الشعراء الفلسطينيين المعاصرين ، ورئيس التحرير الفخري لصحيفة **كل العرب**، وعضو سابق في الحزب الشيوعي اليهودي (راجح) . ولد لعائلة فلسطينية في مدينة الزرقاء يوم 11 مايو 1939م، وتعلّم في مدارس **الرامة والناصرة**. وعلم في إحدى المدارس، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي اليهودي ، وتفرغ لعمله الأدبي. وروى عن بعض شيوخ العائلة أنّ جدّهم الأول **خير محمد الحسين** كان فارساً من فرسان **القرامطة...؟؟؟!!** . اشتغل مُعلماً وعاملاً في خليج حيفا وصحفيّاً. .. وما أن بلغ الثلاثين حتى كان قد نشر ست مجموعات شعرية . أسهم في تحرير **"الغد"** و**"الاتحاد"**

¹ - انظر : مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا .

ثم رَئِسَ تحرير جريدة "هذا العالم" عام 1966. ثمَّ عادَ للعمل مُحرراً أدبياً في "الاتحاد" - صحيفة الحزب الشيوعي - والتي عمل فيها كذلك : محمود درويش ؟! . وأمين عام تحرير "الجديد" ثمَّ رَئِسَ تحريرها. وأسَّسَ منشورات "عربسك" في حيفا، مع الكاتب عصام خوري سنة 1973، وأدارَ فيما بعد "المؤسسة الشعبية للفنون" في حيفا. رَأَسَ اتحاد الكتاب العرب والاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين في فلسطين منذ تأسيسهما. ورأس تحرير الفصلية الثقافية "إضاءات" التي أصدرها بالتعاون مع الكاتب الدكتور نبيه القاسم وإلى أن توفي كان رئيس التحرير الفخري لصحيفة "كل العرب" الصادرة في الناصرة. صَدَرَ له أكثر من 60 كتاباً في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والترجمة، وصَدَرَتْ أعماله الناجزة في سبعة مجلِّدات عن دور نشر عدَّة في القدس وبيروت والقاهرة. توفي الشاعر الفلسطيني سميح القاسم، بعد صراع مع مرض سرطان الكبد ، والذي أدى إلى تدهور حالته الصحية في الأيام الأخيرة حتى وافته المنية يوم الثلاثاء الموافق 19 أغسطس 2014. (1) .

- 2 - **النائب والوزير السابق صالح طريف:** ا كان عضواً في المجلس النيابي (الكنيست) اليهودي، ووزير دولة سابق في حكومة شارون التي تشكلت سنة 2001م، وينتمي إلى حزب العمل الإسرائيلي، وقد خرج طريف من حكومة شارون في بداية عام 2002 بسبب فضائحه الجنسية، والاتهامات التي وُجِّهَتْ له بالرشوة، وكان قد عمل في جيش الاحتلال الإسرائيلي ضابط مظاهرات، كما كان رئيساً للمجلس المحلي في منطقته.
- 3 - **النائب أيوب قرّا:** عضو المجلس النيابي اليهودي (الكنيست) وحزب الليكود

¹ - انظر : مجلة الفيصل: العددان 459-460. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

الصهيوني اليميني، يرفض أن يوصف بأنه عربي، ويفتخر بأنه شارك شارون في زيارته وتدنيسه للمسجد الأقصى؛ تلك الزيارة التي فجرت الانتفاضة في سبتمبر - أيلول 2000م، كما يفخر بحبه لـ (دولة الاحتلال)

4 - **نجيب صعب**: رئيس المجلس المحلي في قرية أبو سنان في الجليل الغربي، وقد اختارت سلطات الاحتلال ابنته (رغدة) لإشعال النار في المشاعل خلال الاحتفال بقيام الكيان اليهودي الغاصب، حسب التقويم العبري في 16 / 4 / 2002 م، وقد تباغت رغدة بهذه الخطوة؛ وأعلنت أنها تتوي الانخراط في جيش الاحتلال بعد التخرج من الجامعة . (1)

5 - **جمال معدي**: رئيس حركة النهضة الدرزية، ورئيس حركة المبادرة الدرزية المستقلة، وهو من القلة الذين يعارضون قيام الدروز بالخدمة في جيش الاحتلال .

6 - **محمد نفاع**: سكرتير الحزب الشيوعي الإسرائيلي .

7 - **عزام عزام**: الجاسوس الشهير الذي اعتقلته مصر وحبسته عدة سنوات بسبب تجسسه لحساب الكيان اليهودي، وقد بذل الهالك **شارون** جهوداً كبيرة لإطلاق سراحه، وتم ذلك بالفعل؛ إذ أطلقت السلطات المصرية سراحه في شهر كانون الأول - ديسمبر 2004، وبعد الإفراج عنه، لقي تكريماً كبيراً من المسؤولين اليهود، وتم اختياره من بين 16 إسرائيلياً لإيقاد الشعلة؛ لبدء الاحتفالات بإنشاء الكيان اليهودي في حفل رسمي أقيم أمام مبنى الكنيست، وكان أول شيء فعله عند خروجه من المطار أن توجه إلى (شارون) رئيس الوزراء الصهيوني السابق؛ ليؤدي له واجب الشكر والعرفان على ما

¹ - الشرق الأوسط: 2002/4/17م.

بذله من جهدٍ في الضغط على السلطات المصرية للإفراج عنه قبل انقضاء مدة العقوبة المقررة عليه . (¹)

8 - **موفق طريف**: شيخ الطائفة في فلسطين وزعيمها الروحي منذ 1993، وهو حفيد الزعيم الروحي السابق أمين طريف. لا يعارض موفق طريف أن يخدم الدروز في جيش الاحتلال، وفي مقابلة له مع صحيفة (الصنارة العربية) الصادرة في فلسطين المحتلة عام 48 - في أحد أيام شهر تشرين الأول - أكتوبر 2004م - طالب طريف الدروز بالإخلاص لدولة اليهود، والقتال تحت علمها .

9 - **يوسف مشلب**: ضابط برتبة لواء في جيش الاحتلال، ويشغل منصب منسق الأنشطة الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وكان قبل ذلك قائد الجبهة الداخلية في الجيش ... وهذه مجرد عينة من المتعاونين مع جيش الاحتلال .

تعاون بعض أفراد الطائفة الدرزية مع جيش الاحتلال الإسرائيلي :

يعيش اليوم في حدود دولة الكيان الغاصب 120 ألف درزي، 100 ألف منهم في الجليل والكرمل، والباقيون في هضبة الجولان. وتعتمد العلاقة التي تربط كثيرا من أفراد الطائفة الدرزية بالمجتمع الإسرائيلي على هدف مشترك، هو الدفاع عن دولة الاحتلال . ومنذ قيام دولة إسرائيل تطوع الدروز للخدمة في جيش الاحتلال الإسرائيلي ضمن

كتيبة ضمت الدروز والبدو والشركس . وفي 1956م وبعد عقد اتفاق مع زعيم

الطائفة الدرزية، تم سن قانون يلزم الرجال الدروز بالالتحاق بجيش الاحتلال

الإسرائيلي، وولدت هكذا (كتيبة حيرف) التي تعرف أيضا بالكتيبة الدرزية ، وهي قوة

¹ - وكالة الصحافة الفرنسية: 2005/5/12، عقيدة الدروز... في ميزان الإسلام: سيد نزيلي

برية في عداد القوات النظامية لجيش الدفاع الإسرائيلي المحتل ، معظم جنودها من الدروز ، وقد تأسست سنة 1974 ، في أعقاب اتخاذ قرار بدمج جميع وحدات الأقليات تحت قيادة واحدة. ويعود تسميتها بـ (حيرف) وتعني السيف، إلى تفضيل الدروز للسيف كسلاح . ويشار إلى أن احتراف الجنود الدروز وإخلاصهم لجيش الدفاع الإسرائيلي يجعلانهم عاملاً مساهماً هاماً في تكوين قوة جيش الاحتلال الإسرائيلي وقدرته على مواجهة أي تهديد يتعرض له ...أما اليوم، فيخدم الجنود الدروز في عدد من الوظائف في جيش الاحتلال الإسرائيلي، من بينها :المهام القتالية وخاصة في سلاح الحدود ، المهام الداعمة للقتال ، سلاح الطب ، الكليات العسكرية، التكنولوجيا ، واللوجستيات. (¹) ويشكلون القوة الرئيسية في وحدة المستعربين ؟! وقد اعتلى الضباط الدروز مراكز مرموقة في جيش الاحتلال، ويشكّل الدروز نسبة كبيرة من حرس الحدود الصهيوني فيما يُعرف بالعبرية (مشار كفول) الذي يذيق الفلسطينيين أنواع التنكيل والبطش. (²) وفي الانتفاضة الأخيرة سقط عدد من الجنود الدروز صرعى في مواجهة شبان الانتفاضة، ولم يكن عبثاً أن يختار اليهود الدروز لأداء الخدمة العسكرية في جيش الاحتلال شأنهم شأن اليهود؛ لمعرفتهم بولائهم، وبُغضهم لعموم من كان من غير فرقتهم، كما أن أداء الخدمة العسكرية في جيش الاحتلال يحظى بدعم ومباركة زعمائهم، ومنهم الشيخ (موفق طريف) الزعيم الروحي

¹ - انظر : الدروز في إسرائيل - خلاصة مقال كتبه الدكتور نعيم عرايدي .وهو مؤلف ومربٍ يحمل شهادة الدكتوراه في الأدب العبري، ويعمل محاضراً في كلية "غوردون" ودار المعلمين العرب في مدينة حيفا، ويسكن في قرية المغار .

² - نظر عقيدة الدروز للخطيب: ص.252

للدروز في فلسطين المحتلة . وعلى الرغم من الشراكة في الدم بين اليهود والدروز؛ فإن اليهود قد استثنوا الدروز من العمل في مؤسسات الدولة الهامة في الدولة العبرية، باستثناء مرة واحدة ولحسابات سياسية محضة؛ فلم يحدث أن تم تعيين درزي في منصب وزير، في حين لم يحدث كذلك أن تم تعيين درزي في منصب مدير عام أو قاضٍ في المحكمة العليا، وحتى بعد أن خدم الدروز لعشرات السنين في صفوف الجيش الإسرائيلي وأثبتوا إخلاصهم للدولة اليهودية، إلا أن هيئة أركان الجيش ترفض تجنيدهم في بعض أفرع الجيش مثل: سلاح الجو، أو الاستخبارات العسكرية . ويؤكد المعلق العسكري لصحيفة (هآرتس - زئيف شيف) أن المؤسسة العسكرية لا زالت تتعامل مع الدروز بصفتهم عرباً، ويتحدث فؤاد داهش - وهو طالب درزي في جامعة حيفا - بمرارة عن تردّي أوضاع الدروز، ويقول: إن الدروز لم يستفيدوا من خدمتهم في الجيش الإسرائيلي على صعيد الرقي بأبنائهم ورفع مستوى معيشتهم... ويكفي أن نعلم أن الدروز هم أقل الطوائف العربية تمثيلاً في الجامعات، مع أن فؤاد نفسه رفض الخدمة في الجيش الإسرائيلي؛ لأسباب ضميرية، وبقي فترة طويلة في السجن بسبب هذا الموقف. ويضيف: يعمل معظم الشباب الدرزي لدوافع اقتصادية في الخدمة في الجيش، وقد وصل عدد كبير منهم نسبياً إلى رُتب عالية في الجيش، ويُعتَبَر ارفع ضابط درزي في الجيش الإسرائيلي هو الجنرال يوسف مشلف (منسق شؤون الضفة الغربية وقطاع غزة في وزارة الدفاع الإسرائيلية) وقد سبق له أن شَغَلَ منصب قائد الجبهة الداخلية. وإلى جانب الخدمة في الجيش، ولزيادة الشعور بالكرهية والحد المتبادل بين الدروز وبقية أبناء الشعب الفلسطيني، فقد تم استخدام الكثير من الشباب الدرزي في الخدمة في هذا الفرع من أفرع الشرطة الإسرائيلية؛ حيث إن شرطة (

حرس الحدود) كانت ومازالت لها الباع الطولى في قمع الفلسطينيين؛ حيث تنص التعليمات الصادرة لأفراد (حرس الحدود) على التعامل بشكل مُهين وحتى ساديٍّ مع الفلسطينيين، ويرى **الشيخ جمال معدي** (رئيس لجنة المبادرة الدرزية) أن هدف الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة كان واضحاً وهو توجيه نقمة الجماهير الفلسطينية إلى غير عنوانها الصحيح؛ حيث تولد الانطباع؛ أن الجندي الدرزي يقوم بالأعمال القذرة عبر إبراز الممارسات غير الأخلاقية لهؤلاء الجنود؛ بأنهم ينفذون تعليمات وسياسة الحكومة الإسرائيلية .

وتستعين **الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية** بخدمات الدروز في محاولاتها لتجنيد عملاء لها من بين الفلسطينيين، إلى جانب قيامهم بالتجسس على الدول العربية؛ ففي أواسط الثمانينات من القرن الماضي أصدر الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بياناً أكدوا فيه أن عدداً من الممرضين الدروز الذين يعملون في السجون يربطون استعدادهم؛ لتقديم الخدمات الطبية للمرضى من الأسرى بموافقة هؤلاء على التعاون مع المخابرات الإسرائيلية؛ بحيث يتجسسون على أخوانهم من قادة الأسرى. إلى جانب ذلك؛ فأن عدداً من الدروز الذين يعملون على المعابر الحدودية التي تفصل الضفة الغربية وقطاع غزة عن الدولة الصهيونية يساومون الفلسطينيين على منْحهم التصاريح اللازمة لدخول الدولة العبرية؛ بحيث يتم ربط خدمة منْح التصاريح بالموافقة على التعامل مع المخابرات الإسرائيلية . والممارسات المَشينة للجنود الدروز ضد فلسطيني الضفة الغربية، دفعت حركات المقاومة الفلسطينية إلى حد التهديد بتنفيذ عمليات استشهادية في قلب التجمعات السكانية الدرزية، أما التجسس على الدول العربية وتنظيم شبكات تجسس فيها، فيُعتَبَر **عزام عزام** (الذي كان معتقلاً في مصر) أحد أمثله .

يقول حاتم حلبي - عضو لجنة (المعروفون الأحرار) التي تناضل ضد خدمة الدروز في الجيش الإسرائيلي-: (فإن إلزام الدروز في إسرائيل بالخدمة العسكرية أتت للفصل بين الدروز وغيرهم من الفلسطينيين من ناحية، وبينهم وبين الدروز في سوريا ولبنان) ويضيف: (من المؤسف أن المؤسسة الإسرائيلية نجحت إلى حد ما في ذلك! إسرائيل تريد أن تجعل الدروز جزءاً من الصراع العربي الإسرائيلي وزعزعة استقرار المنطقة . الدروز في إسرائيل هم الأضعف بين الطوائف الأخرى وقام الكيان الصهيوني باستغلال ذلك لخدمة مصالحه الخاصة) (¹)

أئمة الدروز

يؤمن الدروز ببالأئمة الذين تعاقبوا على إمامة الحركة الاسماعيلية ، إلى الامام :

منصور بن نزار بن معد، الملقب بـ " الحاكم بأمر الله " (375-411 هـ)

وعند المنصور تقف فرقة الدروز ويقولون بغيبته.

1. علي بن ابي طالب المرتضى - عليه السلام -

2. الحسن بن علي المجتبى - عليه السلام -

3. الحسين بن علي الشهيد - عليه السلام -

4. علي بن الحسين زين العابدين - عليه السلام -

5. محمد بن علي الباقر - عليه السلام -

6. جعفر بن محمد الصادق - عليه السلام -

¹ - مجلة وُجُهاًت نظر المصرية: يوليو 2004، الدروز في إسرائيل:عرب في الحقوق، يهود في الواجبات، موقع صالح النعامي التاريخ: 2/2/2006، انظر موقعه. www.naamy.net :...وانظر : د. صالح الرقب ، الدروز في دولة اليهود . مجلة البيان. بتصرف

7. اسماعيل بن جعفر (110-145 هـ)

8. محمد بن اسماعيل الملقب " بالحبیب " (132-193 هـ)

9. عبد الله بن محمد بن اسماعيل، الملقب " بالوفى " (179-212 هـ)

10. أحمد بن عبد الله بن محمد، الملقب بـ " التقي " (198-265 هـ)

11. الحسين بن أحمد بن عبد الله، الملقب بـ " الرضى " (212-289 هـ)

12. عبيد الله بن الحسين بن أحمد، الملقب بـ " المهدي " (260-322 هـ)،

وهو الذي هاجر إلى بلاد المغرب وأسّس الدولة الفاطمية.

13. محمد بن عبيد الله بن الحسين، الملقب بـ " القائم بأمر الله " (280-334 هـ)

(هـ)

14. اسماعيل بن محمد بن عبيد الله، الملقب بـ " المنصور بالله " (303-346 هـ)

(هـ)

15. معد بن اسماعيل بن محمد، الملقب بـ " المعز لدين الله " (319-365 هـ)

(هـ)

16. نزار بن معد بن اسماعيل، الملقب بـ " العزيز بالله " (344-386 هـ)

17. منصور بن نزار بن معد، الملقب بـ " الحاكم بأمر الله " (375-411 هـ)،



الصورة المتداولة لمنصور بن نزار بن معد، الملقب بـ " الحاكم بأمر الله " (375-411 هـ)

وعند المنصور تقف فرقة الدروز ويقولون بغيبته.

ت - منهج الإسماعيلية الباطنية في تفسير القرآن الكريم

والإسماعيلية : (هم الذين قالوا الإمام بعد جعفر هو : إسماعيل بن جعفر،

ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر، ومن الإسماعيلية انبثق القرامطة، والحشاشون، والفاطميون، والدروز، وغيرهم من الفرق الضالة ، ولالإسماعيلية فرق متعددة وألقاب كثيرة، تختلف باختلاف البلدان، إذ لهم - كما يقول الشهرستاني - (دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان) (¹) ، وأما مذهبهم فهو - كما يقول الغزالي وغيره - : (مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض) (²) ، أو كما يقول ابن الجوزي : (محصول قولهم: تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث) (³) ، ولكنهم لا يُظهرون هذا في أول أمرهم، ولهم مراتب في الدعوة، وحقيقة المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى الدرجة الأخيرة. وقد اطلع على أحوالهم وكشف أستارهم جملةً من أصحاب المقالات: كالبغدادي، الذي اطلع على كتاب لهم يسمى : (السياسة والبلاغ الأكيد والناموس

¹ - الشهرستاني : الملل والنحل : 1 / 191.

² - الغزالي : فضائح الباطنية ص37.

³ - ابن الجوزي : تلبیس إبلیس ص99.

الأكبر)، ورأى من خلاله أنهم دهرية زنادقة يتسترون بالتشيع، والحمادي اليماني الذي دخل نحلته في الظاهر، وخالطهم وعرف حالهم، وكشف حقيقتهم في كتابه: (كشف أسرار الباطنية). وابن النديم - وهو شيعي - الذي اطلع على (البلاغات السبعة) لهم، وقرأ البلاغ السابع، ورأى فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات، والوضع من الشرائع وأصحابها⁽¹⁾. قال أحد الإسماعيليين المعاصرين: (إن لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا، ولا يطلع على حقائقها سوانا)⁽²⁾ وقد فضح أمرهم في القديم: الإمام الغزالي في كتابه فضائح الباطنية، كما كتب عنهم كثير من المعاصرين، منهم: د. عبد الرحمن بدوي، والشيخ إحسان إلهي ظهير⁽³⁾. ووصفها صاحب كتاب الجامع لأخبار القرامطة: (بأنها "فرقة إمامية متطرفة، كان لثقافة الأمم القديمة تأثير على فلسفاتها ومعتقداتها، مذهبها قائم على إبطال النظر والاستدلال، وادعاء العصمة للأئمة. كان للمؤرخين والفلاسفة اليهود، وغيرهم أثر كبير على معتقداتهم، وفي تأويلهم للنصوص المقدسة).⁽⁴⁾ وقال الدكتور ناصر الفقاري: (الاسماعيلية فرقة باطنية تدعي التشيع لآل البيت، وكانوا من جملة الرافضة الذين رفضوا إمامة زيد بن علي سنة 121-122هـ، ثم سمو بالاسماعيلية

¹ - انظر: ابن النديم: الفهرست ص 267-268.

² - انظر: الحركات الباطنية في الاسلام: الاسماعيلي مصطفى غالب: ص 67. وأبو حاتم الرازي الاسماعيلي: كتاب الزينة، ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية، ص 287. والبغدادي الفرق بين الفرق: ص 294، 621. والملطي: التنبيه والرد: ص 218.

³ - انظر: الغزالي: فضائح الباطنية، ود. عبد الرحمن بدوي: مذاهب الاسلاميين، ص 831 وما بعدها. ود. ناصر الفقاري: مقالات الفرق، ص 271.

⁴ - الجامع في أخبار القرامطة، للإسماعيلي سهيل زكار: 56/1. !؟

بعد وفاة جعفر الصادق (148هـ) لقولهم : الامام بعد جعفر : اسماعيل بن جعفر ،
 وادعوا أن جعفرأ أشار إليه في حياته ، ودل الشيعة عليه ، ثم قالوا بإمامة محمد بن
 إسماعيل بن جعفر من بعده ، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر (¹) . وقول
 الإسماعيلية: بأنّ الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل ، كدّبهم في هذه
 المقالة جميع أهل التواريخ؛ لما صحّ عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر .
والخلاصة : يمكن أن نخلص مما سبق إلى القول بأنّ الإسماعيلية: فرقة
 شيعية إمامية، سبئية ،(²) باطنية ، غالية ، لا دينية، زعمت إمامة إسماعيل بن
 جعفر، وولده من بعده ، استمدت عقيدتها من الفلاسفة الإغريق ، واليهود ،
 والصابئة وغيرهم، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام .
والباطنية تسمية أطلقت لتوحي باتجاه يتجاوز الوقوف عند ظواهر الأشياء
 والكلمات، وشاع إطلاقها في تاريخ الإسلام على عدة فرق دينية تتسم بالسرية
 وغموض معتقداتها الدينية، مع اختلاف في مستويات السرية والغموض، وأهم تلك
 الفرق: الإسماعيلية وما تفرع عنها في القديم ، من دروز ، وبهرة (اسماعيلية
 مستعلية) ، وأتباع أغاخان (اسماهيلية نزارية) وقرامطة ، وبعض الفرق المنشقة
 عن الامامية الاثنى عشرية كالنصيرية ، والشيخية ، والبابية والبهائية ، والقاديانية
 في الحديث .

¹ - د. ناصر الفقاري : مقالات الفرق ، ص 271.

² - وقد أثبت ذلك في كتاب لي قيد الطباعة الموسوم بـ : (عبد الله بن سبأ اليهودي بين الحقيقة والخيال

والشهرستاني في "الملل والنحل" يقول في تعريفه للباطنية: (وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويل، ولهم ألقاب كثيرة)⁽¹⁾ وفي دائرة المعارف الإسلامية أن "الباطنية": (مشتقة من كلمة "باطن" كما يدل على ذلك اسمها. والباطنية هم أولئك الذين يأخذون بالمعنى الباطن للكتاب، ويجعلون لكل تنزيل تأويلاً.⁽²⁾) .

والكلمة الجامعة في "الباطنية" أنها (لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن، تأويلاً يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص، فهو يعني: أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة، وأن الشعائر بل الأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن)⁽³⁾ .

ورغم أن كل الفرق الباطنية . وبالأخص الإسماعيلية . تجاوزت على الشريعة، وأباحات المحرمات ، وفسرت ظواهر الشريعة بتفسيرات باطنية لا شاهد عليها من العقل أو الشرع، إلا أننا نجد من يشكك في هذه الاتهامات ، ويدافع عنها ويرجع هذه الاتهامات إلى دوافع سياسية، محاولاً تبرئة هذه الفرق من تلك الاتهامات.

¹ - انظر : الملل والنحل 1: 233، الطبعة الأولى، بيروت (1948م)، تحقيق أحمد فهمي.

² - انظر : دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشناوي، وإبراهيم زكي، وعبد الحميد يونس 3:

³ - الباطنية وتياراتها التخريبية : عبد الحميد العلوجي: 9.

فها هو "مصطفى غالب" الكاتب الإسماعيلي المعاصر يبرر التشويهات التي ألصقت بالإسماعيلية بأنها من فعل الخلافة العباسية التي واجهتها الإسماعيلية بالعداء ، ومحاولات الخروج عليها ⁽¹⁾.

الإسماعيلية المستعلية - البهرة

نشأة طائفة البهرة :

بعد وفاة المستنصر عام 487هـ - إمام الطائفة الإسماعيلية - ، بادر الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي.. باستبعاد نزار أكبر أبناء المستنصر عن خلافة أبيه، وأجلس ابن المستنصر الأصغر أحمد - وهو ابن أخته- على عرش البلاد ، ولقبه بالمستعلي، فلم يوافق أخوه الأكبر نزار على ذلك، فقبض عليه الأفضل، وأرسله إلى المستعلي، الذي بنى عليه جداراً هو تحته إلى الآن ⁽²⁾. وكَمَنَ للمستعلي تسعة نفر من النزارية ، وهو يريد العبور من جسر ضيق على النيل في الجزيرة وضربوه بالسكاكين، وحُمِلَ إلى قصره وهو فاقد الحياة.. دون أن يترك خلفاً له، على قول أكثر المؤرخين مثل: ابن الاثير ⁽³⁾، وأبي المحاسن ⁽⁴⁾، وابن خلكان ⁽⁵⁾، والذهبي ⁽⁶⁾، وابن اياس ⁽⁷⁾، وغيرهم. ولكن الإسماعيلية المستعلية ، ينكرون هذا ويقولون : إنه ولد له ولد

¹ - انظر : الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب: 5.

² - انظر: شهاب الدين النويري ، النجوم الزاهرة 5: 144.

³ - انظر: ابن الأثير : الكامل 8: 232.

⁴ - انظر: النويري ، النجوم الزاهرة 5: 227.

⁵ - انظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان 3 : 237/236.

⁶ - انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء 15 : 201.

⁷ - انظر : محمد بن أحمد بن إياس المصري : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، 2 : 224.

أسماء : الطيب ، وكناه : بأبي القاسم ، وأوصى له بالإمامة ، وأخبر بذلك الملكة الحرة " أروى الصليحية " باليمن ..

ويزعمون أنه دخل كهف الستر والغيبة، وفي هذه الفترة استلم شؤون الإمامة والخلافة أربعة كفلاء - لا يُعدون من الأئمة الإسماعلية- وهم: الحافظ عبد المجيد، والظاهر اسماعيل بن الحافظ، والفائز عيسى بن الظافر، والعاقد عبد الله بن الحافظ .. وكان آخرهم العاقد؟؟ وما أعجب هذا اللقب، فالعاقد في اللغة، هو القاطع، وعليه انقطع أمرهم، وانحل عقدهم، وانتثر عهدهم، ونسخ يوسف بن أيوب المعروف بصلاح الدين ، دولة بني عبيد⁽¹⁾، وشنت الدولة الفاطمية بفرقتها، المستعلية والنزارية..

ثم انقضت تلك السنون وأهلها..... فكانها وكأنهم أحلام.

لقد كانوا كابوساً رهيباً ، وأحلاماً مزعجة.. بدأت سنة (سبع وتسعين ومائتين) يوم تسلط المهدي الإسماعيلي على المغرب، وانتهت سنة (أربع وعشرين وخمسائة)، يوم قتل الأمر بدون عقب.. أو عقبٍ مُستتر - كما يزعمون-.

وقد استمرت الدولة الصليحية ملتزمة بتعاليم الإسماعيلية حتى وفاة الملكة " أروى بنت أحمد "، عام 532هـ ، وبعد وفاتها بدأ أمر الدولة الصليحية يضعف حتى انقرضت عام 563هـ، ولم يبق أتباع الدعوة الطيبية بأي نشاط سياسي بعد ذلك ، بل ركنوا إلى التجارة ، وعاشوا في محيط خاص بهم ، وكان كثير منهم يتخذ التقية، فلا

¹ - انظر أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم- لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد- تحقيق د. التهامي نقرة ود.

عبد الحليم عويس ص 112-113. وفي سنة (567هـ) وضع القائد صلاح الدين الأيوبي حداً لوجودهم

السياسي- انظر الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر- عبد المنعم ماجد ص 441-496.

يُظهِرُ إسماعيليته بالرغم من وجود داعية لهم ينوب عن إمامهم المستور في تصريف أمورهم الدينية . وقد هيأت التجارة التقليدية بين اليمن والهند فرصة لنشر الدعوة الإسماعيلية الطيبية في الهند ، ولا سيما في (ولاية جوجرات) جنوب بومبي ، وأقبل جماعة من الهندوس على اعتناق هذه الدعوة حتى كثر عددهم هناك ، وعرفت الدعوة بينهم باسم (البهرة) (¹) .

وكلمة البهرة : جاءت من الكلمة الكجراتية الهندية (فيوهار - vahru) وتعني - التجارة- وهي لغة ولاية (جوجرات - أو كجرات) الواقعة في غربي شبه القارة الهندية، فالبهرة هم : التجار ، لأن السواد الأعظم من هذه الجماعة يعمل في التجارة ، ومركزهم الحالي هو مدينة (سورت) في الهند وتشير روايات البهرة أن (أحمد المصري) هو أول إسماعيلي وطئت قدماه أرض (كهنبايت) في الهند ، بأمر من المستنصر بالله الفاطمي لنشر الدعوة الإسماعيلية في تلك الأرجاء . (²) ويقال إن إمام طائفة الإسماعيلية المستعلية في اليمن، قد بعث أحد دعائه ويسمى - عبد الله الفارسي- إلى الهند، لينشر الدعوة الإسماعيلية فيها، فلقي بعض النجاح، مما شجع بعض الإسماعيليين على الهجرة إلى - جوجرات- فاستوطنوها، واشتغلوا بالتجارة، واشتهروا بها. واستمرت الدعوة المستعلية في اليمن تشرف على أتباعها في (جوجرات) ، إلى أن اضطرت الدعوة الإسماعيلية الدخول في دور السתר مرة أخرى .. ومنذ أن دخلت الدعوة كهف السתר بغيبة إمامهم- كما يزعمون- اختاروا خليفة لهم بلقب - الداعي

¹ - د. محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، ص 50-51 ، باختصار . وانظر : د. أيمن فؤاد سيد :

تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص 152-206.

² - خادم حسين إلهي بخش : أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية ، ص 241.

المطلق - لينوب عن الإمام المختفي، في الإشراف على أمور دينهم ودنياهم... وظل الداعي المطلق يقيم في اليمن حتى عام (946هـ-1539م) ، وبعد أن انتشرت دعوتهم في الهند تقرر أن يتحول مركز **-الداعي المطلق-** ومقر الدعوة الرئيسي إلى الهند...؟! مع بدء النفوذ البريطاني في وضع أقدامه في الهند⁽¹⁾!!

فرق البهرة :

انقسمت طائفة البهرة في أواخر القرن العاشر الهجري إلى طائفتين :

أولاً : - البهرة السليمانية (المكّارمة) وعرفوا بهذا الاسم نسبة إلى داعيهم سليمان بن حسن ،.

سبب انشقاق هذه الفرقة عن البهرة الداودية : بعد وفاة الداعي المطلق للبهرة المستعلية داود ابن عجب شاه في عام: 999هـ. انتخب فريق من البهرة داود قطب داعياً مطلقاً لها، فعارضت مستعلية اليمن هذا التصرف، وخرجت عليهم، وانتخبت سليمان بن حسن داعياً مطلقاً لها، زاعمين أن عجب شاه اختار سليمان وأعطاه

¹ - معظم الأقليات في العالم الإسلامي كانت أداة بيد الأجنبي... فروسيا القيصرية عندما اقتطعت أجزاء من إيران أنشأت البابية، وبريطانيا عند انتصارها في الهند وباكستان أنشأت البهائية والقاديانية، والفرنسيون في سوريا استعانوا بالعلويين، والانكليز استعانوا بالدروز... واليهود استعانوا بجميع هذه الفرق.. يقول صاحب رسالة- غلامانة روش- بلغة الأردو أنه وقعت سرقة ضخمة من مسكن (اللورد الفستن) المسئول عن شركة الهند الشرقية عام (1223هـ - 1816م) في بومبي ، وكان من ضمن المسروقات سجلات الشركة الرسمية ، وبعض الأشجار الثمينة ، وحاولت الشركة عبثاً العثور عليها، فالتمسوا من داعي البهرة آنذاك المساعدة، وبالفعل عثر عليها خلال بضعة أيام وسلمها لهم، وعندما أرادوا مكافأته قال لهم: (أريد أن تتفصل جماعتي عن بقية الجماعات وأن تطلقوا يدي... وكان له ما أراد.) انظر نشرة (غلامانة روش) ونشره (داعي مطلق) وهما بلغة الأردو ، وقد زودني بهما أحد أقاربي الذين يدرسون في الهند. بعد ترجمتهما إلى اللغة العربية .

وثيقة بذلك ، وتدعي جماعته أنها لا تزال عندهم تلك الوثيقة ، وتبعه شذمة قليلة نسبوا إليه ، ويتواجدون في اليمن ، وبعض أفرادها مقيمون في الهند والباكستان. (¹) ثم خلفه ولده **جعفر** ، وكان صغيراً ، وأوصى به والده إلى **محمد بن الفهد المكري** ، فانتقلت الدعوة إلى اليمن ، ولما كبر **جعفر** ، ومات **المكري** ، استمر **جعفر** في الدعوة إلى أن مات ، فخلفه أخوه **علي** الذي انتقل بالدعوة إلى الهند مرة أخرى ، وتوفي عام : 1088هـ ، فخلفه **إبراهيم بن محمد بن الفهد المكري** الذي نقل الدعوة إلى اليمن مرة أخرى إلى بلدة **طيبة من بلاد همدان** حتى توفي سنة : 1094م ، فخلفه حفيده **محمد بن إسماعيل بن إبراهيم** ، الذي فر من **طيبة** بعد حروبهم مع **الزيدية** ، واستقر في جنوب الجزيرة العربية ، وأسس **للسليمانية معقلاً** جديداً (²) ، ويعرفون في اليمن بالـ **مكارمة** (³) . وقد حصل انشقاق في **البهرة السليمانية** إلى فرقتين : **" حسينية "** و **" محسنية "** و كان بسبب أن كل داع منهم يوصي عند وفاته بمن يخلفه ، ففي عام 1413هـ كان داعي **الإسماعيلية** يسمى **بالحسين ابن الحسن المكري** ، ونائبه يدعى **محسن ابن علي المكري** وهو وكيله المسئول عن بيت المال ، وكان **محسن** في اعتقاد الأتباع يظنون أنه هو الخليفة **للعنبي** ، إلا أنهم بعد وفاة **الحسين** وجدوا ورقة الوصية والتي

¹ - انظر : القرامطة : طه الولي ، ص 35_ وطائفة الاسماعيلية ، محمد كامل حسين : ص 52

² - الاسماعيليون والمغول ، حسن الأمين ص 175. والامامة في الاسلام : عارف تامر ص 157. ودهاقنة اليمن ، للعنبي ، ص 41

³ - قبيلة المكارمة قبيلة حميرية الأصل ، وهي كغيرها من القبائل اليمنية تجد أبنائها في مناطق عدة وعلى مذاهب عدة أيضاً ، فالمكارمة يوجد منها فرع واحد فقط على المذهب الاسماعيلي ، والبقية إما زيود أو شوافع أو أحناف أو حنابلة ، مع قدم ارتباط بعض أفراد القبيلة بالمذهب الاسماعيلي.. انظر : الاسماعيلية وفرقها : عبد الرحمن المجاهد ص 245.

تنص على أن الخليفة بعد ذلك الإمام رجل يسمى الحسين ابن إسماعيل المكري ، وكان يسكن في مدينة الطائف المعروفة بالقرب من مكة المكرمة ، وصارت هذه الوصية بمثابة الصاعقة على محسن لأنه بموجب تنفيذها سيفقد مكانته وتعظيمه من قبل الأتباع ، والأهم من ذلك كله أنه سيفقد بيت المال الإسماعيلي ، فرفض هذه الوصية وأعلن خروجه على الحسين بن إسماعيل ، ونصّب نفسه داعياً مطلقاً للمكارمة الإسماعيلية، وعندها أنقسم المكارمة إلى قسمين : قسم انساق مع محسن ، وقسم أيد الحسين بن إسماعيل ، وذهب المؤيدون للحسين إلى مدينة الطائف وبشروه بانتقال الإمامة إليه، وجاءوا به إلى مدينة نجران ليستلم منصبه ويستقر في خشيوه المقر الرئيسي لمذهب الإسماعيلية المكارمة الآن .

أما الحسين ابن إسماعيل فقد أستقر في منطقة تسمى " دحوه " ، واستمر أتباع الحسين ابن إسماعيل في ممارسة الضغوط على محسن حتى شهر ذي القعدة من عام 1416 للهجرة حيث أستطاع الحسين ابن إسماعيل وأتباعه أن يستعيدوا المركز الرئيس للطائفة الإسماعيلية المكرمية ، وكذلك الجامع الكبير ، وبيت المال الإسماعيلي بعد أن تركها محسن ، ولا يزال الخلاف قائماً بينهما إلى هذا اليوم ...وتعاقب على رئاسة هذا الفرع من الطائفة عدة دعاة . وداعيتهم الآن (هو : أحمد محمد الجمالي تولى الرئاسة في (18 جمادى الآخرة 1346 هـ - 7 أبريل 2015 م ونائبه :علي حسن المكري ولا زال في رئاسة الدعوة إلى يومنا هذا ، يحمل الرقم)

53) في سلسلة دعاة السليمانية (...؟؟ ويعرفون في اليمن بالمكانمة . (1)

ثانيا : - وسميت الفرقة الثانية باسم البهرة الداودية :

نسبة إلى داود بن عجب شاة (الداعي المطلق) وتوفي عام 999هـ، وزعيمهم
يلقبونه بالداعي.. وقد تعاقب الدعاة بعده في الهند، إلى عهد الداعي السادس
والأربعين، وهو : " محمد بدر الدين بن عبد علي سيف الدين، الذي قتل سنة
1256هـ، بالسم على إثر مكيدة دبرها الداعي السابع والأربعون : عبد القادر نجم
الدين (1845 - 1885م) ، الذي نصب نفسه داعياً مطلقاً لطائفة البهرة الداودية،
وبقيت إمامة هذه الطائفة في أبناء وأحفاد هذا الداعي إلى وقتنا الحاضر. وقد
توطدت في عهد هذا الداعي علاقة البهرة مع الدولة المستعمرة الإنجليز ، فاعتبرته
الدولة المستعمرة أعظم رؤساء (الدكن) على الإطلاق ، واستثنته من قانون حمل
السلاح ، وحمته من المثل أمام القضاء المدني ، ولا زال الدعاة يتمتعون بهذه الميزات
حتى اليوم . (2)

أما الداعي الحادي والخمسون :ظاهر سيف الدين ،- وكان أبرز دعاة البهرة -
فتعاونه مع المستعمرين ظاهر للعيان ، ففي عام 1915م أعلن ولاءه للدولة
المستعمرة ، ووهب الدولة المستعمرة وأقرضها أموالاً كثيرة ، وألف كتابه (نور

¹ - الاسماعيلية وفرقها : عبد الرحمن المجاهد ص 245 . ودهاقنة اليمن ، للعنبي ، ص 41

² - انظر : خادم حسين إلهي بخش ، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية ،
ص 244.

الحق المبين) وفيه يكفر جميع أمة التوحيد ، ويستتثي أتباعه من البهرة الداوودية ، ويحكم على كل من لم يؤمن به بالكفر ويقول : من لم يؤمن بي ، ويعترف بأني داع له يجب عليه اتباعي ، لا يقبل منه توحيده ، وهو ليس بمسلم البتة ، ويحكم على المنشقين عن طاعته بقوله : (.... فمن زعم أن معرفته لنبيه أو وصي نبيه أو إمام زمانه تكفيه دون معرفة داعيه ، فقد ضل عن قصد السبيل ، وباء بالعذاب الويل ، وكلمة شهادته لله غير مقبولة .!؟) (¹) فهب المسلمون للرد عليه ، وبينوا حقيقة البهرة ، فعادوا للتكتم من جديد .

وداعيههم اليوم هو: المفضل سيف الدين السلطان والداعي الجديد، خلفاً لوالده الدكتور محمد برهان الدين ، وهو الداعي الثالث والخمسون من سلسلة دعائهم، في هذا الفرع، (²) . والبهرة لا يسمحون لأحد باعتناق مذهبهم .. والداعي

¹ - انظر : طاهر سيف الدين ، نور الحق المبين ، ص 33-35.

² - من هو سلطان البهرة "الجديد" وماهي مهمته الجديدة في اليمن؟ نصبت طائفة البهرة، المفضل سيف الدين سلطاناً جديداً لها، خلفاً للدكتور محمد برهان الدين بعد وفاته ، والمفضل سيف الدين سلطان البهرة والداعي المطلق الثالث والخمسون من سلسلة الدعاة المطلقين الفاطميين، والابن الثاني لسلطان البهرة الراحل الدكتور محمد برهان الدين. ولد سلطان البهرة الحالي المفضل سيف الدين في مدينة سورت الواقعة في الضفة الغربية في الهند يوم الثلاثاء 23 رمضان 1365 هـ ، الموافق 20 اغسطس 1946م. وينتمي السلطان إلى أسرة توارثت زعامة طائفة البهرة منذ مدة مديدة ، تولى تربيته وتعليمه والده السلطان الراحل الدكتور محمد برهان الدين، منذ صغر سنه، وقد زوجه والده في ريعان شبابه، وله خمسة اولاد ثلاثة من الذكور اولهم الأمير جعفر الصادق ثم الأمير طه ثم الأمير حسين واثنان من الاناث. وحسب ما يعتقده أبناء طائفة البهرة وتنص على ذلك كتبهم انه لا يتولى زعامتهم سلطان جديد الا بنص وتوقيف وتعيين له من السلطان الراحل، وسلطان البهرة الحالي مفضل سيف الدين هو الابن الثاني لوالده سلطان البهرة الراحل الدكتور محمد برهان الدين، وقد عينه والده خلفاً له قبل وفاته بسنتين عام 1432 - 2011م في مدينة بومباي أمام الالاف من أبناء الطائفة.

المطلق هو الحاكم الفعلي لجميع أفراد البهرة ، وله الأمر والنهي ، فلا يصح لأحد من طائفة البهرة أن يؤم المصلين إلا بإذنه ، ولا يحق له أن يعمل عملاً خيراً من بناء مدرسة أو مستشفى إلا بأمر ، ولا ينعقد نكاح الفرد من الطائفة إلا إذا عقده الداعي أو من أذن له من عماله ، دون الرجوع إلى المحاكم الشرعية أو الهيئات المختصة... **ومن مهام الداعي أو نائبه** : الصلاة على الميت منهم ، وينزل في قبره ويؤذن فيه ، ويقوم بكسر يده الشمال معتقدين أنهم بكسرها يمنعون استلام كتابه بشماله يوم القيامة. ؟ ويخالفون المسلمين في مراسم الدفن، ولا يدفنون موتاهم في مقابر المسلمين.. كما أن الداعي يوزع على أمواتهم "صكوك الغفران" ويسمونها **الرسالة**، ويتم وضعها في إبط الذراع الأيسر في القبر، ويحرصون على مخالفة المسلمين في دفن موتاهم **بتوجيههم نحو بيت المقدس؟؟** (¹)

وينتمي أبناء طائفة البهرة في اليمن إلى جبال شرقي حراز ، الغنية بالمدرجات الزراعية والاراضي الطيبة الخصبة لولا شجرة القات التي غزتها وسلبتها خصوبتها وعطائها، هذه الشجرة التي حاولت الحكومة اليمنية منذ سنين محاربتها وقلعها، لكن عشق اليمنيين لها - رغم ضررها وخطورتها - حال بين ذلك، منذ أول زيارة لسلطان البهرة الراحل الدكتور محمد برهان الدين سنة 1961/1381م الى اليمن وهو ينصح أبناء طائفته ويأمرهم بقلع هذه الشجرة المضرة ، ويمدهم بالمساعدات المالية لتسهيل ذلك ، مما أدى إلى اقتلاع آلاف الأشجار منها في أراضي حراز. [انظر : يمن الآن - صنعاء - الاربعاء 26 فبراير 2014م، بتصرف واختصار].

¹ - انظر مقال طائفة البهرة في مجلة المجتمع الكويتية 1978/10/24 .

وينتشر البهرة الداودية في الهند وباكستان واليمن، وبعض أقطار أفريقيا والخليج العربي. ويقيم داعيهم في مدينة بومبي الهندية. (¹)

مصادر دخل الأموال عند البهرة :

الأموال التي تصب في بيت المكرمي من كل حذب وصوب ، هي أهم سبب في بقاء هذا المذهب ، وذلك لأنه في تكديسها في يد ذلك الداعي المكرمي يستطيع بها تنفيذ خططه الدعوية وشراء الذمم، ولهذا السبب تجد الداعي المكرمي يدافع عن مذهبه بكل ما أوتي من قوة ، هو حاشيته المستفيدة من بيت المال ، لذلك تفنن المكرمي في إيجاد مصادر الدخل لهذا البيت ومنها:

المصدر الأول : الخمس: وهو خمس ممتلكات المكارمة من رواتب أوعقار أومدخرات أوتجارة، وهم بهذا يوافقون الشيعة الأثنا عشرية في هذا الخمس. (²)

المصدر الثاني: هوزكاة الأموال: وتقدر بـ 5%، ولكن أتباع المكرمي في نجران اشتكوا من دفع 5% لهذا الداعي و2,5% للدولة ، فأجاز لهم الداعي التخفيف إلى 2,5% على اعتبار أن ما يدفع للدولة حق مقتصر ، وهذه الزكاة لا يحق للأتباع أن يوزعوها على الفقراء ، بل لابد أن تسلم إلى يد الداعي المكرمي ، أو من ينوب عنه ليصرفها بمعرفته.

¹ - انظر مقال - طائفة البهرة - د. محيي الدين الألواني - مجلة الأزهر مجلد 45، ومقالنا عن طائفة البهرة، في مجلة المجتمع الكويتية عد 382، ونشرتي (غلامانة روش، وداعي مطلق - بلغة الأردو)، ومقال للسيد سلطان شاهين لصحيفة (الباتريوت) الصادرة عام 1978م باللغة الإنجليزية في بومبي ، وقد زودني بها مترجمة للعربية أحد أقاربي من طلاب العلم في الهند .

² - انظر كتاب " الهمة في آداب أتباع الأئمة " للقاضي النعمان صفحة 69 .

المصدر الثالث: من مصادر الدخل عند الإسماعيلية المكارمة هو ما يسمى بـ "
الصلة ": وهي تمثل الصلة بين الإمام والأتباع ، ونظراً لغيبة الإمام فإنها تدفع إلى
الداعي المطلق المكرمي القائم مقامه ، وكلما دفع التابع أكثر كلما زادت الصلة.
المصدر الرابع: من هذه المصادر ما يسمى بالفطرة: وهي زكاة عيد الفطر
المعروفة ، ولكنها عند الإسماعيلية المكارمة لا تدفع من قوت البلد بل تدفع نقداً
وتقدر بـ 15 ريال عن كل شخص، ولا بد أن تسلم إلى المكرمي أو من ينوبه ، ومن
فعل خلاف ذلك فعليه أن يدفع فطرة جديدة مع كفارة نقد المخالفة.
المصدر الخامس: النذر: وهو النذر المعروف في الشريعة الإسلامية لكنه لا يقبل
عند المكارمة إلا نقداً ، ويسلم بيد الداعي أو من ينوب عنه ، وأفضل أوقات دفعة
شهر رجب، وشهر رمضان ، ويوم غدير خم الموافق من كل عام.
المصدر السادس: نذر المقام: وهو نذر يتقرب به لأحد القبور مثل قبر الحاكم أبا
الخيرات في حراز بدولة اليمن ، أو قبر الحسين ، أو قبور كربلاء والنجف في العراق.
ويسلم النذر ومقداره (500) ريال إلى الداعي المكرمي، والمكارمة يفعلونها سنوياً
طلباً البركة من صاحب القبر، ومن الملاحظ أنه بعد حرب الخليج ارتفعت قبور
العراق إلى أكثر من (3000) ريال سعودي ، ولكن كيف ترسل النذور إلى
قبور العراق؟! وذلك أن يرسل المكرمي فاكس من مدينة نجران إلى دولة الهند
بأسماء طالبي النذور، فيذهب أحد الهنود لزيارة القبور المنذور لها والدعاء عندها
وبهذه الطريقة تصل الأموال من جنوب المملكة العربية السعودية إلى قبور أئمة آل
البيت في دولة العراق.

المصدر السابع: من مصادر دخل الأموال هو ما يسمى عندهم " بالتصميم "، وهو أن يطلب من الداعي أونائبة كتابة باسم الله على سجلاتهم التجارية تيمناً وبركة! حيث يجمع من هذا الفعل مبالغ كبيرة لأنه يُفعل كل سنة وعند كل خسارة.

المصدر الثامن : ما تسنه زعامة الطائفة من **ضرائب إجبارية** على أفراد الطائفة، في حين تدعى أنها تطوعية، وقد اشترى الداعي عدة فنادق من هذه الضرائب التي يفرضها على أفراد طائفته، واشترى أيضاً مشروع المياه الغازية -الكوكاكولا- في مدينة بومباي في الهند.

وعندما تقوم العائلة الحاكمة بإنجاز أى مشروع فالتبرعات تصبح واجبة على أفراد الطائفة، وعندما اشترت العائلة فندقاً -سندزهاوس- في بومبي فرض الداعي على كل فرد من أتباعه كافة أن يدفع 10 روبيات لتغطية النفقات.

وعندما تحمل الأم بابنها عليها أن تدفع، وكذلك إذا مات فعليها أن تدفع الضريبة المقررة، والذي يريد أن يحوز رضى الداعي عليه أن يدفع الكثير حتى كلمة: بسم الله الرحمن الرحيم من الداعي تكلفهم ما بين 5000 - 50.000 روبية، كل حسب طاقته ! ويجب على كل فرد من أفراد الطائفة أن يشتري تذكرة خاصة بصلاة العيد، يصدرها مكتب الداعي، وتختلف قيمتها في الصف الأول عن الصف الآخر، فالتذكرة في الصف الأول-خلف - الامام الداعي - تكلفه ألف روبية، وثمانمائة في الصف الثانى. وكذلك **جثة الميت** منهم فإنها لا تدفن إلا بعد أن يدفع أقارب الميت ضريبة مقابل ذلك لمكتب الداعي، الذى يراقب كل شيء ليأخذ الضرائب عن كل شيء. وبعد الدفع يصدر الداعي صك غفران -روكوشيتي- لذلك الميت، ويدفن معه في القبر.

المصدر التاسع : ما يحصلونه من الصكوك ، وهي على عدة أنواع، فأقارب المتوفى الذين يدفعون أكثر من خمسين ألف روبية، يحصلون على صك غفران - من الدرجة الأولى في الجنة !!

وكل شخص يريد السفر إلى أى مكان عليه أن يأخذ تصريحاً خاصاً من مكتب الداعي. وقبل سفره لابد أن يطوف - بروضة طاهرة -قبر الحادي والخمسين طاهر سيف الدين .

ويوجد في الكويت حوالي عشرة آلاف فرد من طائفة البهرة،^(1) وكل شخص من هؤلاء عليه أن يدفع مبلغ خمسة دنانير شهرياً لنائب الداعي، وهو غير الخمس ، سواء أكان يعمل أم لا. ولو تأخر شهراً واحداً عن الدفع، فإنه يطرد من الطائفة ويفرض عليه

¹ - وكان زعيمهم في الكويت يدعى (شيخ نجف علي).. وكنت قد كتبت مقالا في مجلة المجتمع الكويتية عن طائفة البهرة ، وكان بأسلوب يدعى في البلاغة بأسلوب (التوجيه) ، وأوضح مثال عليه قول الشاعر الذي يمدح أو يذم خياطا أعور اسمه (عمرو) قال فيه :

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء ؟

فأسأل الناس جميعا . . . أمدح أم هجاء ؟

أي : هل تصبح العوراء سليمة ، أم يصيب العور العين السليمة ؟؟.. وكان المقال لا هو مدح ولا هو هجاء ... فاتصلوا بي عن طريق المجلة ، وقد أعجبهم المقال ، فقلت لهم : لو تعطوني شيئا من كتبكم السرية لكتبت عنكم ما يسركم .. فأعطوني كتيباً اسمه (روضة طاهرة) وفيه صور قبر داعيهم الحادي والخمسين (طاهر سيف الدين) .. ورتبوا لي مقابلة مع الداعي (د. محمد برهان الدين) ، ولكني لم أذهب لحضور اللقاء ؟!

وطلبت مراجع عن الطائفة من أحد أقاربي الذين كانوا يدرسون في الهند .. وزودوني ببضعة مراجع ، فكتبت عنه بحثاً مطولاً نشر في حلقتين ، ولم أنشره باسمي كالمقال الأول .. ونشرته المجلة باسم أعرفه ، وكان المقال كاشفاً لحقيقتهم .. فعلمت أن الطائفة نقلت (شيخ نجف علي) إلى جيزان أو نجران عقاباً له ... وهم تجار ناشطون في الكويت ، كنت أعرف عدداً منهم

الحرمان. وعلى كل فرد عند رجوعه إلى بلده ، أن يذهب ليطوف بـ (روضة طاهرة) عدة مرات. ومن العجيب أن الداعي الأكبر باع كثيراً من (مساجد الضرار) التي ارتفعت أثمان الأرض بجوارها، حتى المقابر لم تسلم من أذى الداعي، فقد باع مقبرة كبيرة في بلدة -برهان يو- بأعلى الأثمان بعد أن قسمها إلى قسائم سكنية .

ومن جهة ثانية فإن الداعي يتاجر مع أفراد عائلته بالذهب، الذي يهربونه من أفريقيا وسيلان حيث استطاعوا تهريب ملايين المجوهرات والأحجار الكريمة. (1)

أماكن انتشارها: ينتشر أتباع طائفة البهرة بنوعيتها السليمانية والداودية بشكل خاص في الهند واليمن ، وفي مدينة نجران السعودية، وفي تنزانيا ومدغشقر وكينيا، وبعض دول الخليج. على النحو التالي :

1 - **اليمن:** حيث كانت مركزاً للإسماعيلية بعد انحسارها في مصر، ويتمركزون حالياً في منطقة حراز (على بعد 100 كيلو متر من العاصمة صنعاء)، وبعض المناطق الأخرى مثل صعفان، وجبله ، ومناخة. ويقدر عددهم في اليمن بـ 14 ألفاً، لكن ثمة تقديرات تؤكد أنهم بحدود 40 ألفاً من أصل سكان اليمن الذي تجاوز الـ 20 مليوناً.

2 - **الهند:** وهو المقر الرئيسي للطائفة، وتحديداً مدينة بومباي، حيث إقامة زعيمها الحالي

وقد انتقلت زعامة البهرة من اليمن إلى الهند عام 944هـ، بعد أن ضعف شأنها في اليمن وبحكم التجارة والاحتكاك. حيث انتقلت من الداعي محمد عز الدين في اليمن إلى

¹ - من تحقيق شرته مجلة الوعي الإسلامي بالكويت :صفر سنة 1398هـ

أول داعي هندي هو يوسف نجم الدين، وهو الداعي رقم 24 في سلسلة دعاة البهرة الداودية. وإضافة إلى بومبي، فإنهم يتواجدون في جوجارت ومهراشاترا وسورت ووراجستران وفي 500 مدينة وقرية. وفي أوائل التسعينات من القرن الماضي كان عددهم في الهند يقدر بحوالي مليوني نسمة ولهم هناك أكثر من 100 مسجد.

3- مدينة نجران، جنوب غرب السعودية، وهم من أصول يمنية، وعددهم غير معروف.

4 - مدينة كربلاء في العراق، حيث أقاموا لهم هناك وكيلاً عن داعي الدعاة يعرف باسم (عامل صاحب) أو (عامل) يختص بشؤون الحسينيات الموجودة في أنحاء العراق، وهو المعني بالدعوة إلى المذهب. وهم يحاولون ترميم بعض أضرحة أئمة الشيعة، كما برز ذلك عند محاولتهم تشييد ضريح أبي الفضل العباس في عهد المرجع الشيعي محسن الحكيم، إلا أن محاولتهم هذه اصطدمت برفض المرجع الحكيم.

1 - بعض دول الخليج التي يكثر فيها الهنود مثل الكويت ولهم في الكويت جامع خانه في شارع الاستقلال⁽¹⁾ ، والبحرين ، ودبي ، والامارات العربية المتحدة ، ومدينة عدن اليمنية. إضافة إلى مصر وبعض الدول الغربية. وفي البحرين يقدر عدد أفراد البهرة بسبعمئة شخص، ولهم جمعية تعرف بـ " جمعية البهرة الإسلامية" وقد تأسست سنة 1985، ومقرها هو مسجد البهرة في العاصمة المنامة، وقد وضع سلطان البهرة سنة 1978 حجر الأساس للمسجد أثناء مروره بالبحرين. وبجوار المسجد يوجد مقبرة خاصة بهم. (2)

¹ - مجلة المجتمع الكويتية: عدد 417 سنة 1398هـ.

² - انظر : أروى الصليحية - الموسوعة المصغرة للدكتور أسامه فؤاد شعلان.

الدعاة المشتركون بين البهرة الداوودية والبهرة السليمانية :-

- 1- الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي (1محرم 546هـ - 20 ابريل 1151م) وهو أول الدعاة لإمام الستر الطيب، عينته الملكة أروى بنت أحمد.
- 2- الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي (7 شعبان 557هـ - 22 يوليو 1162م) صاحب التصانيف الكثيرة والتي منها : كنز الولد.
- 3- الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي(16محرم 596هـ - 7 نوفمبر 1199م).
- 4- الداعي علي بن حاتم الحامدي (25 ذو القعدة 605هـ - 31 مايو 1209م)
- 5- الداعي علي بن محمد بن الوليد الأنف (27 شعبان 612هـ - 21 ديسمبر 1215م) أول دعاة بني الأنف القرشيين وهو صاحب كتاب: الذخيرة في الحقيقة.
- 6- الداعي علي بن حنظلة الوادعي(13 ربيع أول 626هـ -10فبراير 1229م) .
- 7- الداعي أحمد بن المبارك بن الوليد (28جمادى الآخرة 627هـ - 14مايو 1230م)
- 8- الداعي الحسين بن علي بن محمد الأنف (22صفر 667هـ - 23ديسمبر 1263م)
- 9- علي بن الحسين بن علي بن محمد الأنف (13 ذو القعدة 682هـ - 2 فبراير 1284م)

10 -الداعي علي بن الحسن بن علي بن حنظلة (21صفر686هـ - 7 أبريل 1287 م).

11- الداعي إبراهيم بن الحسين بن علي الأنف (10 شوال 728هـ - 21 يونيو 1328 م).

12- محمد بن حاتم الأنف (30 ذو القعدة729هـ - 25 سبتمبر 1329 م)

13 -الداعي علي بن إبراهيم بن حسين الأنف 18 رجب 746هـ -14نوفمبر 1354م)

14-الداعي عبد المطلب بن محمد بن حاتم بن حسين الأنف (14 رجب 755هـ - 4 أغسطس 1354 م)

15- الداعي عباس بن محمد بن حاتم الأنف (8شوال779هـ - 7 فبراير 1378 م)

16- الداعي عبدالله بن علي بن محمد الأنف(9رمضان809هـ - 17 فبراير1407م)

17- الداعي الحسن بن عبدالله بن علي الأنف (6شوال821هـ - 6 نوفمبر 1418م).

18- الداعي علي بن عبدالله بن محمد الأنف (3صفر822هـ - 12 نوفمبر1428م)

19- الداعي إدريس بن الحسن الأنف (19ذو القعدة 872هـ - 11يونيو 1468م) وهو صاحب كتاب (عيون الأخبار).

- 20- الداعي الحسن بن إدريس الأنف (15 شعبان 918هـ - 26 أكتوبر 1512م)
- 21- الداعي الحسين بن إدريس الأنف (10 شوال 932هـ - 10 يوليو 1527م)
- 22 - الداعي علي بن الحسين بن إدريس الأنف (21 ذو القعدة 933هـ - 19 أغسطس 1527م).
- 23- الداعي محمد بن الحسين بن إدريس الأنف (27 صفر 946هـ - 14 يوليو 1539م) ، وهو آخر دعاة بني الأنف.
- 24- الداعي يوسف بن سليمان الهندي (16 ذو الحجة 973هـ - 4 يوليو 1566م)
- وهو أول دعاة الهنود في تاريخ الدعوة الإسماعيلية المستعلية.
- 25- الداعي عبد الجليل بن الحسن الهندي (16 ربيع الثاني 974هـ - 31 أكتوبر 1566م) .
- 26- الداعي داود بن عجب شاه الهندي (27 ربيع الثاني 997هـ - 15 مارس 1588م) مات في أحمد آباد بالهند، انقسمت بعده المستعلية الطيبية إلى: سليمانية ، وداودية. أي : كل ما سبق من الدعاة من (1 إلى 26) يتفق فيهم الداودية والسليمانية ثم بدأ الانقسام بعد ذلك. وبعد وفاة الداعي المطلق السادس والعشرين للبهرة المستعلية داود بن عجب شاه في عام 999 هـ، حيث انتخب فريق

من البهرة داود قطب شاه داعياً مطلقاً لها، فعارضت مستعلية اليمن هذا التصرف، وخرجت عليهم.⁽¹⁾

بداية دعاة البهرة السليمانية:-

27- سليمان بن الحسن بن يوسف بن سليمان الهندي، تولى رئاسة الدعوة في:

(27 ربيع الثاني 997 هـ - 15 مارس 1588 م)داعياً مطلقاً لها، وقد تعرض للسجن من قبل الأتراك ثم غادر اليمن إلى الهند لكسب أنصار ضد غريمه الهندي داود بن قطب شاه لكنه لم يستطع كسب الكثير من الهنود إلى صفه ، حيث أغرى منافسه حاكم البلاد بسجنه وتغريمه أموالاً طائلة. وزعموا أن داود بن عجب شاه قد أوصى لسليمان وسمي أتباعه ب(السليمانية) ، وأتباعها يتمركزون في نجران واليمن، وفي الهند، في حيدر أباد الدكن، وبرودة كوجرات، قرب بومباي ، ومات في أحمد أباد كجرات الهند، ثم خلفه ولده.

28- جعفر بن سليمان بن الحسن بن يوسف بن سليمان الهندي ، تولى الدعوة بعد والده في اليمن وكان محمد بن الفهد المكرمي كافله حتى كبر وتقلد الدعوة.

تولى الرئاسة في (1005هـ - مايو 1597 م -وكانت وفاته في 29 ربيع الثاني

1050هـ - 18 أغسطس 1640 م)

¹ - انظر :تاريخ الدعوة الإسماعيلية، لمصطفى غالب، جدول رقم 3، والإسماعيليون كشف الأسرار ونقد الأفكار ، لعادل سالم العبد الجادر، ص 379 ، وكتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ص 72 ، وكتاب البوهرة تاريخها وعقائدها، الدكتور:رحمة الله قمر الهدى، ص 21- 28 ، و 105 ، وكتاب الشيعة الإسماعيلية رؤية من الداخل، علي طه الجبل، ص 24 .وإسلام بلا مذاهب، الدكتور : مصطفى الشكعة، ص 275، وكتاب فرهاد دفتري، الإسماعيليون ص 123.

29 - محمد بن الفهد المكرمي، تولى الرئاسة في 29 ربيع الثاني 1050هـ -

18 أغسطس 1640 م) وتوفي في 1 شعبان 1052هـ - 25 أكتوبر 1642 م) وهذا أكبر دليل على كذب هؤلاء الدعاة أنه يُوحى إليهم عند تعيين الخليفة . وأنه لا يتم اختيار الداعي عشوائياً وإنما يكون ذلك بوحى واختيار من الله أو الإمام الغائب. (¹)

30- علي بن سليمان بن الحسن بن يوسف بن سليمان الهندي تولى الرئاسة في: (1 شعبان 1052هـ - 25 أكتوبر 1642 م) الذي انتقل بالدعوة إلى الهند مرة أخرى، وتوفي في (18 شعبان 1088هـ - 16 أكتوبر 1677 م) في أحمد آباد الهند . وكان له دور كبير في تأسيس الفرقة السليمانية، ومواجهة خصومها، وتأليف الكتب، ومنها (:إسعاف الطالب في جمع المطالب.)

31- إبراهيم بن محمد الفهد المكرمي ، تولى الرئاسة في (18 شعبان 1088هـ - 16 أكتوبر 1677 م) وهو ثاني دعاة المكارمة ولد في الهند وهو الذي نقل الدعوة إلى اليمن مرة وعاد إلى طيبة ، بعد أن أصبح داعياً واستقر فيها حتى وفاته، في (17 صفر 1094هـ - 15 فبراير 1683 م) ودفن في طيبة، (²) فخلفه حفيده. (¹)

¹ - انظر : سمط الحقائق، علي بن حنظلة . مقدمة المحقق : 17 . وتاريخ المذاهب الدينية في اليمن. د أيمن فؤاد : 169 . وكنز الولد، إبراهيم الحامدي، مقدمة المحقق : ص 28 ، وكتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، الدكتور محمد أحمد الخطيب، ص 72، والإسماعيليون : كشف الأسرار ونقد الأفكار ، لعادل سالم، ص 382.

² - قرية مطلة على منطقة القابل، شمال غرب صنعاء، تشتهر بالحصون والقلاع، وكان اسمها القديم : دورم. اتخذتها الباطنية مركزاً لها . انظر :معجم البلدان والقبائل اليمنية، للمقهي : 1 / 968 ، وكتاب نجران والأرض والناس والتاريخ، تأليف :سيد الماحي، ص : 29 ، وكتاب نجران في أطوار التاريخ، محمد بن أحمد العقيلي، ص 124

32- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الفهد المكرمي، تولى الرئاسة في 17 صفر 1094هـ - 15 فبراير 1683 م)وتوفي في 26 ربيع أول 1129هـ - 10 مارس 1717م) .

33- الداعي هبة الله بن إبراهيم المكرمي، تولى الرئاسة في 26 ربيع أول 1129هـ - 10 مارس 1717 م)وتوفي في(25 صفر 1160هـ - 8 مارس 1747 م)

34- الداعي إسماعيل بن هبة الله المكرمي، تولى الرئاسة في (25 صفر 1184هـ - 8 مارس 1747 م) وتوفي في(16 صفر 1184هـ - 11 يونيو 1770 م)

35 - الداعي الحسن بن هبة الله المكرمي، تولى الرئاسة في (16 صفر 1184هـ - 11 يونيو 1770 م)وتوفي في (12 جمادى أولى 1189 هـ - 11 يوليو 1775 م)

36-الداعي عبد العلي بن الحسن بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن الفهد المكرمي، تولى الرئاسة في (12 جمادى أولى 1189 هـ - 11 يوليو 1775 م)وتوفي في: (29 رمضان 1195 هـ - 18 سبتمبر 1781 م)

37-الداعي عبدالله بن علي بن هبة الله بن إبراهيم المكرمي، تولى الرئاسة في (29 رمضان 1195 هـ - 18 سبتمبر 1781 م) وتوفي في(17 ذو القعدة 1225هـ - 1414 ديسمبر 1810 م)

38- الداعي يوسف بن علي بن هبة الله بن إبراهيم المكرمي، تولى الرئاسة في

¹ - انظر :تاريخ الدعوة الإسماعيلية، لمصطفى غالب، جدول رقم 3 . والإسماعيليون (كشف الأسرار ونقد الأفكار)، لعادل سالم، ص382 . وكتاب دهاقنة اليمن، العنبي ص41 .

(17 ذو القعدة 1225 هـ - 14 ديسمبر 1810 م) وتوفي في (9 رجب 1234 هـ
4 مايو 1819 م)

39- الداعي الحسين بن الحسين بن علي بن هبة الله المكرمي، تولى الرئاسة في (9 رجب 1234 هـ - 4 مايو 1819 م) وتوفي في (9 رجب 1241 هـ - 17 فبراير 1826 م)

40- الداعي إسماعيل بن محمد بن الحسن بن هبة الله المكرمي، تولى الرئاسة في (9 رجب 1241 هـ - 17 فبراير 1826 م) وتوفي في (10 صفر 1256 هـ - 13 أبريل 1840 م)

41- الداعي الحسن بن محمد المكرمي، تولى الرئاسة في : (10 صفر 1256 هـ - 13 أبريل 1840 م) وتوفي في (12 ربيع أول 1262 هـ - 10 مارس 1846 م)

42- الداعي الحسن بن إسماعيل شbam تولى الرئاسة في (12 ربيع أول 1262 هـ - 10 مارس 1864 م) وتوفي في (4 صفر 1289 هـ - 13 أبريل 1872 م)

43- الداعي أحمد بن إسماعيل بن محمد بن حسن المكرمي، تولى الرئاسة في : (4 صفر 1289 هـ - 13 أبريل 1872 م) وتوفي في (18 جمادى الآخرة 1306 هـ - 20 فبراير 1889 م)

44- الداعي عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله المكرمي، تولى الرئاسة في : (18 جمادى الآخرة 1306 هـ - 20 فبراير 1889 م) وتوفي في (30 رجب 1323 هـ - 30 ديسمبر 1905 م)

45- الداعي علي بن هبة الله بن حسين بن الحسين بن علي بن هبة الله بن إبراهيم المكرمي، تولى الرئاسة في 30 رجب 1223 هـ - 30 دسمبر 1905 م) وتوفي في :

(27 شعبان 1331 هـ - 1 أغسطس 1913 م)

- 46- الداعي علي بن محسن شحام، تولى الرئاسة في (27 شعبان 1331 هـ - 1 أغسطس 1913 م) وتوفي في (10 رجب 1355 هـ - 27 سبتمبر 1936 م)
- 47- الداعي غلام حسين بن فرحات علي الهندي، تولى الرئاسة في (10 رجب 1355 هـ - 27 سبتمبر 1936 م) وتوفي في (21 صفر 1357 هـ - 22 أبريل 1938 م)

- 48- الداعي الشرفي الحسين بن أحمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن محمد بن الفهد المكرمي، تولى الرئاسة في (21 صفر 1357 هـ - 22 أبريل 1938 م) وتوفي في (18 شعبان 1358 هـ - 13 أكتوبر 1939 م) ودفن في (:الطائف.)

- 49- الداعي علي بن الحسين بن أحمد المكرمي، تولى الرئاسة في (1 شعبان 1358 هـ - 13 أكتوبر 1939 م) وتوفي في (12 جمادى الأولى 1396 هـ - 11 مايو 1976 م)

- 50- الداعي الحسين بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن الحسن بن هبة الله المكرمي، تولى الرئاسة في (12 جمادى الأولى 1396 هـ - 11 مايو 1976 م) وتوفي في (13 شعبان 1413 هـ - 7 فبراير 1993 م)
- 51- الداعي الحسين بن إسماعيل المكرمي، تولى الرئاسة في (13 شعبان 1413 هـ - 7 فبراير 1993 م) وتوفي في (25 ربيع الآخر 1426 هـ - 2 يوليو 2005 م) حدث خلاف في صفوف الإسماعيلية السليمانية أثناء تولي هذا الداعي مما جعل الإسماعيلية ينقسمون إلى قسمين (:حسينية ومحسنية)نسبة إلى المتنافسين .

- 52- الداعي عبدالله بن محمد بن حسين بن ثابت بن إبراهيم بن عبدالله بن إسماعيل بن عبيد بن محمد المزحاني العديني تولى الرئاسة في (25 ربيع الآخر 1426 هـ - 2 يوليو 2005 م) وتوفي في (1436 هـ - 7 أبريل 2015 م)..
- 53- أحمد محمد الجمالي تولى الرئاسة في (18 جمادى الآخرة 1346 هـ - 7 أبريل 2015 م)

ونائبه :علي حسن المكرمي ولا زال في رئاسة الدعوة إلى يومنا هذا. (¹)

دعاة طائفة البهرة الداودية بعد الانقسام.:

- 27- الداعي داود قطب شاه (ت : 1021 هـ - 1612 م)
- 28- الداعي آدم سيف الدين (ت 1030 هـ - 1621 م)
- 29- الداعي عبد الطيب (ت 1041 هـ - 1631 م)
- 30- الداعي علي شمس الدين بن ملا حسن (ت 1042 هـ - 1632 م)
- 31 - الداعي قاسم زين الدين بن بيرخان (ت 1054 هـ - 1644 م)
- 32- الداعي قطب خان برهان الدين بن قطب الدين داود (ت 1056 هـ - 1646 م .)
- 33- الداعي البير شجاع الدين خان (ت 1065 هـ - 1655 م .)
- 34- الداعي الشيخ بدر الدين بن إسماعيل الملا راح (ت 1085 هـ - 1674 م)
- 35- الداعي عبد زكي الدين الطيب (ت 1110 هـ - 1699 م)

¹ - انظر :كتاب إسماعيلية اليمن السلیمانية، حمود زايد نوفل، ص 265 - 274 . انظر :كتاب الإسماعيلية وفرقها حقائق ووثائق، عبد الرحمن المجاهد، ص . 248 .

- 36 - الداعي كليم الدين موسى (ت 1122 هـ - 1710 م)
- 37 - الداعي نور محمد نور الدين (ت 1130 هـ - 1718 م)
- 38 - الداعي إسماعيل بدر الدين سيف الدين بن الشيخ آدم (ت 1150 هـ - 1737 م)
- 39 - الداعي إبراهيم وجيه الدين (ت 1168 هـ - 1754 م)
- 40 - الداعي هبة الله معز الدين (ت 1193 هـ - 1779 م)
- 41 - الداعي عبد زكي الدين الطيب (ت 1200 هـ - 1785 م)
- 42 - الداعي نجم الدين يوسف (ت : 1213 هـ - 1798 م)
- 43 - الداعي عبد علي سيف الدين (ت 1232 هـ - 1817 م)
- 44 - الداعي محمد عز الدين (ت 1236 هـ - 1821 م)
- 45 - الطيب زين الدين (ت 1252 هـ - 1837 م)
- 46 - الداعي محمد بدر الدين (ت 1256 هـ - 1840 م)
- 46 - الداعي نجم الدين عبد القادر (ت 1302 هـ - 1885 م)
- 47 - الداعي حسام الدين عبد الحسين (ت 1308 هـ - 1891 م)
- 48 - الداعي محمد برهان الدين (ت 1223 هـ - 1906 م)
- 49 - الداعي عبدالله بدر الدين (ت 1333 هـ - 1915 م)
- 50 - الداعي طاهر سيف الدين (ت 1384 هـ - 1965 م)
- 51 - الداعي محمد برهان الدين (1235 هـ - 1965 م) (¹)

¹ - انظر : وكتاب إسماعيلية اليمن السليمانية، حمود زايد نوفل، ص ، 77 ، 265 ، وكتاب تاريخ المخلاف السليمانى، محمد أحمد العقيلي: 2/ 1035-1116. وتاريخ الدعوة الإسماعيلية، لمصطفى غالب، جدول رقم 3:، والإسماعيليون (كشف الأسرار ونقد الأفكار)، لعادل سالم، ص : 382 . والإسماعيلية وفرقها حقائق

52- المفضل سيف الدين وهو السلطان والداعي الجديد لطائفة البهرة الداودية ،
والمعاصر وصدق الله العظيم (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ)(القصص:41) ..

شذرات من عقائد (الاسماعيلية المستعلية) البهرة وعباداته

تنقسم كتب الاسماعيلية وفرقها ، إلى قسمين :-

كتب الظاهر ... وكتب الباطن.

أما كتب الظاهر فإنها كتب لجميع الناس سواء أكان من عوام الإسماعيلية أو من
غيرهم. وذلك لكي لا يطلع أحد على حقيقة المذهب وأفكاره وتعلمه.

وأما كتب الباطن وكتب العقيدة التي يدينون بها فلا يطلع عليها إلا الخاصة ولا
يسمح لغير الخاصة أن يطلعوا عليها وحتى هم أنفسهم لا يمكن أن يسمح لأحد في
اقتناء تلك الكتب وقراءتها ، إلا بعد أخذ العهود والمواثيق على أن لا يطلع أحد هذه
الكتب ولا يخبر بما فيها، وأنظر إلى الداعي الإسماعيلي حسين ابن علي ابن وليد
وهو يأخذ العهود والمواثيق من كتاب في مقدمة كتابه والمسمى بـ (المبدأ والمعاد
(والذي أرسله إلى أحد خواصه مع تحذيره إياه بأن لا يطلع على هذا الكتاب الباطني
سواه , حيث يقول في مقدمة هذا الكتاب ما نصه: (وأنا أخذ عليك وعلى كل من
أذنت لك بإيقافه عليه عهد الله المسئول المؤكد وميثاقه المغلظ المشدد ، الذي أخذه

ووثائق، عبد الرحمن المجاهد، ص 246 وكتاب أسرار الباطنية، تأليف: محمد بن مالك الحمادي ص

25- 29 ، وكتاب نجران الأرض والناس والتاريخ، تأليف: سيد الماحي، ص 29.

على ملائكته المقربين ، وأنبيائه المرسلين ، وأئمة دينه الهادين ، وحدوده الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين ، وإلا فأنت ومن وقف عليه براء منهم أجمعين ، ألا نسخت منه حرفاً ولا أقل ولا أكثر ولا وقف عليه إلا أنت أو من أذنت له بالوقوف عليه ، وأنت تعيد إليّ هذه النسخة بعد أن تفرغ من قراءتها ، والله على ما نقول وكيل) .

ولا تزال دعاة الإسماعيلية يحاولون كتمان هذه الكتب ، ومنهم دعاة الإسماعيلية المكارمة ، حيث أنك إذا أتيت إلى الداعي الإسماعيلي المكرمي تسأله عن العقيدة وعن الكتب التي يقرأها تجده وبكل استغفال يمد إليك نسخة من كتاب " صحيفة الصلاة " التي تحتوي على أحكام فقهية في كيفية الصلاة ، إلا أنه بعد إخراج المطابع في كتب الإسماعيلية الباطنية أسقط في أيدي دعائهم وظهر عوار مذهبهم ، لأن من كانت فطرته سليمة يأبى أن يترك نور الكتاب والسنة ، ويذهب إلى غياهب ظنون الفلسفة والإلحاد

وعقائد البهرة هي عقائد الاسماعيلية الباطنية نفسها ، ومع ذلك فعقيدتهم في (الظاهر) قد لا تختلف كثيراً عن عقائد المسلمين ، أما عقيدتهم في (الباطن) فهي بعيدة كل البعد عن عقيدة أهل السنة والجماعة .. لذا فهم يذهبون في عقائدهم مذهباً باطنياً ، يلتقي مع التيار الباطني الإسماعيلي العام ، وبذلك صرفوا آبات الله عن مرادها ، وفسروها حسب أهوائهم ، وبما يناسب مذهبهم . ومن هذه العقائد :

أولاً - عقيدتهم في الله تعالى :

إن الإسماعيلية المكارمة يعتقدون بأن الله لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم ، مخالفين بذلك صريح القرآن والسنة ، بزعمهم أن ذلك من تنزيه الله تعالى . يقول الداعي الإسماعيلي إبراهيم الحامدي ما نصه : (فلا يقال " أي عن الله " عليه حياً ولا

قادراً ولا عالماً ولا عاقلاً ولا كاملاً ولا تاماً ولا فاعلاً .. إلى أن قال: ولا يقال عنه ذات، لأن كل ذات حاملة للصفة. انتهى كلامه. (¹)

ويعطل البهرة والإسماعيليون عموماً أسماء الله تعالى وصفاته ، يقول المفسر الإسماعيلي ضياء الدين السليماني : (الحمد لله المتعالي عن السماء والأسماء ، والمتقدس أن يكون له تعالى حد أو رسم ..) (²) ...

ويقول حميد الدين الكرمانى - أكبر فلاسفة الدعوة الإسماعيلية - : (إن اسم الإلهية لا يقع إلا على المبدع الأول) (³) وهذا المبدع الأول ، أو العقل الكلي ، هو الذي رمز إليه الله تعالى بـ (القلم) في الآية القرآنية : (ن والقلم وما يسطرون) (القلم : 1) ، وعلى هذا : فالقلم ، أو المبدع الأول ، أو العقل الكلي الذي تحدث عنه الفلاسفة ، هو : الخالق المصور الواحد القهار وبمعنى آخر : إن ما يقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خَلَعَتْهُ الإسماعيلية على العقل الكلي ، فهو الإله عند الإسماعيلية ، وإذا ذكر الله عند الإسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي . إذا عرفنا ذلك ، استطعنا أن نقول إنهم لم يأتوا بهذه الآراء الفلسفية عبثاً ، بل جاءوا بها لإسباغ صفة خاصة على الإمام ، ذلك بأنهم ذهبوا إلى أن العقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني .. ومعنى هذا عندهم : أن كل الأسماء والصفات التي خُلِعَتْ على العقل الكلي ، هي أيضاً صفات وأسماء للإمام ..؟ لأن الإمام مثل للعقل الكلي ؟! فالإمام إذن هو : الواحد الأحد ، الفرد الصمد .. لذلك قال

¹¹ - الداعي الإسماعيلي إبراهيم الحامدي : كنز الولد ص 13

² - ضياء الدين السليماني : تفسير مزاج التسليم ، ص 5 .

³ - الكرمانى : راحة العقل ، ص 195 .

الشاعر الإسماعيلي ابن هانئ الأندلسي في مدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار .

وقال الشاعر أبو الحسن الأخفش في مدح الأمر بأحكام الله :

بَشَّرَ في العين إلا أنه عن طريق العقل نورٌ وهُدًى .

جَلَّ أن تُدرکه أعينُنَا وتعالى أن نراه جسداً .

نُدرک الأفكار فيه بانياً كادَ من إجلالِهِ أن يُعبدا .

ويقول داعي البهرة طاهر سيف الدين حين أرسل ابنه (برهان الدين)، إلى

(حاتم - أحد دعائهم) (1) :

وأرسلت (برهان) الهدى ابني زائراً لرب المعالي (حاتم) الخير مشهداً

ويقول في حاتم أيضاً، كما في ديوان "زهرة بركات الأقرم الأنيقة" :

أيا حاتم الخيرات أنت ملاذنا وملجأنا في يومنا وكذا غدا

ويقول في حاتم أيضاً:

فكم من أكمه أبرى وكم من أبرصٍ شفى ... وكم ميتٍ أحيى وكم من ظامئٍ روى

فما حاتم إلا ملاذاً لللائذ ولا هو إلا كاشف الضر والبلوى

فيا أيها المكروب لذ بجنابه تجده مزيلاً عنك ما بك من شكوى .

ولهذا تقول البهرة الداودية في نشرة من نشراتها عن (طاهر سيف الدين

الداعي الحادي والخمسين من دعائها) : (إن القرآن ثراث إلهي لا تراث بشري ، فلا

بد لهذا التراث من معلم إلهي لا معلم بشري ، يحفظه من زيغ الزائغين ، وضلال

¹ - الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي يعظمونه ويزورون قبره شرقي حراز في اليمن .

الضالين المضلين ، ويكشف أسرارهم وكنوزهم ، وهذا المعلم هو ولي الله ، رسولا كان أو وصيا ، أو إماما ، أو داعيا مطلقا ..؟ فولي الله في شخص الرسول ، أو في شخص الوصي أو في شخص الإمام ، أو في شخص الداعي المطلق ، هو الضمان الوحيد والأكيد لحفظ كتاب الله تنزيلا وتأويلا ، على تعاقب الأعصار والأدهار (¹)

ثانيا - عقيدتهم في الأئمة والإمامة:

. يعتبر الإسماعيليون عموما الإمامة قطب الدين وأساسه، والدعامة التي تدور عليها جميع أمور الدين والدنيا. وهي عندهم أهم أركان الإسلام. يقول القاضي النعمان:

(فمن لم يعتقد ولاية إمام زمانه، لم ينفعه قول ولا عمل، ولم يصح له ظاهر ولا باطن)

(²) ويزعمون أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - هو الخليفة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأن القرآن نصّ على ذلك، ويتهمون الصحابة بأنهم عصوا الله ورسوله، باختيارهم لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - خليفة للمسلمين، بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - . و زعم جعفر بن منصور اليماني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال: (لما عرج بي إلى السماء الرابعة، رأيت علياً جالسا على كرسي الكرامة، والملائكة حافين به يعظمونه ويعبدونه ويسبحونه ويقدمونه.؟! فقلت حبيبي جبرائيل، سبقني أخي على هذا المقام، فقال لي: يا محمد، إن الملائكة شكت إلى الله شدة شوقها إلى علي لعلمها بعلمه ومنزلته، وسألت النظر إليه فخلق الله هذا الملك على صورة علي، وألزمهم طاعته، فكلما اشتاقوا إلى علي نظروا

¹ - انظر نشرة الضريح النوراني (من نشرات البهرة الداوودية) ، صادرة عن دائرة الإشاعة ، الجامعة السيفية ، سورت ، الهند . سنة 1978م.

² - الداعي الاسماعيلي القاضي النعمان : تأويل الإسلام ج1، ص54.

إلى هذا فيعبدونه ويسبحونه ويقدمونه، وذلك قوله : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الحكيم العليم) (1) وتدور

الإمامة عندهم حول النقاط التالية:-

1- الإمامة عندهم أصل من أصول الإسلام وأساسه ، ولهذا قالوا بني الإسلام على سبع دعائم. (الولاية وهي أولها ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد) . (2)

2- : والإمام مفروض الطاعة . قال المعز: (إن الله قد فضلنا وشرفنا واختصنا واجتباننا وأفترض طاعتنا على جميع خلقه ، وجعلنا أئمة لجميع عبادته ، وأسبابهم لديه ووسائلهم إليه ، والوسائط بينهم وبينه ، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً) . (3) .

3 - يعتقدون أن الأرض لا تخلوا من إمام أبداً ، سواء أكان هذا الإمام ظاهراً أومستوراً ، قال الداعي حسن ابن نوح ما نصه: (إن الأرض لا تخلوا طرفة عين من قائم بحق لهداية عباد الله وخلقهم إما ظاهراً مشكوراً ، أوباطناً مستوراً) . (4)

4- اعتقادهم أن لا يكون أحد إماماً إلا من أولاد علي وهما: الحسن والحسين - رضي الله عنهما - ، ثم في أولاد الحسين ، لا في أولاد الحسن ، ثم في أولاد إسماعيل

1 - انظر : جعفر بن منصور اليمن : سرائر وأسرار النطقاء ص 115

2 - انظر كتاب " دعائم الإسلام للقاضي النعمان المجلد الأول صفحة 2 .

3 - انظر : كتاب " المجالس والمسائرات للقاضي النعمان المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج 19 ص 420 .

4 - انظر : الداعي حسن ابن نوح ، كتاب " الأزهار " صفحة 189.

لا في أولاد أحدٍ غيره. (1)

5- وكذلك يعتقدون أن كل واحد من أئمتهم معصوم ويُضفون عليهم صفات وخصائص الأنبياء، بل وأكبر من ذلك إذ أضفوا على أئمتهم أسماء وصفات لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى، إذ يخلص المرء عند قراءة ما يعتقدون في أئمتهم إلى أنهم يؤمنون بتأليه الأئمة من دون الله. ويعتقدون كذلك بأن الإمام أفضل ممن سبقه من الأئمة .

ومع قولهم بضرورة وجود إمام معصوم منصوب عليه من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، والنص على الإمام يكون من الإمام الذي سبقه بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب ، إلا أن أئمة الإسماعيلية أنفسهم لم يحترموا هذا الأصل الأساس من أصول العقيدة ، لا في العصور القديمة ولا في عصرنا الحديث فالمعز لدين الله الفاطمي نص على ولاية ابنه عبد الله من بعده ، ولكن عبد الله توفي في حياة أبيه ، فنص المعز مرة أخرى على ولاية ابنه العزيز ، فخالف بذلك الأساس الذي قامت عليه الإسماعيلية في أن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ ، إنما تنتقل من أب إلى ابن . وفي عصرنا الحاضر حرم (أغاخان الثالث _ من دعاة الإسماعيلية النزارية -) ولديه (علي خان ، وصدر الدين خان) من الإمامة ، ونص على حفيده (كريم) الذي لقب بـ (أغاخان الرابع) وهو الإمام الحالي للطائفة النزارية ؟!

وبالرغم من خروج الأئمة أنفسهم على مبدأ (النص على الإمام) ، فلا تزال الإمامة هي المحور الذي تدور عليه كل العقائد الإسماعيلية ، ذلك أنهم جعلوا ولاية الإمام

¹ - انظر : كتاب " دعائم الإسلام "، المجلد الأول صفحة 89 وكتاب " المصابيح في أثبات الإمامة "،

للكرمانى صفحة 1.9.

الركن الأساس لجميع أركان الدين ، فإن أطاع الإنسان الله تعالى ورسوله الكريم ، وقام بأركان الدين كلها ، وعصى الإمام ، أو كذب به ، فهو آثم في معصيته ، وغير مقبولة منه طاعة الله ورسوله .. (1) .

6 - وتعتقد طائفة البهرة - كبقية الشيعة - أن الإمامة من حق علي - رضي الله

عنه - وقد اغتصبت منه ، يقولون في إحدى رسائلهم : (إن الأمة لما افتتنت بعد نبيها ، وأشهرت كل طائفة منهم سيفها ، وقال بعضهم : منا أمير ، ومنكم أمير ، قال كبيرهم : يقصدون أبا بكر - رضي الله عنه - في أول قعوده : وليت عليكم ولست بخيركم .. وقال صاحبه عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وقى الله شرها ..! وأقر أبو بكر على نفسه بالشك ، فقال : إني وددت لو أني سألت رسول الله لمن هذا الأمر من بعده ، والإمام الحق لا يشك في نفسه ولا يرجع عن أمره ولا يندم أنه غصب على حقه ، بل يثبت مستمرا على شأنه ، مفصحا عن محله ومكانه ، هاديا مهديا ، متبوءا من العصمة مكانا عليا كما فعل علي ...!) (2)

7 - وتعتقد طائفة البهرة - كبقية الإسماعيليين - بوجود إمام يعيش في

الخفاء (3) ولا يخلو زمان من الأئمة المستترين ، بينما يقوم (الداعي المطلق)

بالدعوة العلنية نيابة عن الإمام ، والإشراف الروحي على الطائفة ، وهو مصدر

1 - انظر : د. محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، ص 147-156 . باختصار .

2 - الهداية الأمرية في إبطال دعوى النزارية : تصحيح آصف بن علي أصغر فيضي ، ص 10-11.

3 - الهداية الأمرية في إبطال دعوى النزارية : تصحيح آصف بن علي أصغر فيضي ، ص 9 . وهي من كتب البهرة . يقولون فيها : (تبين أن الأئمة في تتابع وجودهم ، وتواصل جهودهم ، كالشمس التي لا تخلو من آفاق سمائها ، ولا تعدم من مجاري أفلاكها ، فهي أبدا ظاهرة للنظار ، مواصلة لإفاضة الأنوار ، ولا يصح خلو زمان من ظهورها ، ولا يفقد مكان من إشراق نورها) . وكذلك يعتقد بقية الإسماعيلية .

السلطات التي يحتكم إليها أتباع الطائفة في جميع شئونهم . ومن الواجبات المحتملة عندهم سجودهم لداعيهم ⁽¹⁾ ، ومما يؤيد إصرار الداعي على سجود أفراد طائفته له ، تلك الميراثية التي رثى بها الداعي الدكتور محمد برهان الدين والده الداعي السابق (طاهر سيف الدين) ⁽²⁾ حيث يقول :

سجدت له دأبا وأسجد دائما ... لدى قبره مستمتعا للרגائب .

ونشرت رسالة: غلامانه روش ، ورسالة : داعي مطلق صوراً تثبت ذلك، كما نشرت صور أخرى في جريدة الشمس الباكستانية الصادرة بتاريخ 1977/10/6م. ومن المعلوم أن السجود عبادة ، وهذه العبادة لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه ، وقد بين الحق سبحانه ذلك في مواضع من كتابه ، فقال تعالى : (فاسجدوا لله واعبدوا) (سورة النجم : 62) .

ويتخذ البهرة الداودية من قبر (طاهر سيف الدين) مزاراً مقدساً ، ويسمونه " روضة طاهرة " ، وكل فرد من أفراد البهرة قبل أن يسافر من وإلى الهند، لابد أن يزور قبر طاهر سيف الدين - (روضة طاهرة)- ويطوف به عدة مرات، ومن يعترض، يُفرض عليه الحرمان.. كما هو في النصرانية..

¹ - في تقرير أعده السفير المصري بنيودلهي بالهند ، بناء على طلب من وزارة الأوقاف المصرية بخصوص طائفة البهرة قال فيه : (إن البهرة يعتقدون طقوسا وشعائر منافية لأبسط تعاليم الإسلام ، منها : السجود بين يدي الزعيم (الداعي) وقد أوردته صحيفة المسلمون في عددها رقم (230) الصادر بتاريخ 30 يونيو - 6 يوليو سنة 1989م). وقد أرفت بهذا البحث صورة تثبت ذلك .

² - يتخذ البهرة من قبر طاهر سيف الدين مزارا ، ويسمونه (روضة طاهرة) ، ومفروض على كل فرد من أفراد طائفة البهرة قبل أن يسافر من وإلى الهند ، أن يزور قبر طاهر سيف الدين ، ويطوف بقبره عدة مرات ، ومن يعترض يفرض عليه الحرمان كما في النصرانية .

وللطائفة كتبٌ سرية وضعها " طاهر سيف الدين " يعتبرونها من كتبهم المقدسة ، منها

: كتاب (النصيحة) ، وكتاب (نور الحق المبين) الذي هو دعوة صارخة لتقديس

الداعي، حيث يعتبر الداعي بمثابة إله في الأرض ، ومن يطوف حول قبره يكون كمن طاف حول الكعبة المشرفة...

ثالثا : اتصافهم بالسرية والتزامهم بالتقية: وتكتمهم على عقيدتهم وأصولهم وكتبهم

التي لا يطلع عليها أحد إلا بعد أن يصل إلى مرتبة معينة، وبعد عهود موثقة وأيمان

مغلظة بعدم كشف ما فيها من أسرار . (¹) فإذا جاؤوا إلى قرى أهل السنة في

مناسبة، أو ضيافة، فإنهم يصلون معهم الجماعة، ثم يعيدونها إذا خلوا إلى شياطينهم.

كذلك عند سؤالك لأحدهم عن الصحابة، أو عن القرآن، أو عن مذهبه، فإنه يترضى

عن الصحابة، ويتظاهر بقراءة القرآن، ويزعم أنه حنفي المذهب ، وإذا كانوا جماعة،

وفيهم رجل سني يقول بعضهم لبعض: (شريم)، وهي شفرة يستخدمونها عند وجود من

لا يثقون به؛ لينبه بعضهم بعضاً بوجود مخالف، فلا يظهرون أمامه شيئاً مما يعاب

عليهم.

رابعا : وقبل أن يموت أحدهم لابد أن يوصي بمال، أو عقار للمنصوب

(²) ؛ حتى يصلي عليه، ويستدلون على ذلك بقول الله : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً

¹ - وقد حاولت مرارا في المسجد النبوي وفي مسجد الحسين بالقاهرة الحصول على أحد الكتب التي يحملونها ، أو إطلاعي عليها ، ولم أتمكن من ذلك ،

² - **رتبة المنصوب : رتبة يستحقها من ينوب عن الداعي في المنطقة، ويقوم بجمع الزكوات والندور، والهبات، كما يقوم بأخذ العهد والميثاق يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ، كما يقوم بإبلاغ الأتباع عن مواعيد الصوم والإفطار والعيد، إضافة إلى القيام بصلاة الجمعة التي يتجمع الناس فيها في مسجد واحد يخطب**

تُطَهَّرُهُمْ وَتُرَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلٍ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (التوبة

: 103) فيزعمون أن معناها أن يأخذ المنسوب مالا، أو ما يقوم مقامه مقابل

الصلاة عليه بعد مماته ، والشخص الذي لا يصلي عليه الحاج "المنسوب" يعتبرونه

من المغضوب عليهم، وإذا غضب أحدهم على شخص دعا عليه قائلاً: ("لا صلى

عليك الحاج) ؟!

خامسا : عقيدة الإسماعيلية في النبوة :

من الخصائص التي اختصت بها الإسماعيلية بل يرونها من مفاخرهم هوتمسكهم

بالتأويل الباطني مفرقين بين الظاهر والباطن إلى حد أن قالوا: " إن الظاهر هو الشريعة،

والباطن هو الحقيقة. وصاحب الشريعة هو الرسول محمد - صلوات الله عليه -

وصاحب الحقيقة هو الوصي علي ابن أبي طالب (¹) وهكذا جعلوا علياً رضي الله

عنه شريكاً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نبوته وشريعته . كذلك يقولون

بأن الرسالة مشتركة بين سبعة نفر، وهم : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد

والقائم صلوات الله عليهم ، (²) ويقولون : أيضاً أن كل نبي لاحق يكون أفضل

ممن سبقه ، فنوح أفضل من آدم ، وإبراهيم أفضل من نوح ، إلى أن تهيأ ظهور من

هو أفضل من إبراهيم وهو موسى، ثم ظهر من هو أفضل من موسى وهو عيسى إلى أن

تهيأ ظهور من هو أفضل من عيسى وهو محمد ، إلى أن تهيأ ظهور من هو أفضل من

بهم المنسوب الذي يطلق عليه الأتباع لفظة: الحاج، كما يقوم بالصلاة على الموتى . . انظر : الاسماعيلية

وفرقها : عبد الرحمن المجاهد ص 253.

¹ - انظر : كتاب " الافتخار " للسجستاني صفحة 71.

² - انظر : كتاب " إثبات النبوات " للسجستاني صفحة 131.

محمد وهو القائم؟! (1) ويعتقدون أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

أخذ الدين وتعلمه على أيدي البشر : فأخذ من أبي ابن كعب الوصايا ، وأخذ من زيد ابن عمر الطهارة ، وأخذ من عمر بن نفيل الصلاة ، وأخذ من زيد ابن أسامة الزكاة ، وأخذ من خديجة بنت خويلد الحج وفرائضة .؟! (2) .

كما يعتقدون أن النبوة مكتسبة ، وليست اصطفاء من الله ، يمكن للإنسان أن

يحصل عليها ، بما أوتي من مؤهلات وذكاء . ويعتقدون بنبوة ورسالة محمد بن

إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنه أفضل من جميع الرسل ، ويقولون بأنه نبي ورسول

بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو الذي أكمل الدين ، وأتم الشريعة ، وهو

الرسول السابع ، ويسمونه الناطق السابع ، وقائم القيامة ، وقائم الزمان . يقول جعفر بن

منصور اليمى : (فدين الله متصل من آدم - عليه السلام - على أيدي النطقاء

والأئمة . - صلوات الله عليهم - حتى يكمل الله دينه وأمره بالناطق السابع المهدي -

صلوات الله عليه - محمد بن إسماعيل . فهو الذي إليه دعت الدعوة ، وإلى معرفته

ندبت الرسل . - عليهم السلام - وبشريته تمت الشرائع ، وهو صاحب إظهار الأمر

كله ، وعلى يديه يختتم ، وبه عبد الله عز وجل من عبد ، وبأذانه طالب الله العباد ،

يعني باحتجابه عن الله ، ودعوته إلى الله ، فهو أذانه لقول الله عز وجل : (وَأَذَانٌ مِّنَ

¹ - والقائم هو : : محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ؟! انظر : كتاب الإيضاح " لأبي فراس صفحة

43 ، و كتاب " كنز الولد " للحامدي صفحة 268 .

² - انظر : كتاب " كنز الولد " ل إبراهيم الحامدي صفحة 21 ..

اللَّهُ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ... (التوبة : 3) يريد الأكبر : أنه لا شيء أكبر منه ، ولا مثله فيدانيه ؟؟ (1)

سادسا : موقفهم من الصحابة:

أما عن سب وشتم الصحابة - رضوان الله عليهم، - فإن الإسماعيلية بفرقها يشاركون بقية الشيعة في سب صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا سبعة فقط ، وهذا الأمر ليس من الأمور السرية في المذهب الإسماعيلي بل هو منتشر ، فتجد السب والشتم لخير الأمة من الصحابة، بل تجد العامي من الإسماعيلية إذا غضب وأراد أن يسب أو يشتم يقول : (عليك ما على أبي هريرة - أي من العداء - عياداً بالله تعالى - ، كما يلقبون أهل السنة والجماعة بقوم عائشة ، أوقوم أبي هريرة.) عقيدتهم في هذا الباب مشابهة لعقائد عموم الشيعة ، بل يعتقدون بكفر الصحابة، وارتدادهم بعد وفاة النبي، وأنهم سلبوا علياً حقه في الخلافة، وهم يدينون الله بسب الصحابة وبغضهم، ولعنهم ، وتكفيرهم . يقول الحامدي وهو يعرض بتكفير الصحابة - رضي الله عنهم - ما نصه : (فمنهم - أي من أصحاب رسول الله - من أقرّ بنبوّة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصرّ على مخالفة علي وصيه ، فلم ينفعهم إقرارهم بالرسول) (2)

سابعا : - يعتقدون بتأثير الكواكب في المخلوقات :

يعتقد الاسماعيلية عموماً أن الكواكب فاعلة ومؤثرة بذاتها، وهي التي تتولى تخليق الجنين في بطن أمه - عياداً بالله تعالى - قال الداعي الحامدي ما نصه : (

¹ - انظر : جعفر بن منصور اليمى : كتاب الكشف ص 105

² - انظر : الحامدي : كنز الولد " صفحة 99

والمتولي لنقش الصورة - أي صورة الجنين في بطن أمه - عطارد بشراكة الشمس وزحل والقمر ، فأول من فعل منه القلب بقوة الشمس ثم الرجلان - أي أرجل الجنين - بقوة زحل ، ثم الرأس بقوة القمر ، وعطارد يزيد في كل قوة ، ويرسم التصوير - يعني يرسم التصوير لهذا الجنين في بطن أمه - عياداً بالله تعالى - والزهرة - أي كوكب الزهرة تتولى التذكير والتأنيث) . (¹) ويقول داعيتهم حميد الدين الكرمانى : (إن موجودات هذا العالم كانت عن طريق تزواج الأفلاك مع الأركان الأربعة (النار والهواء والماء والأرض)، فحصل من بينها المواليد التي هي النبات المعادن والحيوانات والإنسان. ثم تدخلت أيضا في جعل بعض مواليد الإنسان إناثاً وبعضهم ذكوراً). (²)

ثامنا : - عقيدتهم في القرآن الكريم :

إن أفراد الطائفة يحترمون القرآن الكريم ظاهرياً، ويؤولون آياته الكريمة ليستخرجوا منها معانى ما أنزل الله بها من سلطان. فهم ينكرون أن القرآن كلام الله تعالى، كما أنهم ينفون الصفات عن الله نفياً قاطعاً، يقول الداعي جعفر بن منصور اليمنى : (إن الله جل ثناؤه منزّه عن الخطاب والكلام) (³) كما أنهم يحرفون آيات القرآن الكريم بالتأويل الباطنى، الذي يعتبر ركيزة من ركائز معتقدهم. يقول جعفر بن منصور اليمنى في تأويله لقوله تعالى : (إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) (⁴) يعني بالقرآن : علياً صلوات الله عليه اتخذوه مهجوراً". كما يعتقدون بأن القرآن محرف

¹ - انظر : الداعي الاسماعيلي الحامدي " كنز الولد " صفحة 142 وما بعدها .

² - حميد الدين الكرمانى : راحة العقل ص 340 .

³ - جعفر بن منصور اليمنى : سرائر وأسرار النطقاء ص 29.

⁴ - انظر : جعفر بن منصور اليمنى : كتاب الكشف ص 42.

ومبدّل. يقول الداعي ابن الوليد: (وفعلهم . أي الصحابة . بالكتاب الذي جمعه وألفه علي - رضي الله عنه -، وعندما أخرجه إليهم، وقولهم له عندنا الكتاب، وتركهم له عندما علموا أنه بين فيه فضائعهم، فدرسوه وأخفوا أثره، كما فعل قوم موسى...) (¹)

¹ - انظر : الداعي ابن الوليد : تاج العقائد ص 80 .

تاسعا : - عقيدتهم في اليوم الآخر:

. ينكرون البعث بمعناه المتعارف عليه بين المسلمين، ويزعمون أن البعث له معنيان:
بعث إيراد، وبعث إصدار بمعنى المبدأ والمعاد. يقول داعيهم الأكبر السجستاني (¹)
(إن اعتقاد عامة المسلمين بالقيامة، وما فيها من أهوال، وتغير الأرض والسموات
والجبال، وبعث الناس للحساب والجزاء، سخف وحمق وجهالة. وإن الاعتقاد الصحيح هو
الأبدية، وأن المراد بها القائم) . ويقول جعفر بن منصور اليماني (إن يوم القيامة هو يوم
ظهور القائم) (²) .

وهذا يدل على إنكارهم للجنة والنار والثواب والعقاب، والحوض والميزان والصراط:
وتأويلها تأويلات فاسدة، من قبيل تفسير داعيهم هبة الله السليمانى لقول الله تعالى: (وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) (التوبة : 100) فقال: (وأعدّ لهم
جنات يعني الانضمام إلى الحجج المستجبة في الحضرة المقدسة. تجري تحتها الأنهار
يعني مواد العلوم بالإلهام إلى دعاة الجزائر.) (³)

نماذج لتأويلات طائفة البهرة وبيان يطلانها

ذهبت الإسماعيلية ومنهم البهرة ، إلى أن لكل شئ ظاهر محسوس تأويلا باطنيا لا
يعرفه إلا الراسخون في العلم ، وهم : الأئمة ، وهؤلاء الأئمة يودعون هذا العلم الباطن
لكبار الدعاة بقدر مخصص ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ؛ فقالوا : إن التأويل الباطن

¹ - السجستاني الافتخار ص 74.75

² - جعفر بن منصور اليماني : سرائر وأسرار النطقاء ص 112

³ - انظر : داعيهم الأكبر السجستاني الافتخار ص 74.75 . و هبة الله السليمانى : مزاج التسليم ص7.

من عند الله خص به علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فكما أن الرسول -
صلى الله عليه وسلم - خص بالتنزيل ، فكذلك علي - كرم الله وجهه - فقد خص
بالتأويل ، واستدلوا على ذلك بقصة نبي الله موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح
المذكورة في سورة الكهف ، وكيف أن موسى - عليه السلام - وهو نبي مرسل من
أولي العزم ، لم يمنحه الله علم الباطن ، بينما منح هذا العلم إلى الرجل الصالح ، وهو
ليس بنبي مرسل ، وليس من أولي العزم . وهكذا كان التأويل الباطن إلى علي - كرم
الله وجهه - ، وقد أورثه الأئمة من أعقابه بأمر من الله ، وعلى ذلك فالأئمة هم الذين
يدلون الناس على أسرار الدين ، وليس لأحد غيرهم هذا الحق الذي جاءهم بأمر من الله
تعالى ، ولكن ليس لهم أن يطلعوا أحدا على أسرار هذا الدين إلا لمن يستحق ذلك فقط
وبالرغم من قولهم : **إن التأويل من عند الله** ، نراهم مرة أخرى يقولون : **إن التأويل**
من خصائص حجة الإمام أو داعي دعائه ، ومع ذلك نجد تأويلاتهم تختلف باختلاف
شخصية الداعي الذي إليه التأويل . وباختلاف موطنه ، وزمن وجوده .
فإذا قرأنا تأويلات (الداعي جعفر بن منصور اليماني) قبل ظهور الدولة الفاطمية
بالمغرب نجد أنها تميل إلى الغلو ، ولا تختلف في مضمونها عن تأويلات الفرق
الغالية المندثرة ..

وتأويلات دعاة فارس تختلف عن تأويلات الدعاة الذين كانوا بالقرب من الأئمة
بالمغرب ، ففيها التأليه الصريح للأئمة ، وفيها طرح الفرائض الدينية.

فتأويل الصلاة عندهم هو : الإتجاه القلبي للإمام .. هي الاتصال بالإمام، أي "لا صلاة لمن شك في إمام عصره" كما جاء في كنز الولد للحامدي (1) . وقد زعموا أن جعفر الصادق - رضي الله عنه - قال: (أما إقامة الصلاة فهي معرفتنا (أي معرفة الأئمة) وإقامتنا) (2)

ويؤول جعفر بن منصور اليمني الداعي الإسماعيلي كما في كتابه الكشف قول الله تعالى (فلا صدق ولا صلى) (القيامة : 31) بقوله: الصلاة الطاعة لأمر المؤمنين ، والأئمة الذين اصطفاهم الله من ولده. (3) .

قال ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله الإسماعيلي في تأويل قوله تعالى :
[(فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) (الحج : 78) . (فأقيموا الصلاة) : أي الدعوة إلى الميم (محمد - صلى الله عليه وسلم) . (وآتوا الزكاة) : سلموا لأمر الفاطر (أي : فاطمة) (واعتصموا بالله) : يعني العين (أي : علي) ، (هو مولاكم) : ولي أمركم في السابق واللاحق .
(فنعم المولى) : يعني بتدبيره لكم . (ونعم النصير) : يعني باحتجابه بكم ، وإلهامه لكم ، وإقذاركم على ما تريدون في تدبير الخلق ، فافهموا يا معشر المؤمنين ما سيق إليكم من هذه الحكم ذات السر المصون ..؟!] 4

1 - الداعي الإسماعيلي إبراهيم بن الحسين الحامدي : كنز الولد ، ص 286. تحقيق مصطفى غالب

2 - الهفت الشريف للمفضل الجعفي ، وهو من كتب الباطنية المقدسة .

3 - الداعي جعفر بن منصور اليمني : كتاب الكشف ، تحقيق مصطفى غالب ، ص 44 - 45 .

4 - ضياء الدين السليمانى : تفسير مزاج التسليم ، ص 260 .

وقال في تأويل قوله تعالى : [(ربنا ليقيموا الصلاة) (ابراهيم : 37)] يعني : الدعوة الظاهرة . ¹ . وقال في تأويل قوله تعالى : [(والذين هم على صلواتهم يحافظون) (المؤمنون : 9)] يعني : يحافظون على الاتصال بالطاعة للحدود ، لكي يتصلوا بهم بالانضمام ²

وقال **الداعي إدريس عماد الدين** في تأويل قوله تعالى : [(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ..) (سورة الجمعة : 9)] يعني : إذا نودي للصلاة ، وهي الدعوة إلى علي ، (من يوم الجمعة) أي : من محمد الجامع للشرائع (فاسعوا إلى ذكر الله) أي : أطيعوا محمدا في علي ، والنص عليه . (وذروا البيع) أي : ذروا البيعة ..؟ لغيره ³

وقال **الداعي جعفر بن منصور اليماني** : [في قوله تعالى : (ويسيرون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة : 3) الصلاة : الحسين والأئمة من ولده ، (ومما رزقناهم ينفقون) : هي الزكاة المؤداة إلى أهلها] ⁴ وقال في تأويل قوله تعالى : [(فلا صدق ولا صلى) (القيامة : 31) : الصلاة : الطاعة للوصي ، وللأئمة الذين اصطفاهم الله من ولده)] ⁵ ،

¹ - المرجع السابق : ص 101 .

² - المرجع السابق : ص 363 .

³ - الداعي إدريس عماد الدين : زهر المعاني ، ص 15 .

⁴ - الداعي جعفر بن منصور اليماني : كتاب الكشف ، ص 38 .

⁵ - المرجع السابق : ص 44 .

ولو تتبعنا تأويلات بقية الدعاة للصلاة ، لوجدناهم يتلاعبون بآيات القرآن الكريم حسب أهوائهم وأغراضهم ، ويتعارضون ويتناقضون في تأويل الشيء الواحد ، مع زعمهم المستمر بأن تأويلاتهم مأخوذة عن إمامهم المعصوم . والحقيقة أن هؤلاء الغلاة أدركوا أن الإسلام عقيدة وشريعة ، وكل متكامل ، فهدفوا من خلال هذه التأويلات إلى مقاومة الإسلام ، ومحاولة هدمه من الداخل ، حاملين ظواهر الشريعة على معان باطنية لا تدل عليها تلك الظواهر ، ولا دلالات اللغة ، ولا سياق الكلام . والله سبحانه حينما أوجب التكاليف على المكلفين ، لم يستثن منهم الأنبياء ، مع أنهم أعلى الخلق درجة ، واصطفاء ، فالأنبياء مكلفون بالعبادات والتكاليف كسائر الخلق ، قال تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (النساء : 103) ، ولو تدبرنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أنه كلما ازداد الإنسان قربا من الله سبحانه ، كلما زادت عليه التكاليف . لقد صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تورمت قدماه ، وجاهد في سبيل الله ، وكان من الصائمين القانتين ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ، وكذلك فعل خلفاؤه الأبرار . إن الإلتزام بالتكاليف هو سبب الكمال ، والتخلي عنها هو سبب النقص ، وقد بين الله سبحانه في كثير من آيات القرآن أن أصحاب النار وأهلها يوم القيامة ، هم الذين قد أعفوا أنفسهم من التكاليف ، قال تعالى : (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين) (المدثر : 42) . فهذه التأويلات فاسدة ، لما ينتج عنها من نتائج فاسدة ، لأنهم بتأويلاتهم رفعوا التكاليف ، وتركوا الفرائض والسنن ، وهذا وحده كفيل بالحكم عليهم ، وعلى تأويلاتهم ، بأنها : خارجة عن المنهج الإسلامي ، ومخالفة لإجماع المسلمين .

فهم يؤولون الآيات القرآنية كبقية الإسماعيلية دون أي التزام بقواعد التفسير ،
وضوابط التأويل الصحيح.. وكل هدفهم إخضاع آياته إلى آرائهم الباطلة وأهدافهم
الفاصلة.. والحقيقة أن هؤلاء الغلاة أدركوا أن الإسلام عقيدة وشريعة ، وكل متكامل ،
فهدفوا من خلال هذه التأويلات إلى مقاومة الإسلام ، ومحاولة هدمه من الداخل ،
حاملين ظواهر الشريعة على معان باطنية لا تدل عليها تلك الظواهر ، ولا دلالات اللغة
، ولا سياق الكلام .

وبعد انتقال الدعوة من مصر إلى اليمن وأصبحت تعرف بالدعوة الإسماعيلية الطيبية ،
ازدادت التأويلات الباطنية مرة أخرى وجنحت إلى الغلو ، مع أن دعاة اليمن أخذوا
أكثر تأويلاتهم عن دعاة مصر . وبسبب دخول الأئمة دور الستر ، وعدم وجود دولة
للطائفة ، عادت الإسماعيلية إلى التقية والسرية ، بحيث لا يسمح إلا لكبار الدعاة فقط
بمعرفة أسرار التأويل . وظل الأمر على ذلك إلى الآن عند طائفة البهرة بفرعها
الداودي والسليمانى . (1) هذا في الباطن...

أما في الظاهر فلهم صلوات عديدة في مناسبات مختلفة مثل :

صلاة ليلة السابع عشر من شهر رجب ، وعدد ركعاتها اثنتين وعشرين ركعة ..
وصلاة ليلة الخامس عشر من شهر شعبان ، وعدد ركعاتها أربع عشرة ركعة

¹ - انظر : د. محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، ص 162-165 ، باختصار . والحبیب الفقہی :

التأويل أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي ، ص 9-53. والداعي الإسماعيلي جعفر بن منصور اليمن :

كتاب الكشف ، ص 66 . والداعي إدريس عماد الدين القرشي : زهر المعاني ، ص 299

وصلاة ليلة الثالث والعشرين من رمضان ، وعدد ركعاتها اثنتي عشرة ركعة ، يرددون

فيها : يا علياه سبعين مرة ، و يا فاطمته مئة مرة ، وياحسنه مئة مرة ، ويا حسيناه

تسعمائة وسبع وتسعين مرة ..؟

وصلاة الثامن عشر من شهر ذي الحجة ، يصلي فيه الواحد منهم ركعتين بعد زوال

الشمس ، وهو يوافق اليوم المسمى عند الشيعة بيوم (غدير خم)¹ .

ويصلي الداعي أو نائبه على الميت منهم ، وينزل في قبره ويؤذن فيه ، ويقوم بكسر

يده الشمال معتقدين أنهم بكسرها يمنعونه استلام كتابه بشماله يوم القيامة .. ؟

ولا يقيمون صلاة الجمعة معللين ذلك بأن صلاة الجمعة لا تقام إلا بوجود إمام

عادل تقي ؟!

وبحجة عدم وجود السلطة الشرعية، التي لا تتوافر عندهم إلا في ظل الحكم

الإسماعيلي.

وأما صلاة الجماعة فإنهم لا يصلون إلا بوجود إمام معين من قبل الداعي أو نائبه ،

وهؤلاء الأئمة معروفون بهيئتهم المميزة ، والمتمثلة بوجود خاتم فسه أسود على

الخنصر في اليد اليمنى ، وذولحية ملوكة الوجنتين ، وهم لا يصلون مع السنة في

مساجدهم أبداً؛ وإن اضطروا كما في الحرمين الشريفين ، فإنهم يصلون بنية الأفراد

ويعيدونها.

¹ - غدير خم : موقع بين مكة والمدينة ، يقع شرقي (رابغ) ، ويبعد عنها بما يقرب من ستة وعشرين كيلو مترا ، ويسمى اليوم (الغربية) ، وفي هذا الموقع خطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المسلمين وقال : (من كنت مولاه فعلي مولاه ..) واتخذ الشيعة من هذه الحادثة أساسا يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي لعلي - كرم الله وجهه - . انظر : شيخ الإسلام ابن تيمية : مجموع الفتاوى 4 / 417 - 418 .

والصلاة عندهم ثلاث مرات فقط في اليوم، ويتوجهون في صلاتهم إلى قبر (طاهر سيف الدين) في بومباي . والصلاة واجبة عليهم في الأيام العشرة الأولى من محرم دون غيرها. (¹)

ويعتقدون بإمكانية شراء الصلاة : فإذا كان الشخص مشغولاً في عمل، ولا يريد أن يصلي، أو يوصي قبل موته بشراء صلاة له من ماله، أو يريد شخص أن يشتريها لقريب له، فيشتري ما يشاء من الركعات، ويدفع قيمتها **للداعي في نجران**، أو يسلم المبلغ إلى **المنصوب**، والذي بدوره يقوم بتوريده إلى الداعي، الذي يستلمها منهم، أو من المنصوب، ولديه زبانية "أشبه بالمقاولين"، فيقولهم على ما تم بيعه من الركعات، ويعطي كل مقاول قيمة عدد من الركعات، ويستحب أن يصليها هذا المقاول في مكة في شهر رمضان، ويقول له: "صل عن فلان بن فلان كذا ركعة، وعن فلان كذا ركعة"، ويدفع إليه مبلغاً من المال مقابل هذه الصلاة ؟!

وتأويل الصوم في الباطن، هو : عدم إفشاء أسرار الدعوة .. وبأنه الستر والكتمان، فيقول **الداعي الحامدي** "صوم شهر رمضان هو ستر مرتبة القائم"، (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (البقرة : 185) أي من أدرك زمان الإمام فليلزم الصمت".

بينما يؤوله الداعي الإسماعيلي السجستاني : (الصوم هو : الصمت بين أهل الظاهر ، وصوم شهر رمضان هو : ستر مرتبة القائم ، ومن (شهد منكم الشهر فليصمه) أي : من أدرك زمان الإمام فليلزم الصمت ..) (¹)

¹ - الإسماعيلية وفرقها : عبد الرحمن المجاهد ، ص 255. وانظر : أبي عبد الملك أحمد بن مسفر : دهاقنة اليمن ، تحقيقات ومطالعات في ملف الإسماعيلية ، ص 81-92. وانظر : د. محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية : ص 53.

أما الصيام في الظاهر : فالبهرة لا يعتمدون على رؤيا الهلال في دخول شهر رمضان ، وإنما يعتمدون على جدول الكبيسة كما في كتابهم " صحيفة الصلاة الكبرى " والذي فيه أن أشهر السنة لا تتغير ، ف شهر تام وشهر ناقص وبهذا يكون رمضان دائماً تام ، ولهذا فهم يصومون رمضان (30) يوماً دائماً. ويتعمدون مخالفة المسلمين في بداية شهر رمضان ونهايته ، هذا في الظاهر ، أما في الباطن فهم يؤولون الصوم بأنه الستر والكتمان، فيقول الحامدي "صوم شهر رمضان هو ستر مرتبة القائم"، (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)(البقرة : 185) أي من أدرك زمان الإمام فليزِم الصمت". وللزكاة معنى باطني ومعنى ظاهري ، فالزكاة في الباطن معرفة الامام " . " وإيتاء الزكاة هي الإقرار بالأئمة من ذريتهم". "إن إيتاء الزكاة هو إطاعة الناطق ثم الأساس" (2) .

وفي الظاهر : إخراج الخمس .

ومن عقائدهم السائدة اليوم فيهم: ما يقومون به من أداء زكاة الفطر في ليلة القدر، والتي يعتقدون أنها ليلة الثالث والعشرين من رمضان، فيؤديها رب المنزل على كل من كان معه في المنزل، وإن لم يكن ممن تجب عليه زكاتهم كسائر الأقارب، أو

¹ - السجستاني : الإفتخار ، ص 126-127.

² - الناطق: هو النبي المرسل وصاحب الشريعة . والصامت أو الوصي (الإمام الأساس): هو الفرد الذي يعاصر الناطق ويكون مساعد له، فالناطق : صاحب التنزيل ، والصامت : هو أساس الشريعة في عهد الناطق وصاحب تأويلها ..انظر : تاج العقائد: للداعي المطلق علي بن محمد الوليد اليمني، ص 57-58 . تاريخ الإسماعيلية: لعارف ثامر الإسماعيلي، ج 1 ص 75

الأضياف، أو حتى الغرباء، وعابري السبيل؛ ولذلك فإنهم في هذه الليلة يحرصون على عدم استقبال أي ضيف، أو قريب، أو غريب، أو عابر سبيل كالباعة المتجولين، وإنما يؤوونهم في المساجد حتى لا تجب عليهم زكاتهم .

ويذهبون إلى مكة لتأدية الحج في موسمه ، شأنهم في ذلك شأن جميع المسلمين ، ولكنهم يقولون إن الكعبة التي يطوف حولها الحجاج هي رمز على الإمام .. !

ولا يقبل الحج إلا إذا كان بصحبة الداعي أو من ينيبه من الدعاة ، وغالبا ما يخالفون أهل السنة والجماعة في وقت الوقوف بعرفة ، فإما أن يتقدموا عليهم يوما أو يتأخروا يوما ، اعتمادا على حساباتهم الفلكية الخاصة . ويعتمدون في الوقوف بعرفة على جدول الكبيسة ، فهم في الغالب يتقدمون على المسلمين بيوم أو يتأخرون بيوم ، وذلك بحسب رؤية الهلال في كل شهر وتفاوت الأيام في ذلك عند أهل السنة. وهذا أحد الإسماعيلية المكارمة وهو يحدثنا عن ذلك بذكاء يحسد عليه! حيث يقول ما نصه:

(استمعنا في اليوم الثاني قبل يوم عرفة وهويأمرنا في عرفات تحت قيادة الداعي المكرمي ، وقد أحاط بنا جمع من أهل السنة وسألونا عما نعمل قبل الوقفة؟! فأجبناهم بقراءة أدعية مأثورة فانصرفوا بعد سماع هذا الجواب الساذج ، ثم انصرفنا إلى مزدلفة وقضينا فيها ليلتنا جوار طريق الطائف الذي يسلكه الحجاج القادمون من هذه المدينة، وكلما سألنا الجمع السني القادم إلى عرفة عن سبب انصرافنا عنها؟! أجبناهم بأنا قادمون من الطائف وسننزل مكة ثم نقدم منها إلى عرفة، وهكذا قضينا تلك الليلة ثم عدنا إلى عرفة وصرنا شركاء لعامة الحجاج.) (¹) ، وإذا لم يتمكن الإسماعيلية

¹ - انتهى كلامه من كتاب " سلك الجواهر " صفحة 82.

المكارمة من الوقوف بعرفة بحسب حسابهم فأنهم يقبلون الحج إلى عمرة!! هذا في الظاهر ..

أما في الباطن فهم يؤولون فريضة الحج تأويلا فاسدا كبقية الإسماعيليين .
يقول السجستاني (أحد دعائهم) : (حج البيت هو : قصد إمام الزمان ، مفترض الطاعة ، والغرض من حج البيت معرفة الأئمة ، والمراد من الزاد والراحلة في الحج : هو العلوم ، ودليل معرفة الإمام . والإحرام هو : اعتقاد معرفة الإمام ..) ويؤولون النحر والحلق : بإزالة الباطل وإظهار الحق .

وتقبيل الحجر الأسود : بقبول الدعوة من الناطق المؤيد... (¹)

وحجهم إلى مكة إنما هو من باب التقية، أما الحج الحقيقي عند البهرة الداودية فهو إلى " قبر طاهر سيف الدين " الذي يسمونه _ روضة طاهرة - في الهند، ويكون ذلك في شهر رجب أيام 19. 20. 21 من شهر رجب .
والعمل بظاهر العبادات مؤقت بظهور القائم فإذا ظهر القائم (تخلص المؤمنون من الستر والكتمان ، وقدروا على كشف مذاهبهم ، وجب رفع هذه الشريعة التي هي سمة الستر والكتمان.) (²)

ويزعمون أن المراد بالقرآن هو علي صاحب التأويل، وهو مقتن بمحمد صاحب التنزيل، ويؤولون آية (وإذا بدلنا آية مكان آية) (النحل : 101) أي : بإمام مكان إمام...

ويؤولون الصراط بأنه أمير المؤمنين - عليه السلام - .

¹ - الداعي الإسماعيلي السجستاني : الإفتخار ، ص 149.

² - السجستاني : إثبات النبوات ، ص 182.

والجنة : بالإمام الحجة، وغير ذلك من التأويلات الفاسدة.

. ويخالفون المسلمين في مراسم الدفن، ولا يدفنون موتاهم في مقابر المسلمين، كما أن السلطان يوزع على أمواتهم "صكوك الغفران" ويسمون بها الرسالة ،ويتم وضعها في إبط الذراع الأيسر في القبر، ويحرصون على مخالفة المسلمين في دفن موتاهم بتوجيههم نحو بيت المقدس؟؟.

ويجرون عقود النكاح دون الرجوع إلى المحاكم الشرعية أو الهيئات المختصة؟! ويتبرأون من المجتمع الإسلامي المحيط ،فهم يحرصون على عزل طائفتهم عن محيطها، كما كتب محمد برهان الدين (الداعي المطلق-رقم 52 -) إلى أبناء طائفته في اليمن يقول لهم : (اعلموا يا أبناء دعوتي أن من أخل بشرط من شروط العهد ونقضه فهو ناكث العهد، خارج من سلك الإيمان والعقد واعلموا أن البراءة من الأعداء، وترك مجالستهم، ومواصلتهم في أي حال من الأحوال شرط من شروط التعهد... واعلموا أن مخالفتي الحق هم من إخوان الشياطين...). (¹)

وتختلغ تأويلات دعائهم باختلاف المناطق التي يقيمون فيها ، فالتأويل في فارس يؤدي إلى طرح كل أركان الدين ، بخلاف ما كان عليه الأمر في المغرب إذ لم يصرحوا بهذه الآراء إلا في كتبهم السرية ، فمثلا قال الداعي بالمغرب في تأويل قوله تعالى : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر) (سورة الفجر : 1-3) إن الفجر هو : على بن أبي طالب ، وكل إمام بعده .

وأن الشفع والوتر هما : الحسن والحسين.

¹ - هدايات الدين المضيء" كتبها سنة 1397هـ.

ولكن الداعي في مصر أول هذه الآيات بأن الفجر هو : المهدي المنتظر ، أي : قائم الأئمة وخاتمهم لأنه يظهر بعد انتشار الضلال ، كما أن الفجر يأتي بعد شدة الظلام .

وبعد انتقال الدعوة من مصر إلى اليمن وأصبحت تعرف بالدعوة الإسماعيلية الطيبية ، عادت التأويلات الباطنية مرة أخرى إلى الغلو ، مع أن دعاة اليمن أخذوا أكثر تأويلاتهم عن دعاة مصر . وبسبب دخول الأئمة دور الستر ، وعدم وجود دولة للطائفة ، عاد الإسماعيلية إلى التقية والسرية ، بحيث لا يسمح إلا لكبار الدعاة فقط بمعرفة أسرار التأويل . وظل الأمر على ذلك إلى الآن عند طائفة البهرة بفرعيتها الداودي والسليمانى .¹

ومع اتفاق البهرة مع أسلافهم الإسماعيليين في كل ما يؤولوه ، إلا أنني وجدتهم ينفردون في تأويل بعض الآيات بما يتفق ومزاعمهم .. للتدليل على صحة إمامة (المستعلي) وفساد إمامة (نزار) . يقولون : [لما تشاجر عبد الله ونزار - ولداه - في الإمامة بين يديه ، قال لهما : لا تتشاجرا ولا تتنازعا ، فليس واحد منكما بصاحب هذا الأمر ، وإنما صاحبه ههنا ، وأشار بيده إلى ظهره ، وكان مولانا المستعلي حينئذ لم يحمل بعد..! وهذا كان في يوم مشهود ، ومقام غير خفي ولا مجحود ، ثم إنه لما حضرته النقلة إلى دار الكرامة ، وحانت دقيقة الانتقال ؛ وهو الوقت الذي يعول فيه على النص ، أشار إليه ، ونص مصرحا عليه ، وأمر من حضر

¹ - انظر : د. محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، ص 162-165 ، باختصار . والحبیب الفقہی :

التأويل أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي ، ص 9-53. والداعي الإسماعيلي جعفر بن منصور اليمن : كتاب الكشف ، ص 66 . والداعي إدريس عماد الدين القرشي : زهر المعاني ، ص 299 .

بطاعته وعرفهم ما خصه الله به من وراثة رتبته ومقامه ودرجته ، فأذعن الجميع طائعين ، وبادروا بشعاره معترفين ، ولم يخالف في ذلك أحد من المخالفين ، والموالفين ، إلا نزار وشرذمة من الغلمان ..

ثم يقولون : وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا .. الآية) (البقرة : 102) ، وذلك أن مولانا المستنصر بالله (ص) من دوره بمنزلة سليمان من دور بني إسرائيل ..؟ وهو المشار إليه بسليمان ، وقد قال النبي (ص) : كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، فسليمان هذه الأمة هو مولانا : المستنصر بالله (ص) ، لأنه واقع في الرتبة والعدد من أئمة دوره موقع سليمان في الرتبة والعدد من أئمة دوره ، فإنه أوتي ملكا لم يؤت مثله أحد من آبائه طولا وتمكينا ، كما أوتي سليمان ، وسخرت له الريح والشياطين كما سخرت لسليمان ..؟ فتسخير الريح : تأييده في كل مقام ، وتسخير الشياطين له : إنقياد المارقين له ، والمخالفين لأمره ونهيه . وقوله : (وما كفر سليمان) أي : ما كفر مولانا المستنصر بالله ، ولا جحد حقيقة علمه في معنى الإمام من بعده ، بل عقد الإمامة لمولانا المستعلي بالله في يوم النكاح على رؤوس الأشهاد ، ونص عليه في دقيقة انتقاله ، لا موضع تأول فيه ولا اشتباه على أحد من حاضريه ، وكفر بذلك من اتبع الهوى ، ولآثر الدنيا ، إذ كانت الخلافة والإمامة محل المنافسة وباعث الحسد ولهذا قال سبحانه : (ولكن الشياطين كفروا ..) أي : هؤلاء الذين شطنوا عن الحق ، وبالغوا في الحيلة ، فضلوا وأضلوا . ومما يعضد هذا التأويل ؛ ما ورد في أسفار بني إسرائيل ؟! من أن سليمان نص بالإمامة على ولده (رجيعون) ..! كما نص مولانا المستنصر بالله (ص) على مولانا المستعلي بالله (

(ص) فحسده المسمى (بريعون) فخرج عليه ، واتبعه جماعة ممن أضلهم بمكره ، واستهواهم بسحره ، وغير لهم نصوص الدين ، وأزالهم عن الصراط الواضح المبين ، كما فعل نزار في خروجه على مولانا المستعلي بالله (ص) وكانت الدائرة على (بريعون) وأصحابه ، كما كانت الدائرة على نزار وأصحابه ، وكانت العاقبة لابن سليمان صاحب الحق ، كما كانت العاقبة لمولانا المستعلي بالله (ص) أمير المؤمنين ، فإن الله قد أنفذ مشيئته الأزلية ، وأحكام قضاياه الكلية ، بصلة حبل الإمامة ، وعصمتها ، وإمحاقه المكر السيئ ممن عاندها ، وخالف أمر الله في طاعتها ، فاعتبروا يا أولي الأبصار . [¹]

كما أولوا قوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . الآية (البقرة : 106) بقولهم : (لا خلاف بين أهل التأويل أن الآية مثل الإمام ، ويعني بقوله : (ما ننسخ من آية) : أي : نؤخر من شخص قد وسم بوسم يوهم فيه الإمامة ، ويعني بقوله : (أو ننسها) أي : ننقل من إمام حقيقي إلى دار الكرامة ، فإن النسخ هو إبطال حكم متقدم بإثبات حكم متأخر ، وهو مثال تصور الشخص المتهومة إمامته ، والنسيان هو : انتقال الشيء من مقر الحفظ ، وهو مثل انتقال الإمام إلى دار الكرامة . وقوله : (نأت بخير منها) أي : نأت بإمام الحق ، وهو خير من الشخص المتهومة إمامته ، ومما يؤيد هذا قول الله تعالى : (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) (البقرة : 61) ، فإنه أشار عند جميع أهل التأويل بقوله (خير) إلى الوصي ، أو إلى الإمام الحق ، و (بالذي هو أدنى) إلى الشخص الذي يتوهم أنه إمام وليس بإمام

¹ - انظر رسالة : الهداية الآمرية في إبطال دعوى النزارية ، ص 15 - 16 .

. ويريد بقوله تعالى : (أو مثلها) أي : يخلف إمام حق بإمام حق مثله ، من عنصره وأصله ، فإن الأئمة في معنى الإمامة متماثلون ، وفي حقيقة التأييد والعصمة متشاكلون . وجعل بإزاء نسخ الآية : الإتيان بما هو خير ، وبإزاء نسيانها : الإتيان بما هو مثلها . فهل بقي بعد فهم هذا في فعل الأئمة ريب ..؟ أو يكون على وجه حكمتهم اعتراض بحضرة أو غيب ..؟ يا هؤلاء أما تعلمون أنكم إلى الإمام الحاضر في الإستضاءة بتعليمه وإرشاده ، وتحصيل المعارف التي لا تحصل إلا من جهته ، وتلومون أهل الظاهر في الاستبداد بآرائهم ، والسكون إلى أهوائهم ، فكيف تأتون إلى أعظم الأمور قدرا ، وأخفاها علما ، وهي الإمامة ، تحكمون فيها آراءكم ، وتتبعون فيها أهواءكم ، إن هذا لهو الضلال البعيد ، والخسران المبين ..¹

ونقول : إن هذه التأويلات فاسدة ، لأنها مخالفة لمنطق اللغة ، وضوابط التفسير التي أجمع عليها ثقات العلماء والمفسرين ، ولا يوافق عليها النقل الصحيح ، ولا العقل الصريح ، فهؤلاء اعتقدوا أشياء في أذهانهم ، وآمنوا بمذاهب وأفكار معينة ، وأرادوا إخضاع آيات القرآن لها ، لتدل على مزاعمهم ، فهم حرفوا ألفاظه عن مطانها اللغوية ، وأخرجوا الآيات عن نسقها وسياقها ، وخالفوا قواعد التفسير ، فكان فعلهم هذا أقرب إلى التحريف منه إلى التأويل أو التفسير ، بل هو تلاعب بمعاني آيات القرآن ، وإخراج لها عن معانيها الحقيقية ، وهذا ما يهدف إليه هؤلاء الغلاة .

كما أنهم يؤولون قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنْ

¹ - رسالة : الهداية الأمرية : ص 20-21.

النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . (آل عمران : 103) ،
تأويلاً غريباً فقالوا: إن هذا الحبل له طرفان، أحدهما في يد الله - تعالى الله عن ذلك -
والآخر في يد الدّاعي ، ويؤكد على وجوب السجود له باعتبار ذلك فرضاً دينياً على كل
أبناء الطائفة، لأنه إله الأرض كما تقول تعاليم البهرة⁽¹⁾.

ونقول : إن هذه التأويلات فاسدة ، لأنها مخالفة لمنطق اللغة ، وضوابط التفسير
التي أجمع عليها ثقات العلماء والمفسرين ، ولا يوافق عليها النقل الصحيح ولا العقل
الصريح ، فهؤلاء اعتقدوا أشياء في أذهانهم ، وآمنوا بمذاهب وأفكار معينة ، وأرادوا
إخضاع آيات القرآن لها ، لتدل على مزاعمهم ، فهم حرفوا ألفاظه عن مظاهرها
اللغوية ، وأخرجوا الآيات عن نسقها وسياقها ، وخالفوا قواعد التفسير ، فكان فعلهم هذا
أقرب إلى التحريف منه إلى التأويل أو التفسير ، بل هو تلاعب بمعاني آيات القرآن ،
وإخراج لها عن معانيها الحقيقية ، وهذا ما يهدف إليه هؤلاء الغلاة .
والبهرة كبقية الإسماعيليين ، بل كبقية الغلاة الذين حفلت بهم كتب المقالات والفرق ،
أولوا كل شيء ، ونظرة إلى تفسير (مزاج التسليم) لمفسر البهرة : ضياء الدين
إسماعيل بن هبة الله تجد أنه أول العقائد ، والأسماء والصفات ، والعبادات ، وقصص
القرآن ، فأخذ يقول ما لا يفهم ، أو لا يفهم ما يقول . فهذه التأويلات فاسدة ، لما ينتج
عنها من نتائج فاسدة ، لأنهم بتأويلاتهم رفعوا التكاليف ، وتركوا الفرائض والسنن ،
وهذا وحده كفيل بالحكم عليهم ، وعلى تأويلاتهم ، بأنها : خارجة عن المنهج
الإسلامي ، ومخالفة لإجماع المسلمين ، وهي البهرة نبتة سبئية خبيثة.

¹ - انظر مجلة التوحيد عدد 3 سنة 9 ربيع الأول، وانظر دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص 300.

الإسماعيلية النزارية ودعوة الحسن الصباح (الحشاشون)

بموت الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، انقسم الإسماعيليون إلى نزارية ومستعلية. واستمرت الإسماعيلية المستعلية في حكم مصر، إلى أن وضع صلاح الدين الأيوبي - رضي الله عنه وأرضاه - حداً لمهزلتهم، فنقلوا نشاطهم إلى اليمن، ثم إلى الهند، وأصبحوا يعرفون بالبهرة - كما أسلفنا -.

أما النزارية فقد كانت أكبر شأنًا وأجل خطراً من المستعلية، إذ أنهم لعبوا دوراً سياسياً كبيراً في كل من إيران والهند والشام.. ولم يكن لهم حظ الانتشار الواسع إلا على يد الحسن بن الصباح الذي كون دولة نزارية في جنوب فارس، تعرف بدولة الحشاشين...

"وكان الحسن بن الصباح في بداية أمره عالماً بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك ثم تتلمذ على يد ابن عطاش (داعي الإسماعيلية) ، وأمره أن يحج إلى مصر ، وكان الحسن بن الصباح قد ذهب إلى مصر سنة 471هـ، فرحب به داعي الدعاة، وأكرم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وفادته، وقضى الحسن في مصر ثمانية عشر شهراً، أكب فيها على دراسة أصول المذهب الإسماعيلي السرية دراسة مستفيضة، واتفق أثناء وجوده في مصر أن أثرت مسألة وراثته الخلافة والإمامة الفاطمية فرشح الخليفة الفاطمي ابنه نزاراً ليكون خليفة له، إلا أن المستعلي تمكن بمساعدة خاله قائد الجيش الأفضل بن بدر الجمالي من تحويل الإمامة له بدلاً من نزار، فاستاء الحسن بن الصباح من تحيُّز قائد الجيش للمستعلي، ورأى في توليه الإمامة مخالفة للتعاليم الإسماعيلية، فقامت المنازعات بينه وبين قائد الجيش، انتهت باعتقاله في بعض قلاع

دمياط... ليُرَحَّل بعدها إلى المغرب، ولكن الحسن فر من معتقله، وانتقل في بعض السفن إلى مدينة عكا، وتوجه منها إلى حلب ثم إلى بغداد، فأيران ورجع إلى خراسان ودخل ما وراء النهر ، ينتقل من بلد إلى بلد ، ومن قوم إلى قوم يُضِلُّهم ، وكان الحسن قد أدرك إبان وجوده في مصر، ضعف الحركة الإسماعيلية أمام نفوذ القادة وكبار رجالات الدولة، فاخذ يرسم في ذهنه صورة لمجتمع إسماعيلي خالص.. فعكف على بث دعوته في إيران، فاستجاب له كل ناظم على حكم السلاجقة... وأخذ يتحين الفرصة للاستيلاء على قلعة -آلموت- المنيعه الشاهقة، إلى أن تمكن من ذلك عام 483هـ، واتخذها قاعدة لأعماله، وبث دعوته التي عرفت في التاريخ بالإسماعيلية النزارية، وعرفت باسم الحشاشين والدعوة الجديدة⁽¹⁾..

وقد تركزت جهود الحسن بعد موت المستنصر في نشر الدعوة، وأخذ يدعو لابنه نزار، ولما قتل قال: إنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وجعل من نفسه نائباً للإمام المستور من ولد نزار⁽²⁾، إلى أن آلت إليه رئاسة الدعوة الإسماعيلية النزارية بفارس وخراسان وتلقب بعدة ألقاب أشهرها داعي الدعاة، وشيخ الجبل⁽³⁾، واحتفظ بأنصاره القدامى من الإسماعيلية في فارس وخراسان ، فالتقوا حوله ، كما عمل على ضم عناصر جديدة إلى دعوته ، وعمل أيضا على تكوين مجتمعات إسماعيلية بحتة تستقر في أماكن حصينة ، يجتمع فيها كل دعاة النزارية لمحاربة أهل السنة والنيل منهم ، فأصبح للحسن مئات من القلاع والحصون القوية في أقاليم متعددة ، ولُقِّبَ برئيس

¹ -انظر دولة النزارية ص 77.

² - مذاهب الإسلاميين 2 : 355-356.

³ - دولة النزارية - د. طه شرف، ص 77.

الدعوة .. وأصبح هذا الزعيم هو الرأس المدبر للدعوة الإسماعيلية في فارس وخراسان منذ عاد من مصر سنة 472 هـ، وبإحتلاله (قلعة الموت)⁽¹⁾ عام 483 هـ ، آلت إليه رئاسة الإسماعيلية من الناحية العملية ، وبموت المستنصر ومناداته بإمامة نزار 487 هـ آلت إليه رئاسة الدعوة الإسماعيلية بفارس وخراسان من الناحية الروحية .. وتلقب بألقاب منها : مولانا ، وسيدنا ، وداعي الدعاة ، واللقب الأشهر هو : شيخ الجبل.

وقد اتخذ الحسن مبدأ القتل وسيلة لتحقيق أهدافه ، فكان يأمر أتباعه باغتيال كل من يقف في طريقه ، عن طريق تنظيم سري عرف باسم : - الفداوية- ، فاستطاع أن ينتقم لنزار بقتل الإمام الأمر بأحكام الله بن المستعلي، وأشاع الرعب والفرع - بهذا التنظيم- في أنحاء الخلافة العباسية. واستطاع أن يؤسس الدولة الإسماعيلية التي عرفت في التاريخ بأسماء متعددة مثل : (الإسماعيلية النزارية - التعليمية - الملاحدة - الحشاشين) وعرفت عند كتاب الفرق باسم السفاكين ، وقطع الحسن علاقته بأئمة الاسماعيلية الغربية (المستعلية) ، وأرسل الفدائيين لاغتيالهم ، كما كان يغتال جميع أعدائه ، حتى ضج الناس من كثرة قتلاه ، وخاف كل واحد على حياته .. وقد ساعده على ذلك أن أتباعه كانوا يطيعونه طاعة عمياء ..

وفي سنة 501 هـ عندما حوصرت قلعة الموت من قبل السلطان السلجوقي ، واشتد الحصار عليها ، أرسل السلطان رسولا إلى الحسن يطلب منه الاستسلام ويدعوه لطاعته ، فنادى الحسن أحد فدائييه وقال له: ألقى بنفسك عن هذا البرج ففعل ، وقال

¹ - قلعة حصينة تقع بين بحر قزوين وبحر الخزر على رأس جبل شاهق . انظر :ابن الأثير ، الكامل ، 8:

لثاني : اطعن نفسك بهذا الخنجر ففعل ، فقال للرسول : اذهب وقل لمولاي إنه لديّ سبعون ألفاً من رجالي الأمناء المخلصين أمثال هؤلاء (2) . وقد كان قتلهم للوزير السلجوقي نظام الملك هو أول فتكة مشهورة عنهم ، ونظام الملك وزير سني شيد المدارس النظامية فنسبت إليه . وقد وثب إليه أحد دعاة الحسن الصباح في صورة مستغيث ، ولما اقترب منه طعنه بسكين وقتله ، وكان ذلك عام 485هـ (1)

وقد وصف الأستاذ محمد عبد الله عنان جماعة الحسن الصباح : بأنها أعظم جمعية سرية ثورية عرفها الإسلام ، تلك التي لبثت زهاء قرن ونصف تُرعب الدول الاسلاميه من فارس إلى الشام ، وحثت جموع البسطاء والدهماء باسم الدين لتحقيق أغراض سياسية ، واعتمدت في محاربة خصومها على الاغتيال الخفي المنظم . وهم شعبه من غلاة الشيعة الاسماعيلية، (2) ويطلق الشهرستاني على دعوة الحسن ابن الصباح (الدعوة الجديدة) ، تمييزاً لها عن الباطنية القديمة.

وقد قسم الحسن طرق الدعوة الجديدة إلى درجات سبع ، وتنتهي هذه الدرجات إلى شيء واحد هو : إخراج المستجيب من عقيدته الأولى التي كان يعتقدّها وإدخاله إلى حضيرة المذهب الاسماعيلي .

1 - التفرس : ويقصد به إدراك مكنونات النفس ويطلق على ذلك الاستبطان ليتبينوا قوة إرادة الفرد ، ومبلغ سهولة انقياده .

2 - التأنيس : - وهو من الأنس وهو بعث الأمن والطمأنينة في نفوس المدعويين وإشباع ميولهم ، وإعطائهم كل ما يميلون إليه ، كل حسب ميوله .

1 - د. سليمان عبد الله السلومي ، أصول الإسماعيلية : ج1 ص 392.

2 - انظر : محمد عبد الله عنان ، الجمعيات السرية ، والحركات الهدامة ، ص 45.

3- **التشكيك:** - وهو زعزعة عقيدة المدعويين ، وتعتبر هذه الخطوة من

أخطر الخطوات يستطيع بها الداعي أن يصل الى قلب المريد ، فيزعزع عقيدته ،
ويزلزل إيمانه.

4 - **التعليق:** - وهو ترك المريد بعد تشكيكه متأرجحاً في عقيدته ، متشوقاً الى
معرفة المذهب الاسماعيلي ...

5 - **التدليس:** - وهو ان يلجأ الداعي إلى التمويه ويدعي ادعاءات كاذب تزيد في
إغراء المريد وتشويقه وإلهاب رغبته في الدخول الى الدعوة .

6 - **التأسيس:** - وهو تثبيت المعلومات والحقائق التي أدلى بها الداعي
والمستجيب حتى تستقر في ذهنه ويقبل عليها ويؤمن بها .

7 - **الخلع والسلخ:** - ومعنى الخلع إقصاء المدعويين عن حظيرة المذاهب السنية
ان لم يكن عن حظيرة الإسلام نفسه بإسقاط التكاليف الشرعية عنهم .

قال الإمام الغزالي : الخلع هو ترك حدود الشرع وتكاليفه .. وأما السلخ: فيختص
بالاعتقاد الذي هو خلع الدين ، بمعنى إسقاط الاعتقادات جميعها ، وتسمى هذه
الدرجة البلاغ الأكبر.

وهي نفس الخطوات التي اتبعها زملاؤهم القرامطة في نشر مذعبهم .. وإن اختلفت
في الشكل في بعض خطواتها ، إلا أن المضمون واحد .

وامتازت دعوة " حسن الصباح " بأنها استغلت مبدأ التعليم من الإمام المعصوم ..
فادعى أنه لا يمكن لإنسان أن يعرف شيئاً إلا عن طريق طريق الإمام أو نائبه ، وما
دام هو نائب الإمام فقد أصبح مصدر العرفان ، لذلك فإن الإمام الغزالي عندما عد
ألقاب الباطنية ، أشار الى أصحاب "حسن الصباح " عند ذكره لقب التعليمية فقال :

"وأما التعليمية ، فإنهم لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأي ، وإبطال تصرف العقول ودعوة الخلق الى التعليم من الامام المعصوم ، وأنه لا مدرك للعلوم الا بالتعليم .

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي : إننا لم نجد فيما رجعنا إليه من مصادر ما يدل على أن مذهب التعليم كان عقيدة أساسية عند الإسماعيلية قبل عهد الحسن الصباح فيكون الحسن الصباح قد جدد في الدعوة الإسماعيلية ولعل هذا ما دعا الشهرستاني أن يصف دعوته بالدعوة الجديدة كما سبق ، وهذا المبدأ الجديد جعل أتباعه يقدسونه تقديساً تاماً ، ويطيعونه طاعة عمياء ، لأنه نادى بأن ذلك هو الشرط الأساسي للدين الحق. (1)

وقد أدى مبدأ التعليم وانقياد أتباعه له انقياد شديداً إلى اعتقادهم بنبوته ، ويذهب الكثير من المؤلفين شرقيين وغربيين ، إلى القول بأن الحسن لجأ في إغواء الفدائيين ، والتأثير في أذهانهم ، إلى ايهامهم أنه نبي ، بل إلى أنه أرفع درجة من النبي ، فجعل مُعَلِّمُوهم يلقنونهم أن باستطاعة الحسن إدخال من شاء منهم الجنة التي وردت في القرآن الكريم .. توفي الحسن بن الصباح عام 518هـ من ملك الموت إلى مالك ، وقد استمرت دولة النزارية بعده الى عام 654هـ ، إلى أن قضى عليها هولاكو القضاء الأخير ، وقتل ركن الدين خورشاة آخر أئمة الإسماعيلية النزارية في الموت . وبذلك انتهت الدولة النزارية الإسماعيلية في إيران ، والتي دامت إحدى وسبعين ومئة عام ، حيث كان بدؤها عام ثلاث وثمانين واربعمئة حينما استولى ابن الصباح على قلعة

¹ - د. عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، ج2، ص 244-247.

آلموت ، وانتهاءها عام أربع وخمسين وستمئة فتكون سني تسلطهم على العباد والبلاد إحدى وسبعين ومئة عام . (1)

وبعد أن بدأت دولة الحشاشين في آلموت في الأفول ، ظهر داعي إسماعيلي نزاری في بلاد الشام ، واسمه : **راشد الدين سنان** ، تلقب **بشيخ الجبل** . وحاول تجميع فلول الإسماعيلية من جديد ، خاصة وأن دعوة الإسماعيلية في بلاد الشام ترجع إلى وقت مبكر وخاصة في سلمية التي كانت مقرا للأئمة المستورين والإمام الظاهر : عبيد الله المهدي .. وكانوا يشتركون الحصون أو يستولون عليها بالقوة ، حتى بلغت حصونهم في الشام ثمانية وهي : القدموس ، ومصيف ، وبانياس ، والكهف ، والخابي ، والمنيقة ، والقلية ، والرصافة ، واستطاع (**راشد الدين سنان**) بمقدرته وكفايته أن يجمع كل اسماعيلية الشام حوله ، وأن يجعل منهم قوة متحدة لهم نفوذ وسلطان . وعاصروا القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - ، وكانوا أداة بيد الصليبيين ، كما كانوا مصدر الفتن والقلق في المجتمع الإسلامي، بل وصل الأمر (برأشد الدين سنان) (الملقب بشيخ الجبل) إلى تهديد صلاح الدين الأيوبي - قاهر الفاطميين والصليبيين - ، ومحاولة إغتياله أكثر من مرة (2) . وفي سنة 572هـ قصد **صلاح الدين**

¹ - د. عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، ج2، ص 314 ، 315 ، 406 ، 407.

² - من المنقول من خط القاضي الفاضل أن نور الدين الشهيد كتب إلى راشد الدين سنان صاحب القلاع

الاسماعيلية كتابا يهدده فيه فشق ذلك على سنان فكتب إليه بما هو فوق الوصف بحكاية الحال وهو:]

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا ... لاقام مصرع قلب كنت تصرعه

قام الحمام إلى البازي يهدده ... واستصرخت بأسود الغاب أضبعه

أضحى يسد فم الأفعى بأصبعه ... يكفيه ماذا تلاقي منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله ، وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله ، فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل ،

مواطن تواجدهم ، وحاصر قلاعهم ، فاضطروا بعد ذلك إلى طلب الصلح . (1) وظل أمر الإسماعيلية النزارية في الشام بعد ذلك يضعف تارة ويقوى أخرى إلى أن استسلمت آخر قلاعهم **للظاهر بيبرس** عام 672هـ ، فخفت أمرهم في الحياة السياسية حتى لم يسمع عنهم شيئاً يذكر ، فدخلت النزارية في دور السתר الثاني الذي انتهى بظهور **الآغا خانية**.. وبظهورهم بدأ دور الظهور الثاني.. حيث ظهر في إيران في القرن التاسع عشر المدعو - **حسن علي شاه** - الذي جمع حوله عدداً من الإسماعيليين وغيرهم من الخارجين على القانون، فهاجم بهم القوافل والقرى، حتى ذاع صيته في جميع أنحاء إيران، فتوافد عليه الطامعون في المكاسب المادية والسلب والنهب، وفي

وبعوضة تلدغ تمثالا ، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون ، فدمرنا عليهم فما كان لهم من ناصرين ، أو للحق تحضون ، وللباطل تتصرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وأما ما صدر من قولك فتلك أماني كاذبة ، وخیالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض ، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض ، فإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات ، وعدلنا عن البواطن والمعقولات ، فلنا أسوة برسول الله - ﷺ - في قوله: (ما أودني نبي مثل ما أوديت) ، ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته ، والحال ما حال ، والأمر ما زال ، والله الحمد في الآخرة والأولى ، إذ نحن مظلومون لا ظالمون ، ومغصوبون لا غاصبون ، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، وقد علمتم ظاهر حالنا ، وكيفية رجالنا ، وما يتمنونه من الفوت ، ويستقربون به إلى حياض الموت ، قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، وفي أمثال العامة : أو للبط تهددون بالشط ، فهىء للبلاء جلبابا ، وتدرع للرزايا أثوابا ، وإنك لكالباحث عن حقه بظلفه ، أو الجادع أنفه بكفه ، وما ذلك على الله بعزيز . عندما تقرأ خطابنا هذا فارتقبنا وترحم على نفسك ، وقرأ أول "النحل" (يقصد قوله تعالى : أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وآخر "صاد" (يقصد قوله تعالى : ولتعلمن نبأه بعد حين) . [توقيع : سنان شيخ الجبل .. انظر : ثمرات الأوراق ، لابن حجة الحموي 1: 33. و برنارد لويس : الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ص 168.

¹ - انظر : د. عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، ج2: ص 378-382.

هذه الأثناء كان الإنجليز يعملون على بسط نفوذهم في إيران، فاتصلوا به وزينوا له القيام بثورة ضد شاه إيران، على أن يتولى حكم إيران إذا نجح في ثورته، ولكنه فشل، إذ ألقى القبض عليه وزج في السجن تمهيداً لإعدامه، واستطاع الإنجليز أن يحصلوا على أمر بالإفراج عنه، شريطة أن ينفي من إيران كلها، فزين له الإنجليز أن يذهب إلى أفغانستان، إذ كانوا في حرب مع الأفغان، وربما استفادوا منه، وقد تنبه الأفغانيون له وللدور الذي جاء يمثله ضدهم، فاضطروه للرحيل إلى الهند، فاستقر في بومبي، واتخذ منها مقراً له . وأراد الإنجليز أن يستفيدوا منه مرة أخرى، فاعترفوا به إماماً لبقايا الطائفة الإسماعيلية النزارية الموجودة في الهند، وخلعوا عليه لقب - أغا خان-، وفرح الإسماعيليون النزاریون بظهور إمامهم الذي ظل في كهف الستر والغيبة مئات السنين..

الأغاخانية :

كما أن طائفة البهرة امتداد الأسماعية المستعلية ، فإن طائفة الأغاخانية هي امتداد للإسماعيلية النزارية.. التي قضى عليها هولاء القضاء الأخير ، وتشتت شملهم ، فهاجر عدد كبير منهم الى بلاد الهند ، وظلوا فترة طويلة لم يسمع لهم صوت أو يمارسوا أي نشاط سياسي ، إلى أن ظهر في ايران :

أ - المدعو: (أغاخان الأول) (حسن على شاة) الذي جمع حوله عددا من الاسماعيلية ، وهاجم بهم القرى والقوافل ، حتى ذاع صيته في جميع أنحاء ايران ، وأصبح له نفوذ واسع على أتباعه حتى خشيته الأسرة الحاكمة في إيران ، ولا سيما بعد وفاة الشاه فتح علي سنة 1835 م .. وقد أشاد الايرانيون بأعمال البطولة التي قام بها ، فتوافدوا عليه وانضموا لجماعته طمعا في المكاسب المادية التي سيحظون

بها من مهاجمة القرى والمدن ، وقام حسن على شاه بالثورة ولكنه فشل وسجن ، وأخرجه الانجليز ، ورحل الى افغانستان ، ثم رحل الى الهند ، واتخذ مدينة بومبي مقرا له ، واعترف به الاسماعيليون إماما للطائفة النزارية الاسماعيلية ، وخلعوا عليه لقب أغاخان . وترجع

أهمية هذا الرجل في تاريخ النزارية الى أنه من سلالة جمعت بين الامامة (عن طريق الانتساب الى نزار) والمُلْك (لأنه حفيد شاه فارس) لذلك لم يكن بعيدا أن يسعى الى ملك وزعامة العالم النزاری معا- وأيضا الى اكتساب رضا الانجليز في الهند وقد منحته الملكة البريطانية لقب (صاحب السمو) وأرفع وسام في المملكة للسلام ، ومنحه معاشا ضخما أصبح يتمتع به هو وأبنائه من بعده ، وقد حكمت المحاكم الانجليزية في الهند على أتباعه بوجوب دفع الضرائب التي يطلبها منهم لأنه رئيسهم الروحي. هذا وقد تجمع الاسماعيليون في الهند وفرحوا بظهور شأنهم بعد أن ظلوا مغمورين طوال هذه القرون ، وبظهور إمامهم الذي ظل في الستر والكتمان مئات السنين ، فأخذ اغاخان ينظم شئونهم الى أن توفي في 1881م ودفن في مدينة مككاؤن ، ولا يزال ضريحه قائما فيها للآن تحيط به روضة غناء تعرف (بحسن آباد).

ب - أغاخان الثاني: بعد وفاة أغاخان الاول تولى الامامه ابنه الامام علي بن الامام حسن علي وعرف (بصاحب السماحة على شاه أغاخان الثاني) ولد عام 1246هـ في مدينة محلات وتولى 1298هـ وكان أبوه قد أعده للامامه فكان على درجة عالية من الثقافة وكان يجيد عدة لغات إجادة تامة منها اللغة العربية وكان مولعا بالصيد ، وركوب الخيل، ويحسن استعمال الاسلحة ، وفي احتفال ضم آلاف الاسماعيليه الذين قدموا الهند لتقديم الخمس للإمام ، أعلن أغاخان الثاني بأن نجله

سلطان محمد شاه قد أصبح وليا للعهد، وسيكون إماما من بعده ، ولم يتمتع بسياسته الروحية والزمنية أكثر من أربعة أعوام ، إذ أنه مات في سنة 1885م ، ونقل جثمانه الى مدينة كربلاء .

ج - أغاخان الثالث: سلطان محمد حسيني وهو ابن علي حسن، ولد في مدينة كراتشي الباكستانية سنة 1877م ، وتولى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة 1885م، وكان حينها في الثامنة من عمره، فصارت أمه هي من تشرف على شؤون الطائفة. صار للأغاخانية في عهده شأن كبير وانتشار واسع، واهتم بتحسين أوضاع أتباعه، فدعاهم إلى ممارسة التجارة وطرق أبواب الاقتصاديات بأنواعها مشجعا الهجرة إلى أفريقيا والعالم.

وقد ترجم له الدكتور مصطفى غالب في كتابه (تاريخ الدعوة الأسماعيلية)

وتحدث كثير من جوانب حياته الاجتماعية والثقافية والسياسية .

وكان أغاخان الثالث يعد من أغنياء العالم المعدودين ، إذ كان يملك ملايين الدولارات ومجموعة كبيرة من الجواهر ، وكان يملك أيضا قصورا كثيرة في جميع أنحاء العالم ، وطائرات حديثة ، وعددا كبيرا من أحدث اصطبلات الخيول في العالم.

وكانت له شهرة واسعة ، واستطاع ان ينهض بطائفة الإسماعيلية نهوضا عجيبا بالرغم مما عرف به من حب للحياة الصاخبة بين الموائد الخضراء ومضمار سباق الخيل، وحبه لارتياح اللهو البرئ وغير البرئ ، حتى عجب الناس من تناقض شخصيته ، فهو إمام لطريقة دينية ، ثم هو لم يتحرج عن ان يأتي ما يتنافى مع كل دين من الأديان، اذ كان يسرف في لهوه ومسراته الى درجة السفه، فقد وصف بأنه زير نساء ، ينتقل

بين الغانيات وبائعات الهوى!! (¹) ويقول عنه **جولد زيهر** (وهو رجل دنيوي المظهر الى حد كبير ومشبع بأفكار الثقافة العصرية ، ولا شئ يذكرنا بمبادئ المذهب الذي ينبغي أن يمثلته) وبالرغم من أنه استمر يدين بآراء وعقائد الحسن ، وجعل طائفته يدينون بنفس هذه العقائد ، فإنه كان يحب دائما أن يعرف أنه غيور على الإسلام ومصالح المسلمين ، ومن نسل فاطمة الزهراء ، كما كان ممن يؤيدون سيادة الإنجليز على الهند ، تلك السيادة التي يراها نعمة على الشعوب الهنديه ، وكان يصرح بأن رغبة الهنود في الاستقلال هي رغبة طائشة حمقاء ، و نزعة متهوسة سابقة لأوانها .

تزوج أغاخان أربع مرات دون أن يجمع بين زوجتين:

الأولى: شاه زادي وهي إيرانية، وتوفيت بعد سنوات قليلة من زواجهما سنة 1897م.

الثانية: الإيطالية تريزا ماجليانو تزوجها سنة 1908م وأنجبت له ابنه الأكبر علي سلمان خان. وهي راقصة أوبرا.

الثالثة: الفرنسية أندريه كارون، وقد أعجب بها سنة 1927م ، وكانت آنذاك تتبع الحلوى والسجائر في كشك بجوار مقهى في باريس. أنجبت له صدر الدين، ثم طلقها.

الرابعة: الفرنسية ايفيت بلانش سنة 1944م ، وهي عارضة أزياء، واختيرت ملكة لجمال بلادها، وبعد زواجها من الأغاخان سنة 1944م تسمت بـ "البيجوم أم حبيبة". توفيت في شهر أيلول - سبتمبر سنة 2002م ، ودفنت بجوار زوجها في مدينة أسوان المصرية، في مقبرة رخامية على الطراز الفاطمي.

¹ - د. محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص 125.

بدأ أغاخان يتدخل في شؤون الهند السياسية منذ سنة 1902م، وأنشأ "الهيئة الإسلامية الهندية" سنة 1906م، وبعدها بأربع سنوات أنشأ جامعة عليكرة، وترأس عصبة الأمم ⁽¹⁾ سنة 1937م حتى قيام الحرب العالمية الثانية، وقد كان قبلها ممثلاً للهند في هذه المنظمة.

اشتهر هذا الأغاخان بوزنه عدة مرات من قبل أتباعه بالذهب والجواهر، ثم تقديم هذه المجوهرات إليه، فقد كانت المرة الأولى في بومباي سنة 1936 بمناسبة مرور 50 عاماً على إمامته للطائفة، حيث وزن بالذهب، وفي العام التالي وزن بالذهب ثانية في العاصمة الكينية نيروبي.

وفي سنة 1946م تم وزنه بالماس في بومباي بمناسبة مرور 60 عاماً على إمامته، وفعل الشيء نفسه من العام ذاته في دار السلام عاصمة تنزانيا. وبمرور 70 عاماً على إمامته وزن بالبلاتين في كراتشي سنة 1954، وفي القاهرة سنة 1956، وكان الأغاخان يستغل مردود هذه الاحتفالات لنفسه وأسرته، وبناء القصور في أنحاء أوروبا، وفي اللهو الحرام في أنحاء العالم.

توفي في صيف عام 1957م عن 80 عاماً في قصره في مدينة جنيف بسويسرا، ونقل جثمانه جوا إلى أسوان في الجمهورية العربية المتحدة إلى فيلا نور السلام في جزيرة النباتات وسط النيل في أسوان ، ثم إلى المقبرة القريبة منه ، وفي 20 شباط

¹ . عصبة الأمم هي المنظمة الدولية التي كانت قائمة قبل تأسيس الأمم المتحدة سنة 1945م.

1959م احتفل رسمياً بنقل الجثمان إلى مقره الأخير ، حسب وصيته . (1) وكان قبل وفاته قد أوصى بأن تؤول إمامة الطائفة من بعده إلى حفيده كريم علي، وليس إلى ابنه علي خان، معللاً ذلك بأن "التغيرات الكبرى في العالم، والتطورات التي تحدث تقضي بأن يخلفه شاب نشأ وترعرع في السنوات الأخيرة وسط هذا العصر الحديث، وأن تكون له نظرة جديدة للحياة عند تولي زعامة الطائفة..." .

اعتقاد أتباعه فيه :

يحتل أغاخان مكانة كبرى بين أتباعه فهو (يعد إماماً مطلقاً في نظرهم وكلمة الإمامة عند النزارية لها معنى أخطر مما يدل عليه لفظها ، فلإمام حق على أبناء طائفته في كل ما يأكلون ويشربون ويمتلكون.. وقد ألف الاسماعيلي الدكتور مصطفى غالب كتابه (تاريخ الدعوة الأسماعيلية) وجعل أصل مبحثه فيه عن الأغاخانية ، إذ أنه أرجع الدعوة الأسماعيلية الى عهد آدم - عليه السلام - ، مروراً بالأنبياء الى أن وصل الى النبي - ﷺ - ، ثم انتقل بها الى الإمام علي ، حتى وصل بها الى الإمام جعفر الصادق ، ثم الى إسماعيل ابنه ، ثم في ذريته حتى يصل الى المستنصر بالله ، ومن المستنصر الى نزار ، ومن نزار حتى انتهى إلى أغاخان الثالث ، وكل هذا ليثبت نسب أغاخان الى آل البيت . وقد أهدى هذا الكتاب الى أغاخان الثالث في طبعته الأولى سنة 1953م بقوله : (إلى القبس المضيء ، والضيء المشرق ، الإمام المعصوم ، وحجة الله على العالمين ، الى الناموس الكوني الموجود في كل الوجود ،

¹ - وقد زار كاتب هذه السطور أسوان عام 1965م ، وسدها العالي ، وخزان أسوان ، ثم عرجت ومن معي على جزيرة النباتات ، ورأينا البيجوم أغاخان (أم حبيبة) على إحدى شرفات قصرها ، ثم مررنا بقبر زوجها في أعلى الجبل المجاور .. وطلبنا من الله أن يجزيه بما يستحق .

الى منجي النفوس ، الى الشفاء الأبدي وقائد العالم الى الحقيقة المثلى .) ويصور مكانته بقوله في مدخل الكتاب : (الإمام هو الإنسان الكامل التام الحاد وللحدود الظاهره والوجود والمتعالي عن كيف البعيد عن الأين والزمان والمكان ، فهو أول الفكر وآخر العمل ، اتصلت بنفسه المقدسة الكلمة فأصبح الصورة الشرعية في عالم الدين ، فهو المقدم على عالم الخلق كله ، والمقدم على عالم الدين لأنه أصله ومبدؤه وأساسه ، ولا يكمل الوجود الا بوجوده ، سرت فيه القوة الإبداعية الناطقة المقدسة المحركة ، فاتحدت به مواد الكلمة الإلهية ، وهي (كمال الصورة الدينية ؟ !) وترقى في الرتب العلمية واستحوذ على جميع الفضائل فأصبح إنسانا تاما كاملا أبدع السابق التام الكامل الوجودي بالتام الديني فصار داخلا تاما فقال له اقبل فقد جعلتك معصوما وقبسا منيرا .

وهو الشخص الفاضل المستوفى من صورة الخلق والدين التمام والكمال ، إذن فهو أكمل الخليقة وجوهر نفسه القدسية الحاملة لأسرار الربوبية أي الامامة والأمر (وهو السر المحمول في لاهوتها) والجوهر المصون ، والسر المكنون ، ينبوع المبدعات ، وعلة المخترعات ، وحياة الكل ، الذي به ترتب الخلق والدين ، وهو الذي أتى الى الوجود من أجل خلاص البشرية...! وإذا كان هذا هو تصور أحد مفكريهم المعاصرين فإن عامة أتباع أغاخان الثالث اعتقدوا عصمته ، ورفعوه الى درجة الإلهية ، وقد صرح هو بذلك لزوجته الفرنسية اذ نشرت صحيفة (برافو) الفرنسية أنه قال لها : (ابنتي العزيزة أنت لا تجهلين ولا ريب باني أمير شرقي كبير ، وأعتقد بأنك تجهلين بأن آلافا من البشر يعتقدون بأن الإله متجسم في تقريبا ، نعم إن هذا الأمر لا أهمية له هنا ، وأما في الهند ، وسوريا ، وإيران ، والباكستان ، وبورما وسيلان ، وافريقيا فله

أهمية كبرى ، ونأمل أن نقوم سويا بزيارة قريبة لتلك البلاد لقضاء شهر العسل فيها ، وسوف تتأكدين بنفسك من ذلك) .. ثم شرح لها أساس ذلك بقوله (إنني انحدر من علي وعلي كان يعلم معنى وحيه السامي الخفي ، ومع هذا فقد قتله أولئك المجانين ، ولكن الوحي الذي جاء به لم يتوقف بل سار في الخفاء حتى وصل إلي ، وهذا العلم الخفي لا نذيعه إلا شيئاً فشيئاً ، بالتفاهم المتوالي لأن من واجب الحقيقة أن تحذر دائماً من المكاييد) اعلمي أن الإله لا يوصف ، ولا يدرك فلنتركه على جنب الآن ، والذي يهمنا هو أن ينظر لنا بإحدى صفاته ، صفة العلم بكل شيء ، ذلك الذي خلق نفس العالم ، وفي هذا العالم على الدوام ممثل له بشكل معروف أو مجهول ، مرئي أو غير مرئي ، ونحن نسمى هؤلاء المقربين من السماء أنبياء أو أئمة ، وحياء هؤلاء كحياة سواهم من البشر زائلة ، ولكنهم يظهرون تارة هنا ، وتارة هناك ، وأنا نفسي أيتها العزيزة من هؤلاء وعندما وصل الى هذا الحد من حديثه كما تقول الصحيفة أرخت الأنسة كارون جفניה بلطف ، فابتسم سموه ابتسامة فيها شيء من الحلم الالهي وأنهى حديثه .

ولم يكن أغاخان الثالث يرى بأساً أو غضاضة في اعتقاد أتباعه بهذا الشكل ، وإنما يكون مسرورا بذلك . **يقول الدكتور محمد كامل حسين :** ومن ذكرياتي معه (أي

: أغاخان الثالث) أنني كنت أناقشه في بعض المسائل الفلسفية الخاصة بتطور عقيدة الإسماعيلية ، وطالت المناقشة وتفرعت مما جعلني أعجب بعقليته وثقافته ، وسعة اطلاعه ، وإحاطته بكل ما يتعلق بالإسماعيلية ، فاستأذنه في توجيه سؤال إليه ربما أغضبه فلما وعدني بعدم الغضب قلت له : لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك فكيف تسمح لأتباعك أن يدعونك إلهاً...؟ فضحك طويلاً وعلت قهقهاته ، ودمعت عيناه من

كثرة الضحك ، ثم قال : هل تريد الإجابة عن هذا السؤال ؟.. إن القوم في الهند
يعبدون البقرة ألست خيراً من البقرة ؟؟! (¹) والحقيقة أن أغاخان الثالث
يُعتبر صورة مصغرة لزعماء الغلاة ، فقد كانوا يغذون اعتقاد أتباعهم فيهم بالألوهية ،
ويستمرئون تلك الحالة التي وصلوا إليها .

د - أغاخان الرابع : كريم بن علي:

وهو الأغاخان الحالي ، ولد في جنيف سنة 1936م لأُم إنجليزية تدعى (جون
بربارا) وكانت تلقب بتاج الدولة. تولى إمامة الطائفة وهو في سن العشرين خلفاً لجده
أغاخان الثالث. وكريم هذا هو الإمام التاسع والأربعون في ترتيب الأئمة الإسماعيليين
النزاريين. كان على نهج جده في البذخ، وتعلم منه الاهتمام بالخيول بحيث أصبح أول
مالك للخيل في فرنسا التي اختارها مكاناً لإقامته. وفيها يملك غابات واسعة، وقصوراً
فخمة، ومزارع وإسطبلات، ومكاتب، يضاف إلى ذلك قصره الخاص في منطقة ليل دو
لا سيتيه الذي يعتبر من أضخم وأثمن القصور في باريس. وعادة ما يذكر كريم أغاخان
باعتباره مليارديرا أسطوريا، ورجل مولع بالخيول الأصيلة . وقد تزوج سنة 1969م من
فتاة إنجليزية وأنجبت له ثلاثة أولاد: زهرة ، ورحيم ، وحسين. وتلقى علومه الأولية
بسويسرا ، وأكمل تعليمه في جامعة هارفارد الأمريكية ... وكان جده قد ترك وصية
أودعها في بنك (لويدز) في بريطانيا اختار فيها حفيده كريم ، مما أثار انتقاد بعض
الإسماعيليين لاختياره للحفيد وترك ابنه صدر الدين ، لأن في ذلك مخالفة لعقيدة
تسلسل الأئمة

¹ - د. محمد كامل حسين ، طائفة الاسماعيلية ، ص 126.

مواطن انتشارهم : يتواجدون بشكل خاص في باكستان، حيث المركز الرئيسي في مدينة كراتشي، وفي المنطقة الشمالية الجبلية من باكستان مثل : منطقة جيترال وكيلكيت ويعرفون هناك بالهونزا، إضافة إلى وجود أقل في بعض المدن مثل العاصمة إسلام آباد ولاهور وروالبندي. وفي غرب الهند، في ولاية كجرات، لاسيما في مدينة بومباي. وكذلك في سوريا وخاصة في مدينة سلمية، التابعة لمحافظة حماة، وفي بعض قراها، وفي جوار قلعة الخوابي قرب طرطوس، وفي مصياف، وقدموس، وبانياس، والكهف من أعمال سورية. ويتواجدون في شرق أفريقيا: في أوغندا وكينيا وتنزانيا وزنجبار وما حولها، وفي جزيرة مدغشقر جنوب شرق أفريقيا. كما يتواجدون بشكل أقل في قم بإيران، وفي المناطق الجبلية لطاجيكستان، ومنطقة جبال الهندوكوش في أقصى الشمال الشرقي لأفغانستان، ويعرفون في أفغانستان باسم (مفتدي) ، ولهم في عُمان حي خاص بالقرب من مسقط. وينتشرون كذلك في بورما، أما في طاجكستان - وهي إحدى جمهوريات آسيا الوسطى - فإنهم يتواجدون في إقليم بدخشان الذي يتمتع بما يشبه الحكم الذاتي، ويقدر عددهم هناك بـ 100 ألف. وفي تقرير لوكالة الصحافة الفرنسية نشرته مؤخراً، قُدِّرَت أعدادهم في العالم بنحو 15 مليوناً، منهم 200. إلى 300 ألف في سوريا. ولهم جاليات في الولايات المتحدة وأوروبا، ففي البرتغال مثلاً ، يصل عددهم إلى حوالي عشرة آلاف شخص، قدموا في سنوات الستينات بشكل خاص من مستعمرات البرتغال في أفريقيا. (1).

¹ - انظر الإسماعيلية النزارية- مجلة المجتمع الكويتية عدد 385، وانظر دولة النزارية، ص 224.

الفصل الثاني

معنى التأويل

وشروط التأويل الصحيح المقبول وسمات التأويل الباطني الفاسد

من المقرر لدى أهل العلم : أن الأصل هو إبقاء النصوص على ظواهرها ، لتدل على معانيها التي وضعت لها في اللغة ، ولكن تأويلها ، بصرفها عن معناها الحقيقي إلى معناها المجازي ، أو الكنائي ، لا يخالف فيه عالم له دراية بالكتاب والسنة ، بشرط أن لا يحدث ذلك إلا بدليل ، أو بقرينة توجب صرفه عن معناه الأصلي ، وإلا بطلت الثقة باللغة ، ودلالاتها ، - وإن كان عدم التأويل أولى من التأويل - ، فإذا وجد الدليل أو القرينة ، جاز لنا صرف اللفظ عن ظاهره الصريح إلى معنى يحتمله اللفظ ، وتدل عليه دلالات اللغة ، ومن الحقيقة إلى المجاز ، وإلا فلا . فالتأويل إذن مقبول إذا دل عليه دليل صحيح من اللغة ، أو من الشرع ، وإلا كان مردودا على قائله ، ولا اعتبار له .

أولا : معنى التأويل في اللغة ، ونصوص الكتاب والسنة ، والاصطلاح

1- معنى التأويل في اللغة : تدور مادة التأويل في اللغة على عدة معان، منها :
أ - الرجوع ، والعود ، والمآل ، والعاقبة ، والمصير : نقل الأزهري (ت370هـ) عن ثعلب (ت291هـ) ، عن ابن الأعرابي (ت230هـ) قوله : (الأول : هو الرجوع . وعن الليث (ت175هـ) : الأيل - على وزن السيد - الذكر من الأوعال ، وإنما سمي أَيْلا

: لأنه يؤول إلى الجبال يتحصن فيها) ⁽¹⁾ وقال ابن فارس (ت395هـ): (قال يعقوب (ت244هـ) :أول الحكم إلى أهله : أي : أرجعه وردّه إليهم . قال الأعشى :
أوّل الحكم إلى أهله ليس قضائي بالهوى الجائر . ⁽²⁾
وآل جسم الرجل : إذا نحف ، أي : يرجع إلى تلك الحالة.
وعن الأصمعي (ت216هـ): (آل القطران يؤول أولاً إذا خثر ⁽³⁾) ⁽⁴⁾ . وقد جمع ابن منظور (ت711هـ) كل ما يتصل بمادة (أول) ومشتقاتها ، وما استعملت فيه من معاني ، فمن ذلك قوله : [ألت عن الشيء : ارتدّت عنه ، والأول : الرجوع . وآل الشيء يؤول أولاً ومآلاً :رجع . وقال أبو عبيدة (ت209هـ) :التأويل :المرجع والمصير .وأول الكلام :دبره ، وقدره .] ⁽⁵⁾
ب - التفسير ، والتدبر ، والبيان : قال ابن جرير الطبري (ت310هـ) : (وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه : التفسير ، والمرجع ، والمصير) ⁽⁶⁾ .
وقال الأزهري (ت370هـ) : [وسئل أبو العباس ثعلب ، أحمد بن يحيى (ت

¹ - الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد ، ج15: ص 437 .

² - ديوان الأعشى الكبير : تحقيق وتعليق د. محمد محمد حسين ، القصيدة رقم 13 .

³ - خثر : الخثرة ضد الرقة . مختار الصحاح ، ص72 .

⁴ - ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ج1: ص 159 . ويعقوب هو : أبو يوسف بن السكيت . انظر السيوطي : بغية الوعاة ، ج2: ص 349 .

⁵ - ابن منظور : لسان العرب ، مادة أول ، ج13: ص 32-33.

⁶ - الطبري ، محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج3: ص 184 .

291هـ) عن التأويل ، فقال : التأويل والتفسير بمعنى واحد . وقال الليث : التأويل

والتأويل : تفسير الكلام الذي تختلف معانيه . [⁽¹⁾

وقال ابن فارس (ت 395هـ) : (معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء

مرجعها إلى ثلاثة ، وهي : المعنى ، والتفسير والتأويل ، وهي وإن اختلفت ، فإن

المقاصد بها متقاربة .) (⁽²⁾ وقال الجوهري (ت 400هـ) : (التأويل : تفسير ما يؤول

إليه الشيء .) (⁽³⁾ وقال ابن منظور (ت 711هـ) : (وأوله وتأوله - أي الكلام - :

فسره .) (⁽⁴⁾

ومما سلف يمكننا اختصار معاني التأويل في اللغة في معنيين هما : المرجع

والعاقبة ، والتفسير والبيان .

ثانيا - : الإستعمال القرآني لكلمة التأويل

وردت كلمة (تأويل) سبع عشرة مرة في عدة سور قرآنية كريمة ، وسألتم في ذكرها

حسب ترتيب السور في القرآن الكريم كما يلي :

أ - قال تعالى في سورة آل عمران : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات

هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء

الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من

¹ - الأزهرى : تهذيب اللغة : ج15: ص485 . والسيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج1:

ص 396.

² - أحمد بن فارس : الصحابي في فقه اللغة ، ص 162-163.

³ - الصحاح : للجوهري ، ج4: ص 1627.

⁴ - ابن منظور : لسان العرب ، ج13: ص33.

عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبواب .) (آل عمران: 7) ففي هذه الآية نجد أنه سبحانه قد ذكر المتشابه في مقابلة المحكم ، وجعل ابتغاءهم الفتنة والتأويل ، خاصا بالمتشابه (¹) دون المحكم (²) ، [وعلى هذا يمكننا أن نفهم أن المراد من المحكم من الآيات هو : ما لا يمكن التلاعب بفهمه على غير ما يراد منه ، لأن معناه لا يحتمل التوجيه حسب الأهواء وذلك كقوله تعالى : (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد) (النحل: 51) . كما يمكننا أن نفهم أن المراد بالمتشابه من الآيات هو : ما له أفراد من المعاني يشبه بعضها بعضا ، ويحتملها ظاهره ، وذلك هو الذي يجعلهم يتوجهون إليه ليؤولوه ابتغاء الإفساد لعقائد الناس ، وهذا كقوله تعالى: (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .) (النساء: 171) فإن أهل الزيغ من الكفار يأخذونه على ظاهره ، دون الرجوع إلى الأصول المحكمة في القرآن ، التي تبين حقيقة المراد منه ، فيقولون : الله روح ، والمسيح روح منه ، فهو من جنسه ، وجنسه لا يتبعض ، فهو هو ، أي : فعيسى هو الله ، ولا يرجعون إلى الأصل المحكم الذي يبطل مثل هذا التأويل ، وهو قوله تعالى: (لم يلد ولم يولد) (الإخلاص: 3) ومعلوم أن عيسى ابن مريم - عليه السلام - مولود ، فكيف يكون هو الله ..؟ فيكون التأويل في هذه الآية بمعنى : إرجاع المتشابه إلى معنى يحتمله ظاهره ، وهنا

¹ - المتشابه هو : ما خفي بنفس اللفظ ، وانقطع رجاء معرفة المراد منه لمن اشتبه عليه .

انظر : د. وهبة الزحيلي : أصول الفقه الإسلامي ، ج1/ ص 342.

² - المحكم : هو اللفظ الذي دل بصيغته على معناه دلالة واضحة ، لا تحتمل تأويلا ، ولا تخصيصا ، ولا

نسخا ، في حال حياة النبي - ﷺ - ، ولا بعد وفاته بالأولى . انظر : د. وهبة الزحيلي : أصول الفقه

الإسلامي ، ج1/ ص 323

يختلف أهل الحق عن أهل الزيغ ، فأهل الزيغ يرجعون إلى المعنى الذي ينطبق على أهوائهم وتقاليدهم ، ويزعمون أنه حقيقته ، وأهل الحق يرجعون إلى المعنى الذي ينفق مع المحكمات من الكتاب ، لأنها الأصل الذي يرجع إليه عند الاشتباه ، كما قال تعالى (هن أم الكتاب) ولا يأخذون في الآية بمعنى إلا إذا قام عليه الدليل الصحيح . [1]

قال ابن كثير : (وابتغاء تأويله : أي : تحريفه . وعن مقاتل ، والسدي : يبتغون أن يعلموا ما سيكون ، وما عواقب الأشياء . وقال عند تفسيره قوله سبحانه : (وما يعلم تأويله إلا الله) : ومن العلماء من فصل في هذا المقام فقال : التأويل يطلق ويراد به معنيان : أحدهما : التأويل بمعنى معرفة حقيقة الشيء ، وما يؤول أمره إليه . والمعنى الآخر : هو التفسير والبيان ، والتعبير عن الشيء) [2] . فإذا كان التأويل بمعنى بيان المرجع والعاقبة ، ورد النص إلى صورته المادية الخارجية ، وتحديد ما تؤول إليه حقائق الآيات من الكيفيات ، والزمان ، والتفاصيل العملية ، فهذا خاص بالله تعالى ، ولا يعلمه الراسخون في العلم ، ولا يدركون حقيقته ، ومآله ، وعاقبته ، ويسلمون بعجزهم عن ذلك ، ويعلنون إيمانهم به ، ويقولون : (آمنا به كل من عند ربنا) (آل عمران: 7) فتكون الواو : استئنافية ، ويكون الوقوف على لفظ الجلالة (الله) واجبا . أما الذين في قلوبهم زيغ فإنهم يتبعون هذا المتشابه بهدف تأويله ، وإثارة الفتنة ، والشبهات ، فضلوا وأضلوا . وعندما نحمل التأويل على هذا المعنى ، فإننا نجده يتفق مع معنى التأويل المذكور في السور الأخرى وهو : رد الأشياء إلى حقائقها المادية ،

1 - محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن والحديث : ص 159-160 .

2 - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج 1: ص 345.

وإرجاع الأمور إلى صورتها العملية ، وتحديد العاقبة ، والنهاية الواقعية للأخبار والوعود ، وبيان ما تؤول إليه فعلا ، وتستقر عليه واقعا . وإذا كان التأويل بمعنى التفسير والبيان : فالراسخون في العلم يعلمون المتشابه ، فرسوخهم في العلم وتمكنهم منه ، أوجد عندهم ملكة في تفسير القرآن وتأويله ، ففهموا آياته المحكمات ، وأحسنوا تأويل آياته المتشابهات ، بإرجاعها إلى أمها من الآيات المحكمات ، وبذلك أحسنوا استخراج دلالاتها ، ومعرفة معانيها وحقائقها . وعلى هذا المعنى للتأويل : تكون الواو في قوله (والراسخون) حرف عطف ، ويكون الوقف على (العلم) . وتكون جملة (يقولون آمنا به كل من عند ربنا) جملة حالية . وممن ذهب إلى هذا المعنى للتأويل واعتبر نفسه ممن يعلم تأويل المتشابه : ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال : [أنا ممن يعلم تأويله . وقال مجاهد : (والراسخون في العلم) يعلمون تأويله ، ويقولون آمنا به . وقال محمد بن جعفر بن الزبير : والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل الآيات المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، فاتسق بقولهم الكتاب ، وصدق بعضه بعضا ، فنفذت به الحجة ، وظهر به العذر ، وانزاح به الباطل ، ودفع به الكفر] ⁽¹⁾. وهذا القول لا يتعارض مع المعنى اللغوي للتأويل ، بل يتفق معه ، فالتأويل - كما ذكرنا - هو : رد الشيء إلى غايته ، وإرجاعه إلى حقيقته ، وتحديد عاقبته ومآله . والراسخون في العلم عندما قاموا برد المتشابه إلى المحكم ، أزالوا الإشتباه فيه ، فهذا الفعل منهم رد للشيء إلى غايته ، وإعادة الكلام إلى أصله ، وحمله على مرجعه وأساسه .

¹ - الطبري : جامع البيان : ج3: ص 122-123 .

ب - قال تعالى في سورة النساء : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) (النساء: 59 .) قال ابن جرير الطبري : (أحسن تأويلاً ، أي : جزاء . وقال قتادة : أحسن ثواباً ، وخير عاقبة) (1) . فالتأويل هنا : هو تأويل فعلهم الذي هو رد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة . وليس التأويل هنا بمعنى التفسير ، أو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر .

ت - قال تعالى في سورة الأعراف : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق .. الآية) (الأعراف : 53) وبالنظر إلى معنى التأويل هنا ، نجد أن المراد به هو الحوادث التي تقع مطابقة لما أخبر به الكتاب ، أي : هل ينتظرون إلا تحقق ما أخبر به القرآن من بعث ، وحساب ، وثواب ، وعقاب في الآخرة ؟ قال الربيع : (لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يأتي يوم الحساب ، حتى يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار) (2) .

ث - قال تعالى في سورة يونس : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كانت عاقبة الظالمين) (يونس: 39) قال الإمام الطبري : (ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ، ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ، مما أنزل الله عليك من هذا القرآن ، من وعيدهم على كفرهم ، ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله به في القرآن .) (3) فالمراد

¹ - الطبري : جامع البيان ، ج6: ص 205.

² - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج3: ص 177 .

³ - الطبري : جامع البيان ، ج15 : ص 93.

بالتأويل هنا : وقوع ما أخبر به القرآن ، وهو الأثر الخارجي ، والمدلول الواقعي بوعيد هؤلاء .

ج - ووردت كلمة التأويل في ثمانية مواضع من سورة يوسف - عليه السلام - وهي الآيات : (6 ، 21 ، 36 ، 37 ، 44 ، 45 ، 100 ، 101) . والتأويل في الآيات السابقة كلها يقصد به تعبير الرؤيا، أي : ما تقول إليه .⁽¹⁾

ح - قال تعالى في سورة الإسراء : (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا .) (الإسراء: 35) قال الطبري : (فسر مجاهد ، وقتادة ، كلمة التأويل هنا: بالمآل ، والمرجع ، والعاقبة ، والثواب) .²

خ - ووردت كلمة التأويل في آيتين من سورة الكهف ، وهما : قوله تعالى : (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) (الكهف: 78) وقوله : (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا .) (الكهف: 82) والمراد بالتأويل هنا - وهو ضرب من تأويل الأفعال لا الأقوال - هو : (إرجاع الأفعال التي فعلها العبد الصالح وأنكرها موسى - عليه السلام - ، من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار ، إلى ما تقول إليه من الخير في المستقبل ، وهو دفع ظلم الملك لأصحاب السفينة ، وإفساد الغلام لأبويه ، وحفظ الكنز لأصحاب الجدار .) (3)

ثالثا - : كلمة التأويل في أحاديث الرسول - ﷺ - - :

¹ - محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج3: ص 173.

² - الطبري : جامع البيان ، ج15: ص 85 .

³ - محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن والحديث ، ص 162.

وردت كلمة التأويل في حديث رسول الله - ﷺ - بمعنى : تعبير الرؤيا والمآل الذي تؤول إليه ، وبمعنى التفسير ، وبمعنى العاقبة والمصير .

أ - فمن الأحاديث التي وردت فيها كلمة التأويل بمعنى الرؤيا : قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال رسول الله - ﷺ - : (رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم ، كأننا في دار عقبة بن رافع ، فأتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولتها : بالرفعة لنا في الدنيا ، والعاقبة في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب) (1) وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله - ﷺ - قال : (بينما أنا نائم إذ رأيت قدحا أتيت به فيه لبن ، فشربت منه ، حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب) قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ..؟ قال : (العلم) . (2)

فالتأويل الواقعي لشربه - عليه السلام - اللبن في الرؤيا ، وارتواؤه منه ، هو : تمكنه من العلم ، ورسوخه فيه . وتأويل إعطائه ما تبقى منه لعمر - رضي الله عنه - هو : تمكن عمر من العلم ، ورسوخه فيه كذلك وقد تحقق ذلك في عمر - رضي الله عنه -

ب - ومن الأحاديث التي وردت فيها كلمة التأويل بمعنى التفسير والبيان : دعاء الرسول - ﷺ - لابن عباس بتعلم التأويل ، وقد ورد هذا الدعاء في روايات عديدة ، بينها تفاوت في ألفاظها . ففي البخاري : أن الرسول - ﷺ - ضم ابن عباس إلى صدره وقال : (اللهم علمه الكتاب) (3) وفي رواية أخرى : (اللهم علمه الحكمة) (1)

¹ - الإمام مسلم : صحيح مسلم : كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي - ﷺ - ، حديث رقم : (2270)

² - الإمام مسلم : صحيح مسلم : حديث رقم (2391) .

³ - الإمام البخاري : صحيح البخاري ، حديث رقم : 75 .

وفي رواية مسلم : (اللهم علمه الحكمة .) (²) وروى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : إن رسول الله - ﷺ - وضع يده على كتفي ، أو منكبي ، ثم قال : (اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل) (³) ومعلوم أن دعاء الرسول - ﷺ - - مجاب ، ولذلك من الله على ابن عباس بالفقه في الدين ، وعلم التأويل ، فصار بحق ترجمان القرآن . والمراد بالتأويل هنا : التفسير والبيان ، ولا يجوز القول بأنه يعلم حقائق تأويل القرآن الخارجية، لأن ذلك من الغيوب التي استأثر الله بعلمها

ت - ومن الأحاديث التي وردت فيها كلمة التأويل بمعنى : المرجع ، والعاقبة ، والمصير : ما رواه سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه سئل عن معنى قوله تعالى : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضهم بأس يعرض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) (الأنعام : 65) فقال : (إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد) (⁴) أي : لم يحدث مدلولها العملي والواقعي ، الذي هو عين تأويلها ، والذي هو مصير المخاطبين ، وعاقبة أمرهم .

رابعا - التأويل في عهدي الصحابة والتابعين :

- لم يكن التأويل وفقا على عصر دون عصر ، فقد وجد منذ عصر الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وكان ذائعا شائعا بينهم قال الآمدي (631هـ) : (وإذا عرفت

¹ - الإمام البخاري : صحيح البخاري : حديث رقم : 3756 .

² - الإمام مسلم : حديث رقم : 2477 .

³ - الإمام أحمد : مسند الإمام أحمد ، ج4: ص 255 ، حديث رقم (2397) .

⁴ - أخرجه الإمام أحمد : مسند ابن حنبل ، ج3: ص83. وانظر تفسير ابن كثير ج2: ص120 .

معنى التأويل ، فهو مقبول معمول به إذا تحقق بشروطه ، ولم يزل علماء الأمصار في كل عصر من عهد الصحابة إلى زمننا ، عاملين به من غير نكير . (¹) ويدلنا على ذلك اجتهادات ابن عباس ، وابن مسعود ، وغيرهما من أعلام الصحابة (²) بالإضافة إلى الآثار المروية عن كبار الصحابة التي تحذر من شطط التأويل . من ذلك : ما رواه عمرو بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (إني أخاف عليكم رجلين : رجل يتأول القرآن على غير تأويله ، ورجل ينافس أخاه على الملك) (³) . وعن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب ، قال : (ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهأ إيمانه ، ولا من فاسق بين فسقه ، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ، ثم تأوله على غير تأويله) (⁴) . كما كان أهل الرأي والعلم بالمرصاد للمؤولين الذين لا يريدون وجه الحق في تأويلاتهم ، وغير المستندة إلى أدلة الشرع ، أو مخالفة لحكمة التشريع ، أو الناتجة عن خطأ في الفهم ، كفعل أبي بكر - رضي الله عنه - بالمرتدين ، الذين أولوا آية الزكاة على غير وجهها (⁵) ، وكما فعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بقدامة بن مظعون (⁶) ،

¹ - الآمدي : الاحكام في أصول الأحكام ، ج3: ص 75.

² - د. عبد الحميد أبو المكارم : الدلالات اللفظية عند الأصوليين ص 238-239 . وانظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج3: ص 174-175 ، والبخاري : صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، ج2: ص 73.

³ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج2: ص 237 .

⁴ - المرجع السابق ، ج2: ص 238 .

⁵ - انظر : ابن حجر : فتح الباري ، ج12: ص 233 . والبعوي : شرح السنة ، ج5: ص 472 ، 482.

⁶ -- قدامة بن مظعون : [روي أن عمر - رضي الله عنه - استعمل قدامة بن مظعون على البحرين ، فقدم الجارود على عمر فقال : إن قدامة شرب فسكراً ، فقال عمر : من يشهد على ما تقول ..؟ قال الجارود :

وصبيغ بن عسل التميمي ⁽¹⁾ ، وأمثالهم . ولم يقف التأويل عند عصر الصحابة ، بل تعداهم إلى عصر التابعين ، ⁽¹⁾ فهو منهج من مناهج الاجتهاد بالرأي ، أو كما يقول

أبو هريرة يشهد على ما أقوله ، فقال عمر : يا قدامة : إني جالدك ، قال : والله لو شربت كما يقول ، ما كان لك أن تجلدني ، قال عمر : ولم ؟ قال : لأن الله يقول : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ...) (المائدة : 93) فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، شهدت مع رسول الله - ﷺ - بدرا ، وأحدا ، والخندق ، والمشاهد .. فقال عمر : ألا تردون عليه قوله .. فقال ابن عباس : إن هذه الآيات أنزلت عذرا للماضين ، وحجة على الباقين ، لأن الله يقول : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه .. الآية) (المائدة : 90) قال عمر : صدقت .. [انظر : د. محمد حسين

الذهبي : التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1409هـ : ج1 : ص60 . والسيوطي جلال الدين عبد الرحمن : الدر المنثور في التفسير المأثور ، دار الفكر ، بيروت 1983م : ج5 : ص5 ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج5 : ص475 . والطبري : تاريخ الأمم والملوك : ج2 : ص96-97 . وهذه القصة تدل على مدى يقظة عمر - رضي الله عنه - للتأويلات المنحرفة ، ومدى سرعته في الفهم والاستنباط .

¹ - **صبيغ بن عسل التميمي** : [أخرج الدارمي عن نافع أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حين قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - فلما أتاه أرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها ، حتى ترك ظهره دبرة ، ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعود له ، فقال صبيغ : إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا ، وإن تريد أن تداويني فقد والله برئت ، فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين .. وأخرج ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالس

صبيغا ، وأن يحرمه عطاءه ورزقه . وأخرج أبو نصر في الحجة ، وابن عساكر عن زرعة قال : رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بغير أجرب ، يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه ، فتناديهم الحلقة الأخرى : عزمة أمير المؤمنين عمر ، فيقومون ويدعونه .. [وصدر عمر - رضي الله عنه - أوسع وعقله أذكى من أن يؤخذ طالب علم لو أراد معرفة الحقيقة ، لكن بصيرة عمر أدركت أنه عابث يريد العبث بحرمة كتاب الله ، ليلبس على الناس دينهم ، ففعل به ما فعل ، فعمر - رضي الله عنه - يفرق من غير شك بين السائل الذي لا

الإمام أبو زهرة : (باب من أبواب الاستنباط العقلي) (2) نتيجة لكل ما سبق يمكننا أن

نقول : **لقد عرف الصحابة والتابعون ، معنيين للتأويل :**

الأول : المآل والعاقبة ، وهو ما نجده مكررا في آيات القرآن الكريم .

والثاني : بمعنى التفسير ، والبيان ، وهو ما دعا به الرسول - ﷺ - لابن

عباس - رضي الله عنهما - ، وظل هذان المعنيان معروفين للسلف إلى أن ظهرت الفرق الإسلامية المختلفة منذ عهد الخليفة الراشد : عثمان بن عفان - رضي الله عنه وأرضاه - ، فكان للتأويل اصطلاح آخر ، انتشر ببطء في الفكر الإسلامي ، وتلون بلون كل فريق ومذهب ، وأخذ يشكل معارضة هادئة للإسلام ، معتمدا على الآيات بتحريف دلالاتها ، أمام استحالة التغيير للنص المحفوظ . وكانت محاولات هؤلاء على قلتها ، تعتبر البدايات الأولى للتأويل السبئي الباطني الفاسد .

وليس أدل على ذلك من قول قتادة (ت 117هـ) - عند قراءته لقوله تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ .. الآية) (آل عمران : 7) : [وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) قال : إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم . ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله - ﷺ - بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار ، خبر لمن استخبر ، وعبرة لمن استعبر ، لمن كان

ينتهر ، وبين المشكك الخبيث الذي يجب أن يردع ويذجر . انظر : انظر : السيوطي : الدر المنثور ، ج2/ ص 7 . و ص 17 .

¹ - انظر : د. عبد الحكيم أبو المكارم : الدلالات اللفظية عند الأصوليين ، ص 242-243 ، و د. فتحي الدريني : المناهج الأصولية ، ص 181-183 ، و سليمان بن خلف الباجي : المنتقى ، شرح موطأ الإمام مالك ، ج5: ص 18 .

² - أبو زهرة : أصول الفقه ، ص 128 .

يعقل أو يبصر. إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ كثير بالمدينة ، والشام ، والعراق ، وأزواجه يومئذ أحياء ، والله إن خرج منهم ذكر ولا أنثى حرورياً قط، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا مالتوهم فيه، بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله - ﷺ - إياه ونعته الذي نعتهم به، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ويعادونهم بألسنتهم ، وتشددت والله عليهم أيديهم إذا لقوهم. ولعمري لو كان أمر الخوارج هُدى لاجتمع، ولكنه كان ضللاً فتفرق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله ، وجدت فيه اختلافاً كثيراً، فقد أَلَصُّوا هذا الأمر منذ زمان طويل، فهل أفلحوا فيه يوماً أو أُنْجَحُوا.... ؟ يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم.... ؟ لو كانوا على هُدى قد أظهره الله وأفلحه ونصره، ولكنهم كانوا على باطلٍ أكذبه الله وأدحضه، فهم كما رأيتهم ، كلما خرج لهم قَرْنٌ أدحض الله حجتهم، وأكذب أُحدوثهم، وأهرق دماءهم؛ وإن كتموا كان قَرْحاً في قلوبهم وغمّاً عليهم، وإن أظهروه أهراق الله دماءهم، ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه. والله إن اليهودية لبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبئية لبدعة، ما نزل بهن كتاب، ولا سنَّهن نبي. ⁽¹⁾

وقال الطبري عند تفسيره لقوله تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ) (آل عمران : 7) : [وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك، فإنه معني بها كل مبتدع في دين الله بدعةً فمال قلبه إليها، تأويلاً منه لبعض متشابهة أي القرآن، ثم حاج به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آية المحكمات، إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين، وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه

¹ - الطبري : جامع البيان ، وبهامشه غرائب القرآن للنيسابوري ، ج:3 ص119 .

من ذلك كائناً من كان، وأيِّ أصناف البدعة كان ، من أهل النصرانية كان ، أو اليهودية ، أو المجوسية، أو كان سبئياً، أو حرورياً، أو قدرياً، أو جهمياً، كالذي قال -

عَلَيْهِ السَّلَامُ - : " فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَأَحْذَرُوهُمْ " [⁽¹⁾]

لقد وجد السبئيون والغلاة الباطنيون - ومن نسج على منوالهم من العلمانيين

المعاصرين - في التأويل متنفساً لتعاليمهم ، يتجاوزون بها الحدود الظاهرة لمعاني الكلم ..أو كما يقول البغدادي : (إن الباطنية احتالت لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة .) ⁽²⁾ فقام العلماء من مفسرين ، ومحدثين ، وفقهاء ،

وأصوليين ، وغيرهم ، بالتصدي لهم ، وبينوا معنى التأويل ، وأدلته ، ومجالاته ، وقاموا بوضع الضوابط والأصول ، للتأويل الصحيح ، لمنع المبتدعين من تحريف نصوص

الآيات والخروج بها عن معانيها المرادة ، وعن قواعد اللغة ، ونصوص الشريعة . وهنا يجب أن نفرق بين تأويل مشروع يستخدمه المفسرون وغيرهم ، بمعنى يقرب قليلاً أو

كثيراً من معنى التفسير ، للكشف عن المعنى وفهمه ، حين يصرف المتأول اللفظ عن ظاهره أو معناه الراجح إلى معنى آخر مرجوح بدليل صحيح ، وبين تأويل مستكره ،

يحكمه الهوى ، والهوس ، والاعتقاد الفاسد ، ويتعسف في فهم اللفظ ، ويفسره على معنى بعينه يطابق معتقده ، وذلك كمن يصرف اللفظ القرآني عن ظاهره ، أو معناه

القريب الراجح إلى معنى بعيد مرجوح ، اعتماداً على ما يظنه دليلاً وهو ليس كذلك ، كما فعل الباطنيون وغيرهم في القديم ، وذيولهم في الحديث .

¹ - الطبري : جامع البيان ، ج3: ص 121 .

² - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص 175 .

خامسا - : التأويل في الإصطلاح : صاحبت ظاهرة التأويل للنص الديني منذ أن نزلت أول كلمات الله على رسول الله - ﷺ - ، وحاول المسلمون تفهم القرآن ، واستنباط الأحكام منه ، إلا أن الأعراض التي استوجبت الاشتغال به ، لم تكن قد ظهرت بصورة تشكل ظاهرة ، فلم يكن ثمة حاجة للتأويل ، ولا يعيب المشتغلين بالتأويل المنضبط بأدلة الشرع ، الهادف لإبراز المعنى الصحيح المحتمل والمناسب للنص ، عدم اشتغال الصحابة به ، فهناك علوم كثيرة لم يشتغل بها الصحابة ، مثل : علم أصول الفقه ، واللغة ، وغيرها ، ولا يقال إن الاشتغال بهذه العلوم بدعة سيئة . وقد ورد في الحديث عن سيد الثقلين ، أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قدم له وضوءه فقال : من فعل هذا ؟ فقلت : أنا يا رسول الله ، فقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)⁽¹⁾ ففي هذا الدعاء من الرسول - ﷺ - لابن عباس - رضي الله عنها - دليل إقراره - عليه السلام - للتأويل الصحيح . لقد كان التأويل الصحيح أداة لسبر أغوار النص الديني ، واكتشاف طاقاته المعبرة ، وعمل التأويل في بيئة المفسرين والفقهاء ، على توسيع آفاق النص ، حتى يستغرق متجدد أحداث الحياة ، وعمل على التوفيق بين الآراء والنصوص التي تبدو متعارضة . واستغلال التأويل من قبل الفرق الضالة المنحرفة ، الذين شوهوا الدلالات اللغوية ، وصرفوا النصوص الدينية عن ظاهرها المراد ، إلى معان باطنية غير مرادة في النص لمناصرة مذاهب فاسدة ، ونحل باطلة ، دفع المشتغلين بالنص الديني من مفسرين ، ومحدثين ، وفقهاء ، وأصوليين ، ومتكلمين ، إلى استنباط تعريف للتأويل الصحيح ، وبينوا أنواعه ،

¹ - الامام أحمد : المسند ، ج4: ص 255 .

ومجالاته ، وضوابطه ، ليتمكن المشتغلون بالنص الديني من التعرف على صحيح التأويل من فاسده ، ومتى يكون التأويل ، وكيف يكون ، وليدركوا ما حرفه أصحاب المذاهب الضالة من آيات خرجوا بها عن معانيها المرادة ، وقواعد اللغة ، وأصول الشريعة ، وما دسوه في كتب التفسير وسأعرض فيما يلي لبعض التعريفات الاصطلاحية للتأويل ، منها:

1- قال الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين : - (التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح ، مع قيام الدليل القاطع عن أن ظاهره محال)⁽¹⁾ ونلاحظ عند الرازي دقة في التعريف ، فالتأويل لا يلجأ إليه إلا إذا دعت الحاجة ، واستحال قبول المعنى الظاهر .

2 - وقال ابن الحاجب-جمال الدين عثمان بن عمر المشهور بابن الحاجب - : (التأويل: هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، بدليل يصيره راجحاً .)⁽²⁾ وهذا المعنى المحتمل الذي يؤول إليه اللفظ معنى مرجوح ، لأنه خلاف المعنى الحقيقي الظاهر المتبادر ، ومع ذلك فإن دليل التأويل الأقوى يصير هذا المعنى المرجوح راجحاً، أي يغلب على ظن المجتهد أنه مراد الشارع ، كما رجحه الدليل. والتعريف الاصطلاحي للتأويل ، أصبح في عرف المتكلمين ، والفقهاء ، والمفسرين ، هو الذي ينصرف إليه الذهن عند الإطلاق، وأصبح شائعاً ومتعارفاً عليه بين المتأخرين ، ويبدو أن استعماله بهذا المعنى، استوجبه دواعي كثرة، كان من أبرزها مواجهة التأويلات المنحرفة التي بدأت بالبروز في المجتمع الإسلامي في وقت مبكر ، والتي كانت

¹ -الفخر الرازي : أساس التقديس ، ص 222

² - القاضي عضد الملة والدين الإيجي : شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب : ج3: ص75 .

مستنداً لكثير من النزعات الطائفية والشعبوية ، والفرق الضالة ، وبعض الأعاجم ، الذين ترسلوا بالإسلام، ولم يتجردوا من مواريتهم العقائدية، وتركاتهم الثقافية، وأرادوا الكبد للإسلام من الداخل.

سادسا :

شروط التأويل المقبول وأدلتها، وسمات التأويل الفاسد المردود:

قرر علماء الشريعة أن الأصل عدم التأويل ، وأن التأويل خلاف الأصل ، ولا يعدل عن الأصل إلى خلافه إلا بدليل . وعلى هدي من هذا الأصل ، وحفاظا على نصوص الشريعة من نزعات الهوى ، وضعوا شروطا للتأويل ، ولم يعتبروا التأويل صحيحا مقبولا إلا بتوفر هذه الشروط ، وإلا فهو تأويل فاسد مردود . ومن أهم هذه الشروط ، ما يلي :

أولا : - أن يكون المتأول ممن توفرت فيه شروط الاجتهاد ، عالما بأسباب التأويل ومجالاته ، ملما بمدلولات الألفاظ ، ومقاصدها ، عالما بروح الشريعة الإسلامية وأدلتها ، وله دراية بأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ . (1) ، فإن فقد هذا الشرط في المؤول ، لم يكن أهلا للتأويل .

ثانيا : - أن يكون المعنى الذي أول إليه اللفظ ، من المعاني التي يحتملها اللفظ نفسه ، وإنما يكون اللفظ قابلا للمعنى الذي يصرف إليه ، إذا كان بينه وبين اللفظ نسب من

¹ -انظر : الشاطبي : الموافقات ، ج4: ص105-118. ود. محمد سلام مذكور : المدخل للفقہ الإسلامي ،

الوضع اللغوي ، أو عرف الاستعمال أو عادة الشرع ، ⁽¹⁾ فقد جرت عادة الشرع على تخصيص العام ⁽²⁾ في كثير من نصوصه ، مثل قصر الوجوب في كلمة (الناس) في قوله تعالى : (والله على الناس حج البيت ..) (آل عمران : 97) على المكلفين ، دون الصبيان والمجانين . كذلك تقييد المطلق ⁽³⁾ ، جرت به عادة الشرع ، واللغة لا تأباه ، فقد قام الدليل على تقييد (الوصية) المطلقة في قوله تعالى : (من بعد وصية يوصي بها أو دين) (النساء : 11) بالثلاث في قوله - ﷺ - لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - : (الثلاث والثلاث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس) ⁽⁴⁾.

فالعام إذا صرف عن العموم ، وأريد به بعض أفراده بدليل ، فهو تأويل صحيح ، لأن

¹ - انظر : د. محمد أديب الصالح : تفسير النصوص ، ج1: ص381. والشوكاني : إرشاد الفحول ، ص 177 .

² - العام : هو اللفظ الذي يستغرق جميع ما يصلح له من الأفراد ، وتخصيص العام : هو قصر اللفظ على بعض أفراده ، أو صرف العام عن عمومه . انظر : د. وهبة الزحيلي : أصول الفقه الإسلامي ، ج2: ص 243، 254.

³ - المطلق : هو اللفظ الخاص الذي يدل على فرد شائع أو أفراد على سبيل الشيوخ ، ولم يتقيد بصفة من الصفات ، كقوله تعالى في آية الظهار [فتحريم رقبة] (المجادلة : 3) والرقبة واقعة على صفات متغايرة ، من كفر ، وإيمان ، وذكرورة ، وأنوثة ، وصغر ، وكبر . أما المقيد : فهو اللفظ الواقع على صفات قيد ببعضها ، كقوله تعالى في كفارة القتل [فتحريم رقبة مؤمنة] (النساء: 92) ، فاسم الرقبة : واقع على المؤمنة والكافرة ، فلما قيدها هنا بالإيمان ، كان مقيدا من هذا الوجه . انظر د. وهبة الزحيلي : أصول الفقه : ج1: ص 208 - 254 .

⁴ - متفق عليه ، انظر محمد بن اسماعيل الصنعاني : سبل السلام ، ج3: ص 104 .

العام يحتمل الخصوص ، وحين يراد به بعض أفراده ، فقد أول إلى معنى يحتمله .⁽¹⁾ **والمطلق** إذا صرف عن الشيوع ، وحمل على المقيد بدليل فهو تأويل صحيح . أما إذا كان المعنى الذي صرف إليه اللفظ من المعاني التي لا يحتملها اللفظ نفسه ، ولا يدل عليها وجه من وجوه الدلالة ، فلا يكون التأويل صحيحا مقبولا . وعلى هذا ، فإن التأويل لا يدخل في النصوص الدالة على أحكام أساسية تعتبر من العقائد وقواعد الدين ، ولا تتغير بتغير الزمن : كالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وكذلك النصوص الدالة على أحكام هي من أمهات الفضائل ، وقواعد الأخلاق التي تقرها الفطر السليمة ، ولا تستقيم حياة الأمم بدونها ، كالوفاء بالعهد ، والعدل ، وأداء الأمانة ، والمساواة أمام الشريعة وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والصدق ، والنصوص التي تحرم أضدادها من : الكذب ، والخيانة ، وعقوق الوالدين ، والنصوص التي اقترن بها ما يفيد التأييد وغيرها من القواعد الأساسية ، التي لا تحتمل تأويلا ولا نسخا ، منذ أوحى بالنصوص التي تقرها⁽²⁾ .

ثالثا : - أن لا يتعارض التأويل مع نصوص قطعية الدلالة ، لأن التأويل منهج من مناهج الاستدلال والاستنباط الاجتهادي الظني ، والظني لا يقوى على معارضة القطعي ، كتأويل القصص الوارد في القرآن الكريم ، بصرفها عن معانيها الظاهرة إلى

¹ - د. محمد أديب الصالح : تفسير النصوص ، ج1: ص 381.

² - د. محمد فتحي الدريني : المناهج الأصولية ، ص 76-77 ، (بتصرف واختصار) .

معان أخرى يصيرها خيالية لا واقع لها ، وهذا التأويل معارض لصريح الآيات القاطعة التي تدل على أن لها واقعا تاريخيا . (1)

رابعا : - أن يستند التأويل إلى دليل صحيح يدل على صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى غيره ، وأن يكون هذا الدليل راجحا على ظهور اللفظ في مدلوله ، لأن الأصل هو العمل بالظاهر ، إلا إذا قام دليل على أن المراد باللفظ هو المعنى الذي حمل عليه ، فالعام مثلا على عمومته ، ولا يقصر على بعض أفرادها إلا بدليل ، والمطلق على إطلاقه ، ولا يعدل عن إطلاقه الشائع إلى تقييده إلا بدليل يدل على إرادة هذا القيد ، وظاهر الأمر الوجوب فيعمل به حتى يقوم الدليل على النذب أو الإرشاد أو غيرهما ، والنهي ظاهره التحريم ، فيعمل به حتى يدل الدليل على العدول عنه إلى الكراهة مثلا . (2) ويشترط في الدليل أن يكون صحيحا معتبرا شرعا ، يرشد إلى تحديد إرادة الشارع في النصوص المتعارضة .

ويمكن إجمال الأدلة المعتبرة للتأويل الصحيح فيما يلي :

1 - نصوص الكتاب والسنة : من المعلوم أن نصوص الكتاب والسنة فيها المجمل والمبين ، والعام والخاص والمطلق والمقيد ، ونصوص الشرع يفسر بعضها بعضا ، ويجوز أن يفسر ظاهر آية بآية أخرى ، أو بسنة رسول الله - ﷺ - ، فإله سبحانه وتعالى يقول : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (النحل : 44) ، فأطلق الذكر على السنة التي فيها بيان لمجمل القرآن ، وتخصيص لعمومه ، وتقييد

¹ - انظر : د. محمد فتحي الدريني : المناهج الأصولية ، ص 190 .

² - انظر : د. الزحيلي : أصول الفقه ، ج1: ص 315 ، ود. محمد أديب صالح : تفسير النصوص ، ج1:

لمطلقه ، إلا أن بعض العلماء اشترطوا في الحديث الذي يخصص الكتاب ، أو يبين مجمله ، أو يقيد مطلقه ، أن يكون متواتراً غير آحادي (1) .

2 : - الإجماع : يعتبر الإجماع من الأدلة المعتبرة في التأويل ، وهو دليل من الأدلة المتفق عليها في إثبات الأحكام الشرعية ، يقول ابن حزم : (ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها ، ولا خبراً عن ظاهره ، لأن الله تعالى يقول : (بلسان عربي مبين) (الشعراء : 195) ، وقال تعالى ذاماً لقوم : (يحرفون الكلم عن مواضعه) (المائدة : 13) ، ومن أحال نصاً عن ظاهره في اللغة بغير برهان من آخر ، أو إجماع ، فقد ادعى أن النص لا بيان فيه ، وقد حرف كلام الله تعالى ، ووحىه إلى نبيه - ﷺ - عن موضعه .) (2)

الفصل الثالث : تأويلات الإسماعيليين

يُعَوِّل الخطاب العلماني والحدائي ، كثيراً على التأويل في قراءته للقرآن الكريم لأن التأويل مفهوم قرآني يمكن الولوج منه بسهولة إلى الغايات التي يبحث عنها هذا الخطاب ، وتحت هذه المظلة يمارس هذا الخطاب آلياته في القراءة ، والتي لا صلة لها بالمفهوم القرآني مطلقاً .

¹ - انظر : الأمدي : الاحكام ، ج2: ص32 . وابن حزم : الاحكام ، ج1: ص 107 ، والسرخسي : أصول

السرخسي ، ج1: ص 321 ، والنووي : شرح النووي على صحيح مسلم ، ج1: ص 20 .

² - علي بن حزم : النبذة الكافية في أحكام أصول الدين ، ص 36 .

ولو تفحصنا هوية من يحمل لواء هذا الخطاب لوجدناه على صلة ما بالإسماعيليين القدماء ، فمعظم المتشدين بالحدثا والعلمانية، والمسيطرين على أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة ، هم إما من الماركسيين ذوي الأصول العقديّة المنحرفة ، أو من ذوي أصحاب العقائد النصرانية ، أو النصيرية ، أو الإسماعيلية ، بل كان يتفاخر أحدهم بالقول : (أنا ثلاثة شين : أي : شيوعي ... شيوعي ... شروقي ، أي : من أهل الناصرية أو العمارة العراقيتين -) ، وكذلك معظم زعماء الأحزاب القومية أو الأممي الموجودة في الساحة العربية .

وسأذكر عينة من تأويلات الاسماعيليين ، التي لو قارنتها بتأويلات العلمانيين والحدثيين المعاصرين ، لوجدتها تنطلق من نفس المنطلق ، وتتوخى نفس النتيجة وهي إبعاد المؤمنين عن مصدر قوتهم ، وعزتهم ، القرآن الكريم .

أولا : تأويلاتهم في العقائد وتفنيدها :

1- تأويلاتهم لكلمة الشهادة:

من المعلوم أن كلمة الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، تعني الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحق العبادة إلا الله سبحانه، والتزام ذلك والعمل به، وابتدأت الشهادة بحرف النفي (لا) الذي يقضي الكفر بالآلهة الباطلة كلها، لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم والاستغراق، ثم أعقب ذلك حرف الاستثناء (إلا)، الذي يفيد اثبات الألوهية لله تعالى وحده، وأنه وحده المستحق للعبادة.

ومعنى شهادة- أن محمداً رسول الله- هو: الاعتراف باطناً وظاهراً أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألاّ يعبد الله إلا بما شرع.. هذا ما نفهمه باختصار شديد

من معاني كلمة الشهادة، ولننظر لتأويلات السبئين لهذه الكلمة، التي حرفتها عن معانيها إلى معاني قرروها في أذهانهم.

قال النعمان القاضي المغربي: (وجدت الشهادة على فصلين):

أحدهما: نفي، والثاني، ثبات. فقوله (لا إله) نفي، و(إلا الله) إثبات، وكل فصل منهما كلمتان، الأولى منهما متصلة بالثانية، ودونها، والثانية أعلى منها.

وكذلك الفصل الذي هو اثبات، أعلى من الفصل الذي قبله، والذي هو النفي، فمثل الحد الأخير الذي هو الإثبات في الباطن، مثل على الحد العلوي، ومثل الحد الذي هو النفي في الباطن، مثل الحد السفلي، ومثل الكلمة الأخيرة من الفصل الأخير أي الإثبات، مثل على الحدود العلوية، ومثل التي قبلها مثل الحد الذي يليه، ومثل الكلمة الثانية من الفصل الأول من الباطن، مثل على الحدود السفلية، ومثل التي قبلها، مثل على الحد المتصل به دونه.

فالكلمتان المتصلتان في حد الاثبات وحد النفي لكلمتين مستعملتين وهما: (لا وإلا)، والكلمتان المتصلتان بهما من الحدين الى وأجل، وهما (إله والله)، فقد دل ذلك على أشرف الحدود العلوية والسفلية، وإن كل واحد من الآخرين متصل به ودونه، وأقل حروف منه، وأن الكلمة الأخيرة حملت ثلاثة أحرف، جمعت فيها كافة حروف الشهادة، وهي (الألف واللام والهاء) وهذه الجملة من القول في حدود الشهادة، نوضحها للسامعين بفضل الله علينا وعليهم فنقول:

إن ما رواه الخاص والعام عن رسول الله - ﷺ - أنه قال (أول ما خلق الله عز وجل من خلقه القلم، ثم أجرى نهراً احلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، وألين من الزبد،

ثم خلف اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في كتابه العزيز⁽¹⁾، فحملت العامة هذا الخبر على ما تعرفه من أن القلم من قصب، وأن اللوح من خشب على ما نشاهده، ولم تدر أن هذه هي أسماء وألقاب وأمثال تحتاج إلى إيضاح، وكشف وبيان وتأويل، وذلك مثل تأويل الأحاديث التي ذكرها الله عز وجل.

فالقلم هو أعلى حد من الحدود التي حد الله لعباده، ونهى عن تعديها بقوله سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) (الطلاق: 1) ، وارتفع عز وجل عن الحدود ونصبها لخلقه من دونه، ليتوصلوا منها إلى معرفته، ويؤدوا بواسطتها إلى الخلق أمره ونهيه، فالقلم هو الحامل للعلم الذي استمده من الله سبحانه، وثبته في اللوح، واللوحة حد من حدود الله، ودونه (أي دون القلم)، أخذ العلم عن القلم وصار إليه منه، وهما الحدان العلويان اللذان قدمنا ذكرهما.

والنهر الذي أجراه سبحانه وتعالى هو القلم. قال سبحانه (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) (الجن : 16) ، فالطريقة هي: النبي الناطق في زمانه، والإمام في أوانه من بعده، والماء الغدق: هو العلم الغزير.

فأخبر سبحانه أن الخلق لو استقاموا لولي أمرهم، لأوسعهم علماً، وقوله سبحانه: (لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ)⁽¹⁾ (الجن : 17) ، أن نمتحنهم ونختبر قولهم وعلمهم به، ثم قال سبحانه (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) (الجن : 17) ، فذكر سبحانه

¹ - لم أعر عليه بهذه الصيغة، إنما وجدت حديثاً رواه أحمد والترمذي بنص (أول ما خلق الله القلم) انظر

كشف الخفاء 263/1.

ههنا (ولي أمرهم)، ومن أعرض عنه، صار إلى عذاب الله، وسماه (ذكرًا) أي: أقامه
لذكره فسمى باسمه. قال تبارك وتعالى : (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) (الطلاق
: 10-11) فسمى الرسول ذكرًا، لأنه حامل الذكر.

ثم أقام الله عز وجل بإزاء هذين الحدين العلويين الروحانيين، حدين آخرين سفليين
جسمانيين وهما: **الناطق** : وهو كل رسول جاء برسالة..

والصامت : خليفة الرسول من بعده، والذي تسلسل منه الأئمة، وهو علي..
فالناطق هو : صاحب الشريعة...

والصامت هو : أساس الشريعة في عهد الناطق، وصاحب تأويلها.
فالرسول ينطق بالظاهر، والأساس صامت عنه أي عن الظاهر، مؤدي للباطن الذي
أثبتته الرسول فيه، كإثبات القلم العلم في اللوح المحفوظ، فالناطق بإزائه القلم، والصامت
بإزاء اللوح.

ولما كانت الدار التي نصب الله سبحانه فيها هذين الحدين السفليين دار نقلة، وكانت
الأجسام فانية، ولا يجب في الحكمة النهائية أن تخلو الدار من حجة، أقام الله عز وجل
الأساس بعد الناطق، ليقوم مقامه في الأمر الظاهر وغيره، مما كان يقوم به الناطق،
وأمره بتعيين حجة له، وتأدية علم التأويل إليه وإقامته معه، كما كان هو مع الناطق، ثم
أقام الحجة بعده إماما، وأمره باتخاذ حجة لنفسه على سبيل ما جرت به سنة الله عز
وجل، كما قال تعالى في كتابه (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

تَبْدِيلًا⁽¹⁾ (الفتح : 23). فلا يزال الأمر على ذلك الحال حتى يدور دور ذلك الناطق على سبعة أئمة.

وكذلك النطقاء سبعة وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وقائم الزمان (أي محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق) صلوات الله عليهم. منهم أولوا العزم كما قال في كتابه العزيز: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115))⁽¹⁾ طه : 115، وقد دل ذلك على أن آدم عليه السلام لا عزم له⁽¹⁾.. ولكل ناطق من رسول، أو إمام في عصره اثنا عشر لاحقاً، وسنذكر الاثني عشر، والسبعة بعد هذا إن شاء الله.

فالكلمات الأربع من الشهادة، مثل لهذه الحدود الأربعة، فمن أقامهم وعرفهم، وقبل عنهم، وشهد لهم، كان مكماً لحدودهم من الشهادة، وقد جمعهم الشهادة جمعوا حدودها، فأما الذين اثبتوا الباري عز وجل بزعمهم من المتفلسفين والمنطقيين وغيرهم، وأنكروا الرسل فقد اثبتوا الحدين العلويين، وسموهمما بغير هذين الإسمين: أي القلم واللوح، وقالوا هما: العقل والنفس، ولم يعرفوا الحدين السفليين، فلم تثبت لهم الشهادة، لأنهم أقرروا ببعضها، وأنكروا البعض الآخر، وأما الحشوية من العوام الذين اعتصموا بالشهادة وظاهر الإسلام، وأقروا باللوح والقلم، والناطق من الأنبياء، بلا معرفة صحيحة، ودفَعوا ما سوى ذلك، فلم يكملوا الشهادة، وكانت غير مقبولة منهم إلا في حقن دمائهم، وعصمة أموالهم، ومنعوا أنفسهم بها من دفع الجزية، كما جعل الرسول ذلك بامر الله عز وجل لما أسلموا.

¹ - وذلك ليثبت ان (محمد بن اسماعيل ... قائمهم) من أولي العزم.

والإسلام كلمة مأخوذة من السلم، وهو الصلح والاستسلام، وهو الإلقاء بالأيدي إلى الطاعة، والإيمان حد يأتي بعده، وهو المعرفة بحدود الشهادة، واعتقادها، وأداء حقها، وذلك هو الإخلاص، كما قال رسول الله - ﷺ - الذي وعد من أخلص لها، أي للشهادة، بالجنة، وأخبر انها مردودة لمن لم يخلص لها، وينقص من دينه، بقدر ما نقص منها، فكانت الشهادة أصل الدين، وكمال الدين بأسره مجموع فيها، ولذلك كانت الدعوة إليها كما قلنا.

ثم إذا نظرنا إلى عدد حروفها وما تدل عليه، وتشهد له، فكانت (لا إله إلا الله) سبعة فصول وذلك دليل على السبعة النطقاء، والسبعة الأئمة في دور كل ناطق، وقد قدمنا ذكرهم، وهم آيات الله التي ذكرها في كتابه وكلماته.. هذه أمثالهم من الشهادة.. وأما أمثالهم من السماء والأرض: فإن السماء الدينية، هي مثل لصاحب الزمان، ناطقاً كان، أو إماماً، والأرض مثل لحجته، لأن الماء ينزل من السماء إلى الأرض، فينبت الشجر والنبات، وينمو ويزهو، وكذلك يصير العلم من الناطق إلى الصامت، فينبت المؤمنون، ويحيون به.

وأما أمثال المؤمنين في هذه أمثال الشجر والنبات، يحيون بالعلم الذي يصير إليهم من الحجة، ومثلهم مثل أفلاك الشمس والقمر. فالشمس مثل عن الناطق، بها يستضيء العالم، وكذلك بالناطق يستضيء العالم بعلمه، والقمر مثل الحجة: لأنه يستمد نوره من الشمس، وكذلك علم الحجة مستمد من علم الإمام.

ومثل الناطق من البدن مثل القلب الذي هو أمير الجوارح، ومثل الحجة الدماغ الذي هو موضع العقل، وكل واحد منهما، واحد في البدن.

وكذلك الناطق واحد في العالم، ومثل الناطق أيضاً: اللسان، لأن من قبله يكون البيان، ومثل الحجة العيان اللتان يكون بهما النظر، كالأذنين اللتين يكون بهما السمع، وكاليدين اللتين بهما يكون البطش والعمل، ومثلها من الأرض المغرب والمشرق. فالمشرق مثل الناطق، لأن من قبله يأتي النور، والمغرب مثل الحجة القابل لذلك النور، وإليه ينتهي، والسموات السبع مثل السبعة النطاء، والأرضين السبع مثل للحجج السبع، وأمثالهم ايضاً: السبعة نجوم المدبرات، التي ذكرها الله عز وجل في كتابه: فقال (قَالُمُدْبِرَاتِ أَمْرًا) (النازعات : 5)^(١)، ومثلهم في الأرض: الأقاليم السبعة، ومثلهم في الإنسان: هو أن الإنسان خلق من سبعة أشياء، كما قال سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ .) (المؤمنون : 12- 14) ، وأجزاء الإنسان سبعة هي: شعر، وجلد، ولحم، ودم، وعظم، وعروق، ومخ، وطوله سبعة أشبار بشبره، وعرضه كذلك، وهو ما بين طرفي يديه إذا فتحهما، ويسجد على سبعة أعضاء، وجهه، ويديه، وركبتيه، ورجليه، وفي وجهه سبعة منافذ: عيان، وأذنان، ومنخران، وفم. وهذه بعض الشواهد لآيات الله وحدوده وأمثالها وبواطنها في العالمين الأكبر والأصغر. ثم قال: فأما الاثني عشر اللواحق فإنهم أسباب لكل ناطق في كل زمان، أربعة منهم أعلاهم وأقربهم، ولكل واحد اثنان كاليمين والشمال، ولذلك كانوا اثني عشر، ومثل الأربعة منهم طير ابراهيم في قصته. كما قال سبحانه وتعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٍ (260) (البقرة : 260) ، وهم من الاثني عشر حداً، وكالشهور الأربعة الحرم⁽¹⁾ لقوله عز وجل (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36) (التوبة: 36).

وأمثالهم من الشهادة حروفها، فهي اثني عشر حرفاً (ل ا ل ه ا ل ا ل ا ل ا ه)⁽²⁾، وأمثالهم في السموات، البروج الاثني عشر، وأمثالهم من الأرض، الجزائر الاثني عشر، لكل واحد منهم جزيرة، وأمثالهم من الروحانيين، الاثني عشر الملائكة الرسل أولي الأجنحة، لأنهم رسالة صاحب الأمر يتوجهون، وأجنحتهم الدعاة، لأن كل واحد منهم يبعث إلى إحدى الجزائر حداً له.. لقوله عز وجل (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فاطر : 1) ..

فهم: أي الحدود الاثني عشر في العالم السفلي، نظير الملائكة في العالم العلوي، لقوله تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات : 49) ، فالسبعة والاثني عشر مجموعهم (تسعة عشر)⁽³⁾، وهم الذين عناهم الله عز وجل بقوله (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) (المدر : 30)، وقد جمعتهم الشهادة، فمن عرفهم واعتقد بولايتهم،

¹ - الحرم بالاعتقاد الإسماعيلي: هم المجلس الاستشاري لكل إمام وعددهم اربعة، وواحد من الأربعة يسمى (الباب) ... انظر أساس التأويل ص 46.

² - الحروف الاثني عشر هذه تشكل مجتمعة كلمة (لا إله الا الله) ويقصدون بها الجزر الاثني عشر التي تتشكل منها الكرة الأرضية، أو أسماء الدعاة الاثني عشر الذين يسمون (دعاة الجزر اي الأقاليم) المكلفون بالدعاية والتنظيم للدعوة ... فمن عرفهم فقد شهد الشهادة انظر أساس التأويل ص 46.

³ - وهو الرقم المقدس عند البابيين والبهايين.

وعمل بما أخذ عنهم، فهو مؤمن من أهل الجنة مقبول الشهادة، ومن عجز عن شيء من ذلك، أو قصر فيه، وشهد الشهادة بلسانه، فهو مسلم مقبول الشهادة، وحسابه على الله.

وهذه هي الشهادة قد بينا حدودها على الأصول، وتتصل بها شهادة ثانية على الفروع، وهي (محمد رسول الله) وهي ثلاث كلمات، مثل الثلاثة الحدود الروحانيين العلويين الفرعيين، وهم: اسرايل، وميكائيل، وجبريل، وهي كذلك مثل الثلاثة الحدود الجسمانيين الأرضيين بعد الناطق والأساس هم: الإمام، والحجة، واللاحق، وهي أيضاً ستة فصول مثل: النطق الستة أولي العزم، وقد ذكرناهم.

وهي كذلك اثني عشر حرفاً مثل اللواحق الاثني عشر، وقد مضى ذكرهم، فالشهادة لله عز وجل هي الدرجة العليا، وهي الأصول والشهادة للرسول - ﷺ - ، هي الدرجة الدنيا، وهي الفروع.

وقد دخلت أي الحدود العليا والدنيا في حروف الشهادة، فظاهر الشهادة قول باللسان، وباطنها قول وعلم، واعتقادها عمل، فظاهرها الإسلام، وباطنها الإيمان.

ثم قال: (فأخلصوا معشر المؤمنين الشهادة التي دعيتهم إليها، وأخلصوا لها)⁽¹⁾.

وقال المؤيد الشيرازي في تأويلها: (إن هذه الكلمة التي هي كلمة الإخلاص كلمة جامعة حاصرة لجميع خلق الله سبحانه من عالم العقل، وعالم النفس، وعالم الأفلاك، وعالم الطبيعة، على صغر حجمها ونضارة حروفها. إن مثلها مثل النطفة، التي هي على قلتها حاصرة للأشكال الظاهرة والباطنة من الصور الإنسانية، المتشكلة بأشكال عالم

¹ - انظر : القاضي المغربي النعمان بن حيون : أساس التأويل ص 38-49، تحقيق الإسماعيلي عارف

تامر.

الجسم، من حيث كونها مولودة بعقله ونفسه، حتى أنها من حيث الفكر تحيط بالعوالم وما فيها، إحاطة خط الدائرة بمركزها. ويقول: (إن هذه الكلمة نفي في الأول، وإثبات في الآخر، فالنفي في قولنا لا إله، والإثبات في قولنا إلا الله، فالنفي والإثبات، من قول لا إله إلا الله فصلان، وتركيب الكلمة جميعها من ثلاثة أحرف: ألف ولام وهاء، وإنما كثرت من جهة التكرار، فيكون جملة ما قلناه خمسة فصول، وفيها أربع كلمات: (لا) كلمة (إله) كلمة (الله) كلمة، وفيها سبعة مقاطع، لا: واحد، إله: اثنان، الله: اثنان فتلك سبعة.

وعدد الحروف جميعها: اثنا عشر، فيكون جملتها ثمانية وعشرون.... ثم يقول: إن أمثلتها من السماء في النفي والإثبات، الكواكب الثابتة وغير الثابتة، والأحرف الثلاثة التي منها تركيب الكلمة، الجواهر الثلاثة: الشمس والقمر والنجوم، والكلمات الأربع: الحرارة والبرودة، واليبوسة والرطوبة. والمقاطع السبعة، المدبرات السبعة، والحروف الاثنا عشر، والبروج الاثنا عشر فذلك ثمانية وعشرون.

وأمثلتها من الأرض: فالنفي والإثبات: العامر والخراب. والجواهر الثلاثة: الطول، والعرض، والعمق، والكلمات الأربع: التراب، والمعادن، والنبات، والحيوان، والمقاطع السبعة: الأقاليم السبعة. والحروف الاثني عشر: الجزائر الاثني عشر، فذلك ثمانية وعشرون. وأمثلتها من الأيام: النفي والإثبات: الليل والنهار. والجواهر الثلاثة: الماضي، والحال، والمستقبل. والكلمات الأربع: الفصول الأربعة، شتاء، صيف، وربيع، وخريف.

والمقاطع السبعة: الأيام السبعة من الأحد إلى السبت. والحروف الاثني عشر: الشهور الاثني عشر.. فذلك ثمانية وعشرون⁽¹⁾.

بل يزعم بعضهم أن لفظ شهادة (أن محمداً رسول الله) التي ترد في الأذان ، إنما المقصود بها محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأن رسول الله - ﷺ - حينما يقول تلك العبارة ، إنما يعني : محمد بن إسماعيل أيضاً ، إذ لا يمكن أن يقول ذلك عن نفسه ⁽²⁾..

وفي كتاب باطني آخر علل كون الشهادة مثناة في الأذان ، أن الأولى للرسول محمد - ﷺ - ، والثانية لمحمد بن إسماعيل ، الذي هو متمم دوره ، وسابع الرسل .³ هذه بعض تأويلاتهم لكلمة الشهادة، وبمثل ذلك أولها السجستاني⁽⁴⁾، وجعفر بن منصور اليماني⁽⁵⁾.. وهي تأويلات بعيدة كل البعد عن ألفاظها الظاهرة، من حيث الحقيقة والمجاز أيضاً، ولا دلالة فيها إطلاقاً على ما ذهبوا إليه، من منطوقها ومدلولها، إضافة إلى اختلافاتهم في تأويلها، مع زعمهم أن هذا التأويل مأخوذ عن إمامهم المعصوم، الذي يتلقى الإلهام من الله سبحانه وصدق الله العظيم :

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء :

(82)

1 - المجالس المؤيدية 42/1، 45، 46، 47.

2 - انظر مسائل مجموعة من الحقائق ، شتروطمان ، ص 99.

3 - انظر كتاب الأنوار اللطيفة للداعي الحارثي ، ص : 161.

4 - انظر كتاب النبائع ص 70-72.

5 - انظر كتاب الرضاع ص 30.

وما أصدق ما قاله الديلمي بعد ذكر تأويلهم للشهادة: وهذا تأويلهم الفاسد الرديء، لا يناسبه الخطاب، ولا يدل عليه سنة وكلا كتاب، وهو باطل عند أولي الأبواب، خارج عن الحق والصواب، وإن تأويلاتهم نهاية الاختلاف، لأنها على غير أصل معلوم، بل هي عوارض خواطر رديئة، وسوانح أفكار فاسدة⁽¹⁾.

هذا هو تأويلهم لكلمة الإخلاص، كلمة التقوى، كلمة التأويل، شعار الإسلام، والفارقة بين الكفر والإيمان.. ومفتاح الجنة، والمنجية من النار، فقد سمع النبي - ﷺ - مؤذناً يقول (أشهد أن لا إله إلا الله) فقال خرج من النار⁽²⁾. وهي أحسن الحسنات.. قال أبو ذر.. قلت يا رسول الله، علمني بعمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار. قال: إذا عملت سيئة فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها، قلت: يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ فقال: (هي أحسن الحسنات)⁽³⁾. وهي تمحو الخطايا: ففي سنن ابن ماجه عن أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا إله إلا الله لا تترك ذنباً، ولا يسبقها عمل)⁽⁴⁾، وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب.

ففي المسند ان النبي - ﷺ - قال لأصحابه: جددوا إيمانكم، قلوا: كيف نجدد إيماننا؟ قال: قولوا: لا إله إلا الله⁽⁵⁾، وهي التي تحرق الحجب حتى تصل الله عز وجل...

¹ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه - للديلمي - ص 43.

² - أخرجه مسلم 1 : 288.

³ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده 169/5.

⁴ - أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه 3797/2.

⁵ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده 259/2.

يروى عن ابن عباس مرفوعاً (ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب - إلا قول - لا إله إلا الله - كما أن شفّيتك لا تحجبها، كذلك لا يحجبها شيء، حتى تنتهي إلى الله عز وجل)⁽¹⁾. وهي أفضل الذكر، كما في حديث جابر المرفوع (أفضل الذكر لا إله إلا الله)⁽²⁾، وهي أفضل ما قاله النبيون كما ورد في دعاء يوم عرفة⁽³⁾، وفضائلها لا تحصى ولا تستقصى... لقد طمسوا بتأويلاتهم السخيفة هذه المعاني الجميلة، والفضائل العظيمة لكلمة الإخلاص، كملة التوحيد، فصرفوها بتأويلاتهم إلى معاني قرروها في أذهانهم، غير ملتزمين بقواعد التفسير ولا ضوابط التأويل الصحيح. ولا هدف لهم إلا الإنسلاخ من الدين والإلحاد المبين.

2- تأويلاتهم للأسماء والصفات:

يعتقد السبئيون أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بوصف، ولا يسمى باسم، مخالفين - بتأويلات فاسدة - صريح القرآن القائل (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف : 180) والقائل (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.) (الحشر : 22-24). قال ابراهيم بن

¹ - عزاه في الجامع الكبير 477/3 للحكيم بن يعقوب بن عاصم.

² - انظر صحيح الجامع رقم (1115) والأحاديث الصحيحة للألباني (1497).

³ - أخرجه الإمام مالك في موطئه مرسلا ص 422.

حسين الحامدي: (فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يقال عليه حياً ولا قادراً، ولا عالماً ولا عاقلاً، ولا كاملاً، ولا تاماً، ولا فاعلاً، ولا يقال إنه قديم)⁽¹⁾.
وقال الداعي المطلق الحسين بن علي الوليد: (ولا يقع عليه اسم ولا صفة)⁽²⁾.
وقال الداعي الإسماعيلي ضياء الدين في تفسيره: (الحمد لله المتعالي عن السماء والأسماء)⁽³⁾، لذلك وصفهم الإمام ابن تيمية بقوله: (فهم يعطلون الأسماء والصفات تعطياً يستلزم نفي الذات)⁽⁴⁾.

فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين، فهو ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وبعد نفيمهم الأسماء والصفات عن الله تبارك وتعالى، احتاجوا أن ي اخترعوا آلهة أخرى لإطلاق الأسماء والصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم عليها.. فزعموا أن أول مبدع أبدعه الله تعالى هو العقل الأول، الذي رمز الله تعالى إليه بالقلم في قوله تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم : 1) ، وعلى هذا فالقلم هو الخالق المصور، وهو الذي أبدع النفس الكلية، التي رمز إليها القرآن بـ (الروح المحفوظ)، ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي، إلا ان العقل كان أسبق إلى توحيد الله فسمى بـ (السابق)، وسميت النفس بـ (التالي)، وبواسطة العقل والنس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية، فالخالق عند الإسماعيلية إذن هو العقل الكلي، والنفس الكلية، وإذا ذكر الله

¹ - كنز الولد ص 13-14 ط دار الأندلس / بيروت.

² - رسالة المبدأ والمعاد ص 101.

³ - مزاج التسنيم ص 5 تصحيح المستشرق شتروطمان.

⁴ - فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج3/ص 7-8.

عندهم فالمقصود هو العقل الكلي. قال الكرمانى: (إن اسم الإلهية لا يقع إلا على المبدع الأول)⁽¹⁾.

والعقل الأول يقال له: (العقل الكلي، والموجود الأول، والمبدع الأول، والسابق، والقلم والكلمة وغيرها)⁽²⁾.

والعقل الثانى: يطلق على النفس الكلية، واللوح، والمبدع الثانى، والتالى، ويقولون: بان العقل الكلى أو الموجود الأول، أو السابق، يماثله فى العالم السفلى: الناطق، كما يماثل العقل الثانى أو التالى الأساس، قال الكرمانى (الناطق والأساس مثلاً للناطق والتالى)⁽³⁾، وقال الحامدى: (سدينا محمد القائم فى دار مقام الإبداع الأول فى عالمه، ووصيه الحال منه محل لوح الله المحفوظة من قلمه)⁽⁴⁾.

وهذان الحدان من حدود الدين، وهما حد النبى، وحد الوصى، أو الإمام فى العالم السفلى، يقابلان حدين شريفين هما أعلى الحدود فى العالم العلوى، وهما حد القلم، أو السابق، أو العقل الكلى، وحد اللوح، أو التالى، أو النفس الكلية، وأن النبى والوصى فى عالم الدين، يوجدان هذا الدين كما أوجد السابق أو التالى عالم الأمر كله، إذ عنهما يصدر الوجود، وهذان الحدان هما المشار إليها بالكاف والنون، وأن الناطق أو النبى، ومن قام مقامه من وصى أو إمام، يتصف بكل الصفات التى للعقل الكلى وأن أسماء

¹ - راحة العقل، ص 40، 195، 365.

² - راحة العقل، ص 365.

³ - مجموعة مسائل ص 31 - من أربعة كتب إسماعيلية تحقق شتروطمان.

⁴ - ديوان المؤيد فى الدين - داعي الدعاة - تحقيق محمد كامل حسين ص 98.

الله تعالى الحسنى هي أسماء العقل الكلي، أو السابق، فهي إذن تنطبق على الناطق،
إو الإمام⁽¹⁾.

وبناء على ذلك فكل الأسماء والصفات التي أطلقت على الموجود الأول أو العقل
الكلي، أو السابق، أو التالي، هي للناطق والأساس ومن قام مقامهما من الأئمة في
العالم السفلي، وحتى اسم الجلالة يقع عليه، لأن كل خصائص العقل الأول، جعلت
للإمام⁽²⁾، فالإمام الإسماعيلي إذن هو ممثل العقل الكلي، فهو الواحد الأحد الفرد
الصمد، وعلى ضوء ذلك قال ابن هاني الأندلسي في مدح المعز لدين الله
الفاطمي :

ما شئت إلا ما شاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار⁽³⁾.
وقال:

ندعوه منتقماً عزيزاً قادراً غفارٌ مُوبِقَةُ الذنوب صَفوحاً⁽⁴⁾.

وقال مفسرهم ضاء الدين اسماعيل تحت عنوان (مناجاة):

إليك إليك إله الزمان		حجاب إلاله قرين القرآن
ويا شاهد الله في أرضه		تعم السما وجميع الكيان
ويا حجة العين سبحانه		تعالى على كل عالي ودان
ويا من أحاط بما في المحيط		وما فوقه من رفيع الجنان

¹ - مقدمة راحة العقل للكرماني - تحقيق مصطفى غالب الإسماعيلي ص 40.

² - ديوان ابن هاني ص 365.

³ - ديوان ابن هاني ص 150.

⁴ - مزاج التسنيم ص 368.

إليك أيا قبلتي كعبتي ويا مفزعي وإمامي أمان⁽¹⁾.

وقال جعفر بن منصور اليمى: (فكل قائم فى عصره فهو اسم الله الذى يدعى به فى ذلك العصر، كما قال الله عز وجل (وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف : 180)⁽²⁾، وكان قد فسرهما بقوله (يعنى لله الأئمة الهداة، والرسل الذين اختارهم)⁽³⁾، وقال مفسرهم ضياء الدين فى تفسيره: (الحمد لله الذى أجرى جميع أموره الجزئية والكلية، وصلى على رسوله سيدنا محمد، من خرق رتب الحجابية، وعلى إمام العصر الواقع عليه فى عصره اسم الإلهية)⁽⁴⁾.

ويعلل الكرمانى سبب إطلاق اسم الإلهية على الإمام بقوله: (لأن كلاً منهم فى زمانه قائم مقام الله، بقيامه مقام النبى الذى هو قائم مقام الله)⁽⁵⁾. فالعقل الأول، أو المبدع الأول، أو الموجود الأول، أو السابق، أو القلم.. هو إله، ومتصف بصفات الخالق، والرازق، والمصور، وغيرها من الصفات، وكذلك النبى المعبر عنه بالناطق، والوصى والأساس، والإمام، فهؤلاء هم آلهة الإسماعيلية، لا الله الواحد القهار، وأما الله (فهو غيب الغيوب ليس هو موجود فيوصف، ولا غائب فينعت)⁽⁶⁾.

1 - كتاب الكشف ص 102.

2 - كتاب الكشف ص 105.

3 - مزاج التسنيم - تفسير سورة النمل ص 327.

4 - راحة العقل ص 577.

5 - انظر رسالة (الكافية) للداعى محمد بن سعد بن داود الرفعة، ص 25.

6 - زهرة المعانى - للداعى المطلق إدريس عماد الدين ص 77 من المنتخب لايفانوف.

فالتوحيد عند الإسماعيلية، والسبئيين عموماً.. هو إتصاف المخلوقات باوصاف الله، وتسمية المخلوقات بأسمائه الحسنى.. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. فهم يقولون عن الله تعالى بأنه - لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يقال عليه حياً ولا قادراً ولا عالماً.. يقولون - كذباً على علي - أنه قال عن نفسه: (أنا أحيي وأميت، وأرزق، وأبرئ الأكمة، والأبرص وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم)⁽¹⁾.

وكذب المؤيد الشيرازي على علي - رضي الله عنه - وزعم أنه قال وهو على منبره: (أنا الأول والآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا بكل شيء عليم، وأنا الذي رفعت سماءها، وأنا الذي دحوت أرضها، وأنا أنبت أشجارها وأنا الذي أجريت أنهارها)⁽²⁾. وزعم جعفر بن منصور اليماني - الرب - في قوله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) (القيامة: 22) يعني مشرقة (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة : 22) يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه)⁽³⁾. وأن المقصود بالرب في قوله : (ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) (الفجر: 28) علي - كرم الله وجهه⁽⁴⁾. كما أن المسمى بالله في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (البقرة: 207) أيضاً: (علي)⁽⁵⁾. والألوهية في زعمهم ليست مقتصرة على الناطق والأساس، أي على النبي

¹ - المجالس المؤيدية ص 147.

² - كتاب الكشف ص 37.

³ - كتاب الكشف، ص 64.

⁴ - كتاب الكشف - لجعفر بن منصور اليماني ص 31 والآية من سورة البقرة / 207.

⁵ - انظر مزاج التسنيم ص 131، 198، 360.

والوصي.. بل إن الأئمة كلهم فيهم صفات الألوهية، ويتحلون بأوصاف الربوبية، من أولاد علي وآبائه.

وعلى ذلك قال مفسرهم ضياء الدين: (إن المعبر عنه بالله في مواضع عديدة من القرآن هو إمام كل زمان)⁽¹⁾.

وقال الداعي شهاب الدين أبو فراس (إن الرحمن في قوله سبحانه جل وعلا (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (النبأ: 38) هو: القائم)⁽²⁾. وآباء محمد - ﷺ - وعلي - رضي الله عنه - حسب معتقدات الإسماعيلية - لهم نفس الصفة..

يقول الداعي الإسماعيلي - طاهر بن إسماعيل - بعد أن ذكر - أبا طالب والد علي، وعبد الله والد محمد - ﷺ - (فكان لكل واحد منهما مقام إلهي، وهيكلي نوراني، وقام أبو طالب بالرتب الأربع: الوصاية، والإمامة، والنبوة، والرسالة، إلى أن بلغ محمد أشده)⁽³⁾.

وقال الكرمانلي في آباء علي: (وكل منهم في زمانه قام مقام الرب)⁽⁴⁾. وقالوا في عبد المطلب:

وكان رب الوقت عبد المطلب وهو الذي به المُتِمُّ قد غَلَبَ⁽⁵⁾.

1 - كتاب الإيضاح، ص 51.

2 - الأنوار اللطيفة ص 134 من مجموعة الحقائق الخفية.

3 - انظر راحة العقل ص 577.

4 - القصيدة الصورية للداعي محمد بن علي الصوري ص 56.

5 - الأنوار اللطيفة، ص 134.

كما قالوا فيه: (إن هاشم سلم إلى والده عبد المطلب، فاجتمعت عنده الرتب الأربع التي اجتمعت عند جده إبراهيم - عليه السلام - ، وهي الإمامة، والوصاية، والنبوة، والرسالة)⁽¹⁾. وقال الداعي ضياء الدين: (إنه المَعْنِيُّ من رب العالمين في قوله (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء : 192)⁽²⁾، وهذه العقيدة يؤمن بها جميع السبئيين.

يقول البهرة في أدعيتهم لهاشم بن عبد مناف: (السلام عليك يا مولانا هاشم، السلام عليك من إمام ساكن من الأرض الجبروتية في مصر، حال من الزعامة اللاهوتية في قصر، في عقبه تسلسل الإمامة في كل عصر، كل إمام من أولاده الغر بالفتح المبين وبعزيز النصر، السلام عليك من إمام بجاهة أثمر ربه لأمته قطف ثمر الحكمة وذلكه)⁽³⁾، ويقولون في أدعيتهم لعبد المطلب (السلام عليك يا مولانا عبد المطلب بن هاشم، ويا من هو لبيته المحرم نعم الرب المانع، الذي هو لظهور قوم يريدونه بالفساد قاصم..)⁽⁴⁾، ويقولون في أدعيتهم لأبي طالب: (السلام عليك يا مولاي يا أبا طالب، ويا معطي المطالب، السلام عليكم من مولى صدق قولاً، ونطق بالجواب فصلاً، وطاب أرومة وأصلا... السلام عليك من إمام لا يدرك لعظيم مقامه المبارك الكنه، فبالإيمان

¹ - مزاج التسنيم، ص 322 .

² - انظر الصحيفة المسماة - فضل المدينة المرعية - بإجازة الداعي محمد برهان الدين - داعي البهرة الحالي، وهي تشمل أدعية قرأها والده الداعي السابق طاهر سيف الدين عند المقام النبوي والعتبات العالية انظر ص 2 .

³ - المرجع السابق، 2 : 85.

⁴ - المرجع نفسه، 2 : 83 ويرمز له في كتبهم بعمران ... ويعتقدون ربوبيته، انظر تفسير سورة القصص مزاج التسنيم ص 359.

به فاعبد الله تعالى يا صاح ودنه... الخ⁽¹⁾ قال الديلمي: (وأعجب من ذلك قولهم أن علياً يحيى ويميت، وهذه لا تشتبه على جاهل، فكيف على عاقل، لأن علياً حال حياته ما كان يقدر على ذلك، فكيف بعد مماته؟ وأيضاً ثبت أن الأعداء كانوا ينالون منه في حال الحرب المنال الكبير، حتى قتله عدو الله)⁽²⁾.

ثانياً - تأويلاتهم للعبادات وتفنيدها :

أ- تأويلهم للوضوء والطهارة:

لكل فريضة من فرائض الدين عند السبئيين الإسماعيليين تأويل باطني، لا يعلمه إلا الأئمة الكبار..!!

وأول سوابق الصلاة هي الطهارة والوضوء... والطهارة تكون من الحدثين الأصغر والأكبر.

قال الداعي النعمان المغربي: (إن الذي ينقض الوضوء ويوجب الطهار: الغائط، والريح، والبول والنوم الغالب، وموجب الغسل: الجماع، والاحتلام، والحيض.

فمثل الغائط مثل الكفر، والبول مثل الشرك، والريح مثل النفاق، والنوم مثل الغفلة،

والجماع: اجتماع المؤمن المستفيد مع من يفيد العلم والحكمة وسماعه ذلك منه، والماء

الدافق: مثل العلم الذي يخرج من اللسان إلى الأذنين، إلى أن يقول: والماء مثله مثل

العلم، وبيت الخلاء: مثله مثل الدعوة (يقصد الإسماعيلية) فيها يتخلى من الكفر

والشرك والنفاق، والاستنجاء بالحجارة: هو الاستمتاع بعلم المأذونين. والاستنجاء بالخرق:

هو الاستمتاع بظاهر علم الأئمة.

¹ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص 34-35.

² - انظر مطلع الشموس لشهاب الدين أبي فراس، ص 15 (أربع مسائل إسماعيلية) ط بيروت.

والاستتجاء بالعظام: مثل لأهل الظاهر، لأنهم اموات في الباطن فليس يجوز التطهر بشيء من علمهم، ولا بشيء مما أحدثوه من آرائهم، وضوء نفسه وطهارة لها⁽¹⁾.
والماء الذي به الطهارة هو: العلم الذي يكون به طهارة الأنفس من الشكوك والاختلافات.
قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) (الأنفال : 11)
لو كان الماء في هذا الموضع هو الماء الطبيعي المعروف، فأى رجز من الشيطان يذهب به....؟ وأي رباط للقلب بالماء....؟ وأي ثبات للأقدام به..؟ وليس الأمر كما توهم بعض الناس، بأن هذه الآيات نزلت في أثناء غزوات الرسول - ﷺ - ، حيث عز وجود الماء لأنه لو كان الأمر فهي كما حسبه الجاهل، فأية فائدة لنا في قراءة هذه الآية...؟ وقد مضى زمانها وأناسها، وأية حكمة في ذلك بعد مضي ثلاثمائة ونيف وخمسين سنة...؟!)⁽²⁾.

ثم يقول: (فلما أقام رسول الله - ﷺ - وصية بغدير خم، جهاراً ونهاراً من الله - تعالى ذكره - على المؤمنين به فقال : (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11)) ومعناها قد غشاكم الحد الذي كنتم تنتظرونه متأولاً عن شريعتكم وتنزيلكم، ليكون لكم به الأمن والامان من الجهل والحيرة.
(وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به): يعني: وينزل عليكم من الرسول العلم الذي به طهارتكم.

¹ - انظر تأويل الدعائم - ج 1 : 76 ، 84 ، 90 ، 91 .

² - كتاب الافتخار - لأبي يعقوب السجستاني ص 110

(ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني: ويذهب به اختلافات الأضداد الذين غيروا الدين وأفسدوا بأرائهم.

(وليربط على قلوبكم) يعني: وليكن العلم الذي استقدمت منه رباطاً على قلوبكم من دخول الشك والشبهة فيها. (ويثبت به الأقدام) يعني: ويثبت به عقولكم عن الريب والشبهة⁽¹⁾. ثم يقول السجستاني: (وقد ذكر الله تعالى الطهارة لمن نال الإمامة من أهل بيت الرسول فقال: (.... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) الأحزاب : 23) (2).

فطهارة الأئمة ليست بالماء الطبيعي؟! ولكن بالماء الروحاني الذي يختص به الأئمة الطاهرون.

قال تعالى ذكره: (.... وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) (الفرقان: 48).

يعني: وأنزلنا من سماء دينكم الذي هو الرسول، علماً، به يطهر قلوبكم ونفوسكم من نجاسات الشكوك. (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا) (الفرقان : 49) أراد به وصية الذي يموت ذكره بغلبة الأضداد عليه⁽³⁾.

ثم قال: (فإذا فرغ المتوضي من غسل اليدين والاستنجاء، بدأ بالمضمضة، وهو إدخال الماء في الفم، والفم: خزانة اللسان، واللسان آلة للكلام، والمعبر عن المطلق، فإذا قلنا أنه على العالم اضافة علمه الذي استفاده من صاحب جزيرته، إلى صاحب الزمان

¹ - كتاب الافتخار لأبي يعقوب السجستاني ص 111.

² - المرجع السابق، ص 112.

³ - كتاب الافتخار ، للسجستاني : ص 113 .

الذي يستنشق التأييد بلطافة نفسه، ليكون للواد حق دونه بأستنشاقه التأييد قوة على قبوله روحانياً مشتركاً..؟!

وغسل الوجه أول فرائض الوضوء، وهو طاعة الرسول..؟ وطاعة الرسول فرض على الخلق، لا يسع أحداً تركها، فإن قلتم إن ما قلناه باطل فقد كفرتم، وإن قلتم أنه حق فقد قلتم بما قلناه؟! وجعل غسل اليدين بإزاء طاعة المؤمن للوصي بعد الرسول، واليدان مستورتان في الثياب، على أن دعوة هذا الوصي مستورة خفية في الشرائع التي هي اللباس الظاهر لليدين⁽¹⁾، وقال السجستاني بعد ذلك (والوضوء هو البراءة من الأعداء)⁽²⁾ إلى آخر ما ذكر من الخرافات والهذيان.

تفنيد تأويلاته:

هذا التحريف لمعاني الآية من هذا الداعي الإسماعيلي والذي اعتبره تأويلاً لها.. يدل على أنه هؤلاء السبئيين لا صلة لهم بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد. فهذه الآيات تتحدث عن حالة المسلمين النفسية قبيل معركة بدر وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه، ولم يتخذ له عدته، فإذا النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم، والطمأنينة تفيض على قلوبهم. أما الماء: هو قصة مددٍ آخر من أمداد الله للعصبة المسلمة قبيل المعركة، فالماء في الصحراء مادة الحياة، فضلاً عن أن يكون أداة النصر، والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قيل أن يواجه المعركة، بالإضافة إلى ما ألقاه الشيطان في نفوسهم من وساوس: تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون

¹ - كتاب الافتخار: 113.

² - كتاب الافتخار: 114-115.

على الماء، وأنتم تصلون مجنبين، ولم يكن قد رخص لهم بعد التيميم.. فجاء المدد المادي، وتسكن القلوب بوجود الماء، وتطمئن الأرواح بالطهارة، وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتمسك الرمال لنزول الماء عليها... فهذه الأمداد فيها عظات وغبر للمؤمنين إلى أن يرث الأرض ومن عليها.. ففي قراءتها وتذكر أحداثها فوائد جمة، تؤكد أن الله مع الذين اتقوا ومع المؤمنين بنصره وتأييده، إن نصرُوا لله سبحانه وبهذا التفسير الذي قال به العلماء الثقات أصبح للآية معنى، لا كذلك التخريف والهذيان الذي هذي به السبئيون، وادعوا أنه التأويل المأخوذ عن المعصوم... إنه إفراغ للآيات من مضامينها ومقاصدها، وهدم للشرعية بهدم هذا الشرط الذي لا بد منه لصحة العبادة، وهو الوضوء والطهارة، أما تأويلاته للآيات الأخرى فهو صرف لها عن معانيها الحقيقية إلى معاني اعتقدها، لا تتفق ومقاصد الآيات.⁽¹⁾

ب- تأويلهم للصلاة ومتعلقاتها:

قال الداعي القاضي النعمان:

1 - الأذان والإقامة: (هي دعوة الحق التي يدعو بها الدعاة).

ثم قال: (الأذان والإقامة مثني ومثنى، لأن الأذان مثله مثل الدعاء الى حجته، وهو ولي أمر الأمة من بعده، الذي يقيمه لذلك في حياته ويصير له مقامه له بعد وفاته)⁽²⁾.

2_ تأويلهم للصلاة:

(1) انظر تفسير في ظلال القرآن - سورة الانفال - ج 9 : 1484-1485.

(2) تأويل الدعائم ج 1 : 208 وانظر كذلك كتاب الافتخار للسجستاني ص 116.

قال جعفر بن منصور اليمن في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة : 3) الصلاة: الحسين والأئمة من ولده (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) هي الزكاة المؤداة إلى أهلها⁽¹⁾.

وقال في قوله تعالى: (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى) (القيامة : 31) : الصلاة: الطاعة للوصي ولالأئمة الذين اصطفاهم الله من ولده . وقال : (الصلاة: الدعوة إلى صاحب الحق في كل عصر وزمان)⁽²⁾.

وقال ضياء الدين الاسماعيلي (المفسر الإسماعيلي): في تأويل قوله تعالى: (فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج : 78).

(فأقيموا الصلاة): أي الدعوة إلى الميم (محمد - ﷺ -) .

(وآتوا الزكاة): يعني سلموا لأمر الفاطر (أي فاطمة).

(واعتصموا بالله): يعني العين (أي علي).

(هو مولاكم): يعني ولي أمركم في السابق واللاحق.

(فنعم المولى): يعني بتدبيره لكم.

(ونعم النصير): يعني باحتجابه لكم، والهامه لكم، وإقداركم على ما تريدون في تدبير

الخلق، فافهموا معشر المؤمنين ما سيق إليكم من هذه الحكم ذات السر المصون) .

وقال في تأويل قوله تعالى: (فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ) يعني الدعوة إلى الميم (محمد)⁽¹⁾، ربنا

ليقيموا الصلاة يعني: الدعوة الظاهرة⁽²⁾.

(1) كتاب الكشف ص 38.

(2) كتاب الكشف ص 44.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (المؤمنون : 9).
يعني: يحافظون على الاتصال، بالطاعة للحدود⁽³⁾.

وقال الداعي إدريس عماد الدين: في تأويل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة: 9) (يعني: إذا نودي للصلاة وهي الدعوة إلى علي (من يوم الجمعة) أي: من محمد الجامع للشرائع.. (فاسعوا إلى ذكر الله) أي: أطيعوا محمداً في علي والنص عليه. (وذروا البيع): أي: ذروا البيعة....؟؟ لغيره)

وقال : (وجعل الصلاة خمسة (أي خمس صلوات) في خمسة أوقات فالخمسـة الأوقات: اشارة إليه وإلى علي وفاطنة والحسن والحسين، والخمسـة الصلوات: إشارة إلى النطقاء الخمسة (أي أولي العزم).

وقد قال - ﷺ - أخذت من خمسة وسلمت إلى خمسة، وبينني وبين ربي وسائط خمسة... !! فالخمسـة الذين أخذ عنهم هم: النطقاء الخمسة الذي هو سادسهم، وخاتم أمرهم.

والوسائط الذين بينه وبين ربه في العالم الروحاني: جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل، واللوحي، والقلم... ووهـم: الجدّ، والفتح، والخيال، والتالي، والسابق.

(1) مزاج التسنيم ص 260.

(2) مزاج التسنيم - سورة الحج آية : 78.

(3) مزاج التسنيم ص 363 .

وهم في حدود الدعوة: أبي بن كعب، وزيد بن عمرو، وبحيرا الراهب، وميسرة، وخديجة،

الذين أفادوه...؟ وعلموه....؟ وترقى معهم في مراتب التعليم حتى اتصل بصاحب

الزمان أبي طالب، رب دعوته، وصاحب أمره.

والخمسة الذين سلم إليهم هم: وصيه علي، والحسن، والحسين، وباقر العلم، وخامسهم..

محمد بن اسماعيل صاحب الدور الذي شهد له بالرسالة والفضل.. فقال: أشهد أن

محمداً رسول الله يقصد محمد بن اسماعيل-فالمرة الأولى إشارة إلى النبي محمد

- ﷺ - ، والأخرى الإشارة بها إلى السابع متم دوره وآخر أئمة⁽¹⁾.

وقال ابراهيم بن الحسين الحامدي: (الصلاة بالحقيقة هي الاتصال بالإمام)⁽²⁾، وقال

حميد الدين الكرمانى: (الصلاة تصرف على وجوه كثيرة فمنها الطاعة، ومنها تعلم

العلم، ومنها الدخول في العهد والإحرام، ومنها الرحمة، ومنها ظاهر الشريعة، ومنها

اقامة الدعوة)⁽³⁾.

وقال المفضل الجعفي: (الصلاة أمير المؤمنين والزكاة معرفته)⁽⁴⁾.

وقال القاضي النعماني المغربي: (فصلاة الظهر وهي الصلاة الأولى مثل لدعوة نوح،

وهي الدعوة الأولى؟! وهو أول أولي العزم من الرسل. والعصر: مثل لدعوة ابراهيم،

وهو ثاني أولي العزم، وهي الصلاة الثانية.

¹ - زهر المعاني ص 15.

² - بلحنها وكفرها من زهر المعاني ص 148-149.

³ - كنز الولد ، للحامدي ص 286.

⁴ - كنز الولد ص 287.

والمغرب: وهي الصلاة الثالثة مثل لدعوة موسى، وهي الدعوة الثالثة، وهو ثالث أولي العزم.

والعشاء الآخرة: مثل لدعوى عيسى، وهي الدعوة الرابعة، وهو الرابع من أولي العزم، وهي الصلاة الرابعة.

والفجر: وهي الصلاة الخامسة مثل لدعوة محمد - ﷺ - ، وهي الدعوة الخامسة، وهو خامس أولي العزم⁽¹⁾.

ومن الغريب أن النعمان المغربي نفسه أولها تأويلاً مختلفاً في رسالته المذهبية ، فبعد ذكر الصلوات الخمس قال : (أولهن الظهر وهي دليل على محمد وهو صاحب الشريعة، وأما صلاة العصر.. وهي دليل على القائم المنتظر صاحب سيف التأويل، والمغرب دليل على آدم أبو البشر)⁽²⁾.

ويقول الداعي السجستاني: (والصلاة لا تجوز إلا باستقبال القبلة. والقبلة ههنا: الدعوة إلى الحقيقة.. وليس للحقائق الشريفة رئيس غير الأساس⁽³⁾ (أي علي) فصار هو قبلة المرتادين...

¹ - الهف الشريف- كتاب مقدس عند النصيرين ص 60.

² - تأويل الدعائم ج 1 : 178-179. الرسالة المذهبية ، للنعمان المغربي ص 32-33، ضمن خمس رسائل إسماعيلية.

³ - الأساس: من المصطلحات الإسماعيلية تطلق على الوصي عليّ - كرم الله وجهه- بمعنى ان أساس المؤمنين لبيان آخرتهم بما يقفون به على بيان الوحي.. ويقال له أيضاً: الصامت، والتالي، أما الرسول فيرمزون له بالناطق مقابل الصامت ، والسابق مقابل التالي، والرسول صاحب التنزيل ، والوصي صاحب التأويل . انظر : تحفة المستجيبين- للسجستاني ص 151-154. وانظر عقيدة الدروز - د. محمد أحمد الخطيب ص 64

قال تعالى في تصديق ما قلناه...!: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة : 144-145). يعني تقلب فكرتك في شريعتك، وما تحتاج إلى من يقوم بتأويلها : (يعني: فلنيسرن لك (وصياً) ترضاه. أي فسلم نصف ما أفيض عليك إليه (أي إلى علي.. !) ، يعني: وحيثما كنتم فأضيفوا نصف المرتبة إلى وصيه. أي: وإن الذين أوتوا الظاهر ليعلمن أنه (أي علي) صاحب الحق دونهم..

ثم قال: (ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك). يعني: ولئن أقمت الحجة عليهم بكل وجه ما تبعوا أساسك (وما أنت بتابع قبلتهم) ، يعني: وما أنت بتابع رأيهم فيما عزموا عليه من صرف الخلافة عنه إلى غيره.

(وما بعضهم بتابع قبله بعض) يعني: وما كل فريق منهم بتابع رئيس القوم الآخر، بل يتبرأ بعضهم من بعض، (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) يعني: ولئن اتبعت أختيارهم في تسليم الأمر إلى من أختاروه من بعد الذي جاءك من التأييد، كنت واضعاً للحق في غير موضعه، فهذا معنى القبله⁽¹⁾ أ. هـ.

¹ - بلحنه وكفره من كتاب الافتخار للسجستاني ص 116-117.

وهذا منهج في التأويل مُعَوَّج، وتلاعب بآيات القرآن والشرعة السماوية حسب أهوائهم وأغراضهم، ويتناقضون ويتعارضون في تأويل الشيء الواحد مع زعمهم المستمر بأن هذا التأويل مأخوذ عن إمامهم المعصوم.

وهذا الاختلاف في التأويل الصادر عن شخص واحد... يدل على أن تأويل هؤلاء السبئيين ليس له قواعد ثابتة، وأسس منضبطة يرجعون إليها في التأويل، بل يطلق كل منهم للسان العنان، ويطلق لفكره الخيال، فيهذي بما لا يفهم.

وتقول طائفة البهرة: إن الصلاة والزكاة سبعة أحرف، وهما دليل على (محمد - وعلي) فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة، وأن أدوا الصلاة فيقولون: إنها للإمام المستور من نسل - الطيب بن الأمر - وأن أدوا شعائر الحج يقولون: إن الكعبة التي يطوفون حولها هي رمز للإمام المستور⁽¹⁾.

ولكن ما هي هذه الحقائق القدسية والذوات الإلهية.. يقولون: (أنهم أربعة عشر معصوما.. هم وجه الله الذي يتوجه إليه، وهو اسم الله المبارك ذو الجلال والإكرام، ووجه الله الباقي، وهم أوعية غيبه)⁽²⁾..

3- تأويلهم للزكاة:

اختلفت الفرق السبئية في تأويل الزكاة مثل اختلافهم في تأويل غيرها، إلا أنهم مجمعون على وجوب إخراج حق الله منه بإعطائه للإمام..!! أو من يقوم مقامه.. فهذا هو الواجب من الظاهر في الزكاة..

(1) انظر الرسالة الموسومة بـ (الهداية الأمرية) ص 9.

(2) المرجع السابق ص 10.

فالقاضي النعمان المغربي يقول: (الزكاة: هي الأسس والحجج، الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم، كما تظهر الزكاة المال، فعلى هذا يكون قوله : (لا صلاة إلا بزكاة)، يعني أنه لا تقوم الدعوة إلا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين، والحجج الذين هم أوصياء الأئمة)⁽¹⁾..

وقال الداعي الإسماعيلي عماد الدين: إن علياً- كرم الله وجهه- قال: (إيتاء الزكاة هي الاقرار بالأئمة من ذريتي)⁽²⁾.

وقال أبو يعقوب السجستاني: إيتاء الزكاة هو: إطاعة الناطق (النبي) ثم الأساس (الوصي علي)⁽³⁾.

وقال حمزة بن علي الزوزني (الدرزي) : الزكاة: هي أن تطهر قلبك لمولانا جل ذكره (أي الحاكم بأمر الله) ولحدوده ودعائه)⁽⁴⁾.

وقال جعفر بن منصور اليمن (الإسماعيلي) : وقوله عز وجل : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (فصلت 6-7) إنما فرضت الزكاة على أهل الصلاة، ولم تفرض على المشركين، وإنما نزلت هذه الآية فيمن أشرك بولاية علي غيره، وأدى الزكاة إلى من نَصَبَهُ الشيطان (يقصد أبا بكر) وزعم أنه إمام من الله، (وهم

(1) تأويل الدعائم ج 2 : 87-88.

(2) زهر المعاني ص 74.

(3) اثبات النبوات ص 120.

(4) انظر : رسالة حمزة بن علي (كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره) نشرها الدكتور الخطيب في

كتاب عقيدة الدروز ص 64.

بالآخرة هم كافرون) أي: بالكفرة كافرون.. والكرة: ظهور القائم (أي محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) الذي يرد الله به الكرة لآل محمد على عدوهم، فيسلط الله به الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق⁽¹⁾.

وقال في المجالس المستنصرية: (إن الزكاة هي الفريضة الرابعة من فرائض الإسلام وهي مثل على أول من دعا إليه، وهو الرابع من أصحاب الشرائع، موسى الكليم عليه السلام بقوله تعالى: (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّىٰ)). (النازعات: 17-18) ، وفروضها السبعة التي ذكرناها مثلاً على أئمة دوره - عليه السلام - ، وسننها الاثنتا عشرة هم اثنتا عشرة أسباطاً أمماً، مثل على حجج زمانه الاثني عشر، الذين قال الله تعالى فيهم (وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهُمُ الْعَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (الأعراف : 160) ، وفجر لهم من الحجر اثنتي عشرة عيناً⁽²⁾.

وتحدث القاضي النعمان عن زكاة الذهب والفضة وبقية المعادن، فأول المعادن بعلم الناطق وهو النبي في عصره والإمام في وقته، والفضة: بعلم الأساس، وهو وصي النبي في وقته، أو الحجة، وهو حجة الإمام في عصره، والذي يكون له الأمر من بعده. والنجاس: بعلم أكابر الدعاة، وهم النقباء والحديد: بعلم الدعاة، والرصاص: بعلم المأذونين... وأما في زكاة المواشي، فأول الإبل بالنطقاء، وهم الأنبياء في أوقاتهم،

(1) كتاب الكشف ص 45-50.

(2) المجالس المستنصرية ص 67.

والأئمة في أمانهم. والبقر: بالأسس، الذين هم أوصياء الأنبياء في أزمانهم، والقائمون مقامهم من بعدهم، وبالحجج الذين هم ولاة عهود الأئمة في أزمانهم، والقائمون من بعدهم مقامهم. والغنم: هم الدعاة، الذين هم أكابر المؤمنين.

ووقع على هذه الأصناف الثلاثة اسم الماشية: لأنهم يمشون ويسعون في الأرض لإصلاح أهلها وإقامة أمر الله فيها...!! ووقع عليهم اسم الأنعام، لأن الله أنعم بهم على جميع عبادته، بما أجراه على أيديهم من الفضل والنعمة. ووقع عليهم اسم الحيوان لأنهم أحياء في الدنيا والآخرة، ولأن الله أحيا بهم من أحياء من عبادته⁽¹⁾، وهذه التأويلات لا سند لها من منطق اللغة، أو السياق، أو قواعد التفسير، أو ضوابط التأويل الصحيح، وكل ما في الأمر أنهم اعتقدوا عقائد، وأرادوا حمل آيات القرآن عليها.

4- تأويلهم للصيام:

قال السجستاني بعد أن أول الصوم بالنهار والإفطار بالليل، أول الصوم كذلك بالصمت بين أهل الظاهر وكتمان الأسرار عنهم، (ألا ترى ان الشهر التاسع من المحرم، والشهور الثمانية قبله تدل على الناطق، والأساس، والأئمة الستة، والشهر التاسع الذي هو شهر رمضان، وشهر الصيام، فإنه على حد القائم (محمد بن إسماعيل) سلام الله على ذكره، أمر المؤمنين أن يستروه في وقته وزمانه، لأن الزمان كان يؤمئذ زمان ظلمة، من الذين قعدوا بمجالس الأئمة، قال الله: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا

¹ - انظر تأويل الدعائم ج 2 ص 87-89، ج3، 156، 102، وانظر دعائم الإسلام ج 1: ص 240-

أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (البقرة: 185)

يعني: أقيم الأساس بسببه، إذ هو بدوؤه وأصله ، (هدى للناس) يعني: في حده، يهدي الناس من الضلالة (وبيئات من الهدى والفرقان) يعني: ومن قبله تنتشر البيئات في العالم، وبه يقع الفرق بين أهل الحق والباطل. (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ، يعني: فمن أدرك زمانه فليلزم الصمت من حده ولا يظهره، (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر) يعني ومن كان في وقته غافلاً من حده بمرض قلبه، أو بعد لم يخرج من حد القوة إلى حد الفعل، فلينتظر رجوعه بعد غيبته عند انقضاء خلفائه، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) يعني: يريد الله بكم إقامة الخلفاء بعد غيبته أن يسر لكم العسر. (ولتكمّلوا العدة) ولتكمّلوا عدتهم مساوية لعدد الأئمة (ولتكبروا الله عل بما هداكم) إذا أكملتكم العدة فقد قرب الفتح الذي يجب عليكم عنده التكبير).

وقال الحامدي: (الصوم: هو الستر والكتمان، والأئمة المستورون)⁽¹⁾.

وقال القاضي النعمان المغربي: (الصوم كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر) ثم قال: (وكان بين المهدي وبين علي - صلوات الله عليهما - عشرة أئمة، وعشرة حجج، وعشرة أبواب، وهؤلاء مثل أيام شهر رمضان، التي أمر الله بصومها، وذلك بكتمان أمرهم وما يلقونه من التأويل إلى أن يأذنوا في ذلك لمن يرونها)⁽²⁾.

5- تأويلهم للحج : قال الداعي الإسماعيلي - جعفر بن منصور اليماني: (سألت أرشدك الله أمرك، وبلغك غاية أملك، عن معنى قول الله عز وجل : (جَعَلَ اللَّهُ

¹ - كنز الولد - لإبراهيم الحامدي ص 208

² - تأويل الدعائم ج3 : 108-109.

الْكَعْبَةُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (المائدة : 97) .

قال الحكيم -عليه السلام- : الكعبة هي التي كاع- أي جبن- عن معرفتها جميع أهل الخلاف، وحادوا عن ولايتها والإقرار بها، وعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم من الله شيئاً، ألا ترى إلى قول البار الزكي حيث يقول : (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا .) (مريم : 42- 43).

فَعِيْرُهُ بَعْبَادَةُ الْحَجَارَةِ فِي الظَّاهِرِ ، وَفِي الْبَاطِنِ الْأَوْثَانُ الَّتِي عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ - جَل وَعَلَا - ، وَهِيَ الثَّلَاثَةُ الْمَلَاعِينِ (أَبُو بَكْرٍ ، وَعَمْرٌ ، وَعِثْمَانُ) فَهَمِ الْأَوْثَانُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، اتَّبِعُوا مِنْ غَيْرِ أَحْكَامِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ) ثُمَّ قَالَ : (أَمَّا الْكَعْبَةُ فَهِيَ مِثْلُ الْحِجَةِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، وَهِيَ السَّفِينَةُ فِي عَصْرِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (قِيَامًا لِلنَّاسِ) يَعْنِي : الْكَعْبَةُ الَّتِي هِيَ جَعَلَهَا قِيَامًا لِلنَّاسِ فَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ جَعَلَ الْحِجَةَ إِمَامًا قَائِمًا بِالشَّرِيعَةِ ، يُشِيرُ إِلَى النَّاطِقِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ -

وَقَالَ : (الْبَيْتُ الْحَرَامُ) يَعْنِي الصَّامِتُ (أَيُّ عَلِيٍّ) .

وَقَالَ : (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) : يَعْنِي : مَنْ اتَّصَلَ بِالْإِمَامِ صَاحِبِ الْبَاطِنِ ، كَانَ عِنْدَ ظُهُورِ النَّاطِقِ - وَهُوَ هُنَا يَقْصِدُ النَّاطِقَ السَّابِقَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ - آمِنًا مِنْ سَيْفِهِ وَنَقْمَتِهِ ، أَوْ مَنْ شَمِلَهُ عَهْدُهُ وَضَمَّهُ عَقْدُهُ ، فَقَدْ أَمِنَ مِنَ الْفِتْنَةِ (1) .

¹ - كتاب الكشف : ص 115-116 .

ثم قال ومعنى قوله : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (الحج: 27) يعني: أقم في الناس الإمام يدعو إلى الناطق (أي

السابع)، ومعنى (يأتوك رجالاً) أراد بالرجال: الدعاة إلى الله...⁽¹⁾.

وفي معنى قول الله عز وجل: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة : 197) .

قال: (الحج على وجهين: أحدهما: الهجرة من وطنك إلى وطن الرسول في عصره، أو إلى وطن الإمام في عصره، ومع معرفة صاحبها، وإلى من هاجرت لحقيقة فضله ومقامه حتى يسعد حجك، ويشكر عملك، ويتزكى سعيك وينجلي شكك.

والوجه الثاني: هو معرفة الإمام - صلوات الله عليه - في كل عصر وزمان، الناطق بالحكمة الظاهر بالشرف، والدعوة لصاحب الشرائع (أي التبشير بصاحب القيامة الكبرى، المهدي المنتظر الناطق السابق محمد بن اسماعيل) ، وهو مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة - صلوات الله عليهم -

(والأشهر المعلومات): فهم الحجج - عليهم السلام - في جميع أعصارهم وأزمانهم لأنهم إذا شاءوا شاء الله، ونحن نستدل على مشيئته جل وعلا بمشيئتهم، وعلى ما يكرهه بما يكرهون).

¹ - كتاب الكشف : ص 120

ثم قال: (والرفث والفسوق والجدال: هم- أبو بكر، وعمر وعثمان، (وكتبها بالرموز الإسماعيلية السرية) طعنوا على الحجة عليه السلام- يريد علياً- ومنعوا حقه في الظاهر، وأخذوا فذك منه ومن زوجته فاطمة).

ثم قال: (ومن دخل في دعوته واستجاب، أمن وسعد، لأن الباري عز وجل قد وعد بقوله : (.....وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران : 97) بدعوته والدخول في ولايته، والاتصال بهدايته، ثم يرجع المعز إلى القول الأول . (... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران : 97) فأمر جل وعلا باتباع الإمام - صلوات الله عليه - الذي من يختاره نجا وفاز،

فالحج هو: الإقرار بالولي⁽¹⁾. وبمثل ذلك قال السجستاني: (حج البيت هو قصد إمام الزمان مفترض الطاعة، والغرض من حج البيت، معرفة الأئمة، والمراد من الزاد والراحلة في الحج هو: معرفة العلوم، والإحرام: هو اعتقاد معرفة الإمام⁽²⁾). وقال القاضي النعمان المغربي: (الحج: قصد إمام الزمان، والمجيء من كل أفق إليه، للدخول في جملته وبيعته.

والعمرة: قصد حجة ولي الزمان وهو ولي عهده.
ويوم النحر: مثل لخاتم الأئمة وهو صاحب القيامة (محمد بن إسماعيل) واليه يساق المخالفون الذين لم يستجيبوا لمن قبله من أئمة الحق.

¹ - كتاب الكشف : ص 135.

² - كتاب زهر المعاني ص 176-177.

وأما التلبية: فهي قصد إمام كل زمان استجابة لدعوته، وقرباً منه طاعة له.
ومعنى تكرار التلبية أربع مرات: هو أن يعتقد المستجيب طاعة الله، وطاعة رسوله
وطاعة إمام زمانه، وطاعة حجته في الظاهر والباطن والسر والإعلان.
وأما الرفث والفسوق والجدال: يعني لا يجوز له أن يفتح أحداً بعلم الباطن.
والفسوق: الخروج من طاعة الله وطاعة أوليائه. والجدال: يعني: لا ينبغي لمن سعى
بطلب إمام زمانه وتمسك به، أن يحادل أحداً حتى يؤذن له في ذلك، ويعرف ما يجادل
به.

وأما قتل المحرم الصيد: فهو المفاتحة بعمل الباطن.

والركن الذي فيه الحجر: مثل النبي محمد.

والحجر: مثل الأوصياء من ذريته.

والركن اليماني: مثل القائم من ولده خاتم الأئمة لا حجر فيه.. أي لا وصي له، ولا
إمام من بعده يتلوّه وهو صاحب القيامة⁽¹⁾.

وقد جمع هذه المعاني كلها الداعي الإسماعيلي - شمس الدين بن أحمد بن يعقوب
الطبيبي - فقال: (وأما الحج فهو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت، بيت
العلم والحكمة، وقطع النظر عن سواهم.

والزاد والراحلة: الاستمداد والوقوف في عرفات.

والمزدلفة: الوقوف على قوانين الحكمة والمعرفة.

وأما النحر والحلق: فإزالة الباطل، وإظهار الحق..

¹ - تأويل الدعائم ج3/143، 144، 145، 151، 157، 160، 172، 173، 181، 188، 211، 220.

والحجر الأسود: قبول الدعوة في الناطق المؤيد.

والطواف بالأركان والمقام وزمزم هي: دعوة الباطن..

والسعي بين الصفا والمروة: تتميم الدعوة والوفاء.

وإتمام الحج بالعمرة الكاملة: هي الاستجابة للمأذنين في الدعوة الشاملة⁽¹⁾.

تفنيذ هذه التأويلات:

لقد وضحت أهداف السبئيين من خلال تأويلاتهم لأركان الإسلام، لقد أدركوا أن الإسلام عقيدة وشريعة، وكل متكامل، فهدفت السبئية إلى مقاومة الإسلام ومحاولة هدمه من الداخل بعمل منظم تحت شعار التظاهر بالإسلام وحب آل البيت، فتوجه هؤلاء الغلاة لمحاربة الإسلام بكل أركانه ومبادئه وأسسها، حاملين ظواهر الشريعة على معان باطنية لا تدل عليها تلك الظواهر، ولا بحقيقتها ولا مجازها.

وإذا ما عرضنا هذه القضية على الكتاب والسنة، علمنا ان أصحاب هذه التأويلات المتناقضة والمتعارضة، كفار بالله ورسله، فالله سبحانه حينما أوجب التكليف على المكلفين، لم يستثن منهم الأنبياء مع أنهم أعلى الخلق درجة واصطفاء، فالأنبياء مكلفون بالعبادات والتكاليف كسائر الخلق قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (النساء : 103) .

وقال سبحانه: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر : 3) .

¹ - انظر : رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ص 71 ضمن مجموعة (أربع رسائل إسماعيلية)

حققها عامر تامر.

فمن هذه النصوص اتضح أن الأنبياء وهم أعلى الناس مراتب ودرجات، مأمورون بالتكاليف، ولو تدبرنا آيات القرآن الكريم، لوجدنا أنه كلما ازداد الإنسان قرباً من الله تعالى، كلما زادت له التكاليف.

لقد صلى رسول الله - ﷺ - حتى تورمت قدماه، وجاهد في سبيل الله، وكان من الصائمين القائمين، وعد ربه حتى أتاه اليقين، وأمر أمته بالمواظبة على جميع العبادات، وكذلك فعل خلفاؤه الأبرار. لقد قاتل أبو بكر - رضي الله عنه - المرتدين على ترك عبادة واحدة وهي الزكاة.. فكيف بمن يرد جميع العبادات والأحكام. لقد تبين مقصودهم من ذلك، وهو الانسلاخ عن الدين، والألحاد المبين.

قال الإمام الغزالي عن الذين يأتون ببعض الأفعال المخالفة للقرآن والسنة ثم يدعون أنهم من المقربين من الله.. بأنهم شياطين.. (إذا رأيت الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء ويأتي بعمل يخالف القرآن والسنة فهو شيطان)⁽¹⁾. إن الالتزام بالتكاليف هو سبب الكمال، وإن التخلي عنها هو سبب النقص، وقد بين الله سبحانه وتعالى في كثير من آيات القرآن الكريم أن أصحاب النار وأهلها يوم القيامة، هم الذين قد أعفوا أنفسهم من التكاليف.

قال تعالى: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ .) (المدثر: 42- 43). وسبق أن ذكرنا أن الإمام الغزالي سئل عن قوم كانوا يؤدون التكاليف لأنهم لا يعظمونها في قلوبهم بل يؤدونها بحكم الإلف والعادة فقال: إنهم كفار جل ثناؤه، وبكل رسل الله أجمعين)⁽²⁾.

¹ - المنقذ من الضلال ص 66.

² - المنقذ من الضلال ص 73.

فإذا كان هذا هو رأي الإمام الغزالي فيمن يؤدي التكاليف من غير أن يعظمها في قلبه، فما لا ريب فيه ولا جدال أن قول هؤلاء السبئيين بإسقاط التكاليف من خلال تأويلاتهم الفاسدة لهو كفر صريح بالإسلام وبرسوله - ﷺ - .

وإذا كانت طريقتهم في التأويل فاسدة، لما نتج عنها من نتائج فاسدة، كانت محصلات التأويل التي استنتجوها في جميع تأويلاتهم التي خالفوا بها الشريعة فاسدة كذلك... لقد رفعوا التكاليف، وتركوا الفرائض والسنن، وارتكبوا المحرمات، وهذا وحده كفيل بالحكم عليهم، وعلى تأويلاتهم السخيفة، بأنها خارجة عن المنهج الإسلامي، ومخالفة لإجماع المسلمين.

ثالثا - تأويلاتهم المغالية في أئمتهم وآل البيت:

الإمامة قطب الدين وأساسه لدى الفرق السبئية ، ودعامة من دعائمه⁽¹⁾، وهي - في نظرهم - (فرض من الله سبحانه، أكمل به الدين، فلا يتم الدين إلا به، ولا يصح الإيمان به وبالرسول إلا بالإيمان بالإمام والحجة)⁽²⁾.

ولا تخلو الأرض - في زعمهم - من إمام أبداً، ظاهر أو مستور، كما ذكر الداعي الإسماعيلي علي بن محمد بن الوليد (إن الأرض لا تخلو من حجة لله فيها، نبي، أو وصي، أو إمام، يقوم المسائل ويقيم الحدود)⁽³⁾.

¹ - تاج العقائد ومعدن الفوائد للداعي الإسماعيلي علي بن محمد بن الوليد ص 65-66.

² - تاج العقائد ص 160.

³ - كتاب الأزهار ص 189.

وقال الداع حسن بن نوح: (إن الأرض لا تخلو من طرفة عين من قائم لله بحق، لهداية عباد الله وخلقه، إما ظاهراً مشهوراً أو باطناً مستوراً)⁽¹⁾. وقالوا: (إن نور الإمامة غير منقطع وإن توارى بالحجاب)⁽²⁾.

وقال السجستاني: (وجب أن يكون الإمام في كل زمان ظاهراً أو مستوراً)⁽³⁾. ويعتقدون بعصمة الإمام.. قال الكرمانى.. (وجب أن يكون معصوماً فتكون عصمته سبب ائتلاف الجماعة)⁽⁴⁾. ويكون عالماً بما كان ويكون... كما قال القاضي النعمان.. (وجاء عن أولياء الله من الأخبار عما كان ويكون من أمر العباد)⁽⁵⁾. وقال الكرمانى بعد أن ذكر الحاكم بأمر الله: (له معجزة بل معجزات، وأخبار بالكائنات قبل وقوعها)⁽⁶⁾. وقال الداعي الإسماعيلي طاهر بن إبراهيم الحارثي: (فكان محمد - ﷺ - أخذاً من أبي بن كعب في حال تعليمه ابتداءً، وهو المكنى عنه بجبرائيل، وأن الذي أقام الرسول وجعله رسولاً هو أبو طالب، فأبو طالب هو إمام الزمان والرب...)⁽⁷⁾. وقال الحارثي: (وقول نطاق دورنا - أي محمد - ﷺ - أخذت من خمسة، وسلمت إلى خمسة، وبينى وبين ربي خمسة، فالخمسمة الذين أخذ منهم الخمسة المتقدمون عليه، الذين تعلم كتبهم المنزلة عليهم، وشرائعهم التي شرعوها، وأوضاعهم التي وضعوها،

1 - رسالة الإيضاح والتبيين، لعلي بن محمد الوليد ص 149.

2 - كتاب الافتخار ص 70.

3 - المصابيح في إثبات الإمامة ص 96-97.

4 - تأويل الدعائم 1 : 145.

5 - المصابيح في إثبات الإمامة ص 140.

6 - الأنوار اللطيفة ص 126-127.

7 - الأنوار اللطيفة ص 160-161، وانظر كنز الوليد للحامدي، ص 206-207.

وتحقق تأويلاتهم ومعانيها وحقائقها، والخمسة الذين بينه وبين ربه، هم الحدود الدينية التي أخذ منهم، وتعلم في بدء أمره منهم، ورقوه في مراتب الدين شيئاً بعد شيء، إلى أن بلغ ذروتها، وهم: أبي، وزيد بن عمرو، وعمرو بن نفيل، وميسرة، وجديجة بنت خويلد، وهم حدود صاحب الوقت المقيم له، المعلى رتبته، المسلم له، وهو عمه أبو طالب⁽¹⁾. وقال الحارثي اليماني: (وقال محمد - عليه السلام - عن أمر إمام زمانه، الذي هو أبو طالب وكان له ضدان، أبو لهب وأبو جهل، إلى أن أوفى ما عليه من الخدمة، وأكمل قوانين شريعته، التي هي رموز وشارات إلى حدود الله تعالى الروحانية والجسمانية، الدالة على توحيد الله تعالى وتنزيهه، ثم أقام وصية علي بن أبي طالب، وانتقل إلى دار كرامة الله تعالى)⁽²⁾.

وقال المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي: (الأئمة يعلمون من أمر المبدأ والمعاد، ما حجب الله عن كافة العباد)⁽³⁾. ويجب أن يكون منصوباً عليه... ومعيناً من قبل عز وجل... ؟!

قال القاضي النعمان: (بل الإمامة نص وتعيين، فلو كان الناس أن يقيموا لهم إماماً فتجب طاعتهم بإقامتهم إياه، لوجب كذلك أن يقيموا إلهاً دينياً)⁽⁴⁾. ويعتقدون أن الإمام هو الإله المتجسد في صورته، قال الإسماعيلي مصطفى غالب: (الإسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر، ولكن في التأويلات

¹ - الأنوار اللطيفة، ص 108-109.

² - المجالس المؤيدة - لهبة الله الشيرازي ص 441.

³ - المجالس والمسائرات ج 7 : 183.

⁴ - كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة ص 104.

الباطنية يسبغون عليه وجه الله، ويد الله، وجنب الله، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم، والذكر الحكيم، إلى غير ذلك من الصفات⁽¹⁾.

وقال الداعي الإسماعيلي المؤيد الشيرازي في المستنصر بن الظاهر بن الحاكم:
فوجهك وجه الإله المنير ونورك من نوره كالحجاب.

يداك يد الله مبسوطتان وأنت له الجنب غير ارتياب
إليك المآب عليك الحساب فطوبى لمن نال حسن المآب⁽²⁾.
وقال في المستنصر وآبائه أيضاً:

من نور ربي خُلقوا طابوا وطاب الخلق⁽³⁾.

أما السجود بين أيديهم الله فقد ذكر القاضي النعمان أنه من لوازم الأدب للأمة..

وقال: (والرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك، ويرونه سجوداً من دون الله لهم، تعالى عن قولهم ونزه أولياءه عن افتراءهم عليهم)⁽⁴⁾.

ولذلك فالداعي المطلق لطائفة البهرة يصر على أن يسجد له أتباعه، وقد أرفقنا بالبحث صورة تدل على ذلك.

ويقول الداعي الإسماعيلي المؤيد الشيرازي بعد أن ذكر دخوله علي المستنصر الإمام الإسماعيلي: (واجتهدت عند وقوعي على الأرض ساجداً لولي السجود ومستحقه...) ⁽¹⁾.

¹ - تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص 40.

² - ديوان المؤيد للشيرازي ص 131 تقديم محمد كامل حسين.

³ - ديوان المؤيد للشيرازي ص 264

⁴ - تأويل الدعائم : 1 : 150 .

وقال المفسر الإسماعيلي - ضياء الدين - في تفسير آية (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (القصص: 85) . : يعني المولى عمران - وهو اسم لأبي طالب - بدعائك إلى العين (أي علي) (لرادك إلى معاد): يعني لمريقك بالإنضمام إلى العين⁽²⁾. وقال في تفسير قوله تعالى: (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (النمل، 91)، أي أمرت من عمران أن أتوجه بالدعاء إلى العين، أي: علي⁽³⁾.

وقال في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (الحج: 18) يعني إمام كل زمان، بمعانده حججه (فما له من مكرم) يعني في معاده⁽⁴⁾، ففسر الإمام بأنه الله... تماماً كما فعلت الخطابية حين أولوا قوله تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (الحجر: 29) ، فعبدوا الأئمة وسجدوا لها لأنهم في زعمهم من روح الله⁽⁵⁾.

¹ - سيرة المؤيد في الدين - بتحقيق د. محمد كامل حسين ص 85.

² - مزاج التسنيم ص 359

³ - مزاج التسنيم ص 332.

⁴ - مزاج التسنيم ص 336.

⁵ - انظر الحور العين : 166.

وقال في قوله تعالى: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (يونس : 93) وهم أهل دعوة موسى في وقته، وهذا اسم جامع لأبناء دعوة كل إمام.. ؟ يعني: أعطيناهم ورقيناهم في المراتب (مبوءاً الصدق) يعني في دعوى الوصي هارون الذي هو معنى الصدق..؟! (ورزقناهم من الطيبات): يعني من العلوم الباطنية الطيبة الطعم والرائحة (فما اختلفوا): يعني في أمر دينهم. (حتى جاءهم العلم): يعني بمقام الوصي.. ثم قال تعالى: (إِنْ رَبَّكَ) يعني السابع - (يقصد القائم الناطق السابع محمد بن اسماعيل) (يقضي بينهم يوم القيامة) (يعني عند ظهور أمره)⁽¹⁾..بينما أول أحمد الإحساني - زعيم طائفة الشيخية- (بني إسرائيل في قوله تعالى :

(وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) (الدخان : 30) وفي كل موضع وردت به في القرآن بقوله: (وإسرائيل) هو محمد بن عبد الله ﷺ - (2).

وقال مفسرهم ضياء الدين اسماعيل في قوله تعالى: (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: 105) .

(فسيرى الله): يعني العين (أي علي). (عملكم): يعني من معارضة حجابيه.
(ورسوله): يعني الميم (محمد). (والمؤمنون): وهم سلمان والحدود المطلق لهم في الدعوة⁽³⁾.

¹ - مزاج التسنيم ص 30

² - شرح الزيادة الجامعة ص 80.

³ - مزاج التسنيم، ص 8.

وقال في قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (الحجر، 87) ويعني السبعة الأتماء الذين خص مجمعه بهم يتتثون في دوره حتى يتم، وذلك بانصاب ذخائر من كل واحد منهم بمن يقابله من أئمة تلك الأسابيع. (والقرآن العظيم): يعني الفاطر (أي فاطمة)⁽¹⁾.

وقال في قوله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ) (القصص: 60). (وما أوتيتم من شيء) يعني من المراتب. (فمتاع الحياة الدنيا): يعني ظاهر الرئاسة وزينتها. (وما عند الله): يعني الوصي (علي) من العلوم والمراتب. (خير وأبقى): يعني من ظاهر رئاستكم. (أفلا تعقلون): يعني هذه المعارف⁽²⁾.

وقال في قوله تعالى: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص: 88). (ولا تدع مع الله) قال مولاي الحسان في ذلك قدس الله ورحه - يعني: لا تدع إلى ولاية أحد مع علي على الوالهة في عظيم مقامه العقول). (إلهاً آخر) يعني: إماماً غيره. (لا إله إلا هو): يعني لا إمام سواه.... (كل شيء هالك إلا وجهه): يعني إلا من توجه بالدعوة إليه، ثم قال تعالى: (له الحكم): يعني في الدعوة. (وإليه ترجعون) يعني ظاهراً وباطناً⁽³⁾. وقال جعفر بن منصور اليمى: في قوله تعالى (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ) (سورة عم : 2-1).

¹ - مزاج التسنيم ص 113.

² - مزاج التسنيم ص 353.

³ - مزاج التسنيم، ص 359.

(النبأ العظيم): صاحب الزمان - الناطق السابع محمد بن اسماعيل - مستجاب أهل السموات والأرض إذ نزل بهم نازلة، وهو قائم الحق الذي عنه الخلق المنكوس معرضون⁽¹⁾. بينما فسر النصيريون (النبأ العظيم) بأنه علي⁽²⁾، وفسرها ابن سبأ كذلك بأنه علي.

وقال جعفر بن منصور اليماني في قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (النور : 35) ..

(ونوره في الأرض الأئمة، (مثل نوره كمشكاة) فاطمة الزهراء (فيها مصباح) يعني الحسين (المصباح في زجاجة) يعني الحسين كان في بطنها (يكاد زيتها يضيء)، يعني يكاد الحسين في بطنها ينطق بالإمامة قبل أن تلده (ولو لم تمسه نار) يعني ولو لم يقمه إمام⁽³⁾).

بينما أولها - حميد الدين الكرمانلي - بطريقة مغايرة فقال: (الله نور السموات والأرض.. الآيات) الإشارة إلى من تجاسر نحوه الخواطر، جعل العقل الأول نور السموات والأرض، فيما فاض منه من نور أنار العوالم كلها، ثم قال (مثل نوره) فعنى بالمثل :

¹ - كتاب الكشف، ص 31.

² - الهداية الكبرى للخصيبي، ص 230.

³ - كتاب الكشف ص 35-36.

ما قام مقامه في عالم الطبيعة وهو النبي - ﷺ - ، وكان ما اتصل به من الوحي ، وأيد به من التأييد .

(كمشكاة) وهي الكوة، فأعلمنا سبحانه، أن ما استقاد الناطق من المعارف الإلهية المضمنة في الكتاب والشرعية، وهي: أعني المناسك الوصفية للمعارف الإلهية، كالخزانة التي عنها تؤخذ و(فيها) توجد أنوار الملكوت التي كنى عنها بـ(المصباح) ثم قال: (المصباح في زجاجة) فالمصباح كناية عن العلوم الإلهية، و(الزجاجة) كناية عن الأئمة، وتلك المعاني والمعارف هي الأنوار القدسية محيط بها الأئمة القائمون بها، يجمعونها ويحفظونها، فتضيء ذواتهم بها، وذوات غيرهم من أتباعهم، وقوله تعالى: (الزجاجة كأنها كوكب دري) كناية عن الوصي، فعنى أن الأئمة عليه وعليهم السلام في استنباط المعارف الدينية والحكم النبوية كالوصي فيما انفتح له ظاهراً وباطناً من الحكم ، واحتوى عليه من العلوم. (يوقد من شجرة مباركة) فالشجرة المباركة كناية عن النبي.

وقوله (زيتونة) يعني أن الأئمة بمثابة الزيتون الذي هو ثمرة تلك الشجرة، وقوله (لا شرقية ولا غربية) يعني ليسوا في رتبة النبوة التي لها الدعوة الظاهرة، ولا في رتبة الوصاية التي لها الدعوة الباطنة، بل (شرقية غربية) جميعاً بمقامها مقامهما، وحفظهم مكانهما، ولهم في جمعهم وقيامهم بذلك مرتبتان ...؟! .

(يكاد زيتها يضي ولو لم تمسه نار) يعني الكلام والفوائد التي تؤخذ من الأئمة تشبه معرفة وفوائد كلام أولي الوحي ...؟! وقوله تعالى (نور على نور) يعني: يفتح منه أنوار وعلوم زيادة على زيادة بظهور إمامهم منهم عن إمام. وقوله (يهدى الله لنوره من

(يشاء) يعني وكل منهم في زمانه قائم (مقام الله تعالى)⁽¹⁾ وقوله (ويضرب الله الأمثال للناس) يعني: وهذا القائم مقام الله تعالى ومقام رسوله يقيم له خلفاء في الجزائر، يدعون الناس إلى الله وإلى عبادته، ومعرفة ما جاء به النبي، (والله بكل شيء عليم) يعني: وهذا القائم مقام (الله ومقام رسوله، بكل شيء من أمور الدنيا والأمور المقبلة؟! وأحكامها وما فيها من النجاة عليم خبير لا يشتبه عليه شيء منه)⁽²⁾.

بل يهب التأويل الباطني ببعضهم شأوا بعيدا ، حيث زعموا أن الرسول المذكور في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة : 33، الفتح: 28، الصف: 9)

بأن المقصود منه القائم السابع ، حيث أن الرسول محمد - ﷺ - انتقل إلى جوار ربه ، واليهود والنصارى لا زالوا على دينهم ، فلم يتم ظهور هذا الدين ، إلا في عهد القائم ، فالضمير في (رسوله و يظهره) المقصود منه : القائم المنتظر .⁽³⁾ وهذا التضارب في تأويل الآية الواحدة يدل على أنه من عند غير الله.. وإلا لما كان فيه هذا الاختلاف والتضارب، بل كل منهم يؤول بما تسول له نفسه ويملي عليه شيطانه.

وقال في قوله تعالى: (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الدخان : 41-42) يعني علي (إنه هو العزيز

¹ - وهذه الكلمات الثلاث التي بين القوسين كتبها بالرموز الإسماعيلية وهي تفيد ما ذكرناه.

² - انظر أربعة كتب إسماعيلية تصحيح شتروطمان، ص 37-38.

³ - انظر : الشواهد والبيان ، لجعفر بن منصور اليماني ، ورقة : 32-33. نقلا عن أصول الإسماعيلية : د.

سليمان عبد الله السلومي ، ص 590.

الحكيم) يعني الوصي (علي) عزيز عن المثل، حكيم في فعله⁽¹⁾.. وقال في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) الدخان : 41-42) ، (يعني علي)⁽²⁾ ، بينما يزعم أسلافهم - من سبئية الخوارج - أنها نزلت في (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل علي - كرم الله وجهه⁽³⁾.

وقال في قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) (مريم : 50) ، (يعني القائم.. ويقصد به - محمد بن اسماعيل القائم السابع-) ⁽⁴⁾ بينما أولها ابن سبأ بعلي أمير المؤمنين⁽⁵⁾.

ثم قال صاحب الكشف: (إن الله خلق حجباً من نور جهه، وسمى كل واحد منهم اسماً من أسمائه، فهو الحمد: سمي بن نبيه عليه السلام. وهو العلي: وسمى به علياً، وله الأسماء الحسنى، واشتق منها اسم الحسن والحسين، وهو فاطر السموات والأرض: اشتق منها اسم فاطمة)⁽⁶⁾. وقال في قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن : 18). (المساجد هم الأئمة والنطقاء الذين لا يجوز لأحد أن يدعي مقامهم)⁽⁷⁾، وقال في قوله تعالى: (وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ

¹ - كتاب الكشف، ص 40.

² - كتاب الكشف، ص 47.

³ - انظر (الكشف والبيان - فصل في خلافة عثمان وعلي - للقلهاتي الخارجي).

⁴ - كتاب الكشف، ص 50.

⁵ - انظر بحار الأنوار مجلد 36-59.

⁶ - كتاب الكشف ص 50.

⁷ - كتاب الكشف، ص 63.

إِذَا يَسِر .) (الفجر : 1-4) . (الفجر): يعني محمد - صلى الله عليه وسلم - . (وليل
عشر): علي (والشفع والوتر): الحسن والحسين . (والليل إذا يسر): فاطمة الزهراء⁽¹⁾ .
وقال في قوله تعالى: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ
صِرَاطًا سَوِيًّا) (مريم : 43) (الصراط السوي: علي)⁽²⁾ .
وقال في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف : 180) (يعني الأئمة الذين
اختارهم)⁽³⁾ .

بينما قالت الشيخية: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) أي: ملكه وخلقه (فادعوه بها)
فنقول: يا كريم، يا رحيم، يا غفور، إلى سائر أسمائه وهي هم.. يعني أهل البيت)⁽⁴⁾ .
وقال جعفر بن منصور اليماني في قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ
شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ
الْأَحْزَابِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ فَمَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يُؤْمِنُونَ) (هود: 17) ، قال: (يعني: علي بن أبي طالب)⁽⁵⁾، وبمثل ذلك أولته
النصيرية⁽⁶⁾ .

1 - كتاب الكشف، ص 66.

2 - كتاب الكشف، 94.

3 - كتاب الكشف، 105.

4 - شرح الزيارة الجامعة ص 289.

5 - كتاب الكشف، ص 149.

6 - انظر الهداية الكبرى ص 230.

وأولوا قوله تعالى: (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) (الشورى: 53).

ويقولون (إن علياً بيانه) بدلاً من (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (القيامة : 19) (1)، ويقولون :

(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (يس : 81) ، إن عثمان حرفها وأصلها (بقادر علي) فحذف

النقطتين، وجعل على اللام فتحة (وهذا القول منهم يدل على جهلهم التام بتاريخ المصحف، وتتفق معظم المصادر على أن تنقيط المصاحف كان في زمن عبد الملك بن مروان، وقد أطلق على هذه العملية اسم الإعجام، واللذان كلفا بعملية الإصلاح الثانية للغة، وهي الإعجام (التنقيط) هما: يحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم الليثي، أما عملية الإصلاح الثانية: وهي التشكيل بحركات من جنس الحروف والتي نعتمدها في كتاباتنا إلى يومنا هذا، هي من عمل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 70هـ) (2).

وذهبت الإسماعيلية ومنهم البهرة ، إلى أن لكل شيء ظاهر محسوس تأويلاً باطنياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم ، وهم : الأئمة ، وهؤلاء الأئمة يودعون هذا العلم الباطن لكبار الدعاة بقدر مخصوص ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ؛ فقالوا : إن التأويل الباطن من عند الله ، خص به علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فكما أن الرسول -

¹ - وهذا شبيه بما تزعمه فرق سبئية بائدة مثل فرقة السليمانية ... قالوا بنبوة سلمان الفارسي، وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا) الزخرف /45 . قالوا: إنما هو (سلمان) وإنما كانت الكتابة في المصحف، الميم ملصقة بالنون بلا ألف، وهو (سلمن) كما كتبت (لقمن وعثمان) بلا ألف يقصد : أن (واسأل من ..) أصلها (وسلمن ..) انظر كتاب الزينة ص 306.

² - انظر سلامة اللغة العربية والمراحل التي تمت بها- عبد العزيز عبد الله، ص 39-79. وانظر النقط والشكل في المصحف للدكتور عبد الحي الفرماوي ص 7.

ﷺ - خُصَّ بالتنزيل ، فكذلك علي - كرم الله وجهه - فقد خُصَّ بالتأويل ، واستدلوا على ذلك بقصة نبي الله موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح المذكورة في سورة الكهف ، وكيف أن موسى - عليه السلام - وهو نبي مرسل من أولي العزم ، لم يمنحه الله علم الباطن ، بينما مُنِحَ هذا العلم إلى الرجل الصالح ، وهو ليس بنبي مرسل ، وليس من أولي العزم . وهكذا كان التأويل الباطن إلى علي - كرم الله وجهه - ، وقد أورثه الأئمة من أعقابه بأمر من الله ، وعلى ذلك فالأئمة هم الذين يدلون الناس على أسرار الدين ، وليس لأحد غيرهم هذا الحق الذي جاءهم بأمر من الله تعالى ، ولكن ليس لهم أن يطلعوا أحداً على أسرار هذا الدين إلا لمن يستحق ذلك فقط .

ومن كل ما سلف يتبين لنا أن الإله لدى الاسماعيليين عموماً إمام، والإمام إله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- وهذه مغالاة تخرجهم من صفوف المؤمنين، وهذه التأويلات لا سند لها من منطق اللغة، ولا من السياق، ولا قواعد التفسير، أو ضوابط التأويل الصحيح، وكل ما في الأمر: أنهم اعتقدوا عقائد فاسدة، وأرادوا حمل آيات القرآن الكريم عليها.

ومما يؤيد ذلك ما كتبه الدكتور عثمان يحيى في كتاب - الضريح النوراني⁽¹⁾ - وهو أحد نشراتهم ... (إن القرآن تراث إلهي لا تراث بشري، فلا بد لهذا التراث من معلم إلهي لا معلم بشري، يحفظه من زيع الزائغين، وضلال الضالين المضلين، ويكشف أسرارهِ وكنوزه، وهذا المعلم الإلهي هو ولي الله، رسولاً كان أو وصياً أو إماماً أو داعياً مطلقاً..!!

¹ - وهو قبر طاهر سيف الدين الداعي الحادي والخمسون، ولدينا نسخة منه.

فولي الله في شخص الرسول، أو في شخص الوصي، أو في شخص الإمام، أو في شخص الداعي المطلق، هو الضمان الوحيد والأكيد لحفظ كتاب الله تنزيلاً وتأويلاً، على تعاقب الأعصار والأدهار⁽¹⁾.

والبهرة كبقية الإسماعيليين ، بل كبقية الغلاة الذين حفلت بهم كتب المقالات والفرق ، أولو كل شيء ، ونظرة إلى تفسير (مزاج التسنيم) لمفسر البهرة السليمانية : ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله ، تجد أنه أول العقائد ، والأسماء والصفات ، والعبادات ، وقصص القرآن ، فأخذ يقول ما لا يفهم ، أو لا يفهم ما يقول ..

رابعا : - تأويلات الإسماعيليين وغيرهم للآيات التي زعموا أنها تدل على التناسخ...
وتفنيدها:

تؤمن الفرق السبئية كالخطابية، والحربية، والجناحية، والإسماعيلية وفرقها والنصيرية، والشيخية (الحساوية) ، بتناسخ الأرواح، ... وإن كان الدروز يسمونه بالتقمص.

ويعتقدون: (أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص، وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص، إما أشخاص بني آدم، وإما أشخاص الحيوانات)⁽²⁾. ومقتضى هذه العقيدة يتلخص في : (أن لا دار إلا الدنيا، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن إلى آخر، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وأنهم مسرورون في هذه الأبدان، أو معذبون فيها،

¹ - انظر المقال في كتاب (الضريح النوراني) وهو غير مرقم الصفحات.

² - الفرق بين الفرق، ص 145، وانظر الحور العين ص 160-167، وأصول النحل ص 39 والمقالات والفرق ص 36-37، والفصل 4 : 180، وكتاب الإيضاح - للداعي الإسماعيلي شهاب الدين أبي فراس ص 8، والهفت الشريف للفضل الجعفي ص 146-162.

والأبدان هي الجنات، وهي النار كذلك، وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الإنسانية المنعمة في حياتها، ومُعذبون في الأجسام الرديئة المشوهة، من كلاب، وقردة، وخنازير، وحيات، وعقارب، وجعلان، محولون من بدن إلى بدن، مُعذبون فيها هكذا أبد الآبدين، فهي جنتهم ونارهم، فلا قيامة، ولا بعث ولا جنة، ولا نار⁽¹⁾.

فالتناسخ إذن يكون للأرواح، تنقل من جسد إلى آخر (وما يلقي الإنسان من الراحة ولتعب، والدعة، والنصب، فمرتب على ما أسلفه من قبل، وهو في بدن آخر جزاءً على ذلك)⁽²⁾.

أدلة القائلين بالتناسخ وإبطالها:

حاول القائلون بالتناسخ جذب آيات من القرآن الكريم وتأويلها تأويلاً بعيداً عن اللغة والسياق وكل القرائن المحيطة بالنص، وحملها على معانٍ قرروها مسبقاً في أذهانهم، للتدليل على صحة مزاعمهم ..

ومن هذه الآيات:

أ- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ .الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) (الانفطار: 6-8)، استدل التناسخيون عموماً بهذه الآية على أن الله يركب الإنسان فيما يشاء من صور الحيوانات، أو الإنسان، على قدر ما اكتسب من الطاعات أو المعاصي...⁽³⁾.

¹ - فرق الشيعة ص 32.

² - الملل والنحل 1/243.

³ - انظر المقالات والفرق ص 41.

بينما - الشيخية - تؤول الآية بما يسند مزاعمها من أن الجسم الإنساني يستطيع التنقل من حال إلى حال لرقته ومرونته، على العكس من باقي المخلوقات، فهي لا تتمكن من ذلك. فبوسع الإنسان - في زعمهم - أن يظهر في اليوم الواحد بمئة صورة أو أكثر. ولا نفهم من هذا القول إلا أنها جعلت من الله سبحانه وتعالى، مصوراً، ومن اللوح المحفوظ معرضاً للصور؟!.

ونقول: إن هذه الآية التي زعموها تعني تجسّدات نفس واحدة على التوالي من صورة إلى أخرى، إنما تعني أن الله سبحانه يصور كل فرد وفق ما تقتضيه حكمته، هذا في صورة، وذاك في أخرى، وثالث في ثالثة، لكل صورته التي خصه والتي اختارها الله له، من طول، أو قصر، أو حُسن أو قُبْح، أو بياض، أو سواد، وما أشبه ذلك.

فالله سبحانه يمن على الإنسان أولاً بنعمة الإيمان، إذ خلق نوعه من التراب، ثم اعتنى به فسواه وعدله، وفي التسوية معنى التنظيم الذي يجعل الشيء سوياً، أي صالحاً لمهمته المرسومة دون زيادة أو نقصان، والآية تفيد تزويد هذا المخلوق المكرم بالاستعداد الذي يؤهله للحياة، فذكره سبحانه كيف أفرغ عليه هذا الشكل، وكيف اختار له هذا اللون، وجعله بهذه المظاهر صورة مميزة بين أبناء جنسه، حيث لا نجد صورة تستوفي صفات الصورة الأخرى، ولا بناناً يستوفي خطوط البنان الآخر، وهذا من دلائل القدرة والعناية، التي من حقها أن تثير في نفس هذا المخلوق شعور الندم والحجل من معصية هذا الخالق.. ومن هنا ندرك بلاغة الاستفهام الذي صور به هذا العرض

الرائع (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) (الانفطار : 6) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي جعلك سوياً معتل القامة منتصباً في أحسن الهيئات والأشكال)⁽¹⁾. فالآية ليس فيها ما يدل على أن النفس بعد مفارقة البدن، تتعلق ببدن غير الذي كانت متعلقة به، كما أن تأويل الشيخية للآية على خلاف تأويل التناسخيين لها يدل على أن تأويل السبئيين لا ضابط له.

ب- وأولوا قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) طه: 128، ليستدلوا على صحة مزاعمهم في أن العاصين - في نظرهم - يصيرهم الله خلقاً لا يعبأ بهم، كالخنافس، والجعلان، والعقارب، وما شابه ذلك....⁽²⁾

ويزعمون أن النمل، والخنافس، والجعلان التي تمشي في مساكنهم، هي من الذين أهلكهم الله عز وجل في الأزمان السابقة ومسخهم الله من الأبدان المنتنة.

ونقول:

إن هذه الآية لا تشهد لصحة مزاعمهم، فالآية أنموذج من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري بالعقيدة الضخمة التي جاء القرآن ليوقظها في الفطر ويركزها في القلوب، عقيدة العبودية لله الأحد الفرد الصمد، خالق الكون والناس، واتخذ من مصارع القرون، وآثار الماضيين معارض للعبرة، لإيقاظ القلوب، وإثارة الخوف من بطش الناس، وأخذه للجبارين، كما يتخذ منها معارض لثبات السنن والنواميس الإلهية، وقد كان العرب

¹ - تفسير ابن كثير 8 : 364-365 ط الشعب، وانظر الفصل 2 : 91، وانظر تفسير محاسن التأويل للقاسمي ج 17 : 6086.

² - إرشاد العوام 2 : 62.

المخاطبون بهذه الآية، يمشون في مساكن عاد وثمود ويرون الآثار الباقية من قرى قوم لوط، والقرآن يستنكر أن تكون مصارع هذه القرون معروضة لهم، وأن تكون مساكن القوم أمامهم، يمرون عليها ويمشون فيها، ثم لا يستجيش هذا قلوبهم، ولا يعز مشاعرهم، ولا يثير حساسيتهم بخشية الله، وتوقّي مثل هذا المصير⁽¹⁾. ونقول لمن استدل بهذه الآية عن صحة التناصح ما قاله الألوسي: (بأنه دليل كاسد على مذهب فاسد)⁽²⁾.

خامسا - تأويلاتهم الحاقدة على صحابة رسول الله - ﷺ - :

اتفق أهل السنة على أن صحابة رسول الله - ﷺ - عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، وعدالتهم ثابتة بتعديل الله تعالى لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم، وقد وردت أدلة كثيرة متعددة في ذلك في القرآن الكريم والسنة⁽³⁾. لقد ربي الإسلام هؤلاء الصحابة تربية صالحة، لم تدع فيهم من دنس الجاهلية شيئا، فكانوا موازين عدل، وينابيع حكمة، وأئمة هداية وإصلاح، وفيهم يقول بحق - ربي بن عامر - رسول جيش المسلمين إلى (يزدجرد) قائد الفرس: (أن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)⁽⁴⁾. ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة والسبئيين، فقد أول المفسر ضياء الدين اسماعيل، كل آيات الكفر والضلال، والآيات التي ورد

¹ - انظر في ظلال القرآن ج 21/2815

² - تفسير الألوسي 7/146.

³ - انظر الاصابة - لابن حجر - 10-9/1.

⁴ - قادة فتح العراق - محمود شيت خطاب ص 250.

فيها ذكر الشيطان، والجبث، والطاغوت، والرفث، والفسوق والزنى، على أختيار هذه الأمة وأسلافها، وبمثل ذلك فعل كل دعاة الضلال من أفراخ السبئية.

1- أول قوله تعالى في سورة يونس: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ

بآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ . وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي

الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .) (يونس: 17-18)، (فمن اظلم ممن افترى

على الله) ، يعني على الناطق (محمد) أنه أقام (حبتراً) (يقصد أبا بكر) (أو كذب

بآياته) يعني بحجبه، (إنه لا يفلح المجرمون) يعني بعصيان أرباب الهدى من آله، ثم

قال تعالى: (ويعبدون من دون الله) يعني الميم (محمد) لما خلف العين (علي) بعد

غييبته (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) وهو الأول (أي أبو بكر) (ويقولون هؤلاء) يعني الثلاثة

الأجبات (أبو بكر وعمر وعثمان) مجاثم الضلال (شفعاؤنا عند الله) يعني الوسائط

بينهم وبين الميم (محمد) (قل أتنبئون الله) يعني الميم (بما لا يعلم في السموات ولا في

الأرض) يعني من مراتب (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعني مقامة (1) .

2- وأول قوله تعالى في سورة النحل (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

مُبِينٌ) (النحل: 4) فقال: (خلق) يعني العين (الإنسان) يعني حبتراً (أبو بكر) (من

نطفة) هينة الأمزجة (فإذا هو خصيم مبين) يعني لحجاب الوصي (علي)، وذلك عند

تراكم الخبائث لديه لكونه مركزها في كل دور (2).

1 - مزاج التسنيم ص 18.

2 - مزاج التسنيم : ص 115.

3- وقال في سورة الإسراء: (وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (الاسراء : 26-27) قال مخاطباً للحجاب النبوي (ولا تبذر تبذيراً) يعني بتسليم شيء من المراتب إلى غير أهلها.

(إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) يعني مؤاخذين لمجامع الصور المتمردة، وذلك في حال الدعوة هنالك في السابق ثم جروا على ذلك في اللاحق (وكان الشيطان) يعني الثاني (أي الخليفة الثاني عمر) مغناطيس مجامع تلك الصور الشيطانية جميعاً (لربه كفوراً) يعني بمقام الوصي (1) .

4- وقال في تأويل قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الاسراء: 36) ، (إن السمع) يعني: حبتر (أي أبو بكر)، أول من سمع دعوة إبليس الروحاني - أي عبد العزى - والبصر (وهو دلام) (يعني - عمر - وأحياناً يقولون الأدلم) (والفؤاد) وهو نعثل (أي عثمان بن عفان)، أول من استفاد من تلك القواعد، وهم أصل كل فساد في كل دور، وكانوا أضر من عبد العزى (أبو لهب)، وهم أصل كل فساد في كل دور (2).

وقال في تأويل الشجرة ملعونة في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) (الاسراء: 60) .

¹ - مزاج التسنيم - تفسير سورة الإسراء - آية : 26، 27، ص 133.

² - مزاج التسنيم : 139.

يعني: دُلام (أي عمر) وأعضاءه من بني أمية، وبني العاص - وكتبها بالرموز الإسماعيلية - ومن قفا أثرهم في الضلال، وهم أغصانه، لكونه نما فيهم شيطنته وما اتصل به ومن صاحبيه (أبو بكر وعثمان) بهم من خبائث تزيد أبلسية وفرعنة وشيطنة⁽¹⁾.

5- وقال في تأويل قوله تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (الإسراء: 81) (قل جاء الحق): يعني إعلان ظهور مقام الكرار (أي علي) عند ظهور المذكورين. (وزهق الباطل) يعني حبر (أي أبو بكر) (إن الباطل كان زهوقاً) يعني عمر اللعين⁽²⁾.

6- وبلغ حقد هذا المفسر الإسماعيلي الخبيث ذروته في تأويله لقوله تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .)⁽³⁾ النور. 2-3.

(الزانية والزاني) يعني الأول (أبو بكر) والثاني (عمر) (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) يعني لا بد لهم من الضرب المحسوس في تدرجهم في القمص البشرية في أنواع الترك والزنج والسودان إهانة لهم فيها، وأيضاً عند نبشهم لقبورهم وتعليقهم في جذور النخل⁽³⁾. (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) يعني بذلك حجتي الإمام اللذان يظهران

¹ - مزاج التسنيم : 139.

² - مزاج التسنيم ص 153.

³ - وقد كتبها بالرموز السرية الإسماعيلية.

ذانك الجبتان (أي أبو بكر وعمر) في تلك القمص في عصره، وأولئك الحجج هم المتولون للتدبير، فيقضوا عليهم بذلك. (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني بذلك الإمام وحجبه الذين أطلقهم في تهذيبها، وهذا من تغليظ الأمر لهم بتنفيذ ذلك، وإلا فهم نفروا عن خلاف ما أمروا به. (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يعني يحركوهم أي يحيوهم، (ويستدلوا بهذه الآية على الرجعة كذلك) ليشهدوا بذلك. (الزاني) يعني الأول (أي الخليفة الأول) (لا ينكح إلا زانية) يعني ثانية (أي الخليفة الثاني) (أو مشركة) يعني الثالث (أي الخليفة الثالث). وفي وجه: أنه عبد العزى المشرك الشرك الظاهر (والزانية لا ينكح إلا زانية أو مشرك) يعني كذلك لموجب القصاص، ولا بد لهم في القمص يجري بينهم ذلك، وكذلك بين أعوانهم وأعضادهم، ويتناكحون ويزنون ببعضهم البعض ويختلفون في القمص في الذكورية والأنثوية نعوذ بالله وبأوليائه من ذلك....؟! (وحرّم ذلك على المؤمنين) يعني على الذين آمنوا بالعين (علي) وحجبه من قباب الأنوار لا يسلكون في ذلك المسلك⁽¹⁾.

7- وقال في تأويل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور : 21) ، (ولا تتبعوا خطوات الشيطان): يعني وسوسة أبي جهل والصور الظلمانية التي اجتمعت لديه للغواية، وهو (شيطان عبد العزى) ، لعنهم الله (ومن يبتع

¹ - بلحنها وكفرها من مزاج التسنيم ص 277-278.

خطوات الشيطان): يعني دلام (أي عمر) مركزهم، (فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر): يعني بولاية حبتر (أبو بكر)، ونعتل (عثمان) وهما صنعته (1) .

8- وقال في قوله تعالى : (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (الفرقان : 28-29) ، (يا ويلتي ليتني لم اخذ فلاناً خليلاً): يعني عمر ، (خليلاً): يعني مخاللاً لي في أموري . (لقد أضلني عن الذكر): يعني عن طاعة الوصي، (علي) (بعد إذ جاءني): يعني العلم بمقامه (وكان الشيطان): يعني الثاني (عمر) (للإنسان) يعني الأول (أبو بكر) (خذولاً) يعني خاذلاً(2).

9- وقال في قوله تعالى : (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (النمل : 48) ، (وكان في المدينة تسعة رهط): يعني في الدعوى، وذلك في ابتداء أول كل دور ظهور فضلات أهل السقيفة وهم الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان) ومعاذ، وأبو عبيدة، وسالم، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية، وعمر(3)، (يفسدون في الأرض ولا يصلحون)، يعني في الدعوة، فصح بذلك أنهم رأس الضلالة في كل دور من أدوار الستر(4).

¹ - مزاج التسنيم ص 281.

² - مزاج التسنيم : 301.

³ - ما بين القوسين كتبها بالرموز الإسماعيلية.

⁴ - مزاج التسنيم ص 334-335.

10 - وقال في قوله تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (القصص : 38).

(يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) يعني من إمام سواه. (فأوقد لي يا هامان على الطين) يعني أعل بمقامي لدى الأتباع، وهذا هامان كان منه فرع دلام (أي عمر) (فاجعل لي صرحاً) يعني صرح بمقامي لديهم وذلك كما صرح به عندهم سابقاً، وجمعهم عليه، وبناء لهم مجتماً يأوون إليه (لعلي أطلع إلى إله موسى) (يعني اطلع للتوثب على مقام حجاب المقام الاستقراري)⁽¹⁾.

11- وقال في قوله تعالى: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (القصص : 79) (قال الذين يريدون الحياة الدنيا: وهم المترشحون مثله لذلك المقام من أكابر أهل العناد الذين كانت أصولهم تفرعت عنها فروع (أهل الشورى)⁽²⁾ الذين هم (طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ثم معاوية وعمر)⁽³⁾، وغيرهم ممن يريدون الرئاسة⁽⁴⁾).

12 - وقال في قوله تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا

¹ - مزاج التسنيم ص 349-350.

² - ما بين القوسين كتبها بالرموز الإسماعيلية.

³ - ما بين القوسين كتبها بالرموز الإسماعيلية.

⁴ - مزاج التسنيم ص 357.

لَخَسَفَ بَنًا وَيَكَاثُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (القصص : 81-82) ، (فما كان

له من فئة)، يعني من اتباع. (ينصرونه من دون الله) يعني من المحتجب بذلك الوصي (علي) وذلك حين إذن بهلاكه، بل كانوا من جملة من أعان على هلاكه، ومنهم من خذله، (وما كان من المنتصرين) يعني بالدفاع عن نفسه. (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) يعني الذين تمنوا أنهم في مقامه وقت تغلبه، وكان ذلك التمني منهم والترشح، بحسب ما انعقدت عليه ضمائرهم، وجروا عليه في كراتهم. (يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وذلك لما رأوا ما صنع الله به من الهلاك، كمثّل ما حكّت فروعهم عند قتل عثمان وقيام الوصي (أي علي) من سب (عثمان)⁽¹⁾ واطّهار معايبه وإجماعهم على طاعة الوصي والمبايعة⁽²⁾.

13- وقال في قوله تعالى: (قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ

وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) (العنكبوت : 32) (قال): يعني ابراهيم وهو الحجاب. (إن فيها لوطاً) يعني وهو صاحب مقام عظيم يقدر على هلاكهم (قالوا نحن أعلم) يعني من لوط لكونه حجاب. (بمن فيها) يعني من المتعبدین. (لننجينه وأهله) يعني أهل إجابته الذين ظهرت عناصرهم في كل دور (إلا امرأته) يعني بعض المزاوجين له، ولموجبات عدليه كما زواج حميراء (أي عائشة) حجاب المختار.. ؟ (كانت من الغابرين) (يعني من جملة أهل الإصرار)⁽³⁾. وقال جعفر بن منصور في اليمن في كتابه (الكشف):

¹ - ما بين القوسين كتبها بالرموز الإسماعيلية.

² - مزاج التسنيم ص 358.

³ - مزاج التسنيم ص 315.

- 14- في قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (التوبة : 70) (الأول منهم أي أبو بكر والثاني منهم أي عمر ، والثالث منهم أي عثمان والرابع منهم أي طلحة وأصحاب مدين ، وأصحاب الرس ، (أصحاب الجمل والنهروان) ، وأصحاب فرعون موسى (أي معاوية) ، وأصحابه (أي بني أمية) .
- والكور الثالث: فرعون وهامان وقارون: الأول (أبو بكر) ، والثاني (عمر) ، والثالث (عثمان) وكذا في كل قرن ⁽¹⁾ .
- 15- وقال في قوله تعالى (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) (ابراهيم : 26) ، (ومثل كلمة خبيثة) وهو (لقب من ألقاب عمر بن الخطاب) في التنزيل، وفي الباطن (الشيطان) ، (كشجرة خبيثة) يعني: (بني أمية) ، (اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)، يعني من أعلى جهنم، والأرض مثل الوصي الذي به النجاة من جهنم، فهم عن الوصي مجتثون يعني مقطوعون. (ما لها من قرار) ما لها من نسب صحيح في الدين والدنيا ⁽²⁾ .
- 16- وقال في قوله تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا . لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب : 72 - 73) .

¹ - كتاب الكشف ص 36-47. وكتب ما بين القوسين بالرموز الإسماعيلية

² - كتاب الكشف ص 45.

(فالأمانة: مرتبة علي بن أبي طالب، والولاية عرضها الله على أهل السموات، وعلى أهل الأمانة وعلى ملائكة الجبل، فقبلوا ولايته وعرفوا فضله، ولم يتقلد أحد مقامه ولا ادعى مرتبته اشفاقاً من أن يجعلوا أنفسهم حيث لم يجعل الله ورسوله لهم (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً): يعني (أبو بكر لعنه الله) الذي ادعى مرتبة علي، ولم يعطه الله ذلك ولا رسوله)⁽¹⁾.

17- وقال في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة: 33)، (يفعل الله عز وجل على يد القائم صلوات الله عليه (يعني محمد بن اسماعيل المهدي المنتظر عندهم) فحينئذ يشرب الثور والسبع في حوض واحد، ويخلف الراعي الذئب على غنمه⁽²⁾)، ويدخل القائم (محمد بن إسماعيل) المدينة فيصعد المنبر بالهيبة والوقار، وهو شاب حديث سنه، كثير حلمه، مصفر لونه، عليه درع رسول الله، ومعمم بعمامة السحاب (عمامة علي) مقلد بسيفه ذي الفقار، وحوله شيعته من المؤمنين، قلوبهم أشد من زبر الحديد، يكبرون تكبيرة واحدة، يرددون قلب كل منافق والعزة يؤمئذ لله ولرسوله وللمؤمنين، فيخطب عليه السلام بخطبة من صلاة الغداة إلى الظهر، ثم يقوم فيصلّي الصلاتين بأذنين واقامتين ثم يصل إلى القبر (أي قبر الرسول - ﷺ - فيهدم الحائط حتى يترك القبر وحده؟! فيقوم (أبو بكر وعمر) فيأمر بصلبهما...)⁽³⁾.

¹ - كتاب الكشف ص 45.

² - وهذا شبيه ما ورد في سفر حزقيال فقرة 26-30.

³ - وهذا وما يعتقد السبئيون عموماً من نصيرية وشيخية وإسماعيلية.. انظر مبحث الرجعة في كتابنا عبد الله ابن سبأ.. وهو قيد الطبع .. فقد ذكرنا هناك اقوالاً شبيهة بهذا القول السخيف الحاقط.

- 18 - وقال في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ .
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي
الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) (الفجر : 6-12)، (فعاد في
هذا الموضع (أبو بكر اللعين) لأنه عاد إلى ما بدأ منه من الكذب والظلمة ثم أدى ما
ليس له بحق، وأراد بتمود (عمر لعنه الله) وقول الله (جابوا الصخر بالواد) يعنيك
قطعوا، وهذا الظالم الثاني (أي عمر) ومن اتبعه، قطعوا الحج عن إقامة أمر الله، لأن
الصخر في الأرض هي مثل الحجج، وقوله (بالواد). فهي مجرى الماء، والحجج:
مجاري امر الله، (وفرعون ذي الأوتاد) يعني: (عثمان لعنه الله) ، لأنه تفرعن على
أولياء الله، وأظهر أفعال الملوك، وأقام لنفسه الحجاب، وتشبه بإخوته هامان، وفرعون،
وقارون (الذين طغوا في البلاد) أراد بذلك (معاوية) و(عمر بن العاص) (1)
19 - وقال في قوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا
لُدًّا) (مريم : 97) . والقوم اللدّ: (أبو الفصيل) - وهو من ألقاب أبي بكر -
(وزفر) و(نعتل - أي عثمان) وأشياعهم (2).
- 20 - وقال في قوله تعالى: (قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
تُنْسَى) (طه : 126)، (معناه: كذلك أتتك آياتي يا (عتيق) فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى
يا (عمر) ، وكذلك نجزي من أسرف في عداوة إمامه وجلس في غير مجلسه، ولم يؤمن

1 - كتاب الكشف ص 67-68. وما بين الأقواس كتبها بالرموز الاسماعيلية .

2 - كتاب الكشف ص 83. وما بين الأقواس كتبها بالرموز الاسماعيلية .

بآيات ربه، ولم يؤمن بعلي والأئمة من ولده، ولعذاب الآخرة يا (عمر) ويا (عتيق) أشد وأبقى⁽¹⁾.

21- وقال في قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) (طه : 135) ، (أراد بهذا التهديد القوم (عتيق) وهو من ألقاب أبي بكر (وزفر) - وهو من ألقاب عمر - و(نعتل) وأشياهم، لأنهم من أعداء أهل الحق⁽²⁾.

22- وأول - لعنه الله - الرفث والفسوق والجدال - في قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة : 197) ، فقال: (هم: أبو بكر وعمر وعثمان فإنهم طعنوا على الحجة - عليه السلام - ، ومنعوه حقه في الظاهر، وأخذوا فدك منه ، ومن زوجته فاطمة)⁽³⁾ وكتاب الكشف كسابقه مزاج التسنيم مليئان بمثل هذه السباب والشتائم.

أما القاضي النعمان المغربي فقد كَفَّرَ أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - حيث قال: كَفَّرَ أَبُو بَكْرٍ بِنَصْبِهِ عُمَرَ وكُفِّرَ بِمَا أَتَى عَنْهُ الْخَبَرُ وقال: (كان أبو بكر وعمر وعثمان جاهلين بأحكام الدين)⁽⁴⁾

1 - كتاب الكشف ص 83. وما بين الأقواس كتبها بالرموز الاسماعيلية

2 - كتاب الكشف ص 86.

3 - كتاب الكشف ص 116 وقد كتب أسماء الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - بالرموز الإسماعيلية.

4 - الأرجوزة المختارة - للنعمان ص 379.

وحكى المؤيد الشيرازي - لعنه الله- قصة غريبة تدل على كفر أبي بكر وبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين- يقول فيها: إن أبا بكر كان حجة لإحدى الجزائر، وكان يطمع أن يكون هو آخر الأنبياء، ولكن الله أرسل محمد - ﷺ - فاضطرب أبو بكر، ولم يجد بداً من إيمانه بمحمد طمعاً في الوصاية، ولكن الله نص على علي، فعزم أبو بكر وعمر وأشياعهما على اغتصاب حق الوصاية من علي، فلما علم رسول الله بذلك، دعاهم فحلفوا أنهم ما قالوا فأنزل الله هذه الآية: (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (التوبة: 74) (1).

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا) (النساء: 38) ، (إن الشيطان هو عمر)(2)، ولم تشذ الفرق السبئية الأخرى عن هذا المعتقد في صحابة رسول الله - ﷺ - الذين زلزلوا عروش أسلافهم واطفأوا نيرانهم، وقمعوا فتنتهم..

فقالت البهرة: (إن الأمة لما افتتنت بعد نبيها، وأشهرت كل طائفة منهم سيفها قال بعضهم منا أمير ومنكم أمير، قال كبيرهم- يقصدون أبا بكر- في أول قعوده: وليتكم ولست بخيركم، وقال صاحبه عمر! كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها..!!).

¹ - انظر مقدمة ديوان المؤيد للشيرازي - د. محمد كامل حسين. . وانظر : المجالس والمسائرات للنعمان

² - المجالس المؤيدية ج 2 / 136.

وأقر أبو بكر على نفسه بالشك فقال: (إني وودت لو أني سألت رسول الله لمن هذا الأمر من بعده، والإمام الحق لا يشك في نفسه، ولا يرجع عن أمره، ولا يندم أنه عصب على حقه، بل يثبت مستمراً على شأنه، مفضحاً عن محله ومكانه، هادياً مهدياً، متبوعاً من العصمة مكاناً علياً كما فعل علي)(1).

أما الدروز فيزعمون (أنه عندما يتجلى الحاكم بأمر الله في الركن اليماني من الكعبة وفي يده السيف، ينادي على المشركين بالغضب والرجز، ويعطي السيف حمزة بن علي فيقتل شخصين لا غير.. أحدهما متقمص فيه محمد بن عبد الله صاحب دين الإسلام، والثاني علي بن أبي طالب ثم يرسل الصواعق على الكعبة فتدك دكا)(2)، قال الملطي: (وقد أولت الخطابية قبلهم - الجبت والطاغوت - والخمر والميسر - الواردة في الآيات الكريمة بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وقد فسروا في كتاب الله أشياء كثيرة ما يشبه هذا، كذب أعداء الله الأنجاس والأرجاس فلمن قال الله عز وجل (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: 40) ، ومن كان صاحبه في الغار، ومن أعز الله به الدين... ؟

ولمن قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ

¹ - الهداية الامرية ص 10-11.

² - مخطوط - حسر اللثام عن الإسلام - رزق الله حسون الحلبي - الجامعة اليسوعية بيروت، ويوجد عنه شريط مصور في الجامعة الأردنية رقم (749).

اللَّهُ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَّائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (المائدة : 54) ⁽¹⁾، هذه نبذ من تأويلات الاسماعيليين السبئيين في صحابة رسول الله - ﷺ - ورضي الله عنهم أجمعين، بكفرها والحادها، وحقدتها الدفين على الإسلام والمسلمين، أنها بحق ردة ولا أبا بكر لها.

وصدق الله العظيم حيث يقول: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) (الزمر : 60).

تفنيد هذه التأويلات:

أولاً: إن هذه التأويلات لا تدل عليها اللغة، ولا يشهد لها ظاهر الكلام ولا سياقه، وقد اعتمدوا في تأويلاتهم على الظن والوهم، و(ميدان الظن واسع، وحكم الوهم غالب، فتعارضت الظنون وكثرت الأوهام) ⁽²⁾.

وقد ناقش ابن حزم مسألة الخروج على الظاهر من غير دليل، مناقشة علمية رصينة، وردهم بأدلة كثيرة حيث قال: (وقد أكذب الله تعالى هذه الفرقة الضالة بقوله عز وجل (يحرّفون الكلم عن مواضعه) (المائدة : 13)) ، ولا بيان أجلى من هذه الآية في أنه لا يحل صرف الكلمة عن موضعها في اللغة، ولا تحريفها عن موضعها في اللسان، وإن من فعل ذلك فاسق مذموم عاص.

قال تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة : 75) ، وكل من صرف لفظاً عن مفهومه في اللغة فقد حرفه، ثم يقول: (ومدعي التأويل وتارك الظاهر تارك للوحي، مدع

¹ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص 162-163 ط 1993.

² - خطط المقرئ 3: 313.

لعلم الغيب، وكل شي غاب عن الشاهد الذي هو الظاهر فهو غيب، ما لم يدل عليه دليل من ضرورة عقل او نص من الله تعالى أو من رسوله ﷺ - أو إجماع راجع إلى النص المذكور) إلى أن يقول:

قال تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَإِنَا إِلَيْكَ لِنَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلًا) (الاسراء: 73) فمن ترك ظاهر اللفظ وطلب معاني لا يدل عليها لفظ الوحي، فقد افترى على الله عز وجل بنص الآية المذكورة⁽¹⁾.

وثانياً: إن الإسماعيليين أفراخ السبئية أرادوا تجريح وانتقاص صحابة رسول الله ﷺ - ورضي الله عنهم أجمعين - لإبطال لما نقلوه إلينا في كتاب الله وسنة رسوله، قال ابن حجر في الإصابة: (اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، وعدالتهم ثابتة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم)⁽²⁾، وقد وردت أدلة كثيرة متعددة في ذلك في القرآن والسنة.

الأدلة من القرآن:

قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: 29) .

1 - الأحكام في أصول الأحكام 3 : 291-294.

2 - الإصابة 1 : 9-10.

وقوله : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة : 100)

وقوله: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر : 8-9).

وقوله: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح : 18).

وقوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة : 117).

الأدلة من السنة:- عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ -

قال: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم... الحديث)(¹).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : (لا تسبوا

أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم؟ أنفق مثل جبل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)(²).

¹ - أخرجه البخاري بهامش فتح الباري 7 : 4-6.

² - أخرجه مسلم 4 : 1961.

أقوال العلماء في عدالة الصحابة:

قال الخطيب البغدادي: (والأخبار في هذا المعنى تتسع، كلها متطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم)⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: (والصحابه كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، وقول المعتزلة: الصحابة عدول إلا من قائل علياً، وقول باطل مرذول ومردود، وأما طوائف الروافض بجهلهم وقلة عقلهم، ودعاويهم أن الصحابة كفروا إلا سبعة عشر صاحبياً، وسموهم، فهو من الهذيان بلا دليل، إلا مجرد الرأي الفاسد عن ذهن بارد، وهوى متبع، وهو أقل من أن يرد، والبرهان على خلافة أظهر)⁽²⁾.

وروى الخطيب البغدادي عن أبي زرعة قال: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق... وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة)⁽³⁾.

وقال ابن أبي حاتم الرازي: (فأما أصحاب رسول الله - ﷺ - فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل. وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه، ونصرته، وإقامة دينه، وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقُدوة، فحفظوه عنه - ﷺ - ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سن وما شرع، وحكم وقضى، وندب وأمر، ونهى وحظر، وأدب، ووعوه وأتقنوه ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه،

¹ - الكفاية : 66-67.

² - الباعث الحثيث ص 181-182.

³ - الكفاية ص 67.

ومراد، بمعينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه، واستتباطهم عنه، فشرفهم الله عز وجل بما من عليهم، وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب، والغلط والريبة، والغمز، وسماهم عدول الأمة، قال - عز ذكره - في محكم كتابه - (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ) (البقرة : 143) ففسر النبي - ﷺ - قوله (وسطا) قال: عدلاً. لقد كانوا عدول الأمة، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقله الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم، والافتداء بهم فقال (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء : 115)⁽¹⁾، فلا عبرة إذن بتاولات السبئيين الفاسدة عن الصحابة وغيرهم، والتي نضجت من قلوبهم الحاقدة العفنة.. الخارجة عن المنهج الإسلامي، والمخالفة لإجماع المسلمين.

سادسا: تأويلاتهم لبعض قصص الأنبياء :

الدوحة القرآنية الباسقة الظلال، الدانية الجنى، ذات الأفنان المختلفة الثمرات، هذه الدوحة العميقة الأصل، السامقة الفرع، لا ينتهي ظلها، ولا يذهب رونقها، فهي ذات ظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، لذلك كان القرآن كما جاء

¹ - الجرح والتعديل 1: 7، 8.

في الأثر⁽¹⁾ لا تتقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الردّ، وتلك طبيعة في الموضوعات القرآنية جميعها، سواء أكانت قصصاً أم أحكاماً أم عقائد.

لذلك كانت هذه الموضوعات لا تضمن على طلابها مهما تعددت مشاربهم، ولا تبخل عليهم مهما اختلفت رغباتهم ومطالبهم⁽²⁾، فكل طالب يجد فيها بغيته.. وقد شغلت القصة القرآنية من كتاب الله مساحة واسعة، ما نطن أن موضوعاً آخر كان له ما كان للقصة من نصيب⁽³⁾، وهذا القصص كانت له أهدافه الكثيرة وغاياته المتعددة منها:

- 1 - ليعمق العقيدة في النفوس، ويبصر بها العقول، ويحيي بها القلوب، وسلك لتلك القضية المهمة أحسن الطرق إمتاعاً للعاطفة، واقناعاً للعقل.
- 2 - كان لهذا القصص عناية خاصة ببيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد وقد فصل ذلك تفصيلاً عجيباً، وهو يتحدث عن الترف والطغيان، والبطر والظلم، والاستبعاد الفكري والسخرية والإرهاب.
- 3 - التركيز على أن التدين الحق لا ينفصل عن الحياة العملية، ولا ينفصم عن واقع هذا الإنسان، حتى تتم السعادة للمؤمنين بهذا القصص، العاملين بتوجيهاته وإرشادته.
- 4 - في هذا القصص كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون والإنسان والحياة، والتي تزيدها الأيام وضوحاً وظهوراً.

¹ - أخرجه الترمذي في السنن - حديث رقم (2906) ج 5، 172.

² - انظر : قصص القرآن الكريم ، د. فضل حسن عباس : ص 11.

³ - المرجع السابق : ص 12.

هذا بالإضافة إلى ما في القصة من رونق الأسلوب، وبديع النظم، وجمال الصورة، ولننظر هل تتحقق هذه المعاني في القصص القرآني بعد أن عبث بها السبئيون بتأويلاتهم الممجوجة الفاسدة...

أ- تأويلاتهم لقصة يونس - عليه السلام:-

قال السجستاني: (ولم أجد قصة أحوج إلى التأويل من قصة يونس - عليه السلام - لالتقام الحوت إياه، ومكوته في بطنه إلى المدة التي يسر الله له الخلاص والنجاة منه. فقال تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ . فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ . فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) (الصفات: 139-146) ممن أنعم الله عليه بحفظ رسالة صاحب دوره؟! وقلده الإمامة وحفظ الشريعة، وإقامة الحجج، فسبقت منه الغفلة فيما استحفظ عليه واسترعى له؟! ولم يستعمل الحلم فيما قلده الله من الصبر على مضض السياسة وهموم الرئاسة؟ وذهب مغاضباً متكلاً على ما جمع الله له من العلم والحكمة، مستكفياً به، غير مكترث إلى ما وراءه ممن لزمه رعايتهم، ونسي أن الله تعالى ذكره، إنما اعطاه ما أعطاه كرامة منه له، وعطفاً عليه، وليكون واسطة بينه وبين خلقه، يتحمل أذاهم، ويصبر على مكروههم، (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء: 87) ، يعني توهم أنه قد تخلص مما أحتاج إليه، وأن ذلك ليس بزائل عنه، فلم يزل يظلم عليه ما أضاء له، وتحقق لديه حتى أحسن ذلك في نفسه، وأحس بعقوبة الله إياه على ظلمه؟! إذ أهمل عبيده.

(إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) (الصافات : 140) ، يعني التجأ إلى الدعوة

المشحونة بالعلم والحكمة، رجاء ان يدفع الله بها عنه بليته. (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) (الصافات : 141) أي بلغ أمره من الضعة؟ وسقوط المرتبة وذهاب العلم من قلبه، إذ صار مدحوض الحجة لمن يعارضه وينازعه وينظره.

فلما دحضت حجته التقمه الحوت وهو ملیم، يعني: سلط عليه وعلى نفسه الرجل الناشيء في ملومة علم الظاهر مع لحوق الملامة له في نفسه، ووقع في ظلمات الجهل والحيرة، وزالت عنه المعارف كلها غير التوحيد فإنه لم يفارقه، وهو قوله: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) (الصافات : 143) يعني: لولا أن كان ممن لا ينكر التوحيد بل كان مقراً به، لم ينزع الله ذلك من قلبه، واعترف بما ارتكب من الظلم؟ للبت في بطنه إلى يوم يبعثون.

فكيف لم يتفكر أهل الظاهر في هذا اللفظ؟ إذ كيف يلبث يونس في بطن الحوت إلى يوم البعث؟ أم كيف يبقى الحوت في يوم البعث؟ ومعناه: ان يلبث عاره؟ وخزيه إلى يوم البعث؟!

ثم قال: (فَتَنَبَّأَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) (الصافات : 145) .. يقول جل ثناؤه: فلما اعترف يونس بزلاته، ولم ينكر توحيد الله، نبذه خالقه من ضيق الجهل وظلمه، إلى فسحة العلم وضيائه.

وكان بنفسه السقم الذي آكله فاحتاج إلى من يداويه فقال: (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) (الصافات : 146). يعني: نصبنا لمداواته رجلاً أميناً ليناً لطيفاً، بصيراً بمداواة

من أصابته المحنة في نفسه، حتى زال عنه السقم، ورجع إلى أحسن حالة.. انتهى هذيانه.. بلحنه وكفره من كتاب الافتخار⁽¹⁾.

وقال مفسرهم ضياء الدين إسماعيل في تأويل الآيات التي تحدثت عن قوم يونس في سورة يونس -عليه السلام- فقال: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَفَقَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يونس : 98. يعني : أهل دعوة من قد غبرت فضلاتهم في الأدوار.

(آمَنَتْ) يعني: بمقتضى ما كان إيمانهم عليه في الأزل.

(فَفَقَعَهَا إِيمَانُهَا): ذلك نفياً منه عن إيمان من عندوا (والصواب : عاندوا) عن معرفة أرباب الهدى أولاً ..

ثم قال تعالى: (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ) يعني الذين دعاهم في حال المحارات ثم في الكرات.(لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ) يعني تلبيس الضد.(فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (يونس : 98) يعني: إلى تمام دور الستر⁽²⁾.

وقال في تأويل الآيات التي تعرضت لقصة يونس - عليه السلام - في سورة الأنبياء ..

ما نصه : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ) (الأنبياء : 87-88) (وذا النون) وهو حجاب يونس عليه السلام.

¹ - كتاب الافتخار للسجستاني ص 109.

² - مزاج التسليم ص 31.

(إذ ذهب مغاضباً) يعني عن الإجابة في ابتداء الدعوة إلى عالم اللطافة...؟!؟

ومال إلى التحير ، والوقوف الذي عراه من تصور من اغتر بقولهم وركن إليهم.

(فظن أن لن يقدر عليه) يعني نفيًا منه لما أمروا به في تلك اللحظة، من طاعة من

كان دعي بهم من الحجب الظلية.

ثم قال تعالى: (فنادى في الظلمات) يعني من ظلمات الهبوط الثلاثة الأبعاد المعروفة،

لما أحس بتكاثف ظلمات الخطيئة....!!!؟

(أن لا اله الا الله) يعني توبة منه عن ذلك التصور، ثم إقراراً منه بمن تقدموا عليه من

الوجود، واعترافاً بصاحب الوحدة.

(سبحانك): يعني تنزيلها لولي أمره الذي سبح له، حتى استخرجه من ذلك الوهم

الفساد...؟!؟

(إني كنت من الظالمين): يعني: الواضعين الشيء في غير موضعه، ايضاحاً لما تقدم

منه في الذنب، واعترافاً به. (فاستجبنا له): يعني ألقناه من تلك العثرة حين اعترف...؟!؟

(ونجيناه من الغم) يعني من ذلك الفارط، ومن امتحان الصور التي أخذ بقولهم!! لما

كانت محنته منهم لتلك المناسبة لواجب المحاسبة. (وكذلك ننجي المؤمنين) (الأنبياء :

87-88) يعني ممن أندم واخلص التوبة⁽¹⁾.

تفنيذ هذه التأويلات:

وهذا التأويل المتناقض المتعارض - إن صحت تسميتنا له بالتأويل ، وإلا فهو أقرب إلى

الهديان منه إلى التأويل - أفرغ القصص من أهدافه وغاياته المتعددة، والقصص

¹ - مزاج التسليم ص 236 .

القرآني - كما أسلفنا - لا يقل الحيز الذي شغله من كتاب الله عن الربع إن لم يزد قليلاً، فإذا كان القرآن ثلاثين جزءاً فإن القصص يبلغ الثمانية أجزاء من هذا الكتاب الخالد، أفرغوها من مضامينها ومقاصدها المتعددة بهذيانهم وسخافاتهم..

وجرياً على سنة القرآن نجد أول إشارة تحدثت عن يونس - عليه السلام - في سورة القلم، وهي السورة التي جاءت تسليّة للنبي - ﷺ - وللرد على التهم التي ألصقتها به

المشركون، وتبين ما أعد الله له من أجر غير ممنون، وما أكرمه به من خلق عظيم، ثم ترد عليهم وتبكتهم وتضرب له الأمثال، ثم أشارت السورة لقصة يونس - عليه السلام -

في سورة ن - دون ذكر اسمه، وإنما ذكرته بأنه صاحب الحوت، وأمرت النبي - ﷺ -

- أن يصبر لحكم ربه، دون أن يكون منه ضجر، ودون أن يستعجل ما ينبغي أن

يحل بهم.. فأشارت السورة إلى قصة يونس إشارة تتوق النفس وتتشوق إلى ما بعدها..

ثم تأتي السورة التي خصه الله بها وهي سورة يونس، فنقرأ قول الله تعالى: (فَلَوْلَا

كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَנَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنَسْ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) (يونس: 98).

والذي تدل عليه الآية الكريمة أنه ليس هناك من القرى المهلكة قرية آمنت فنفعها

إيمانها، لأنهم كانوا يؤمنون حينما ينزل العذاب بهم - كفرعون - ، وبعضهم كان ينزل

به العذاب قبل أن يؤمن، فلا يتمكن من الإيمان، وهذا وذاك لا ينفعهما الإيمان.. ولكن

قوم يونس حينما بدت لهم أسباب العذاب، وظنوا أنه واقع بهم، وقبل أن يحيط بهم ،

رجعوا إلى أنفسهم، وتضرعوا إلى ربهم فلما علم منهم صدق إيمانهم، كشف عنهم عذاب

الخيي ومتعمهم إلى حين..

ثم تأتي سورة الصافات.. فتشير الآيات إلى أن يونس قد جاء إلى الفلك المشحون الممتليء فضربت السهام، فكانت القرعة عليه ، لينزل من الفلك إلى البحر تخفيفاً للفك من حمولته الزائدة ، فألهم الله الحوت أن يلتقمه دون أن يؤذيه، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وبَيَّن القرآن نفع الأعمال الصالحات لصاحبها (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ .) (الصافات :143-144) . وهذا التسبيح يمكن أن يكون في بطن الحوت، ويمكن أن يكون من قبل... أي لولا تسبيحه لابتلعه الحوت وأكله، ولكن الله أكرمه فنبذه بالعراء وهو سقيم مما لاقاه في بطن الحوت، وأثبت عليه شجرة من يقطين، تضلله ويحفظه الله بها.

فصلت هذه السورة ما جاء في سورتي القلم ويونس، أما المدة التي لبثها في بطن الحوت فذلك مما لم يرد به نص صريح وصحيح، وإن كنا نرجح بأن هذا اللبث لم تطل مدته، لأن المقصود به كان التربية، والعبرة تتحقق بالوقت القصير من ذلك.

ثم تأتي سورة الأنبياء.. والنفس لا زالت متشوقة للتعرف إلى خبر يونس - عليه السلام - فالذي ذكرته السورة السابقة سورة الصافات هو أنه أبق إلى الفلك المشحون، أما ماذا وراء ذلك وما سببه؟ فتذكره سورة الأنبياء... (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ .) (الأنبياء : 87-88) .

وذا النون: هو يونس - عليه السلام - والنون: هو الحوت.

وذهابه مغاضباً: تركه لقومه وقد جاءهم بالندر، ومن أجل أن يؤمنوا، ولكنهم لم يستجيبوا فتركهم ضجراً وسأمة، دون إذن من الله سبحانه، ومن أجل هذا نهى الله النبي - ﷺ - أن يكون كصاحب الحوت، ولهذا نجده - ﷺ - لم يهاجر إلا بعد أن أذن

الله في الهجرة (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ)، ولا يظنن أحد أن يونس - عليه السلام - ظن أن لا يقدر الله عليه، فهذا لا يمكن أن يدور بخلد أحد فضلاً عن أن يكون نبياً. وإنما معنى الآية: أن لن يضيق الله عليه.. ولن يؤاخذه بتركه لقومه...

(فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء: 87)، وهذا يرجح أن تسبيحه كان في بطن الحوت فعلاً، وَيَمُنُّ اللهُ تبارك وتعالى عليه (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ)، ولكن ينبغي أن لا ننسى التعقيب الذي تقصد اليه الآية الكريم+ة.. وهو قوله في آخر الآية (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) فما أجمل هذا التعقيب على قصة يونس، وما أحوج المؤمنين إليه في كرباتهم وهمومهم، فهذه قصة يونس جاءت متسقة الحلقات، مرتبة الحوادث، ثم ختمت بهذا التعقيب الهادف، ولو استعرضنا القصص القرآني لوجدنا كل قصة تخدم بخاتمة معبرة وهادفة حكمة وحكماً من ذلك:

تدلنا قصة يونس على أن هذا الإنسان يبقى ضعيف التحمل لولا عون الله وقدره، فسرعان ما يعيل صبره، ويضعف تحمله حينما تدلهم الخطوب، ذلك ما كان من يونس - عليه السلام - فقد ذهب مغاضباً، ظاناً أن الله لن يضيق عليه ولن يؤاخذه، وإذا كان مثل هذا الظن يمكن أن يقبل من غير أصحاب النفوس الكبيرة، الذين لم يعدوا في هذه الحياة ليكونوا مصابيح هادية، فإنه لا يقبل ممن أعدهم الله ليحملوا رسالة، لذلك كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين. والله تبارك وتعالى الحكم العدل، يأخذ كل واحد ويحاسبه على قدر ما أنعم عليه، وبمقدار ما مكنه في هذه الحياة.

وإن شئت فاقراً قوله تعالى لنبيه محمد - ﷺ - (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا . إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا

نَصِيرًا) (الإسراء: 74-75)، وقوله لأمهات المؤمنين (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا .) (الأحزاب : 30-31) .

ويونس - عليه السلام - كان من أولئك الذين أعدهم الله ليقودوا هذه القافلة البشرية في زمان من أزمنتها، ومكان من أمكنتها، فكان لابد من أن يكون أكثر تحملاً وأكثر تقبلاً، وأقدر على التصرف، وأجدر بتبديد الضعف، لكنه لما لم يكن جعل الله منه درساً، وهذا منسجم مع بشرية الأنبياء - عليهم السلام - وإذا كان الله قد أكرمهم بالعصمة، فإن هذه العصمة إنما هي وقاية أولئك الأنبياء مما لا يليق بهم من الشرك والكبائر، والصغائر التي تخل بالمرءة تتنافى مع الهيبة، ذكرنا ذلك لنبين أن ما حدث منه عليه السلام لم يناف العصمة.

علماً أن كثيراً من العلماء يرى أن ما كان من يونس - عليه السلام -، حينما التقمه الحوت، إنما كان قبل النبوة، والمتأمل لآيات سورة الصافات يستريح لترجيح هذا القول. وإذا كان من لبنة خص بها يونس في بناء الإنسانية المحكم، فإنما هو هذا الإعداد الذي ينبغي أن يكون لذوي النفوس الكبيرة حتى تقدر على التحمل وتصبر على الأذى، وهو نوع من الجهاد عظيم⁽¹⁾.

وبهذا التفسير المنضبط بقواعد التفسير، نكاد نلمس أهداف القصة في القرآن وغاياتها المتعددة.. أما بذلك التأويل السخيف، المتناقض، المتعارض، الذي يدل على أن

¹ - انظر القصة في تفسير (في ظلال القرآن) (روح المعاني)، (المنار) في السور التي ذكرناها.

تأويلاتهم ليس لها قواعد ثابتة، ولا أصول راسخة، مع زعمهم المستمر أنها مأخوذة عن المعصوم الذي لا يُخطئ، نلمس أن القصة لا غرض لها ولا هدف، بل أفرغوها من مضامينها ومن مقاصدها.

ب - تأويلاتهم للشجرة التي نُهي آدم - عليه السلام - عن القرب منها:

اختلفت تأويلات السبئيين وتناقضت للشجرة المذكورة في قصة آدم، التي نهاه الله سبحانه عن قربها بقوله : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة : 35).

قال المؤيد الشيرازي: (هي رمز لحد عال لا قبل له بتناوله، والوصول إليه، وهي الشجرة التي مثلها الله في كتابه بالكلمة التي يقال أنها كلمة الشهادة، فقال عز وجل : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (ابراهيم : 24) وهي كلمة الشهادة..

فمعنى قوله : (..... وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة : 35) أي لا تمنيا لكما مكاناً لا تنالانه، وشأواً لا تلحقانه، فتكونا واضعين الشيء في غير موضعه⁽¹⁾.

وقال الداعي حاتم بن إبراهيم: (إن الشجرة المنهي عن أكلها كان هابيل بن آدم، حيث جعله أبوه وصياً له، مع كونه أصغر من قابيل، فأخبر عن ذلك إبليس الذي هو الحارث بن مرة بعد تضرعه إليه، ثم تقدم قابيل وقال له: إن أباك قد عزم على إقامة أخيك هابيل وصياً له، وأنت الكبير، وأحق بالأمر منه، ثم أمره بادعاء المنزلة، فتكبر

¹ - المجالس المؤيدية ج1 : 22.

قابيل، وحسد أخاه، وقتله ظاهراً وباطناً وأدعى منزلته، فكان هابيل الشجرة المنهي عن أكلها؟! وهو المنهي عن كشف مرتبته، فكانت هذه خطيئة آدم، فأمر بأخذ العهد والمواثيق من ذلك اليوم على حفظ أسرار أولياء الله⁽¹⁾.

بينما قال النعمان بن حيون القاضي المغربي غير ما قاله المؤيد وحاتم بن إبراهيم، فجعل الشجرة المنهي عنها في قوله (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) (البقرة : 35) رفع العمل ووضع التكليف. فقال: (لا تقربا هذه الشجرة: جعل الشجرة التي نهاه أن يقربا ومنعه منها، وحرمها عليه مثلاً لحد قائم الزمان، الذي هو صاحب القيامة، والذي يكون التكليف في حده مرفوعاً، ويتجرد حينئذ الباطن، ويسقط الظاهر، ويكون الباطن ظاهراً على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك، لأنه في حدودهم مرفوع إلى حججهم، مستور عنهم، محمول من واحد إلى واحد، وهو معجزة لهم، وعلم يستضاء حتى يصل إلى صاحبه إي صاحب القيامة، فيظهره ويجرده، وذلك محذور ممنوع قبله، فمنع الله - عز وجل - آدم في ابتداء الأمر من ذلك لتجربة سنة الله التي لا تبدل عليها، وسأل إبليس إنظاره إلى يوم الوقت المعلوم، وعنى باليوم صاحب القيامة...!! فاستزل إبليس اللعين آدم وحواء بقوله لهما (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) (الأعراف : 20) ، أيزين لهما حتى حد الإباحة فيما حذرهما الله عز وجل منه، وقال لهما: إن حدّ العمل بالفرائض هو حد التعب والنصب، ولو تركتماها لصرتما في حد الروحانيين اللطيف، وتجردتما عن العالم الجسماني الكثيف ، ولكنتما

¹ - الشموس الزاهرة - للداعي حاتم بن إبراهيم - قصة آدم، ص 45.

ملكين خالدين ، وذلك قوله تعالى : (فَذَلَّاھُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَھُمَا سَوَاتِھُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَیْھِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاھُمَا رَبُّھُمَا أَلَمْ أَنھُكُمَا عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْنَ لَکُمَا إِنَّ الشَّیْطَانَ لَکُمَا عَدُوٌّ مُبِیْنٌ) (الأعراف : 22) ، أي فجاوزا حدود النطقاء التي أبیحت لهما إلى حد صاحب القيامة، إلى ما ليس لهما، فتناولوا منه، وأكلا من الشجرة، فوقعا في الخطیئة والمعصیة⁽¹⁾.

أما الداعي جعفر بن منصور الیمن : فقد أوّل الشجرة المنهي عنها بأنها إبليس... فقال: (إن الجنة التي أسكنها آدم فهي دعوة إمام العصر، وإن الحارث بن مرة أي إبليس، قد خدم فيها، وكان من أحد دعائها؟! فلما اصطفی صاحب الوقت آدم، وارتضاه وقربه منه، وأنا له أعلى مراتب الدعوة، وأطلعه على جميع حدودها وأسرارها، وأعلمه ما لم يعلم به أحد من حدوده، فأقرهم إليه لموضع ترفعهم عليه، وأمرهم بطاعته والأخذ عنه، وأباح لآدم أن يعلمهم إلا الحارث (أي إبليس)، لأنه أبی أن یطیعه ویخضع له، وكان إبليس هو الشجرة المنهي عن المفاتحة بالعلوم السرية، إذ كانت حده قبل إبلاسه كحد الدعوة، فلما امتنع من الطاعة سقطت منزلته، وانقطعت مادته، وفشطن وأبلس، وحسد آدم فأخذ في غوايته، لكي یقع في العصیان، فتسقط مرتبته، فجعل یغويه بالكلام، ویظهر له أنه ناصح، وعليه مشفق، وأخذ یقسم له بالله، حتى اسقر في نفس آدم، أن جميع ما یأتي به حق، فأطلعه آدم على حد القائم ومرتبته إذ هي نهاية المراتب وأعلاها؟! فلما أظهر أمر الله لعدو الله!! بغير أمر من الله أخرجه من جنته، أي قطعه الإمام من دعوته⁽²⁾.

¹ - أساس التأویل ص 92.

² - الإسماعیلیة - إحسان إلهی ظہیر ص 537 نقلاً عن (أسرار النطقاء)

ومن الغريب أن النعمان بن حَيُّون المغربي أوَّل الشجرة المنهي عنها في (الرسالة المذهبة) بتأويل مناقض لما أوله بها في (أساس التأويل) فقال: (وسألت عن معنى ما أنتت به الرواية ان آدم وحواء والجنة وإبليس، هبطوا إلى الأرض، فالأرض هنا دليل على من نصب الدعوة، وهبوط آدم وحواء إليهما، وإقرارهما في إقامة الدعوة، وإبليس والجنة، مثل على الضد وحجته المنصوبتان بإزاء الولي ما لم يختلف طرفاها، فاستدارت الحية بالدائرة التي لا يخلق طرفاها، فإذا دخلت طرف الضد، فذلك قوله (لتركن طبقاً عن طبق فما لهم لا يؤمنون) وأما الشجرة التي هبطوا إلى الأرض من أجلها، فهي الدعوة، وعلم التأويل، التي أمر في سترها، ونهى عن الكلام عنها، وعرف أنها منزلة مدخرة لولده إلى أوان الظهور، يعني ظهور القائم؟! فأغواه إبليس من طريق الحيلة والتلبيس، وذكره بوعده الله إياه في ولده، فأبدى ما استكتم، وكان قبيحاً فعله، ووقوع العداوة بين ولديه..⁽¹⁾، فهذه التأويلات المتعارضة المتناقضة في الشيء الواحد ومن المؤول الواحد.. إذ يؤولها في كتاب بغير ما يؤولها في آخر، تدل على أن هذه التأويلات السخيفة عبارة عن هذيان، غير ملتزم بضوابط أو قواعد التأويل أو التفسير.

ج- تأويلهم لقصة هود- عليه السلام:-

النعمان بن حيون القاضي المغربي في تأويل قصة هود- عليه السلام:- (أما هود عليه السلام، فقد دعا قومه، كما حكاه الله عز وجل بقوله (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (الأعراف : 65).

¹ - الرسالة المذهبة - للقاضي النعمان ص 71-72.

فنسبه إلى إخوانهم من جهة الولادة، لأنه كان منهم في ظاهر الأمر وباطنه، فأما ظاهره فإنه كان من عشيرتهم يجمعه وإياهم رب واحد، وكان كذلك أخاهم في الولادة الظاهرة، وأما الباطن فإنه وإياهم من أمة نوح - عليه السلام - ، وأهل دعوته، فهو أبوهم (أي نوح) في الباطن... وقال (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ . مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ .) (الذاريات : 41-42).

فباطن الريح العقيم: العلم العلوي الذي يأتي بمادة الله لأوليائه بالحجج الدامغة لأعدائه، في حين استطالتهم بحجة الباطل على أهل الحق، وليس من العلم الذي يربون به، وتكون ولادة المؤمنين بسببه، ولكنه قرع ودفع للكافرين، وذلك أنهم حاجوا هوداً وناظروه، فاحتجوا عليه من جهة الظاهر، فأدلوا بحججهم منه وهولوا عليه، فرمز لهم بحجة العلم المكنونه، وتواعدهم بظهوره ، (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (الأحقاف : 22) ، فقال : (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) (الأحقاف : 23).

يقول: إنه علم ما رمز به إليكم هو عند الله لا يظهره إلا في حدوده، وقد أبلغتكم من العلم ما أرسلت به، ولكنكم قوم تجهلون حدود العلم والمعرفة، فأتاه التأييد من الله عز وجل بقمعهم، وكسر باطلهم، وهتك شوكهم، فلما فاتحهم بشيء من ذلك توهموا أنه يريد أن يفيدهم من علمه، وقوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الأحقاف : 24).

وقد ذكرنا أن مثل الماء: العلم، والمطر كذلك رزقاً، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها، يقول هو الذي قلتم عنه : (.... فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (الأحقاف : 22) ، فهو لكم عذاب، وليس بعلم تستفيدونه، وذلك عندما دنا هلاكهم، وغضب الله - عز وجل - عليهم، وهم عند أنفسهم على حجة صحيحة مما كانوا عليه من الضلالة، إذ لم يجيبوا إلى ظاهر الدعوة كما يجب على من دعى إليها، ويتبعوا صاحب الظاهر حتى يدخلوا بعد ذلك في حكم حجة صاحب الباطن على نحو ما قدمنا ذكره في ذلك، فأتاهم عذاب الله ظاهراً وباطناً فدمرهم كما قال تعالى: (.... فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) (الأحقاف : 25) (1).

وقال مفسرهم - ضياء الدين إسماعيل -:

وقوله تعالى: (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ . يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ .) (هود : 50-52) : هذا هو المستودع من سام. (قَالَ يَا قَوْمِ): يعني الذي أرسل اليهم في الدور الأول.

(اعْبُدُوا اللَّهَ) يعني القائم مقامه في تلك الرتبة الذي سلم إليه صور أهل دعوته.

(مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ) يعني من حجاب المستقر سواه، أقمته علماً لكم يهديكم إليه.

(يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) يعني زيادة تجرونها علي أو عليه في دين أو دنيا.

(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي) يعني أوجدني ظاهراً وباطناً.

(أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يعني أسرار دين الله .

¹ -انظر: أساس التأويل ص 96-98.

ثم قال تعالى: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) (هود: 52). يعني ذلك المقام الرابع لهم في كل ظهور.

(ثُمَّ تَوْبُوا) يعني من صرف أمور الدعوة عنه.

(يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) يعني المحتجب به بتحريكه للمزاج الممتزج الكائن من الفضلات، وأيضاً إشارة إلى العلوم المنهمة من فيوض إمداده.

(وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) يعني في هذا الدور على الدور الأول .

(وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) يعني عن طاعته فتجرموا بذلك الجرم العظيم.

وقال سبحانه : (قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ . إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ . وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوْدًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ .) (هود : 53-58).

(قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) يعني في شأن من يخلفه، وذلك جحوداً منهم لما حسنت ذلك لهم أوهامهم الفاسدة.

(وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ) يعني فرع أصول رؤسائهم الذين كانوا سبب إضلالهم سابقاً ولاحقاً.

(وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) لكونهم حكوا في الحديث ما كان منهم في القديم، وهذا هود المستودع، فهو عضو من أعضاء الهيكل المحمدي، وأما هود المستقر، فهو عضو من

أعضاء الهيكل العلوي، وهو المرسل لنوح، وكان هذا المستودع من حجب ولد ذلك المستقر .

ثم قال تعالى: (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتََرَاكَ بِغَضِ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) يعني أنه حصل من بعضهم إليك ما ساءك فكذبتهم بذلك، وصرفت الأمر عنه..

(قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِهِ) يعني من دون من إقامة فيه.

(فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ) يعني بما شئتم لكونه لم يدارهم كفعل أصله، وكذلك المختار لم يدار أضداد زمانه.

(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ) يعني المحتجب به.

(مَا مِنْ دَابَّةٍ) يعني ما من فضلة دبَّ فيها روح الإيمان.

(إِلَّا هُوَ أَخِذْ بِنَاصِيَتِهَا) يعني المدبر لها في البدء النشء، والمرتب لها في درجات الحدود، ثم في مراقي الصعود بعد النقلة، وذلك على قدر ما سيق لها، يعني من صفاء الذهن في حال الإجابة عند الندم.

(إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .) يعني: إمام زمانه... !! يعني: مستقيم في مقام الاستقرارية ولد عن والد، من مبتدأ الفطرة إلى انتهاءها، وهو الصراط، حقيقة الملك العظيم.

ثم قال تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا) يعني عن الطاعة..

(فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ) يعني: من أشهر مقام خليفته لتأكيد الحجة كما أكدها عليهم في الكرات الأولى..

(وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي) يعني المحتجب به.

(قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يعني ممن في دعوته ظهرت أصولهم وخلصت إجاباتهم.
(وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ .) يعني حافظ لكل مؤمن من
النكوص.

ثم قال تعالى (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) يعني بذلك أمر المستقر بظهور من كان هود مستودعاً
له.

(نَجَّيْنَا هُودًا) يعني عصمه من الميل والتثاقل عن تسليم الوديعة، وهي الصور
المستودعة لديه، بل سلمها إلى صاحبها، وأوضح مقامه.
(وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) يعني عصموا عن المخالفة لوصيه، كما عصمت أصولهم لما
اعترفوا بمقامه في حال المحارات.

(بِرَحْمَةٍ مِنَّا) يعني بحفظ العمود النوراني لهم عن النكوص.
(وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ .) (هود: 56-58). يعني ظاهراً وباطناً.
ثم قال تعالى: (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ . وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ
قَوْمِ هُودٍ .) (هود: 59-60)

(وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) يعني بحجبه.
(وَعَصَوْا رُسُلَهُ): يعني المرسل إليهم في كل عصر من أهل النسبة الأدون.
(وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ .) يعني مجاثم الضلال.
ثم قال تعالى: (وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ) يعني في تكررهم في دور الستر في القوالب
الممسوخة.

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) يعني عند قيام القائم المنتظر!؟ يكون لعنهم بإيراد العذاب الأكبر..

(أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ) يعني حجاب أمام زمانهم.

(أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ) يعني عن النجاة لكونهم نفروا عنها في عالم اللطافة، ولذلك عادوا في

إدراك سجين. (قَوْمِ هُودٍ .) لكونه الذي دعاهم في القديم، ولذلك أقيم فيهم في الحديث؟!)(¹).

تفنيد هذه التأويلات:

ما ذكرناه من تأويلات هؤلاء الاسماعيليين السبئيين واضح أنه لا يتقيد بضوابط التفسير أو التأويل، التي اجمع عليها العلماء الثقاة، ومخالف لمنطق اللغة.. لأن الأسماء وضعت للدلالة على مسمياتها، فاستعمالها في غير مسمياتها بلا دليل ولا برهان، فساد وإفساد للفكر الإنساني.. بل هو أشبه بالعبث منه بالتأويل، وهل تحققت أهداف القصة وغاياتها - التي أسلفنا ذكرها - من هذه الهذيان الذي أسموه تأويلاً...؟؟!. ولننظر إلى ما قاله ثقات المفسرين في قصة هود - عليه السلام - مع قومه، ذلك أن هوداً - عليه السلام - إضافة إلى دعوة قومه للتوحيد، والإيمان بالله وعبادته، كان هناك أمراً آخر جدير بأن ينسبه قومه له، ذلك ما كان يجده أولئك من أنفسهم من هذه الغطرسة والشدة والقوة والبطش، نجده ذلك ماثلاً في أكثر السور التي عرضت للحديث عن عاد(2)، والقوة حيث تكون بعيدة عن الحق، وحين تنبعث من النفوس المعرضة المستعلية، تصير سبباً من أسباب الطغيان، بل من أخطر أسبابه، فلا يتأثرون بنصح ناصح أو برقة واعظ.. لذا بذل هود - عليه السلام - كل ما في وسعه ليستأصل من قلوبهم تلك

¹ - تفسير مزاج التنعيم ص 35-37.

² - انظر سورة النجم، ق، الفرقان، العنكبوت، الفجر، القمر، الأعراف، الشعراء، فصلت، المؤمنون،

الحاقة...

القسوة، وهو لم يحارب مشاعر قومه، ولم ينل من عواطفهم باديء بدء، بل جاراهاهم وتلطف معهم، وهو درس لابد أن يعيه كل من يدعو إلى الله، فما أكثر من يخطيء فيه، فقد نجد قوماً ما طعت عليهم عاطفة حب المال، فإذا جننا نفسه هذه العواطف في نفوسهم، وننال منها، فإن ذلك سيحدث ردة فعل لا تنتج عنها إلا عكس ما نريده، ونقيض ما نبتغيه، ولكن الطريقة المثلى إذا أردنا أن نستأصل هذه العاطفة ونبعدها، أن نقوي فيهم عاطفة أخرى من العواطف الخيرة، كالانفاق في سبيل الله، وبذل الخير، فإذا أراد الله بهم خيراً، فإن ما يحدث هو أن تتصارع العاطفتان فتقوى احدهما على الأخرى.. وهذا النهج الذي كان من هود - عليه السلام - ، فقد أراد أن يهذب تلك العواطف فها هو يقول لهم: (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتلوا مجرمين) فهو لم يحارب مبدأ القوة فيهم، ولكنهم استعصوا على كل مصلح، لذلك نجده يعلن بينهم بأنه توكل على الله ربه وربهم، الذي لا يخرج أي شيء عن قبضته، فما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، وهكذا نجد هوداً - عليه السلام - قد أكرمه الله، فوضع لبنة في بناء الإنسانية المحكم، إضافة لـ البنتين السابقتين (عقيدة التوحيد، وعدم التعصب لوشائج القربى وصلات الدم) وهذه اللبنة هي: عدم الركون إلى القوة المادية والتعويل عليها وحدها والاعتراض بها، حتى لا تدفع صاحبها إلى الاستبداد والتجبر وبهذا التحليل نلمس أن للقصة في القرآن هدف وغاية.. وهو ما يريد السبئيون محوه بتأويلاتهم الخبيثة⁽¹⁾.

د - تأويلاتهم لقصة يوسف - عليه السلام -:

(1) انظر القصص القرآني - إحياءه ونفحاته - د. فضل حسن عباس، ص 105.

وقال القاضي النعمان بن حيون الإسماعيلي في تأويلها:

(يوسف - عليه السلام - هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام -، انتهت الإمامة إلى أبيه يعقوب، فأقام دعوته الظاهرة، ثم نصب لواحقه، وأهل يوسف - عليه السلام - لمقامه، فلما بلغ يوسف، وصار إلى حده، اتصل به التخييل من التأييد من قبل الله عز وجل، فأراه أن الإمامة ستصير إليه، وأن الإمام وحجته ولواحقه سيخضعون له، ويصيرون تحت أمره بتسليم ذلك إليه، فذكر ذلك لأبيه يعقوب وهو قوله: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (يوسف : 4) .

فعلم يعقوب أن ذلك سيكون، وأمره أن يكتم ذلك عن أخوته بقوله: (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .) (يوسف : 5-6) ، يعني تأويل الكتب المنزلة. واشتدت محبة يعقوب له، وآثره على أخوته لما علم أن تخيل التأييد اتصل به، وانه سيصير إلى ما ذكره، وعلم أخوة يوسف بميل يعقوب إليه، وإلى أخ من لواحق يعقوب، فاجتمع العشرة وقالوا : (.. لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ .) (يوسف : 8) يعنون أبوة الإمامة، وأنه ضل على طريق الأئمة، إذا أراد أن ينصب يوسف وأخاه وهما أصغرهما ودونهم في العلم فيما رأوه، وأنهم رأوا أنهم أحق منهم فحسدوه⁽¹⁾.

¹ - كتاب أساس التأويل - للقاضي النعمان بن حيون المغربي ص 135-136.

وقال المفسر الإسماعيلي ضياء الدين إسماعيل في تأويلها: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ) يعني المقيم له، وهو من فضلة المقيم له سابقاً (يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ .) يعني: إني رأيت النقباء الأحد عشر، وهم من فضلات نقباء يعقوب في الدور الأول، والشمس كما ذكرنا هو المقيم له من خميرة من أقامه أولاً، والقمر: حفته المستودعة له الصور سابقاً ولاحقاً، والسجود: هو الخضوع والاعتراف لعلو مقامه عليهم، وتسليمهم له ما كان لديهم، ثم بعد ذلك برجوعهم إليه بالإنضمام.

(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ) يعني ما اتصل به من الإلهام.
(عَلَى إِخْوَتِكَ) يعني المؤاخين له في حال الإجابة، في أول المحارات، ثم فتروا وحاز عليهم قصب السبق، وقد ترشحوا لذلك المقام فكان منهم في الحديث ما كان من القديم.
(فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) يعني في الدعوة.

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ) يعني ضده المضاد له في كل ظهور.
(لِلْإِنْسَانِ) يعني حجاب يوسف الذي وقع عليه أصناف تلك المحن.
(عَدُوٌّ مُبِينٌ .)(يوسف : 4-5) يعني في كل كرة.

ثم قال تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) يعني المعلي لأمرك الرب لتلك الرتب.
(وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) يعني من العلوم الباطنة.
(وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) يعني تلك المنزلة، وبلوغ كمال الخدمة.
(وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ) يعني: دعاء يعقوب بانضمامهم إلى يوسف.

ثم قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَكِّلِينَ . إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ .)(يوسف : 7-8) يعني فيما

جرى عليه من أخوته، وكان ذلك في دأبه، وهم في كل دور، وفي ذلك دلائل على أمر الوصي...

ثم حكى تعالى قصته فقال: (إِذْ قَالُوا لْيُؤَسِّفْ وَأَخُوهُ) يعني المؤاخي له في حال المحارت بالإجابة، والتالي له في شرف النظر، ولذلك أهله في مقام الحجة. (أَحَبُّ إِلَيَّ أَبِينَا مِنَّا) يعني صاحب تلك الدعوة، وكان حبه لهما لحسن سابقتهما، وصفاء ضميرهما. (وَنَحْنُ غُصْبَةٌ) يعني جماعة متعصبون على ما في أيدينا من ظاهر الرئاسة كما فعلت أصولهم. (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ). يعني نسبوا إليه عدم العصمة، وأنه لم يعرف من يستحق ذلك المقام منهم⁽¹⁾.

أما فرقة الميمونية من الخوارج : فقد أنكروا (سورة يوسف) ولم يعدوها من القرآن، لأنها قصة غرام في زعمهم، فلا يصح أن تضاف إلى القرآن، قبحهم الله لسوء ما يعتقدون⁽²⁾.

تفنيد مزاعمهم: ما أوردناه سابقاً من تأويلات لبعض آيات من سورة يوسف، وإنكار بعض الخوارج لسورة يوسف جميعها، يبين لنا حقيقة السبئيين عموماً، فهم إما أن ينكروا حقائق الأشياء، وإما أن يحرفوها بتأويلاتهم السخيفة عما تهدف وتدعو إليه، والنتيجة بالتالي واحدة، والمتدبر للسورة الكريمة يجدها ثرية بما تعطيه من قيم، وبما تفرزه من نتائج، وبما تبرزه من مبادئ، وبما تشتمل عليه من ألوان المعرفة المتعددة، اجتماعية، ونفسية، وخلقية، وعقدية، واقتصادية، ولا يمكننا أن نتحدث عن العبر الكثيرة التي يمكن

¹ - مزاج التسنيم ص 60-61.

² - انظر : كتاب : تاريخ المذاهب الاسلامية : أبو زهرة ، ج1: ص 91-92. والفرق بين الفرق ، للبغدادي : ص 211-212.

أن نستنتجها من السورة الكريمة، ولكننا نقف عند قضية واحدة، وهي اللبنة التي أضافها يوسف - عليه السلام - . لقد مر يوسف بأطوار مختلفة، فما أحبه إلى أبيه! ولكن ما أبغضه إلى أخوته، وبين عاطفتي الحب والبغض، كان هذا التاريخ المليء بالتناقضات، فمن غيابت الحب إلى غيابت السجن، ومن بضاعة بيعت بثمن بخس، مع زهد من بائعيه، إلى غير ذلك من أطوار الضيق، ومن ذلك كله إلى حافظ عليم مؤتمن على خزائن الأرض، يقود فيستمع له، ويأمر فيطاع. هذه الأحوال المختلفة التي مر بها - عليه السلام - لم تغير من جوهره شيئاً، فلم يضعفه الابتلاء، ولم تطغه النعماء، ابتلي فصبر، وأعطى فشكر، ولن يطيق ذلك إلا أصحاب النفوس الكبيرة، وهم الذين رسخت العقيدة في قلوبهم. حدثنا القرآن عن محنته، ولكننا لم نسمع كلمة واحدة منه تحدثنا عن ضيق نفس، أو تسرب يأس، وإنما الكلمات التي استمعنا إليها منه، كانت صرخات يتضرع بها إلى ربه أن يعصمه فلا يفتته، لنستمع إليه وهو يقول لأمرأة العزيز : (وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ .) (يوسف : 23) ، ولنستمع إليه وهو يناجي ربه (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ .) (يوسف : 33) ، حتى أنه كان يطوي كثيراً من المواقف والمشاهد التي تذكر الآخرين بجرائمهم، ولنستمع إليه وهو ويشكر ربه (وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (يوسف : 100) ، مع أن أخراجه من الحب كان أولى أن يذكر، ولكنه طوى ذكره،

حتى لا يذكر أباه بما فعل إخوته، ولا يذكرهم بما أقدموا عليه، تلكم لبنة عظيمة أضافها يوسف إلى اللبانات التي وضعها الأنبياء - عليهم السلام - من قبله، وهي جديرة أن تحفظ ممن أراد أن يحفظ الله عليه دينه، وما أجمل الصبر في موضعه، والشكر في موضعه.. ويطول بنا الحديث لو أردنا أن نستقصي العبر الكثيرة التي يمكن استنتاجها من قصة يوسف - عليه السلام -، والتي حاول السبئيون إخفاءها بهذيانهم، وتأويلاتهم السخيفة المتناقضة، التي يبرأ منها الدين واللسان، والمخالفة لما ذكرناه من ضوابط التأويل المقبول.

تأويلات إسماعيلية متفرقة

أ - تأويلاتهم للبسملة: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ):

أكثر الإسماعيلية من تأويل الآيات تأويلاً باطنياً حتى أن لهم كتب خاصة مستقلة لتأويل الآيات القرآنية وذلك ككتاب (الكشف) للداعية الإسماعيلية جعفر بن منصور اليميني ومما أول به التسمية أنه قال: (أول القرآن - بسم الله الرحمن الرحيم - ف (بسم الله) سبعة أحرف، يتفرع منها اثنا عشر، ويتلوها اثنا عشر حرفاً (الرحمن الرحيم) والسورة سورة الحمد، وهي سبع آيات، فالسبع التي هي (بسم الله) تدل على النطق السبعة⁽¹⁾، ويتفرع منها اثنا عشر تدل على أن لكل ناطق اثني عشر نقيباً، ثم الاثني

(1) (النطق السبعة) هم : آدم ، نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، والناطق السابع هو : محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وهو مهديهم المنتظر . قال الداعي الإسماعيلي : إبراهيم الحامدي في كتابه : كنز الولد (ص 268-269) : (النطق السبعة أولهم آدم - عليه السلام - ، مثله مثل السلالة ، لأنه كان ابتداءً ضعيفاً ، ونوح مثله مثل النطفة ، وإبراهيم مثله مثل العلقة ، وموسى مثله مثل المضغة ، وعيسى مثله مثل العظام ، ومحمد - ﷺ - مثله مثل اللحم ، والقائم - محمد بن إسماعيل - مثله مثل : (أنشأناه خلقاً

عشر التي هي (الرحمن الرحيم) يتفرع منها تسعة عشر، فدل ذلك على أن النطقاء يتفرع منهم بعد كل ناطق سبعة أئمة، واثنا عشر حجة، فذلك تسعة عشر ، والسبع آيات التي هي سورة الحمد، أمثال لمراتب الدين السبع، فسورة الحمد يستفتح بها كتاب الله، كذلك مراتب الدين يستفتح بها أبواب علم دين الله⁽¹⁾.

أما الداعي - حاتم بن عمران - فقد قال في تأويل - بسم الله الرحمن الرحيم - قولاً مخالفاً لكل من سبقه فقال (إن حروف بسم الله الرحمن الرحيم، هم مثل علي: محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، لأنها تسعة حرفاً، وهم أيضاً مثل على عدد الملائكة الكبار الشداد، الذين لا يعصون الله ما أمرهم)⁽²⁾.

آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) على إتيان الروحانيين والجسمانيين بأمره ، ووحيه ، وكلمته ، فدل ذلك على أن الولد التام في الحقيقة هو صاحب القيامة ، لأن الله سبحانه بين ذلك بقوله : (ثم أنشأناه خلقاً آخر) ..أهـ. وقال القاضي التعمان الإسماعيلي المغربي ، في كتابه : أساس التأويل (ص 62) : (القائم لا شريعة له ، بل هو يزيل الشرائع ، وينسخها بإقامة التأويل المحض ..) والناطق في عرفهم هو صاحب التنزيل والشريعة ، والإمام (الوصي) صاحب التأويل وعلم الباطن ، أي : أن النبي - ﷺ - صاحب العبادة العملية الظاهرة ، والإمام : صاحب العبادة العلمية الباطنية . (انظر الكشف : هامش ص 65) . وقال الداعي للإسماعيلي السجستاني في كتابه (إثبات النبوات ص 183) : (إذا ظهر القائم - عليه السلام - ، وتخلص المؤمنون من الستر والكتمان ، وقدروا على كشف مذاهبهم ، وجب رفع هذه الشريعة التي هي سمة الستر والكتمان ..) .

وقال داع إسماعيلي آخر في كتاب (مسائل مجموعة من الحقائق العالية ص : 10) : (وأما الشرائع فتخط عنهم منها التكليفات : كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، ويبقى معهم من الشرائع : العقلية ، التي هي : عقد النكاح ، والطلاق ، والمواثيث ، والأملك ، ودفن الموتى ، وغسلهم الأجسام بالماء وما شاكل ذلك من الشرائع العقلية) .

¹ - انظر كتاب (الرشد والهداية) ص 190 الملحق بالمنتخبات - للجمعية الإسماعيلية بومبي - الهند.

² - انظر رسالة (الأصول والأحكام) ص 11 ضمن خمس رسائل إسماعيلية تحقيق عارف تامر .

وقال المفسر الإسماعيلي - ضياء الدين اسماعيل بن هبة الله - في تأويله لها في

سورة النمل : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). (النمل : 30)

قال : (إنه من سليمان) يعني: من حجاب سلسل (وهو لقب يطلقونه على سلمان

الفارسي) (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) يعني أنه ما دعاهم إلا بأمر من سلسل، إمام

زمانه، المتجلي به بواسطة الرحمن الرحيم، اللذان هما حجابان من أعلى من في أفق

ذلك الباب السلسلي⁽¹⁾.

وقال صاحب (المجالس المستنصرية) في تأويل (بسم الله الرحمن الرحيم) ما نصه:

(بسم الله: سبعة أحرف، إشارة إلى السبعة أئمة، الرحمن الرحيم: اثنا عشر حرفاً مثل

على الحجج الاثني عشر)⁽²⁾. وقال القاضي النعمان الإسماعيلي المغربي في تأويل

(بسم الله الرحمن الرحيم) (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) أي: وما يدل عليه من

الحدود)⁽³⁾.

تفنيد مزاعمهم وتأويلاتهم:

هذه بعض التأويلات السبئية المتعارضة والمتناقضة للبسملة، مع ادعائهم أنها مأخوذة

عن إمامهم المعصوم الذي لا يعرف الخطأ، ولا يضل ولا ينسى.

وهو تأويل لا يقبل به العقل ولا يؤيده النقل، لمجافاته لقواعد التفسير، ولمخالفته لضوابط

التأويل... ومع ذلك فدينهم واحد، ونسيجهم غير مختلف، يدعون إلى تأليه البشر

وعبادتهم من دون الله، خلافاً لدعوة الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام -

¹ - مزاج التنسيم : تفسير سورة النمل : ص 331-332.

² - المجالس المستنصرية ص 35 تحقيق محمد كامل حسين.

³ - أساس التأويل - ص 269 للقاضي النعمان الإسماعيلي - ت عامر تامر.

ب- تأويلاتهم للحروف المقطعة في أوائل السور ، وتفنيدها :

قال الداعي جعفر بن منصور اليمى: (في القرآن أحرف من حروف المعجم في أوائل السور، ليس لها ظاهر معناها، كما في أوائل سورة البقرة وشبهها، فالألف فيها تدل على الناطق، واللام على الوصي، والميم على الإمام، هذا وفيما كان أوله (الم) وأول سورة الأعراف (المص) فالألف تدل على الناطق، واللام على الوصي، والميم على الإمام المتم، والصاد على حجة الإمام.

وأول سورة يونس (الم) بالألف واللام يدلان على الناطق والوصي والراء تدل على الإمام المتم- (مع أنه ذكر في سورة الأعراف أما الميم تدل على الإمام المتم ... ؟!).

أما المفسر ضياء الدين إسماعيل فله تأويلات أخرى.. فقال تحت عنوان: (حقائق سورة يونس عليه أفضل التسليم وايضاح بعض ما فيها من كل شيء فخير).

قال تعالى: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (يونس : 1): أقسام منه بألف الفاطر⁽¹⁾ المفرد في المقام، ولام الحسين، وراء شَبَّرَ الذين صاروا مقاماً واحداً (تلك آيات الكتاب الحكيم) يعني إشارة إلى أسماء الكرار (أي علي) وصفاته⁽²⁾.

1- قال المفسر الإسماعيلي تحت عنوان (حقائق سورة هود وايضاح بعض

سرّها) ما نصه:

(قال تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود : 1)

(الر) وذلك اقسام منه تعالى بتقرد مقام (محمد بن إسماعيل) وأهل أسبوعه، كتقرد

الألف واللام والراء المجتمعين، إقسام منه تعالى بكل أسبوعين اجتمعت بعد هذا

¹ - فاطر: أي فاطمة.

² - تفسير مزاج التنعيم - سورة يونس ص 15.

الأسبوع الأول وهما أسبوعا المعز والطيب ثم اسبوعا مَعَدَّ بن الحسين، وأحمد بن محمد، ثم هذا الأسبوع، وأسبوع والد القائم، (كتاب) يعني الحسن - سلام الله عليه - ، (أحكمت آياته) يعني مقامات الأنوار من ولده (ثم فصلت) يعني مراتبهم (من لدن حكيم خبير) يعني العين - أي علي - وعلى ذلك قدر سبقهم إليه في المحارات⁽¹⁾.

2 - قال تحت عنوان : حقائق سورة الرعد ، ما نصه:

(المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (الرعد : 1) فذلك إقسام منه تعالى بصاحب كل جنة إبداعية، وتفرد مقامه كتفرد الألف، ثم بالسبعة والعشرين الذين هم كعقود اللام والميم والراء، ورجوعها إلى الألف كرجوع السبعة والعشرين! إلى ذلك المقام، وانضمامهم إليه، وهم الذين ظهرُوا حول خدته، ويكون اتصالهم به بعد أن قد أوجدوا من يخلفهم (تلك آيات الكتاب) يعني قباب الأنوار آيات ذلك المقام المتتالية إلى الأبد (والذي أنزل اليك من ربك) يعني العين (أي علي) (الحق) يعني مقام الحسين وأئمة الهدى من آله. (ولكن أكثر الناس) يعني: المأنوسين بالملة الإسلامية. (لا يؤمنون): يعني بمقامهم⁽²⁾.

3 - وقال تحت عنوان : حقائق سورة الشعراء ...

(قال الله تعالى (طسم): إقسام من العاشر بمجمع العين الذي جمع مجامع النطقاء والأسس، والأئمة، لتكون الطاء من النطقاء، والسين من الأسس، والميم: من الأئمة، وأيضاً أن عدد الطاء تسعة (أي بحساب الجمل) وعدد السين والميم مائة، فدلنا المئة على أن مجمعه حوى من الصور الكلية التي سلمها إليه العاشر يوم الغدير من

¹ - مزاج التنسيم - تفسير سورة هود - ص 35.

² - مزاج التنسيم : تفسير سورة الرعد، ص 83.

المركزية والاستقرارية مائة صورة، ثم على تسعة مجامع عظام رجعت إليه، وهي الميم والفاء وأسابع الدور المحمدي: فأقسم بها تعالى..⁽¹⁾.

4- قال تحت عنوان : حقائق سورة النمل، ما نصه:

قال الله تعالى (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ) - يعني إقسامه تعالى بطاء الفاطر، التي كانت دلالة على ما سلمت وتسلمت من الأنوار، وذلك محصول دعوة أبيها، ثم ما تسلمت من دعوة مولاها، ثم من دعوة الجد⁽²⁾ ثم من دعوة الفتح⁽³⁾ ثم من دعوة الأولياء⁽⁴⁾...ونكتفي بما أوردناه ففيه دلالة على المقصود.

الرد على تأويلاتهم وتفنيدها :

كتب التفسير مشحونة، بالتأويلات والآراء المختلفة في الحروف المقطعة، أوصلها بعضهم⁽⁵⁾ إلى عشرين رأياً، ولكن لم يقل أحد بمثل هذا الهذيان الذي نقلناه عن ربائب السبئية، من إسماعيلية وغيرها، ولعل أقربها إلى القبول، أنها جاءت في أوائل بعض السور لتنبيه العرب ولفت أذهانهم، إلى أن القرآن الكريم الذي تحداهم أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله فأعجزهم، مؤلف من هذه الحروف التي يعهدونها، ويؤلفون منها كلامهم نشرّاً أو شعراً.

¹ - مزاج التسنيم : تفسير سورة الشعراء، ص 309. والآية رقم (1) في سورة الشعراء .

² - الجد: حد من الحدود الخمسة : (السابق والتالي والجد والفتح والخيال) وممثولة بجبريل، ويقابلها في عالم الدين (النبي والوحي والإمام والحجة والداعي)، انظر الكشف ص 61.

³ - الفتح من الحدود العلوية والروحانية وممثولة مكيايل - انظر كتاب الافتخار - ص 37.

⁴ - مزاج التسنيم - حقائق سورة النمل ص 336. والآية رقم : 1، في سورة النمل .

⁵ - انظر مفاتيح الغيب للرازي 2 : 5 وما بعدها، والبرهان للزركشي 2 : 1273 وانظر الحروف المقطعة في القرآن الكريم، دراسة ورأي، عبد الجبار حمد حسين مطبعة الإرشاد بغداد، 1980.

ثم إن هذه التأويلات ليس لها قواعد ثابتة، أو أصول راسخة، فما يقولون به في موضع يناقضونه في موضع آخر، وما يقول به داع من دعائهم، يخالفه داع آخر.. من أنهم يزعمون أنها مأخوذة من المعصوم.

إن هذه التأويلات كما يقول الديلمي: (لا يدل عليها سنة ولا كتاب، وخارجة عن الحق والصواب، ومختلفة لأنها على غير أصل معلوم، بل هي عوارض خواطر رديئة، وسوانح أفكار فاسدة)⁽¹⁾.

ج - تأويلات سور وآيات قرآنية :

1- قالت الإسماعيلية في تأويل سورة الأَخْلَاص:

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .)

(الإخلاص 1-4) (قل): يا محمد. (هو الله أحد): عني به الإقرار للمبدع الأول برتبة الوحدة التي امتاز بها عن سواه، وتفرد بها عن جميع ما تلاه. ثم قال (الله الصمد): في اللغو هو السيد المصمود إليه في قضاء الحوائج، فأمره بالاعتراف بكون الإبداع مقصد أهل العوالم، وإليه تمتد رغباتهم، ومنه تطلب حاجاتهم، وهو الغني عنهم، وهم الفقراء إليه.

ثم قال: (لم يلد ولم يولد): تعليماً لنبيه بتزيه هذا الحد الشريف وتجريده عن أن يكون له سبب أو علة من جنسه بها وجد، وقوله (ولم يكن له كفواً أحد) إخبار أن يكون هذا المقام العظيم في حجاب من الجلالة أيست العقول عن رفعته فليس له منها كفؤ ولا نظير)⁽²⁾.

¹ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص 43.

² - انظر كتاب مسائل وأجوبتها ص 39 (ضمن كتاب مسائل مجموعة من الحقائق العالي والدقائق).

تفنيد هذا التأويل:

إن ما يقصده الإسماعيليون من هذا التأويل، أن سورة الإخلاص لم تنزل إلا لبيان أوصاف الله الذي هو في زعمهم العقل الأول، والموجود الأول - عياذ بالله - لا الله الأحد الصمد - كما ذكرنا في تفنيدنا لتأويلهم لآية الكرسي، ويقولون: (ويقوم مقامهما في العالم السفلي الناطق (أي النبي) والأساس (أي الوصي) وينسبون إلى الإمام علي - كذباً وزوراً - أنه قال (أنا أحي وأميت وأرزق، وأبرئ الأكمة والأبرص، وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم)⁽¹⁾.

كما ذكر المؤيد الشيرازي - كذباً وزوراً - أنه - رضي الله عنه - قال على منبره: (أنا الأول وأنا الآخر وأنا الظاهر وأنا الباطن وأنا بكل شيء عليم، أنا الذي رفعت سماءها، وأنا الذي دحوت أرضها، وأنا الذي أنبت أشجارها وأنا الذي أجريت أنهارها)⁽²⁾. يعني أن علياً هو الرب الحقيقي المتصف بصفاته والمتحلي بنعوته، وكذلك الأئمة من ولده، لأنه يماثل العقل الثاني أو التالي أو اللوح المحفوظ، كما أن الرسول يماثل السابق أو العقل الأول. وبمثل ذلك قال جعفر بن منصور اليميني مبيناً أن (الرب) في قوله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ .) (القيامة 22-23) (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) يعني مشرقة، (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) يعني: أمير المؤمنين صلوات الله عليه)⁽³⁾.

¹ - زهر المعاني ص 77.

² - المجالس المؤيدية ص 147.

³ - كتاب الكشف ص 37.

كما أن المسمى (بالله) في قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (البقرة : 207) (أيضاً: علي⁽¹⁾، وعلى ذلك فسورة الإخلاص في بيان صفاته.....

وهذا التأويل لا يدل عليه ظاهر الآيات لا حقيقة ولا مجازاً، إنما هو صرف لمعانيها الظاهرة إلى معان قرروها في أذهانهم بغير دليل. فالسورة نفت الشريك والولد والوالد والمثل عن الله سبحانه، وأثبتت الوجدانية المطلقة له سبحانه.. وهو ما يسعى أفراخ السبئية لهدمه بمثل هذه التأويلات .

2- تأويل ليلة القدر:

قال الداعي ادريس عماد الدين: (زعموا أن (فاطمة) هي المعبر عنها بليلة القدر، لعظيم قدرها، وعالي شرفها، وهي ليلة القدر التي فطم الجاحدون عن معرفتها، لأن العالم المنكوس يرون أنها أنثى، ألم تر إلى قوله تعالى مستفهماً بقوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ .) (القدر : 1-3 أي: من ألف حجة يقومون بالدعوة إلى ولي الأمر. والشهر: يعني الإمام⁽²⁾). بينما قال في (تأويل الدعائم): (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (القدر : 1-3) ، يعني خاتم الأئمة، انه يقوم في آخر دعوة حجته...

¹ - المرجع السابق ص 31.

² - كتاب زهر المعاني ص 174-175.

ثم قال (وما أدراك ما ليلة القدر) يعظم أمر حجة خاتم الأئمة. (ليلة القدر خير من ألف شهر) يعني: هو هير من ألف نقيب، ولو قد قاموا من الأرض لم يقوموا مقامه⁽¹⁾. هذه بعض تأويلاتهم للصيام، المتعارضة بعضها مع بعضها الآخر، فليس لتأويلاتهم قواعد ثابتة- كما أسلفنا- وأصول راسخة، مع زعمهم أنها مأخوذة من المعصوم الذي لا يخطيء.. وما هي إلا تلاعب وتحريف لمعاني آية القرآن، حيث عجزوا عن تحريف نصوصه المحفوظة.

3- تأويل سورة التين :

أولت فرقة الحربية - أتباع عبد الله بن حرب وفلول هذه الفرقة انضمت للإسماعيلية - سورة التين كي يجدوا له سنداً يبرر قولهم- بفكرة الأسباط - فقالوا في قوله تعالى : (وَالزَّيْتُونَ . وَطُورِ سِينِينَ .) (التين : 1-2) .. قالوا : (التين): علي، (والزيتون): الحسن، (وطور سنين): الحسين، (وهذا البلد الأمين): محمد بن الحنفية. ويروا أن الله أقسم بهم لأنهم الأئمة، وعمد الإسلام، وقد علم أنهم سيظلمون أماكنهم وحقوقهم، فأقسم بهم ليدل على تفضيله إياهم وليزيد في ذكرهم، ولم يكن الله ليضع التين المأكول، والزيتون المعصور، بهذا الوضع من الشرف والقدر، لأنهما لا يفهمان الإحسان، فيسري ذلك إليهما، وليسا بعظيمين في العقول كالسما والعرش فيجوز ذلك عليهما، فإنما ذلك علي وولده، وقد جعل الله البلد الأمين محمد بن الحنفية، لأنه كان آخرهم في الوصية، رابع أربعة، وأنه سيخرج إلى البلد الأمين عند عودته من غيبته⁽²⁾.

¹ - تأويل الدعائم - للقاضي النعمان ج3: ص 125.

² - انظر المقالات والفرق ص 30-31.

وَأَوَّلَ السُّورَةِ الدَّاعِي الْإِسْمَاعِيلِي - جَعْفَرُ بْنُ مَنْصُورِ الْيَمَنِ - فَقَالَ: (وَالْتَيْنِ وَالزَيْتُونِ):
أَيُّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، (وَطُورِ سَنِينَ): مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ): يَعْنِي
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلِيٍّ)، (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ): يَعْنِي الْأَوَّلَ (أَيُّ أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقِ).

لأنه كان أحسن معرفة من الثاني (أي عمر بن الخطاب)⁽¹⁾.
(ثم رددناه أسفل السافلين) أي: لما نكث وغير ولم يرع ما وصل إليه حق رعايته حرم
العبادة، تجديد الإفادة⁽²⁾، فصار إلى أسفل سافلين، وهي منزلة لأهل الجهاد، لأن من لم
يعلو فهو اعذر وأرجى ممن علم ولم يحفظ ما علم ولم ينتفع به، فالمضيق في الدرك
الأسفل من الضلال، إذ هدي فلم يكن من المهتدين، فهذا صحة معنى الإشارة إلى
المسوخية⁽³⁾.

تفنيد هذا التأويل:

هذا تأويل يخرج بالنص القرآني عن مساره الحقيقي القويم إلى مسارٍ معوج، قصد به
خدمة مذهب يعمل على تحقيق مكاسب شخصية، وغايات سياسية مخططة بمكر
وخداع، لا تحترم الدين وتحتمي به، ولا تؤمن بصحة العقيدة، وتسخرها بنفاق لتحقيق
أهدافها.

ويؤول كل فرق الآيات وفق هواه، مع زعمهم بأنهم يأخذون عن المعصوم، إضافة
لهجوم-جعفر بن منصور اليمن الصريح على الصديق صاحب رسول الله - ﷺ - .

¹ - انظر: الكشف، لجعفر بن منصور اليمن ص 41.

² - أي الاستمداد من العلوم والمعارف الروحانية انظر الكشف ص 25.

³ - انظر: الكشف ص 15-19.

قال المفسرون: إن المقسم عليه في هذه السورة يتكون من أمور ثلاثة:

الأول: دليل من أدلة القدرة الإلهية على البعث والجزاء ، وهو قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين: 4) .

والثاني: وعيد صارم شديد، وهو قوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) (التين : 5)
وأسفل سافلين: النار على الصحيح، أو هو سجين موضع الفجار، كما أن عليين موضع الأبرار، ورددناه: معناه: نرده، فعبر بالماضي موضع المضارع المستقبل، إيذاناً بأن الرد إلى أسفل سافلين واقع لا محالة، وتشبيها للمستقبل المحقق وقوعه، بالماضي الواقع فعلاً، وهذا كثير في القرآن، ومنه قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُقْفَوْنَ عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنعام : 27)
، أي: إذ يوقفون على النار فيقولون. وقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُرِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) (سبأ : 51) ، أي إذ يفرعون.

والثالث: وعد حسن، وهو قوله: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (التين : 1) . أي: مقطوع.

والقسم في هذه السورة، أكثر انصباباً على الآخرين، أي: على الوعد والوعيد، وقال المفسرون كذلك: أراد بالتين والزيتون: المكان الذي كثر شجرها فيه على سبيل التجوز، عبر بالحال وهو التين والزيتون، وأراد المحل وهو الأرض المقدسة، التي ظهر منها عيسى - عليه السلام - وقالوا: إن هذا المعنى هو الذي يتناسب مع طور سنين، ومع البلد الأمين، والتعبير بالحال عن المحل، مألوف في الكلام العربي. قال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْصَرَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (آل عمران : 107) أي: ففي جنته التي تحل فيها الرحمة.

وقال الشاعر:

قل للجبان إذا تأخَّرَ سِرْجُهُ هل أنت من شَرِكِ المنية ناجي..؟

أراد إذا تأخر فرسه الذي يحل السرج فيه.

على هذا يكون الله سبحانه أقسم على خلق الإنسان، وتعذيبه، وإثابته، بأمكنة ثلاثة هي مظاهر أنبيائه ورسله، أصحاب الشرائع العظام المعروفة، أقسم بأرض بيت المقدس مظهر رسوله وكلمته عيسى بن مريم - عليه السلام - وفيها نزل الإنجيل عليه، ثم أقسم بالجبل الذي كلم الله موسى عليه تكليماً وناداه من جانب الطور الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التي فيه، أن " اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) (طه 24) ، ثم أقسم بالبلد الأمين مظهر خاتم الأنبياء والمرسلين، أقسم بهذه الأمكنة الثلاثة التي هي مهبط الوحي والرسالة، على خلق الإنسان في أحسن تقويم، وعلى تعذيبه أسفل سافلين إن كفر وفجر، وعلى اثابته بأجر غير ممنون إن آمن واتقى.. وكانه أقسم بمن ظهر فيها من الرسل والكتب.

وإنما أقسم بهذه الأمكنة التي هي مشرق نور الهداية على هذا الجزاء، تذكيراً للإنسان بما كان من أمر الرسالة، وما كان من أمر الوحي، واشعاراً له بأن ما يلاقيه من ثواب وعقاب، إنما هو نتيجة إيمانه أو كفره وطغيانه، بعد أن أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء: 165) ، قال تعالى: (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء: 15).

وكأنه جل شأنه يقول: هأنذا قد أرسلت لك الرسل، فأناروا الطريق وميزوا لك الرشد من الغي، فإن عصيب فلك أسفل سافلين، وإن أطعت فلك أجر غير ممنون⁽¹⁾.

وإذا تأملنا في سورة (التين)، ألفينا السياق يكشف لنا عن المراد بالقسم بالتين والزيتون، إذ ورد بعد ذلك قوله تعالى (وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) (التين: 2-3) .

فطور سيناء هي الجبل الذي كلم الله تعالى موسى - عليه السلام - عنده، والبلد الأمين: مكة بلا خلاف، وهي عينها (فاران) في نصوص العهد القديم.

فجاء القسم في هذه الآيات الثلاث، معبراً عن الرسائل السماوية الثلاث، متمثلة بالأمكن التي هبطت فيها، وهو ما فهمه المفسرون، فقال الزمخشري (ومعنى القسم بهذه الأشياء، الإبانة عن شرف البقاع المباركة، وما ظهر فيها من الخير والبركة، بسكنى الأنبياء والصالحين، فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم، ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي منه موسى).

ومكة: مكان البيت الذي هو هدى للعالمين، ومولد رسول الله - ﷺ - ومبعثه⁽²⁾.

وحكى الطبرسي هذا التأويل عن قتادة، وعكرمة، والحسن البصري، وبه قال ابن القيم⁽³⁾. وأشار إلى هذه الثلاثة التي وردت في القرآن الكريم، هي نظير تلك الثلاثة التي وردت في كتاب العهد القديم، ذلك أن اليهود - أسلاف السبئيين - مع أنهم جهدوا في طمس كل ما يشير إلى الرسالة المحمدية، ومحوها من كتبهم، إلا أنهم غفلوا عما

¹ - انظر : محاضرة الأستاذ عثمان ابو النصر بك - القيت بنادي دار العلوم 5 يوليو ونشرتها صحيفة دار العلوم سنة 2 عدد 4 ص 38.

² - انظر: تفسير الكشاف 4: 269.

³ - انظر : مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي 30: 178-179.

يدل على هذه الرسالة، التي ينبغي عليهم اتباعها والتي هي خاتمة الرسائل، فلم يزيلوا النص الدال عليها، بل هو باق إلى اليوم شاهداً على صدق الرسالة المحمدية. فقد جاء في سفر التثنية... (جاء الرب⁽¹⁾ من سيناء، وأشرق لهم من سعين، وتلأل في جبال فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم)⁽²⁾. ولقد لفت هذا النص نظر علماء الإسلام، كابن القيم، وشهاب الدين القرافي ونقله ابن القيم عن غير واحد من العلماء⁽³⁾.

ومما قاله القرافي: (فإقبال الله تعالى من سيناء رسالته، وتجليه عن ساعير ظهور فضله بإرسال عيسى - عليه السلام - بإحياء ما في التوراة، وظهوره من جبال فاران، وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب)⁽⁴⁾، وبهذا نجد أن نسق آيات سورة التين في الدلالة على الرسائل الثلاثة السماوية، كان له ما يشبهه في كتاب (العهد القديم)، وبما فهمناه من سياق السورة، وما أوردناه من أقوال المفسرين يتبين لنا أن تأويل الحربية، والإسماعيلية، مخالف للسياق، ولقواعد التفسير، ولا تنطبق عليه ضوابط التأويل التي وضعها العلماء للتأويل الصحيح المقبول.

4 - قال جعفر بن منصور اليمن في تأويله قوله تعالى:

(وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى

¹ - انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم - ص 53.

² - يستعمل اليهود كلمة (الرب) بمعنى السيد انظر كتاب - المسيا المنتظر - للدكتور أحمد حجازي السقا ص 108.

³ - سفر التثنية 33: 2 (العهد القديم).

⁴ - كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة - للقرافي ص 238-239 بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق.

لَأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (الأعراف: 142

(، (يعني بالثلاثين: الحجج، لأن حجة الليل هو صاحب النجوى والعهد، وحجة النهار: هو صاحب السيف والبرهان، كما قال تعالى (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) (سبا : 18) ، فالظاهرة هم أصحاب السيوف، والباطنة: هم أصحاب النجوى.

وبين كل ناطق إلى ناطق ستة أتماء، فمن آدم إلى نوح ستة، ثم على ذلك إلى أحمد، فسته في خمسة، ثلاثون متماً، بهم تمت الوصايا، وذلك قوله (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) فلما ظهر أحمد ونطق بالتنزيل ودعا إليه، ونسخ شرائع الأنبياء الذين نطقوا قبله، فمن أجل ذلك، أسس شهر رمضان، إذ جعل صيامه فريضة على من أقر بملة أحمد، لأن كل متم يوم، والصيام في الباطن: الصمت، ولما نطق أحمد أفطر الصائمون لنطقه بالتنزيل، وقوله (وأتمناها بعشر) فتم الحجج من أحمد إلى محمد⁽¹⁾، ثمانية، وهم حملة العرش. والعرش: هو العلم، والعلم هو: التأويل، فذلك قوله (وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) بالثمانية أتماء وأحمد، ومحمد، تمام العشرة، صلوات الله عليهم أجمعين، وموسى هو أحمد في هذا الموضع، والميقات ظهور ناطق النطقاء⁽²⁾، وقول النبي - ﷺ - (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)⁽³⁾، أراد: أن اصمتوا

¹ - أي من الرسول محمد إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق انظر الكشف ص 32.

² - كتاب الكشف ص 34-35.

³ - متعلق عليه أخرج البخاري 19/4 برقم (1909) ومسلم (762/2) برقم (1081) .. ولم يكتف بتحريف

معاني الآية، بل حرف أيضاً معنى الحديث بتأويله السخيف.

عن معرفة الحق، ولا تفطروا: أي لا تتكلموا إلا عند ظهور ناطق الدور⁽¹⁾، وتعرض

لها الإسماعيلي - محمد بن سعيد الرفنة⁽²⁾ عند تأويله لقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى
إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ) (الأحقاف: 15) .

فقال: يعني ذلك الناطق السابع صاحب الكشف، إذ بلغ أشده وأكمل أمره وأتى
إليه الجميع، عندما يظهر بالقوة والفعل معاً، ويبلغ الأربعين عاماً، يعني: يتيسر له
أربعين حداً، وهم الذين يظهرون مع قائم الزمان، كما أنه لابد لكل ناطق دور من
أربعين حداً على التمام، كما قال تعالى (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ
فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (الأعراف: 142) .

وأما الأربعين سنة فهي: حجاب المراتب العالية، والدرجات الشاملة، وهم رفقاء
الاسم الجليل⁽³⁾ ..

5 - تأويلات آيات من سورة الانفطار:

1 - كتاب الكشف ص 34-35.

2 - الرفنة: بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت، ولها عيون وبساتين، وهي على مرحلة من مدينة حماة، إلى
الغرب بميلة بسيرة إلى الجنوب انظر تقويم البلدان لأبي الفداء ص 259.

3 - الرسالة الكافية محمد بن سعيد بن داود الرفنة الإسماعيلي ص 30 ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية
حققها عارف تامر الإسماعيلي.

(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ . وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ . وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ .
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) (الانفطار 1-5)

قال الداعي الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرمانى: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) ، قالوا
في التفسير-أي أهل الظاهر - انشقت.. ونقول: -أي أهل الباطن - تبطل أحكام
الشرائع.

(وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) أي: تبطل مقامات الحدود في دين الله.
(وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ): أي تظهر السنن المتقدمة في الأديان ويقام ذكر حدود الله في
دينه وعلومهم بالتأويل عن التشريع.

(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ): أي: تظهر الحكم والعلوم في العالم وتكثر الخيرات.
(عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) أي: إذ كان ذلك، وقام حكم الاعتقادات بالعقل، فحينئذ
تعلم النفس ما فعلت من خير، وتحس بالضرر فيما فعلت من تأخير الفضلاء؟! وتقديم
المفضولين!!⁽¹⁾.

وقال (بهاء الله) في تأويل قوله تعالى (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ):

(أن المقصود هنا سماء الأديان التي ترتفع في كل ظهور، ثم تنشق وتتفطر في الظهور
الذي يأتي بعده، أي أنها تصوير باطلة منسوخة)⁽²⁾.

وقال البهائي: أحمد حمدي آل محمد في تأويل نفس الآيات:

(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ): أي: سماء الأديان انشقت.

(وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ): أي: رجال الدين لم يبق لهم أثر على الناس.

¹ - انظر راحة العقل للكرمانى ص 586.

² - بهاء الله : الايقان ص 31.

(وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ): أي: فتحت القنوات وفجر بحر على بحر (أي كقناة السويس التي وصلت بين البحرين الأبيض والأحمر).

(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ): أي: فتحت قبور الآشوريين والفراعنة والكلدانين لأجل دراستها⁽¹⁾.
تفنيـد هذا التأويل:

هذه التأويلات المتناقضة تعطي صورة ما لمنهج السبئيين المعوج في التلاعب بآي القرآن الكريم حسب أهوائهم وأغراضهم... فليس لتأويلاتهم قواعد ثابتة، أو أصول راسخة، مع زعمهم أنهم يأخذون عن المعصوم، كما أنهم لم يلتزموا بقواعد التفسير التي اتفق عليها العلماء الثقات.
ثم إن السورة لا تؤيد مزاعمهم..

فقد افتتحت السورة بتوقيت يوم الحساب بأشراط وعلامات من اختلال نظام العوالم، وزادت بموعظة المشركين، وإيقاظ أنظارهم للنظر في أسباب التي حرفتهم عن التوحيد، وبإبطال تكذيب المشركين بالبعث والجزاء، وتخلص من ذلك إلى تعيين جزاء الأعمال الصالحة إيجاباً، وجزاء الأعمال الفاجرة بطريق الأطناب.
لأن مقام التهويل يقتضي الإطناب فيه، ثم آيسهم من أن يملك أحد لأحد نفعاً أو ضرراً وإن الأمر يؤمئذ كله لله تعالى. فليس في السورة ما زعموه بتأويلاتهم الباطلة، التي لا سند لها سوى الهوى الآثم، والكذب على الحق، والافتراء على الله.
6 - تأويل آيات من سورة التكوين:

¹ - أحمد حمدي آل محمد :التبيان والبرهان 2 : 131-136.

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ .
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ
سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ
سُعِرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْصِرَتْ .) (التكوير: 1-14) قال الداعي
أحمد حميد الكرمانى:

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) أي: تذهب آثار شرائع الأنبياء التي هي كالضوء من الشمس.
(وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) أي: تسقط مراتب الحدود التي لا يبقى لها اثر.
(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) أي: استخدام الجبارين في الأرض فيكون كلهم طائعين لصاحب
القيامة.

(وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) أي: وأبطل التعليم بإزالة الحدود من رتبهم.
(وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) أي: وجمع جميع من على وجه الأرض على الطاعة فيكون
كلهم تحت الأمر.

(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي: وأقيمت حدود ظاهر الشريعة وأعيدت إلى ما كان محذوفاً
عنها من كلام المبتدعين والأبالسة؟! وذلك يكون في الوقت المعلوم.
(وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) أي: وجمع كل إلى قرينه وشبيهه من المنافقين والمجرمين.
(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) أي: وسئلوا بأي حجة آخر من آخر من حدود
الله عن مراتبهم، وقدم عليهم غيرهم.

(وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ): أي: مساويء المذاهب والاعتقادات.
(وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) أي: محي ذكر أئمة الضلال من القلوب، بإبطال دورهم.

(وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) أي: أقيمت أية وعيد الله للمعاندين لأمره من حجة صاحب القيامة.

(وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ): أي: أقيمت مواعيد الله للمتقين في الدنيا والآخرة.

(عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ) أي: حينئذ تعلم الأنفس حقائق ما جاءت به الرسل ويبقى الموحدون ما دامت السموات والأرض، ولا تزال تتحل عنهم على مضي الأيام المعالم الدينية⁽¹⁾.

وانظر ما قالته البهائية في تأويل هذه الآيات:

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ): ذهب ضوءها، أي ان الشريعة الإسلامية ذهب زمانها واستبدلت بشريعة البهاء.

(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) أي: الدساتير الحديثة قد ظهرت.

(وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) أي: استعيز عنها بالقطارات.

(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي: انشئت فيها البواخر.

(وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) أي: اجتمع اليهود والنصارى والمجوس على دين واحد فامتزجوا وهو دين الميرزا حسين الملقب بالبهاء.

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ) وهي الجنين يسقط في هذه الأيام فيموت، فيسأل عنه من قبل القوانين لأنها تمنع الإجهاض.

(وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) أي: كثرت الجرائد والمجلات.

¹ - الكرمانى: راحة العقل ص 578-588.

(وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) أي: انقشعت، ويقصد الشريعة الإسلامية، لم يعد يستظل بها أحد وعطلت أحكامها.

(وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) لمن عارض الميرزا حسين أي: البهاء.

(وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) أي: لأتباعه المؤمنين (البهائيين)⁽¹⁾.

تفنيد هذا التأويل:

لا نجد في هذا التأويل والذي سبقه سوى سخافة وضلال وهذيان، من ورائه نحل ضالة ملحدة تحارب الإسلام وتعمل جاهدة للتشويش على المسلمين وتفريق كلمتهم، وما ثم من جديد في البهائية سوى نسبة الكفر القديم إلى شيطان جديد قام يدعو إليه، ليعبد من دون اهل، وكل امريء لا يعصمه دين قويم، ولا خلف شريف، ولا عقل صحيح، يستطيع أن يدعي ما يشاء، وما في البهائية إلا امشاد كفر او خليط، ولكنه الخليط الذي لا ينتج إلا ما تعافه النفس.

ثم أن الآيات التي حملوها ما لا تحتل، وأولوها على غير تأويلها لا تشهد لهم.. فقد ذكر فيها وقت قيام الساعة، وعلامات حضورها، والبعث والحساب والجزاء، وإثبات ان القرآن الذي انذرهم بذلك وكذبه هو كتاب من عند الله، وتبرئة النبي - ﷺ - من بعض ما وصمته به المشركون من أنه ينطق بكلام الجن، وذكر ذلك الوقت، والأطناب فيه، أسلوب من أساليب تحقيقه في النفوس.. وتصديق من أخبر به⁽²⁾.

7- وأولوا قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ) (المطففين : 7) فقالوا: أن المعنى بكتاب الفجار: نفوس الفجار المرقوم فيها ما اكتسبته من الذنوب، وسجين:

¹ - التبيان والبرهان : 120/2-121.

² - انظر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: - جزء عم- ص 181.

صخرة في أسفل الأرض يعذب فيها المخالفون، فعنى بكتاب الفجار: إمامهم وأتباعهم الذين انكبتت في نفوسهم المعاصي، فاستحقوا بها الكون هنالك، بخلافه للحق، كما قال بعض العلماء في بعض أشعاره:

سجنهم سجين إذا لم يتبعوا عَلَيْنَا دَلِيلٌ عَلَيْنَا.. ؟!

وقال الله تعالى: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ) (المطففين : 18) ، فعنى

بعلين عالم الإبداع، وكتاب الأبرار: إمامهم ونفوسهم التي انكبتت منها المعارف الحقيقة، وصحت منهم الولاية لأهل الحق، وصفوا وخلصوا فصاروا أئمة بعد أن كانوا مأموميين. كما قال الله تعالى فيهم: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (القصص : 5) فهم المستضعفون، يعني المؤمنين

الذين يمن الله عليهم فيصيرون أئمة، ويحصلون في عليين عند صعودهم في زمرة القائم - سلام الله عليه - الذي به يصيرون عقلاً مجرداً مثل من يخلفونه من عقول عالم الإبداع، الذي هو العاشر، ويرتفع العاشر إلى مرتبة من فوقه فاعلم ذلك.. وقد كشفت لك أيضاً أيها الأخ من زبد الحقائق ومضمون الأسرار ما لم يجب كشفه، وأجدد عليك البراءة ممن ذكرتم من الحدود العالية والدائمة، أنك لا نسخت من ذكل حرفاً واحداً، ولا وقف عليه غيرك، وترد إلى عندي هذه النسخة بعينها، والله عليك شاهد، وبالوفاء مطالب.. والسلام عليك وعلى مولانا الإمام الطيب أبي القاسم..⁽¹⁾.

تفنيذ هذا التأويل:

¹ - الداعي علي بن محمد بن الوليد : مسائل مجموعة من الحقائق العالية ، تحقيق شتروطمان: ص 17-

اعتقد صاحب هذا التأويل عقائد معينة، وحاول حمل الآيات القرآنية عليها، من غير دليل، بدليل تأكيده على من أرسل له هذا التأويل أن لا يطلع عليه أحداً من المخالفين، فلم أكد على ستره وإخفائه، لعلمه أنه مناقض للمعقول والمنقول..

والستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وهذه الآية من سورة المطففين.. التي فضحت المشركين بأنهم يستحلون التطفيف في الكيل والوزن، ويكذبون بالبعث، فذكرت سوء مصيرهم وذكرت في مقابل ذلك حسن عاقبة المؤمنين، وكيف انتصف الله للمؤمنين من الكفار يوم القيامة، وفضح الكفار على رؤوس الأشهاد.

وسجين: اسم من أسماء جهنم اشتق من حالة أصحابها، وهو من مادة السجن أي الحبس، وهذا الاسم من مصطلحات القرآن.. أما ما ذكره المؤول من أن سجين صخرة فهو من مخترعاته وأوهامه، لم يرد ذلك في اللغة، ولم يقل به العلماء الأثبات⁽¹⁾..

8- وأولوا قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران : 77).

فقالوا: (نقول بعون الله ومنه وليه في أرضه، ان حكم الآية يعم جميع من تقلد عهد النبي والوصي والإمام، وأعطاه صفقة على الائتثار لأمره، فراقته الدنيا في عينه، واستهوته زخارفها، فمال إليها، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فباع ما كان قد

¹ - انظر تفسير التحرير والتنوير : - جزء عم- ص 200.

اشتراه من الجنة الباقية بالدنيا الحقيرة الفانية، وانسلخ من جملة من عناهم الله بقوله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة : 111) فلم يستحق لنكته أن يكون له في الآخرة خلاق ولا نصيب في الجنة، ولا أن يكلمه الله، ولا أن ينظر إليه يوم القيامة، ولا أن يزكيه كما يستحق ذلك المؤمنون، بل خلده بفعله في عذابه الأليم⁽¹⁾.

تفنيذ هذا التأويل:

من الواضح أنه حمل الآية على معنى قرره في نفسه، والآية لا تشهد له بذلك، إذ هي واردة في سياق آيات تصف حال أهل الكتاب من أسلافه الذين يجعلون للأخلاق مقاييس متعددة، فاليهودي مع اليهودي لا يلتزم بالأمانة، أما مع غيره فلا حرج على اليهودي في أكل أموال الآخرين وغشهم وخداعهم، وهنا نجد الآية تقرر قاعدة خلقية ثابتة، من راعاها وفاء بعهد الله وشعوراً بتقواه أحبه الله وأكرمه، ومن اشترى بعهد الله وبإيمانه ثمناً قليلاً فلا نصيب له في الآخرة، ولا رعاية له عند الله ولا قبول ولا زكاة ولا طهارة.. وإنما هو العذاب الأليم. لقد طمسوا هذه المعاني الجميلة بتأويلاتهم السخيفة.. وهذا هو ما يهدفون إليه⁽²⁾.

7 - وأولوا آية الكرسي:

وهي قوله تعالى : (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

1 - عشر مسائل وأجوبتها ص 53- ضمن كتاب مسائل مجموعة من الحقائق العالية .

2 - انظر: سيد قطب : في ظلال القرآن ج 3 : 418.

خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (البقرة : 255).

قال حميد الدين الكرمانى - أعلى الله قدسه- (إن حروف المعجم لما كانت محدثة لم تدل إلا على محدث مثلها، وسائر النعوت المذكورة في الآية، هي لأول مبدع أبدعه الله تعالى، وهو اسم الله الأعظم.

وقوله (لا تأخذه سنة ولا نوم): هو تنزيه له عما يعتريه أبناء الطبيعة! من السنة التي هي الغفلة والنوم.

وقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) ملكه لما خصه به وأنعم اليه من المادة الأزلية التي كانت جزاء على تنزيهه لمبدعه.!!!.

وقوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) معناه أنه لا يقدر على الشفاعة، ويقبل منه إلا من أقام في مرتبة من مراتب العالمين الروحاني والديني بإذنه، وأفاد وهدى بأمره، بوساطة من سبق عليه من الحدود.

وقوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) فالذي بين أيديهم هي الآخرة، والذي خلفهم هي الدنيا، وعلمه محيط بالكل.. وقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء..) اخبار منه سبحانه أن احداً من هذه العوالم لا يحيط بعلم إلا بما أفاضه عليه وشاء أن يهديه إليه.

وقوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) فكرسيه في العالم الروحاني هو تاليه!! الذي أقام لهداية اهل عالم الإبداع. وكرسيه في العالم الديني هو كل مقام في عصره من نبي ووصي وإمام..!!!.

وقوله تعالى: (لا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم) معناه: أنه لا يثقله ولا يشغله ما صرف إليه مبدعه تعالى من حفظ العوالم بأمره، لكونه عالياً في شريف منزلته، عظيماً في تدبيره للخلائق، بأمر موجد وقدرته فاعلم⁽¹⁾.

بينما أولها - حمزة بن علي- (وهو إسماعيلي) بل العقل الكلي والإمام الأعظم للدروز بقوله: ⁽²⁾ (لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) أي: الحاكم وحاشاه من الوقوف والسير والجلوس والنوم واليقظة، (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ): يعني النطقاء والأسس (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) أي: من يقدر على إطلاق داع أو مأذون إلا بمشيئته (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي من أدم إلى محمد بن اسماعيل (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) يعني حجته، (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) العالي عن كل من تقدم ذكره ومن تاخر ممن ينتظرهم الشيعة المشركون⁽³⁾. وهذا بالطبع تحريف لا تأويل، لا يلتزم بضوابط التأويل ولا قواعد التفسير ولا أصول اللغة...

ومتى ما حملوا ظواهر الآيات على بواطن لا تدل على تلك الظواهر، ولا تفيدها بحقيقتها ولا مجازها، أفسحوا بذلك المجال لمبطل آخر ان يحملها على معان أخرى تتناقض ما ذكره وتهدمه، بذلك تصبح الآيات التي أنزلت للهداية مجالاً للعبث والهديان.

¹ - انظر عشر مسائل وأجوبتها ص 31- ضمن كتاب مسائل مجموعة.

² - انظر عقيدة الدروز - د. محمد أحمد الخطيب ص 153.

³ - انظر مذاهب الإسلاميين - د. عبد الرحمن بوي 757/2 نقلاً عن رسالة حمزة بن علي الموسومة بـ

(كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل).

كما أن الإسماعيلية بعد نفهم للأسماء والصفات عن الله تبارك وتعالى، احتاجوا إلى ان ي اخترعوا أو يخلقوا آلهة أخرى لإطلاق الأسماء والصفات عليها، فقالوا: (إن جميع صفات الشرف والجلالة وما يعبر في جميع اللغات من الإشارات بنعوت الإلهية فإنها واقعة على العقل الأول)⁽¹⁾.

والعقل الأول يقال: العقل الكلي، والموجود الأول، والمبدع الثاني، والتالي⁽²⁾، واختصاراً للقول فالإسماعيلية يقولون: بأن العقل الكلي أو الموجود الأول أو السابق يمثله الناطق (أي النبي).

كما أن العقل الثاني أو التالي يمثله الأساس (الوصي) وإن الثاني انبثق من السابق، وبمثل ذلك قال القاضي النعمان⁽³⁾ والحامدي⁽⁴⁾ والسجستاني وبناء على ذلك: فكل الأسماء والصفات التي أطلقت على الموجود الأول أو العقل الكلي أو السابق أو التالي هي للناطق (النبي) والأساس (الوصي) ومن قام مقامهما من الأئمة..⁽⁵⁾.

قال جعفر بن منصور اليماني: (فكل قائم في عصره فهو اسم الله الذي يدعي به في ذلك العصر، كما قال الله عز وجل (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)⁽⁶⁾، وبذلك

¹ - حسين بن علي بن محمد بن الوليد رسالة المبدأ والمعاد: ص 101.

² - راحة العقل : ص 195.

³ - المرجع السابق : ص 365.

⁴ - انظر القاضي النعمان بن حيون : أساس التأويل : ص 362.

⁵ - انظر كنز الولد : ص 67.

⁶ - انظر اثبات النبوات : ص 57. وانظر راحة العقل : ص 40.

قال مفسرهم ضياء الدين، وصلى الله على رسوله محمد من خرق رتبة الحجابية، وعلى إمام العصر الواقع عليه اسم الإلهية⁽¹⁾.

ويعلل الكرمانى ذلك بقوله (لأن كلاً منهم في زمانه قائم مقام الله بقيامه مقام النبي الذي هو قائم مقام الله)⁽²⁾.

فهؤلاء هم آلهة الإسماعيلية لا الله الواحد القهار، لأن الله في زعمهم (غيب الغيوب ليس هو موجود فيوصف ولا غائب فينعت)⁽³⁾، فالتوحيد هو معرفة الحدود العالية والدانية، والشرك هو الدعوة إلى غير الإمام⁽⁴⁾، وبذلك تبين ان تأويلاتهم عبارة عن صرف لمعاني الآية التي تتضمن قواعد التصور الإيمانى، وتذكر من صفات الله سبحانه ما يقرر معنى الوجدانية في أدق مجالاته إلى معان قرروها في أذهانهم لا تمت إلى الآية بصلة

8 - تأويلاتهم لبعض المصطلحات الإسلامية وتفنيد ذلك:

يؤول السبئيون حسب أهوائهم وأغراضهم كثيراً من المصطلحات: فالملائكة: هي القوى العالمة في العوالم العالية والسافلة.

والأديان والشرائع: هي موضوعات العقول الإلهية لإصلاح الأجسام البشرية.

والجهاد: دحض أركان العناد وإبطال أقوالهم بالبراهين العقلية. وهذا هو المطلوب من كل الفرق السبئية والمنحرفة ، ليتمكن العدو من رقاب المسلمين دون مقاومة !!..

¹ - مزاج التسنيم : ص 337.

² - راحة العقل : ص 577.

³ - رسالة الكافية محمد بن سعد بن داود الرقنة : ص 15.

⁴ - انظر كتاب الكشف : ص 166.

والزنا: اتصال المستجيب من غير شاهد.

أو هُوَ : الرغبة في الإكثار، وطلب الحطام وإفشاء الأسرار.

والفحشاء: ذكر المحامد للطغاة المتمردين، والمحاسن لأهل العناد.

والمنكر: تبديل العالم بالجاهل.

والبغي: تقديم المفضول على الفاضل.

والعدل : ترك الناقص مع وجود الكامل.

والإحسان: أحاطة الإمام بالعلم، وقدرته على ما بطن وظهر، وتجلي واستتر.

وإيتاء ذي القربى: محبة الرسول وولاية أولاد البتول، وتفضيل الهاشميين، والقول بإمامة الفاطميين.

والظلم: وضع الإمامة في غير آل محمد، والاقتراء بالجاهل الميت.

والقتل بغير حق: هو المجادلة بغير بيان.

والملاهي: علم الحشوية، ومعتقدات أهل الظاهر التي تلهي النفوس عن الحقائق، ولا تمر في الدقائق.

والمناهي: موافقة الأضداد الجاهدين المنكرين.

والمسكر الحرام: ما يصرف العقل عن التوجه إلى طلب معرفة الإمام.

والجن: هم المستورون عن أعين الأغيار، الناشرون أجنحة الرحمة على أهل الأمصار،

والجن الذي مَلَكَهُمْ سليمان، هم باطنية ذلك الزمان.

والشياطين: هم الظاهرية الذين كلفوا بالأعمال الشاقة.

والعفاريت: أصناف الجاحدين والمعاندين.

وإبليس: هو المخصص بمعادة إمام الزمان⁽¹⁾.

وتسبيح الجبال: تسبيح رجال شداد في الدنيا، راسخين في اليقين.

وذبح اسحق (مع أن الذبيح هو اسماعيل إلا أنهم يقولون بما قالت به اليهود): أخذ العهد عليه.

وعصا موسى: حجته التي تلقفت ما يأفكون من الشبه.

والغمام الذي أظل بني إسرائيل: معناه الإمام الذي نصبه موسى لإرشادهم.

والجراد والقمل والضفادع: سؤالات موسى التي سلطت عليهم.

والمن والسلوى: علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوى.

وعيسى: له أب من حيث الظاهر.

وإنما أراد بالأب: الإمام، إذ لم يكن له إمام، بل استفاد العلم من الله بغير واسطة.

وزعموا - لعنهم الله - تماماً كاليهود - أن أباه يوسف النجار.

وإحياء الموتى من عيسى: معناه الإحياء بحياة العلم عن موت الجهل بالباطن.

وإبرأؤه الأعمى: معناه عمى الضلال، وبرص الكفر، ببصيرة الحق المبين.

وإبليس وآدم: عبارة عن أبي بكر وعلي. إذ أمر أبو بكر بالسجود لعلي، والطاعة له،

فأبى واستكبر.

والإنس: أهل الظاهر.....

والرجل: الناطق أو الإمام.....

والمرأة: الوصي أو الحجة.

¹ - انظر الأنوار اللطيفة - للحامدي ص 136-137، وانظر (الدستور ودعوة المؤمنين للحضور - للطبيي

ص 51-73). والرسالة المذهبة للنعمان المغربي ص 84، وراحة العقل للكرماني، ص 582.

والفتى: المرشح للإمامة.....

والملوك: الأئمة.....

والحكمة: التأويل.

وإناء من خمر، ويأجوج ومأجوج، والأظافر، والجلود، والشعر، والصوف والثياب،

واللباس، والنعل، والحذاء، والبحر، والتوراة، والقرآن هو: العلم الظاهر.

وإناء من لبن، والأعناق، والدبر، وما تحت الأظافر، والعظام والساق، والقبل، والإنجيل

هو: علم الباطن.

وإناء من غسل مصطفى: هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة.

والدجال: أبو بكر لأنه لم يبصر إلا بعين الظاهر.....

والحديد: صعب الكلام.

ونار إبراهيم: هي غضب نمرود لا النار الحقيقية.

والكتاب والقلب: الإمام..

والحج: السفر إلى الامام.....

والتلبية: إجابة الدعوة.

والصوم: كتمان أسرار الدعوة.....والجهاد: جهاد النفس.

والطهارة: التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الإمام.

والغسل: تجديد العهد ممن أفشى سراً من أسرارهم بغير قصد.

والعينان واليدان والرجلان - اليمنى ويسرى - الإمام والحجة.

والجماع والذبح والطهارة: أخذ العهد والميثاق...

والغائط: الكفر.....

والبول: الشرك.....
والختان: كشف الظاهر عن الباطن...
 وإزالة اللباس: إزالة الظاهر وإظهار الباطن.....
والكعبة والصفاء: النبي.
والباب والمروءة: علي.....
والقرية والمدينة والسفينة: الدعوة...
والشمس ومصر: الناطق.....
والسجود: النطقاء.....
والليل: الكتمان.
والقمر: الوصي.....
والطواف بالبيت سبعاً: موالاة الأئمة السبعة.
والليالي: الحجج.....
والريح العقيم: العلم.....
والطوفان: طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالسنة.
والجنة: راحة الأبدان من التكاليف.....
والنار: مزاولة التكاليف⁽¹⁾.
تفنيـد هـذه التـأويـلات:

¹ - أنظر أساس التأويل، تأويل الدعائم للقاضي النعمان المغربي، وانظر الدستور ودعوة المؤمنين للحضور -
للطبيي. وانظر راحة العقل للكرماني - مواطن متفرقة - وانظر فضائح الباطنية - الغزالي ص 35-67.

وبعد هذه الجولة مع تأولات الاسماعيليين السبئيين يتبين لنا تأويلهم البعيد الغريب الذي لا تدل عليه اللغة، ولا يشهد له ظاهر الكلام ، ولا سياقُه، كما تبين لنا كذلك تعارضهم وتناقضهم في تأويل الشيء الواحد، واتضح لنا أن السبئية وأفراخها ليست من فرق الإسلام، وإنما هي من الفرق الملحدة التي حاربت الأديان بصفة عامة، والإسلام بصفة خاصة، واتخذت التأويل الضال الفاسد خطة منهجية في حربها، ومِعولاً قوياً تهدم به - حسب اعتقادها - ما ظنت أنها قادرة على هدمه .

وقد اعتمدوا في تأويلاتهم على الظن والوهم (وميدان الظن واسع، وحكم الوهم غالب، فتعارضت الظنون، وكثرت الأوهام)⁽¹⁾. (ولم يكتف رسول الله - ﷺ - من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس به من زوجه أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحب، على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده - صلى الله عليه وسلم - سر ولا رمز، غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كَتَمَ لما بلغ شيئاً كما أمر، ومن قال هذا فهو كافر بإجماع الأمة)⁽²⁾.

وقد ناقش ابن حزم مسألة الخروج على الظاهر من دون دليل، مناقشة عملية رصينة، ووردّها بأدلة كثيرة حيث قال: (وقد أكذب الله تعالى هذه الفرقة الضالة بقوله عز وجل بقوله : (.... يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) (المائدة: 13) ، ولا بيان أجلى من هذه الآية في أنه لا يحل صرف كلمة عن موضعها في اللغة، ولا تحريفها عن موضعها في اللسان، وإن من فعل ذلك فاسق مذموم عاص).

¹ - المقرئزي : خطط المقرئزي 3 : 313.

² - الإمام ابن حزم : الفصل 2 : 116.

وقال: قال تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة : 75). وكل من صرف لفظاً عن مفهومه في اللغة فقد حرفه).

ثم قال: (ومدعي التأويل وتارك الظاهر تارك للوحي، مدع لعلم الغيب، وكل شيء غاب عن الشاهد الذي هو الظاهر فهو غيب، ما لم يدل عليه دليل من ضرورة عقل، أو نص من الله تعالى، أو من رسول الله ﷺ - أو إجماع راجع إلى النص المذكور) إلى أن يقول: وقال تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلاً) (الإسراء : 73) ، فمن ترك ظاهر اللفظ، وطلب معاني لا يدل عليها لفظ الوحي، فقد افترى على الله عز وجل بنص الآية المذكورة (1).

ثم إن هؤلاء الباطنية خالفوا قانوناً لغوياً عاماً في المجتمع الإنساني، إذ أننا نعلم ضرورة أن الأسماء وضعت للدلالة على مسمياتها التي علقت بها، فاستعمالها بلا دليل ولا

برهان في غير مسمياتها سفسطة وفساد عظيم، وتخريب واضح لأساس الفكر الإنساني، وقضاء مبرم على التمييز بين حقائق الأشياء في الوجود، لأننا حينئذ نستطيع أن نعارض الفاسد بالفاسد، وهو كما قال الغزالي: (أن نتناول جميع الأخبار على مقتضى مذهبهم). فمثلاً: يقال: قوله (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة) أي: لا يدخل العقل دماغاً فيه التصديق بالمعصوم). ثم قال الغزالي: (فإن زعموا أنكم أنزلتم الصورة على المعصوم في قوله - لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة - فأبي مناسبة بينهما...؟؟ قلت: وأنتم نزلتم الثعبان على البرهان، والأب في حق عيسى على الإمام،

¹ - الإمام ابن حزم : الأحكام في أصول الأحكام 3 : 291-294.

واللبن على العلم في أنهار اللبن في الجنة، والجن على الباطنية، والشياطين على

الظاهرية، والرجال على الرجال، فما المناسبة...؟؟؟

فإن قلت: البرهان يقضم الشبه كما يقضم الثعبان غيره، والإمام يفيد الوجود العلمي كما يفيد الأب الوجود الشخصي، واللبن يغذي الشخص كما يغذي العلم الروح، والجن باطن كالباطنية.

فيقال لهم:

فإذا اكتفيت بهذا القدر من المشاركة، فلم يخلق الله شيئين إلا وبينهما مشاركة في وصفٍ ما، فإننا أنزلنا الصورة على الإمام، لأن الصورة مثلاً لا روح فيها، كما أن الإمام عندكم معصوم ولا معجزة له، والدماغ مسكن العقل، كما أن البيت مسكن العاقل، والملك شيء روحاني.

كما أن العقل كذلك، فثبت أن المراد بقوله (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة) معناه لا يدخل العقل دماغاً فيه اعتقاد عصمة الإمام، فإذا عرفت هذا فخذ كل لفظ ذكره وخذ ما تريده واطلب منهم المشاركة بوجه ما، وتأوله عليهم فيكون دليلاً بموجب قولهم، كما عرفتكم في المناسبة بين الملك والعقل والدماغ، والبيت والصورة والإمام، وإذا انفتح لك الباب، اطلعت على وجه حيلهم في التلبيس بنزع موجبات الألفاظ، وتقدير الهوسات بدلاً عنها، للتوصل إلى إبطال الشرع، وهذا القدر كف في إبطال تأويلهم⁽¹⁾.

والدليل القاطع على أنهم يقصدون في التأويل تحريف معاني القرآن لا غير، أو إبطال الشرع، أننا لا نجدهم على خط واحد في التأويل، بل كان كبار الدعاة مختلفين في

¹ - الغزالي : فضائح الباطنية ص 38- دار البشير - عمان.

تأويلهم الباطني تبعاً لشخصية الداعي، واختلاف موطنه، ومكان وجوده، ومن كثرة ما وقع من الخلاف بينهم في مسائل كثيرة، بدأ يضيق أحد الكتاب المادحين لهم والمدافعين عنهم فقال: (من ذلك نستطيع ان ندرك كثرة الاختلافات التي كانت بين الدعاة كما لا نستطيع أن نعلل وجود هذا الخلاف، في حين أن الفاطميين صرحوا أن علمهم مأخوذ من الإمام المعصوم) ⁽¹⁾.

وأجبرت هذه الاختلافات الشديدة الكاتب الإسماعيلي المعاصر على أن يقر ويعترف بقوله: (من المعلوم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن دراستها وبحثها على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة، ذلك أنها عقائد تطورات حسب البيئات والأزمان، فاختلف باختلافها وتشعبت آراؤها ونظرياتها حتى أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد أو أن تصهر في بوتقة واحدة) ⁽²⁾.

وبمثل ذلك قال الباحثان: د. محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادي شعيرة: (ونحن نعلم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تدرس على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة بل هي عقائد تطورات حسب البيئات والأزمان) ⁽³⁾.

لذلك نجد تأويلات الداعي منصور اليمن قبل ظهور الدولة الفاطمية في المغرب، تميل إلى الغلو، وهي أشبه بما كان يقوله الغلاة من الفرق السبئية وغيرها، وتأويلات دعاة فارس بعد قيام الدولة الفاطمية الباطنية الإسماعيلية بالمغرب تختلف عن تأويلات

¹ - مقدمة ديوان المؤيد في الدين - محمد كامل حسين ص 97.

² - مقدمة - كنز الولد - لمصطفى غالب الإسماعيلي.

³ - مقدمة سيرة الأستاذ جُؤذ ر - د. محمد كامل اسماعيل، والدكتور محمد عبد الهادي شعيرة، ص 17.

الدعاة الذين كانوا بالقرب من الأئمة بالمغرب، ففيها التأليه الصريح للأئمة وفيها طرح الفرائض الدينية.

فتأويل الصلاة عندهم هو التوجه القلبي للإمام، وتأويل الصوم هو عدم إفشاء أسرار الدعوة، وتأويل الحج هو زيارة الإمام، بخلاف ما كان عليه الأمر في مصر، وبلاد المغرب، إذ لم يصرحوا بهذه الآراء إلا في كتبهم السرية الخاصة⁽¹⁾ وأما في كتاباتهم العامة فقد كان صرح بعضهم بالأخذ بالظاهر نفاقاً إلى المسلمين في مصر، حتى يحفظوا كيان دولتهم الباطنية الفاطمية⁽²⁾. هذه حقيقة التأويل الباطني، والتأويل الحداثي عموماً يسترشد بهذا التأويل الاسماعيلي المنحرف، الخارج على القواعد الأساسية في تفسير القرآن، دون أي التزام بضوابط التفسير والاستنباط والتأويل.

وبعد :

فما تأويلات هؤلاء الأفاقيين الكذبة، إلا من جنس تأويل تلك التي أدعت النبوة في زمن المأمون.. فأحضرت إليه فقال لها: من أنت...؟ قالت: فاطمة النبوية. فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد - ﷺ - . قالت: نعم. كل ما جاء به فهو حق.

قال المأمون: فقد قال محمد - ﷺ - لا نبي بعدي!.

قالت: صدق - ﷺ - ، فهل قال: لا نبوة بعدي..؟

¹ - انظر د. محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية، ص 165.

² - انظر أساس التأويل، ص 60.

فقال المؤمنون لمن حضره.. أما أنا فقد انقطعت. فمن كانت عنده حجة فليأت بها، وضحك حتى غطى على وجهه⁽¹⁾. ولا تلقى أمثال هذه الدعوات أنصاراً لها، إلا بين ذوي الأمزجة المنحرفة الموتورة، والأهداف الساقطة، ولكن المجتمع الإسلامي بحمد الله، رغم الكيد الذي يوجه إليه، ورغم المؤامرات التي تحاك ضده، على وسائل الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، فإنه يحمل من عقيدته الطاهرة ما يحميه، وتجعله يرفض كل دعوة تخرج على دينه، ويقف صفاً واحداً في وجه أدعياء النبوة، وسدنة الباطل.

ضلالات الإسماعيلية

الضلالة الأولى:

إشراكهم بالله عز وجل الشرك الأكبر وذلك باعتقادهم آلهة متعددة لها من التأثير والتدبير في الكون ما ثبت لله وحده وهم وإن لم ينطقوا بذلك صراحاً ويظهروا به أمام الخلق إلا أن فلسفتهم وفكرهم يؤول إلى هذا الاعتقاد المخرج من الملة الإسلامية بل من الملل السماوية كلها ولذا اتفق نقلة المقالات - كما قال العلوي - عنهم من غير تردد على أنهم يعتقدون بالهين قديمين لا أول لوجودهما من الحديث والزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني واسم العلة السابق واسم المعلول التالي وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي. (2) .

¹ - النويري : نهاية الأرب 4 : 14-15.

² - الافحام لأفئدة الباطنية الطغام ص 38.

إن هذا المعتقد لدى الإسماعيلية لم يكن جديداً أو مبتكراً من عندهم بل هو من الركام المتناثر الذي كان منتشراً قبل الإسلام لدى الأمم المختلفة ما بين فلسفات اليونان ومعتقدات المجوس وتحريفات اليهود والنصارى حيث لفق الإسماعيلية من هؤلاء وأولئك تصوراتهم المنحرفة المحرفة وسرقوا هذه التصورات والأفكار وأضافوا إليها ما هو أشد كفراً وإلحاداً واعتبروها - مع ذلك - عقيدة ومنطلقاً لهم ولذا يقارن أحد المؤلفين الذين ردوا عليهم وكشفوا باطنهم يقارن بينهم وبين مذهب المجوس ويقول إنه - أي مذهب الإسماعيلية - يضاهي مذهب المجوس من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن الباطنية قالوا بالاثنتين كما قالت المجوس وعبروا عنها بالسابق والتالي كما عبر المجوس عن الاثنتين بيزدان و اهرمن.

الوجه الثاني أن الباطنية قالوا بقديم السابق وحدوث التالى كما قال المجوس بقديم يزدان وحدوث اهرمن.

الوجه الثالث: أن الباطنية أضافوا النقص إلى التالى كالمجوس أضافوا النقائص كلها إلى اهرمن.

الوجه الرابع: أن من مقولات الباطنية الاعتقاد بأن التالى معلول عن السابق ومتولد عنه كالمجوس فإنهم قالوا إن اهرمن حصل عن يزدان وتولد من فكرته.

الوجه الخامس: أن المجوس قالوا إن حدوث هذه التراكيب عن يزدان والباطنية قالوا إن حصولها عن السابق بوسائط ومن هنا يعلم مشابهة معتقد الإسماعيلية لمذهب المجوس بل يقول المؤلف: إن الباطنية أسوأ حالا منهم لأمرين:

الأمر الأول: أن المجوس لما أثبتوا يزدان إلهاً واعتقدوا إلهيته وصفوه بصفات الكمال من القدرة والعلم الحياة بينما الباطنية الإسماعيلية سلبوا عن إلههم جميع صفات الكمال.

الأمر الثاني: إن الباطنية لم يقنعوا بسلب الصفات الإلهية عنه بل ضموا إليه جهالة أخرى فقالوا عنه: أنه قادر ولا قادر وعالم ولا عالم وموجود ولا موجود فخرجوا به عن جميع القضايا العقلية كما اعتقدوا خروجه ن حكم السلب والإيجاب معا وهذا فيه من فحش المقال والجهالة ما غطى على معتقد المجوس^(1) .

والاعتقاد بتعدد الآلهة فضلا ن كونه اعتقادا باطلا في ذاته فإنه يعتبر أمرا خطيرا له أثر كبير في الضمير البشري وفي الحياة الإنسانية كلها ولذا عني الإسلام عناية كبرى بتحرير أمر العقيدة الصحيحة خالية من جميع الشوائب والمؤثرات وحدد الصورة وعلاقة الخلق بها فتستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وآدابهم وأخلاقهم كذلك مما يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها إلا أن تستقر حقيقة الألوهية وإلى جانب تحديد الصورة الصحيحة لعقيدة الألوهية لم يغفل الإسلام الرد على جميع الانحرافات والأخطاء التي وقعت فيها الديانات المحرفة والفلسفات الخاطئة في الظلام - سواء ما كان منها قبل الإسلام وما وجد بعده كذلك حول عقيدة الألوهية^(2) . وبعد هذا العرض نصل إلى أن النصوص الشرعية بأجمعها بينت ضلال من يعتقد بتعدد الآلهة وسلكت في ذلك مسلكين:

الأول: عرض الصورة الصحيحة لعقيدة الألوهية وهذا كثيرا ما ور في الآيات القرآنية على ألسنة الرسل وذلك بالدعوة إلى التوحيد وإفراد الله عز وجل بالعبادة قال تعالى لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [الأعراف: 59] وكذلك يتكرر الأمر بتوحيد الله في قصة كل رسول

¹ - الأفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص44-45.

² - انظر : سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ، ص 44.

ومن الآيات الصريحة في هذا الباب قول الله عز وجل مخاطبا نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام بقوله وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [المائدة: 116] مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ [المائدة: 117]

وكذلك قول الله عز وجل مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء: 25]، وكذلك قوله تَعَالَى إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ [البقرة: 163]، وقوله تعالى إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ [الصافات: 4-5]،

المسلك الثاني: الرد على جميع الانحرافات والتصورات الضالة في حقيقة الألوهية وهذا النوع كثير في القرآن وما ذاك إلا لأن هذه التصورات منطلق للكفر والضلال قال تعالى في سورة الإخلاص قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [1-4: الإخلاص] ومن أبلغ الأدلة في الرد على معتقد الإسماعيلية القائلين بالهين اثنين قول الله عز وجل مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ [المؤمنون: 91]، وقوله عز

وجل وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ [النحل: 51]، وقال تعالى الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا [الفرقان: 2-3]، وقال تعالى.....وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا [الإسراء: 9]، قُلْ

لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا [الإسراء: 42] سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا [الإسراء: 43] قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً
أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ [الأنعام: 19] (1)

الضلالة الثانية:

اعتقاد الإسماعيلية بالسلب المحض لله عز وجل ومنهجهم في ذلك نفي الأسماء
والصفات عن الله عز وجل جملة وتفصيلاً وتصوير الله عز وجل بصورة خيالية لا
حقيقة لها ولا وجود ويصبح الإله عندهم إلهاً سلبياً لا يمكن وصفه بشيء حتى لفظ
الوجود وذلك الموقف من الإسماعيلية شبيه بموقف جان اسكوت اريجين (المتوفى
حوالي سنة 877م) حيث أثبت لاهوتاً سلبياً ومن المسائل التي ذكرها عن لاهوته
السلبى قوله: هل يمكن وصف الله بالوجود؟ وأجاب أننا لا نستطيع أن نقول عن الله أنه
موجود وإنما يمكن أن نقول أنه فوق الوجود (2) وأصل هذا الاعتقاد عند
الإسماعيلية وسائر فرق النفاة للأسماء والصفات -كما يقول ابن تيمية- مأخوذ من
المشركين والصابئين من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن
الرب ليس له صفة ثبوتية أصلاً وهؤلاء أعداء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهم

1 - سليمان بن عبد الله السلومي : أصول الاسماعيلية ، 2 : 545.

2 - عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين : 2 : 223-224.

يعبدون الكواكب. (1)

حكم الإسلام في طائفة الإسماعيلية

إن الحكم على طائفة الإسماعيلية هل هي فرقة من الفرق الإسلامية أو هي فرقة من الفرق الخارجية عن الإسلام مبني على أمرين هامين:

أولهما: النظر والتأمل في معتقدات القوم وتصوراتهم ومن ثم سلوكهم وواقعهم وهذا الأمر من الواضح بمكان حيث أنه ما من فصل من فصول البحث - ولا سيما الباب الخاص بأصول الإسماعيلية ومعتقداتها - إلا وفيه الحكم البين الواضح الدال على كفرهم وردتهم وخروجهم من الإسلام جملة وتفصيلا وهذا الحكم نستطيع أن نقول بسهولة أنهم هم الذين قرروه على أنفسهم فمعتقدهم بالله مبني على تعدد الآلهة حيث أناطوا خلق الخلق وإدارة الكون وتدبير أمر العالم علويه وسفليه على العقلين الأول أو الثاني أو السابق والتالي مع الإلحاد في أسماء الله وصفاته بجحدها ونفيها عن الله بالكلية وفي باب النبوات اعتبروا النبوة رتبة من مراتب دعوتهم يتمكن المستجيب لهذه الدعوة من الوصول إليها ومن جراء ذلك أصبحت النبوة مقاما يحق إدعاءه لسائر الخلق. كما أنهم لم يؤمنوا بختم النبوة وانقطاع الوحي مع إنكارهم لمعجزات الرسل والأنبياء وزعمهم بأفضلية الولاية والوصاية على النبوة والرسالة وأي واحد من هذه المزاعم كفر مخرج من الملة الإسلامية فكيف بها وقد اجتمعت عندهم.

وفي باب الأخرويات يبطلون الاعتقاد بالقيامة والمعاد على الوجه المتفق عليه بين علماء الملة الإسلامية حيث يعتقد بأن القيامة هي قيام قائمهم وأن الثواب والعقاب إنما

¹ - ابن تيمية : بيان تلبيس الجهمية ، 1 ص 9 . و سليمان بن عبد الله السلومي : أصول الاسماعيلية : 2:

هو في الدنيا ومما لا شك فيه أن من أنكر أو أول معتقدا وركنا أساسيا من أركان الإيمان أنه يعتبر كافرا ومرتدا.

وفي باب الأعمال التكليفية الشرعية نجد أنهم قد أسقطوا هذه الأعمال وأولوها حتى انتهى بهم الأمر إلى تركها وإهمالها بل أنهم أولوا مزاولتها على أنها صورة من صور العذاب ومن اعتقد ذلك أو عمله فلا شك بكفره وردته لمعارضة ذلك لأدلة الشرعية الموجبة أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن لم يقيم بها ويؤيدها فإنه قد أخل بأركان الإسلام وقواعده ومن ثم لا يعتبر مسلما فكيف بمن لم يقيم بها مع اعتقاده خلافها والدعوة إلى تركها لا شك أن كفره أغلظ من الجنس الأول وهذا هو حال الإسماعيلية كما رسم ذلك دعائهم وسطره علماءهم.

والخلاصة في هذا الأمر أن معتقدتهم في أمر واحد من هذه الجوانب الأربعة كاف في الحكم عليهم بأنهم فرقة خارجة عن الفرق الإسلامية جملة وتفصيلا وأن نسبتهم إلى الإسلام تعتبر مخالفة للأدلة ومغالطة للواقع الذي عاشوه والمنهج الذي رسموه - إذا كان ذلك في أمر واحد فقط فكيف بهذه الأمور الأربعة وقد اجتمعت بهم نعوذ بالله من الكفر المغلظ ونعوذ بالله من عاقبة ومصير أصحابه دنيا وأخرى قال تعالى **الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** [النساء: 145]

الأمر الثاني: بين علماءنا من أهل السنة والجماعة حقائق طائفة الإسماعيلية وأهدافها ومعتقداتها ومن ثم استخلصوا الحكم عليها بناء على الأدلة الشرعية وبناء على واقع الإسماعيلية حتى غدت وأصبحت - والله الحمد - صورتهم واضحة ومنطلقاتهم معلومة وهذه هي نصوص العلماء:

يقول الإمام الغزالي - وهو من مشاهير أهل العلم الذين خبروهم وعرفوا أسرارهم - أن

مذهب الباطنية - والإسماعيلية فرقة منها - مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ثم يضيف إلى أنهم يوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونهم عليها . (1) .

ونقل المحبي في (خلاصة الأثر) ما يلي: وأما القول فيهم - الباطنية - من جهة الاعتقاد منهم والنصيرية والإسماعيلية على حد سواء والجميع زنادقة وملاحدة ثم نقل عن كثير من كبار أهل العلم في المذاهب نص قولهم إن كفر هذه الطوائف مما اتفق عليه المسلمون وأن من شك في كفرهم بعد العلم بحالهم فهو كافر مثلهم وأنهم أكفر من اليهود والنصارى . (2)

وحينما تحدث البغدادي في الباب الرابع من كتابه (الفرق بين الفرق) وضع عنوانا لهذا الباب قائلاً: بيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه ثم ذكر من هذه الفرق الباطنية وقال إن ضررها على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس بل أعظم مضرة من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان لأن الذين ضلوا لا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوما وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر ... إلى أن قال: الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهريّة زنادقة يقولون بقدوم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع ثم ذكر أدلة كثيرة نقلها من رسائلهم وكتبهم تدل على أنهم دهريّة مجوس زنادقة. وفي آخر

¹ - الغزالي : فضائح الباطنية ، ص 37.

² - الكوثري : مقدمة كشف أسرار الباطنية ، ص 9 .

الباب قال وقد بينا خروج فرق الباطنية والإسماعيلية كبرى فرقهم عن جميع فرق الإسلام بما فيه كفاية والحمد لله على ذلك. (1)

وفي كتابه (أصول الدين) ذكر أن طائفة الباطنية خارجة عن فرق الأهواء وداخلة في فرق الكفر الصريح لأنها لم تتمسك بشيء من أحكام الإسلام في أصوله ولا في فروعها وأن دعائهم خالفوا المسلمين في التوحيد والنبوات وفي تأويل الآثار والآيات وأنهم كانوا دعاة المجوس بالتمويه إلى دين الثنوية. وبعد أن يستعرض عقائدهم يقول: واختلف أصحابنا في حكمهم فمنهم من قال هم مجوس وأجاز أخذ الجزية منهم وحرّم ذبائهم ونكاحهم ومنهم من قال حكمهم حكم المرتدين إن تابوا وإلا قتلوا وهذا هو الصحيح عندنا ثم ساق البغدادي بعد ذلك فتوى الإمام مالك في الباطني والزنديق قال عنهما إن جاءا تائبين ابتداء قبلنا التوبة منهما وإن أظهرتا التوبة بعد العثور عليهما لم تقبل التوبة منهما وأن هذا هو الأحوط فيهم . (2) وتحدث ابن حزم عن دار الإسلام ودار الحرب واعتبر أن الأراضي التي حكمها بعض الفرق الباطنية تعتبر دار كفر وذلك لصريح كفرهم وذلك كالقرامطة مثلاً وهم من فرق الإسماعيلية وأما ديار العبيديين لظهور الإسلام فيها فإنها وإن حكمها العبيديون تعتبر دار إسلام وإن كان حكامها في حقيقة أمرهم كفاراً يقول ابن حزم عن ذلك إن من سكن في طاعة أهل الكفر من الغالية كالعبيديين ومن جرى مجراهم لا يعتبر كافراً لأن أرض مصر والقيروان وغيرهما الإسلام فيها هو الظاهر وولائهم على كل ذلك لا يجاهرون بالبراءة من الإسلام بل إلى الإسلام ينتمون وإن كانوا في حقيقة أمرهم كفاراً وأما من سكن في أرض القرامطة مختاراً فكافر

1 - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص 220 ، 265، 266 ، 278، 299.

2 - البغدادي : أصول الدين ، ص 329-331.

بلا شك لأنهم معلنون بالكفر وترك الإسلام. (¹) وفي موضع آخر يقول عن الإسماعيلية أنها طائفة مجاهرة بترك الإسلام جملة وقائلة بالمجوسية المحضة (²) فابن حزم يجزم بكفر القرامطة والعبيديين وهما من الإسماعيلية حيث الأولى فرقة من فرقهم وأما العبيديون فإنهم أئمة الإسماعيلية في فترة الظهور وعددهم اثنا عشر حاكما. ويفصل الديلمي حكمه على طائفة الباطنية وفرقها فيقول إن الذي يدل على كفر الباطنيين وجوه كثيرة وذكر منها عشرين وجها ثم قال إن دلائل كفرهم مترتبة على أمور ثلاثة اعتقادات وأقوال وأفعال ومتى حصل واحد منها كفى في كون مرتكبه كافرا وإن اجتمعت فأجدر أن يكون كافرا فالباطنية على هذا من أكفر الكفار لاجتماع هذه الأمور الثلاثة . (³) .

ويصف الشاطبي الباطنية بأنهم ثنوية دهرية إباحية ينكرون النبوة والشرائع وأمور المعاد بل إنهم ينكرون الربوبية . (⁴) ومن أهم الأحكام في هذا الباب ما نقل عن ابن تيمية رحمه الله من الفتوى المشهورة في موسوعة مجموع الفتاوى حيث سئل عن الفرق الباطنية ما حكم الإسلام فيها وما حكم التعامل مع هذه الطوائف فأجاب إجابة طويلة تقتصر منها على ما يتعلق بالإسماعيلية.

يقول إن جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين ذكروا بطلان نسبهم حتى صنف العلماء في كشف أسرارهم وهتك أستارهم ومن ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني ألف

¹ - ابن حزم: المحلى ، 13: 139.

² - ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل : 2:116.

³ - الديلمي : مذهب الباطنية وبطلانه ، ص 71.

⁴ - الشاطبي : الاعتصام ، 1: 253.

كتابه المشهور في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وذكر أنهم من ذرية المجوس وذكر من
مذاهبهم ما بين فيه أن مذاهبهم شر من مذاهب اليهود والنصارى بل ومن مذاهب
الغالية الذين يدعون إلهية على أو نبوته فهم أكفر من هؤلاء وكذلك القاضي أبو يعلى
في كتابه (المعتمد) ذكر فصلا طويلا في شرح زندقتهم وكفرهم وكذلك أبو حامد الغزالي
ذكر في كتابه الذي سماه (فضائل المستطهرية وفضائح الباطنية) بأن ظاهر مذهبهم
الرفض وباطنه الكفر الحض وكذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد وأمثاله من المعتزلة
المتشعبة يجعلون هؤلاء - أي الإسماعيلية - من أكابر المنافقين الزنادقة فهذه مقالة
المعتزلة في حقهم فكيف تكون مقالة أهل السنة والجماعة والرافضة الإمامية - مع أنهم
من أجهل الخلق وأنهم ليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا متصورة -
يعلمون أن مقالة هؤلاء مقالة الزنادقة المنافقين ويعلمون أن مقالة هؤلاء الباطنية شر
من مقالة الغالية الذين يعتقدون إلهية علي رضي الله عنه ثم يضيف قائلا: إن
علماء الأمة المأمونون علما ودينا يقدحون في نسبهم ودينهم لا يذمونهم بالرفض
والتشيع فإن لهم في هذا شركاء كثيرين بل يجعلونهم من القرامطة الباطنية الذين منهم
الإسماعيلية والنصيرية ومن جنسهم الخرمية المحمرة وأمثالهم من الكفار المنافقين الذين
كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ولا ريب أن اتباع هؤلاء باطل وقد وصف العلماء
أئمة هذا القول بأنهم الذين ابتدعوه ووضعوه وذكروا ما بنوا عليه مذاهبهم وأنهم أخذوا
بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة فوضعوا لهم السابق والتالي والأساس والحجج
والدعاوى وأمثال ذلك من المراتب التي آخرها البلاغ الأكبر والناموس الأعظم وإذا كان
كذلك فمن شهد لهم بصحة نسب أو إيمان فأقل ما في شهادته أنه شاهد بلا علم قاف
ما ليس له به علم وذلك حرام باتفاق الأمة بل ما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق ومعاداة

ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على بطلان نسبهم الفاطمي... ثم يقول إن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى وأن ما نقل عنهم وفي رسائلهم الخاصة مخالفة للملل الثلاث دين الإسلام ودين النصارى ودين اليهود فهؤلاء خارجون عن الملل الثلاث.

وبالجملة فعلم الباطن الذي يدعون مضمونه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بل هو جامع لكل كفر لكنهم فيه على درجات فليسوا مستوين في الكفر إذ هو عندهم سبع طبقات كل طبقة يخاطبون بها طوائف من الناس بحسب بعدهم من الدين وقربهم منه... ثم يبين ابن تيمية رحمه الله آثار كفرهم في البلاد التي حكموها بقوله: ولأجل ما كان أئمة الإسماعيلية عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم حوالي مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان حتى قامت فيها العلماء: إنها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب. (1)

وفي موضع آخر بعد أن ذكر ألقابهم وأسمائهم ومنها الإسماعيلية والباطنية قال: إن شرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين. كما أنهم لا يؤمنون بشرع من الكتب المنزلة من الله عز وجل لا التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن ولا يقرون بأن للعالم خالقا خلقه ولا بأن له ديناً أمر به ولا أن له داراً يجزي الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار وهؤلاء اتفق علماء المسلمين على أنه لا

¹ - ابن تيمية : مجموع الفتاوى : 35 : 129 ، 133 ، 134 ، 135 ، 139 .

تجوز مناكحتهم ولا تباح ذبائحهم وأوانيهم وملابسهم كأواني المجوس وملابس المجوس.
ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلى على من مات منهم كما قال تعالى عن
المنافقين وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ [التوبة: 84] فكيف بهؤلاء الباطنية فهم مع زندقتههم ونفاقهم
يظهرون الكفر والإلحاد . (1)

ومن علماء أهل السنة والجماعة الذين بينوا حال الإسماعيلية وحكموا عليها الإمام ابن
القيم رحمه الله يقول: "ومن أشر طوائف المجوس الذين لا يقرون بصانع ولا معاد ولا
نبوة ولا حلال ولا حرام الخرمية أصحاب بابك الخرمي وعلى مذهبهم طوائف القرامطة و
الإسماعيلية والنصيرية والدرزية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية وهم من
أكفر الكفار فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفاوتون في التفصيل فالمجوس شيوخ
هؤلاء كلهم وأئمتهم وقدوتهم وإن كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم وهؤلاء
لا يتقيدون بدين من ديانات العالم ولا بشريعة من الشرائع . (2) ،

ويقول الكوفي - وهو ممن عاصرهم - إن دعوة الإسماعيلية في الكوفة ترجع إلى
مذاهب الثنوية وتهدف إلى تحقيق مذاهب المجوسية في مواضع آخر ويحوم حولها
أمور مختلطة من نحل كثيرة. ثم يذكر الكوفي عن رجل اسمه أبو عبدالله بن إسماعيل
دخل دعوة الباطنية ثم خرج منها تائبا بعد أن عرف أسرارها يقول هذا الرجل أشهد على
أن القصد بمبتدأ هذه الدعوة لم يكن للتشكيك في الإسلام ونقل المملكة عن العرب
خاصة وإنما كان القصد فيه إثبات دين المجوسية من بين سائر الأديان المختلطة. وفي

¹ - ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ص 152-155.

² - ابن القيم: إغاثة اللهفان ، 2: 247-249.

موضع آخر يقول إن غرضهم من دعوته هو الخلع من الإسلام والشرائع المعروفة وديانات الرسل المشهورة . (¹) . ويذكر العراقي أنه بدعوتهم إلى ترك العمل بالظاهر ودعوتهم إلى القول بالباطل إنما يقرعون باب الفتنة والفساد ويؤيدون الكفر والإلحاد ثم يضيف إلى أنه لا يوجد طائفة من الكفرة أخبت ولا أكثر فسادا منهم ثم يقول إن غرضهم تعطيل الرسل وإبطال الحكم بالظاهر والمدعو لديهم يتدرج في دعوتهم حتى يصل إلى النهاية التي إذا بلغها انسلخ من الإسلام ودخل في الكفر . (²) . وينقل الديلمي في موضع غير ما تقدم الإجماع على كفرهم يقول إن الأمة قد أجمعت على كفرهم فلا ترى أحدا اليوم من علماء المسلمين من المشرق إلى المغرب أنه يتوقف في كفرهم ولا شك أن الإجماع من آكد الدلائل النقلية . (³) . ونقل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إجماع أهل العلم على كفر أئمة الإسماعيلية (العبيديين) وقال إن بني عبيدة لما أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم أجمع أهل العلم على أنهم كفار يجب قتالهم وأن دارهم دار حرب ولذلك غزاهم المسلمون واستتقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين . (⁴) هذه هي نماذج من أقوال أهل العلم قديما وحديثا و حكمهم الواحد في هذه الطائفة الباطنية (الإسماعيلية) وأنها من الفرق المنتسبة للإسلام انتسابا فهي خارجة عن الفرق

¹ - الرد على الاسماعيلية القرامطة ، ص 33، 35، 173.

² - عثان العراقي : الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة ، 104- 114.

³ - الديلمي : مذهب الباطنية وبطلانه ، ص 99.

⁴ - انظر نص الفتوى في كتاب (مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد عبد الوهاب ص 33.

الإسلامية بل خارجة حتى عن الاثنين والسبعين فرقة الهالكة كما ورد في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - . (1)

الخاتمة

على ضوء من الدراسة السابقة ، أود أن أسجل بعض أهم النتائج التي توصلت إليها ،
وتتلخص فيما يلي :

- 1- كان الغلو في آل البيت هو الستار الذي تلفع به كثير من الغلاة الذين أرادوا الكيد لهذا الدين ، والتشويش على عقائد المسلمين .
- 2- إن الاسماعيلية بفرقها ما هي إلا أدوات كيد للإسلام والمسلمين .. ودائما تقف في صف أعداء الأمة كما هو ملموس !؟
- 3 - كشفت الدراسة عن أن التأويل مر بمراحل ثلاث : ففي المرحلة الأولى : دار فيها مع التفسير كشفا وفهما لمعاني النص الديني . ولم يجد العرب المسلمون صعوبة في معرفة وفهم آي القرآن ، فأسلوب القرآن جار على أساليبهم المستعملة ، إلى جانب معاشتهم للنصوص ، ومعرفة أسباب نزولها ، كل ذلك سهل عليهم إدراك مضامين النص ، ومعرفة إichاءاته . وفي مرحلة تالية : أصبح التأويل مصطلحا مستقلا ، له أهميته وخطره ، وهو صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى يحتمله بدليل . وفي

¹ - سليمان بت عبد الله السلومي : أصول الاسماعيلية : 2 : 663.

مرحلة ثالثة : استغله الباطنيون الغلاة ، فأصبح التأويل عندهم هو : صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى قرروه في أذهانهم .

4- وضحت من خلال بعض الأمثلة أن لا ضوابط للغلاة في تأويلاتهم ، فقد نجد الواحد منهم يؤول الشيء الواحد تأويلين متناقضين ، كما أنهم من النادر أن يتفقوا في تأويلاتهم للشيء الواحد ، مما يدل على أن كل واحد يؤول بما شاء له الهوى ، وحسب انحراف مزاجه أو اعتداله . لذا وضع علماء الإسلام ضوابط للتأويل المقبول ، كي لا تتخذ المذاهب الضالة والتيارات الهدامة من التأويل سندا ووسيلة لخدمة أغراضها ، ولبث الفوضى الفكرية ، والاجتماعية ، والدينية .

5- التأكيد على ضرورة معرفة الدارسين للعلوم الشرعية للتأويلات الباطنية الفاسدة ، لإدراك ما حَرَّفَهُ أرباب المذاهب ودسوه في كتب التفسير ، من معاني خرجوا بها عن قواعد اللغة ، وأصول الشريعة ومقاصدها .

6 - إن ثبات الإسلام بشموخ أمام كل حركات الهدم والفتنة ، يزيدنا يقينا بقوة الإسلام الذاتية على تجاوز المحن والمصاعب ولكن مع ذلك ، فعلى المسلمين أن يبذلوا قصارى جهودهم في الاستمساك بعروة الإسلام الوثقى ، واستيعاب ثقافة العصر ، ورصد تحركات أعداء الإسلام ، ومواجهة كل ذلك بثبات و يقين .. والعاقبة للمتقين .

ملحق رقم (1)

أحرف الأبجدية السرية للطائفة الإسماعلية :

هذه هي أحرف الأبجدية السرية للطائفة الإسماعلية:

الأبجدية الأولى في السطر الأول، والثانية في السطر الثاني.

٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧

١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥

٨ ٣ ٤ ٦ X

٨ ٣ ٤ ٦ ٧

ر ز س ش ص

٨ ٣ ٤ ٦ ٧ ٨

٨ ٣ ٤ ٦ ٧ ٨

ط ظ ع غ ف ق

٥ ٨ ٥ ٩ ٤ ٣ ١ ٢
 ٤ ٩ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦
 ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤

لاحظ أن حرف (ض) غير موجود. ولعل السبب هو ترادف النطق بين حرفي (ظ) و (ض) يجعل القارئ العارف للأبجدية يفهم المقصود مباشرة من دون الحاجة إلى إفراء حرف خاص لكليهما.

الأمثلة أدناه للكتابة السرية هي من رسالتان اسماعيليتان مختلفتان. الأولى بعنوان (ثمان مسائل وأجوبتها)، والثانية بعنوان (خمس مسائل وأجوبتها)، وهي كلها مجموعة تحت عنوان (أربعة كتب). الكتابة أسفل الأبجدية السرية في النصوص أدناه هي بخطي أنا بقلم الرصاص ليسهل علي قراءتها في المصدر. وخلال كتابتي للنص تحت الصورة سوف أضع الكلمات المرموزة بالأبجدية السرية بين أقواس () حتى يسهل معرفتها عند المقارنة فيما عدى النص الأخير فإني تركته للقارئ الكريم مكتفياً بوضع الأحرف تحت

الكلمات بقلبي الرصاص. وأنصح القارئ الكريم أن يجرب قراءة النصوص من دون قراءة كلمات الأبجدية السرية (أي كأنه لا يعرفها) وسوف يلحظ مباشرة صعوبة فهم النص من دون معرفة الكلمات المرموزة.

المسألة الثانية: عن أجسام الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم ومعادها، الجواب في ذلك إنها بعد ٩٥١٣ أيام تتحلل، وتصعد إلى حيث كانت أولاً وهي ٨٧٤٠٨٢ وقد صارت في حالة أعلى وأشرف لمجاورتها للهاكل النورانية، وكونها كانت حجباً للإبداع، فتقيم ما شاء المدير ثم تصير ٣٠٢٢٠٢٨٧٢ تتصل بنفوس ٢٠٢٠٢٨٧٢ والحجج ودعاة الإبداع ٢٠٢٠٢٨٧٢ وتشعشع نفوسهم، وتصعد بصعودها وذلك حقيقة ما قاله مولانا الصادق صلوات الله عليه: «كثائف لطائف شيعتنا» يعني هذه التي توأصل نفوسهم من التواسيت، وقال: «لطائف شيعتنا كثائفنا» يعني ٣٢٨٢٢ الأولياء التي هي ٨٧٤٠٨٢ صارت ٢٠٢٢٨٧٢ لمواليهم وكثائف، فاعلم ذلك وصنه يصنعك الله فهو من الأسرار العالية، وهو أمانة عندك لا أطلعت عليه أحداً من خلق الله فتهلك.

المسألة الثانية: عن أجسام الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم ومعادها. الجواب في ذلك إنها بعد (ثلاثة) أيام تتحلل، وتصعد إلى حيث كانت أولاً، وهي (ريحية) وقد صارت في حالة أعلى وأشرف لمجاورتها للهيكل النورانية، وكونها كانت حجباً للإبداع. فتقيم ما شاء المدبر ثم تصير (مواداً لطيفة) تتصل بنفوس (الأبواب) والحجج ودعاة (البلاغ) وتشعشع نفوسهم، وتصعد بصعودها. وذلك حقيقة ما قاله مولانا الصادق صلوات الله عليه “كثائفنا لطائف شيعتنا”، يعني هذه التي تواصل نفوسهم من النواصيت. وقال “لطائف شيعتنا كثائفنا” يعني (أجسام) الأولياء التي هي (الريحية) صارت (غلافاً) لمواليهم وكثائف. فاعلم ذلك، وصنه يصنك الله، فهو من الأسرار العالية، وهو أمانة عندك لا أطلعت عليه أحداً من خلق الله فتهلك.

ثبت المصادر والمراجع

أ. مصادر عامة:

1. ابن أبي حاتم : ابو محمد عبد الرحمن محمد بن ادريس التميمي الرازي.
الجرح والتعديل- ط حيدر آباد- الدكن- الهند 1371هـ.
- 2- ابن الاثير: عز الدين علي بن محمد الشيباني. الكامل في التاريخ- ط دار صادر- بيروت 1965م.
- 3- ابن تغرى بردى: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرد بردى الاتابكي.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- ط دار الكتب المصرية 1933م.
- 4- ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحراني.
مجموع فتاوي شيخ الإسلام احمد بن تيمية- نشر مكتبة ابن تيمية- القاهرة.
- 5- ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني.الإصابة في تمييز الصحابة- ط. الخانجي- القاهرة 1325هـ.
- 6- ابن حزم : الإمام أبو محمد علي بن أحمد الظاهري. الفصل في الملل والأهواء والنحل - نشر مكتبة الخانجي بمصر 1321هـ.
- 7- ابن خلدون : أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون- كتاب الشعب- ط1 دار الشعب- القاهرة.
- 8- ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد. وفيات الأعيان- ت محمد محيي الدين عبد الحميد ط القاهرة 1949م.
- 9 - ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي.تفسير القرآن العظيم- دار إحياء الكتب العربية- الحلبي بالقاهرة.

- 10 - الاسفراييني: أبو المظفر عماد الدين. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين- ط الخانجي بمصر 1955. وملحق به كتاب- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة - لمحمد بن مالك الحمادي اليماني.
- 11 - الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - ت محمد محي الدين عبد الحميد ط- النهضة المصرية، القاهرة 1389هـ.
- 12- البغدادي : الفرق بين الفرق- نشر دار الكتب العلمية-بيروت ط 1 1985.
- 13 - الحميري: نشوان بن سعيد. الحور العين- ت كمال مصطفى - ط السعادة القاهرة 1948م.
- 14 - الديلمي: محمد بن الحسن. بيان مذهب الباطنية- صححه شتروطمان- مكتبة المعارف- الرياض.
- 15- الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء ت صلاح الدين المنجد وآخرين مصر 1936.
- 16 - الرازي: فخر الدين محمد بن عمر. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين- ط لجنة التأليف والترجمة والنشر 1356هـ.
- 17 - السيوطي: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الدر المنثور في التفسير المأثور- الناشر محمد أمين- بيروت.
- 18- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل- ت محمد سيد كيلاني- ط البابي الحلبي- القاهرة 1381هـ.

19- الطبري: الإمام ابو جعفر محمد بن جرير.

- تاريخ الأمم والملوك: ج2، ج5- ط الاستقامة /القاهرة 1357هـ.

- وجامع البيان في تفسير القرآن- ط دار الجيل، بيروت، وبهامشه تفسير (غرائب القرآن).

20 - العلوي: يحيى بن حمزة. الأفحام لأفئدة الباطنية الطغام- ت فيصل عون - منشأة المعارف بالإسكندرية.

21- الغزالي: الإمام أبو حامد محمد بن محمد. فضائح الباطنية- نشر دار البشير - عمان - 1995م، وطبعة الدار القومية للنشر 1964، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي.

22- كاشف الغطاء: محمد الحسين آل كاشف الغطاء. أصل الشيعة وأصولها- مطبعة العرفان - صيدا 1351هـ.

23 - محمد فؤاد عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نشر مؤسسة مناهل العرفان- بيروت.

24 - المقرئ: الإمام تقي الدين أحمد بن علي عبد القادر. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- ط القاهرة 1326هـ.

25- الملطي: أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الملطي. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- تقديم وتعليق محمد زاهد الكوثري- مكتبة المعارف بيروت 1968.

26- النوبختي: أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي. فرق الشيعة- عني بتصحيحه ه. ريتز ط استانبول. 1931.

27 - ياقوت: شهاب الدين بن عبد الله الحموي. معجم البلدان - دار صادر - بيروت 1384هـ.

ب- مصادر اللغة:

- أحمد بن فارس.

1- صاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها- نشر الدار السلفية-القاهرة 1910م.

2- معجم مقاييس اللغة- ت عبد السلام محمد هارون - ط الحلبي - القاهرة.

- اسماعيل بن حماد الجوهري.

3- الصحاح - ت عبد الغفور عطار - ط دار الكتاب العربى- القاهرة 1956.

- جمال الدين محمد بن مكرم- ابن منظور.

4- لسان العرب- د دار صادر- بيروت 1995.

- محمد بن أحمد ابو منصور الازهرى.

5- تهذيب اللغة- الدار العربية للتأليف والترجمة.

ج- مراجع عامة:

- د. أحمد عبد الغفار.

6- التأويل وصلته باللغة- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية 1995.

- د. أحمد محمد جلي.

7- دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين- ط1 مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات 1988.

- د. جميل عبد الله المصرى.

- 8- أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري - مكتبة لدار - المدينة المنورة.
- جولد زيهر - المستشرق المجري اجنتس جولد زيهر.
- 9- مذاهب التفسير الإسلامي - ترجمة عبد الحلیم النجار ط مصر 1955.
- د. حسن إبراهيم حسن.
- 10- تاريخ الإسلام السياسي - مكتبة النهضة المصرية ط 7 القاهرة 1964.
- 11- تاريخ الدولة الفاطمية - مكتبة النهضة المصرية ط 3.
- سيد قطب.
- 12- في ظلال القرآن ط 1 دار الشروق 1982.
- د. عبدالله سلوم السامرائي.
- 13- الغلو والفرق الغالية - دار واسط للنشر - بغداد.
- د. عبد الرحم بدوي.
- 14- مذاهب الإسلاميين دار العلم للملايين - بيروت 1973.
- عبد الفتاح إبراهيم سلامة.
- 15- النص القرآني بين التفسير والتأويل.
- رسالة دكتوراه بمكتبة أصول الدين/الأزهر الشريف - رقم (950) تفسير.
- د. عرفان عبد الحميد.
- 16- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية - بغداد 1967.
- د. علي سامي النشار.
- 17- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج1 - 3 ط دار المعارف بمصر 1969.

- د. فتحي محمد الزعبي.
- 18- غلاة الشيعة - ط1 1988.
- د. فضل حسن عباس.
- 19- القصص القرآني - احياءه ونفحاته - ط1 دار الفرقان - عمان.
- د. محسن عبد الحميد.
- 20- حقيقة البابية والبهاية ط1 بيروت 1975.
- الإمام محمد أبو زهرة.
- 21 - المذاهب الإسلامية ط دار الفكر العربي - القاهرة.
- د. محمد أحمد الخطيب.
- 22- الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة، مجلة دراسات -
مجلد 12 عدد 3 / 1991.
- 23- عقيدة الدروز - عرض ونقد، مكتبة الأقصى - عمان 1980.
- 24- تناسخ الأرواح، مكتبة الأقصى - عمان 1984.
- 25- الحركات الباطنية في الإسلام - مكتبة الأقصى - عمان 1984.
- د. محمد جابر عبد العال.
- 26- حركات الشيعة المتطرفين ط2 نشر دار المعرفة - القاهرة 1967.
- فضيلة الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي.
- 27- التفسير والمفسرون دار الكتب الحديثة - القاهرة - ط1 1976.
- محمد الرفراف.
- 28- التعريف بالقرآن والحديث - مكتبة الفلاح - الكويت.

- د. مصطفى السيد احمد غلوش.
- 29- عقيدة التناسخ في الإسلام- رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين- الأزهر الشريف رقم (376) عقيدة.
- د - مراجع عن طائفة الإسماعيلية وغيرها من الفرق الضالة :
- إحسان إلهي ظهير.
- 1- الإسماعيلية تاريخ وعقائد ط1 1986- ادارة ترجمان السنة بلاهور- باكستان.
- ادريس عماد الدين- الداعي الإسماعيلي.
- 2- زهر المعاني - ت. د. مصطفى غالب- بيروت.
- جعفر بن منصور اليمن-الداعي الإسماعيلي.
- 3- كتاب الكشف - ت د. مصطفى غالب- بيروت 1984.
- السجستاني- أبو يعقوب - الداعي الإسماعيلي.
- 4- كتاب الافتخار- ت د. مصطفى غالب بيروت.
- 5- تحفة المستجيبين- ضمن ثلاثة رسائل إسماعيلية ت: عارف تامر.
- السليمانى: ضياء الدين إسماعيل بن وهبة الله- المفسر الإسماعيلي.
- 6- مزاج التسليم- تفسير للأجكاء 11-20 من القرآن عني بتصحيحه - شتروطمان- ط المجمع العلمي- غوتغن.
- شتروطمان- المستشرق الألماني.
- 7- أربعة كتب إسماعيلية- تصوير مكتبة المثنى-بغداد.
- عبد الله نجار.
- 8- مذهب الدروز والتوحيد- دار المعارف بمصر 1965.

- د. محمد العزاوي.
- 9- فرقة النزارية تعاليمها ورجالها- مكتبة جامعة عين شمس- القاهرة، 1970.
- د. محمد كامل حسين.
- 10- طائفة الدروز- دار المعارف بمصر 1962.
- د. مصطفى غالب الإسماعيلي.
- 12- تاريخ الدعوة الإسماعيلية- دار الأندلسي- بيروت 1979.
- 13- الحركات الباطنية في الإسلام- دار الكتاب العربي- بيروت.
- النعمان بن حيون المغربي- قاضي قضاة الدولة الفاطمية.
- 14- دعائم الإسلام- ج1 ت أصف بن علي أصغر- دار المعارف- القاهرة.
- 15- تأويل الدعائم - د. 2 + د. 3 ت محمد حسن الأعظمي ط2 دار المعارف القاهرة.
- 16- أساس التأويل - ت عارف تامر- دار الثقافة - بيروت.
- محمد بن سعيد بن داود الرفنة.
- 17- الكافية- ضمن ثلاثة رسائل اسماعيلية ت - عامر تامر.
- د. طه أحمد شرف.
- 18- فرقة النزارية - مطبعة النهضة المصرية ط1 1950.
- طاهر سيف الدين- الداعي الحادي والخمسين- من دعاة البهرة الداودية والد الدعي الحالي للطائفة وهو الدكتور محمد برهان الدين.
- 19- فضل المدينة المرعية ج 1 + ج 2 - بومبي الهند 1406هـ.

- 20- الرسائل الموسومة بـ (الهداية الامرية في ابطال دعوى النزارية) ويتلوها (صواعق الإرغام في إدحاض حجج أولئك اللئام) من كتب البهرة الداوودية.
- 21- الضريح النوراني - قبر طاهر سيف الدين- صادر عن دار الاشاعة بالجامعة السيفية- سورت الهند 1978 وهو من كتب البهرة الداوودية.
- تقي شرف الدين.
- 22- النصيرية- بيروت 1983.
- د. سليمان الحلبي.
- 23- طائفة النصيرية- تاريخها وعقائدها ط2 السلفية بالكويت.
- دكتورة سهير محمد علي الفيل.
- 24- النصيرية ج 1- دار المنار بمصر 1990.
- هاشم عثمان.
- 25- العلويون بين الاسطورة والحقيقة - وملحق به- الهداية الكبرى للخصيبي- وهو من أئمة النصيرية- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت.
- إحسان إلهي ظهير.
- 26- البابية عرض ونقد- إدارة ترجمان السنة بلاهور باكستان ط1 1978.
- 27- البهائية - ادارة ترجمان السنة ط1.
- 28- القاديانية - إدارة ترجمان السنة بلاهور ط1 باكستان.
- د. سامي عطا حسن - .
- 29- حقيقة البابية والبهائية والقاديانية - وتأويلاتهم الباطنية لآيات القرآن الكريم - المكتبة الأهلية ، عمان ،

- محمد فاضل.

30- الحراب في صدر البهاء والباب - مطبعة دار التقدم بمصر 1911م.

- دكتورة وداد القاضي.

31- الكيسانية في التاريخ والأدب - دار الثقافة بيروت - 1974.

هـ - مراجع في أصول الفقه:

- د. سيد صالح عوض.

1- دراسات في التعارض والترجيح عند الأصوليين دار الطباعة بالأزهر ط1-
1980 القاهرة.

- د. فتحي الدريني.

2- المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي ط 1 1985 دمشق.

- علي بن حزم الأندلسي.

3- الأحكام في أصول الأحكام مكتبة الخانجي ط 1 1345هـ.

- علي بن علي بن محمد - سيف الدين الأمدي.

4- الأحكام في أصول الأحكام مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة - 1347هـ.

- د. محمد ابراهيم محمد الحفناوي.

5- التعارض والترجيح عند الأصوليين ط دار الفرقان - المنصورة.

- د. محمد أديب صالح.

6- تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ط3 - 1984 - المكتب الإسلامي - بيروت.

- د. محمود توفيق محمد سعد.

7- دلالات الألفاظ عند الأصوليين ط1 - القاهرة 1987.

- د. وهبة الزحيلي.

8- أصول الفقه الإسلامي - دار الفكر - بيروت ط1 - 1986.

و - المقالات والدوريات:

1- مقالات الأستاذ عصام الجتياوي بمجلة المجتمع الكويتية عن طائفة الإسماعيلية بفرقها الدروز، البهرة الداودية، الإسماعيلية النزارية بدءاً من العدد رقم 375-1978م.

2- صحيفة الباثريوت الهندية وفيها مقال مطول عن طائفة البهرة بقلم السيد سلطان شاهين العدد الصادر عام 1978 وقد زودني به أحد أقاربي مترجماً.. وكان يدرس في الهند.

3- غلامانة روش - نشرة باللغة الأوردية عن طائفة البهرة ..

4- داعي مطلق - نشرة باللغة الأوردية عن طائفة البهرة .

5- مقال عن طائفة البهرة بقلم محيي الدين الألوائي بمجلة الأزهر مجلد 45.

6- صحيفة دار العلوم - العددان 3-4 سنة 1994.

فهرس الموضوعات

- المقدمة
- تمهيد
- الفصل الأول
- أولا - : نشأة الإسماعيلية
 - من فرق الغلاة
 - 1- الكربية
 - 2- الحربية
 - 3- الهاشمية
 - 4- فرقة الخطابية أو الخمسة
 - مقولات أبو الخطاب وآراؤه
- ثانيا - : عقائد الغلاة .
- ثالثا - : الفرق الإسماعيلية
 - : الإسماعيلية الخالصة
 - أ- : الإسماعيلية المباركية
 - ب- : القرامطة
 - 1- نشأة القرامطة وأهم معتقداتهم
 - 2- نسب القرامطة
 - 3- عقيدتهم
 - 4- هدف القرامطة

- 5- نشر مذهبهم
- 6- التأسيس وأبرز شخصياتهم
- 7- مناطق الانتشار
- 8- قرامطة البحرين
- 9- قرامطة الشام
- ت- قرامطة اليمن
- ث- : طائفة الدروز
- من عقائد الدروز
- أ - يعتقد الدروز بالوهمية الحاكم
- ب- ويعتقد الدروز بالتقمص
- ت- توحيد الله في العقيدة الدرزية
- ث - عقيدتهم في اليوم الآخر والثواب والعقاب
- ج- عقيدتهم في الأنبياء
- ح - نسخ الشريعة الإسلامية
- 2 - من تأويلات الدروز المنحرفة
- 3 - من تأويلات الدروز للصوم
- 4 - من تأويلات الدروز للحج
- 5 - من تأويلات الدروز للزكاة
- 6 - من تأويلات الدروز للصوم
- 3 - تأويلات درزية لبعض الآيات

- 4 - المرتكزات الفكرية والعقدية للطائفة الدرزية -
- ج- : الإسماعيلية المستعلية- البهرة -
- 1- نشأة طائفة البهرة -
- أ- فرق البهرة -
- ب- البهرة السليمانية -
- 2- البهرة الداودية -
- 3- شذرات من عقائد البهرة وعباداتهم -
- 4- حياة البهرة الاجتماعية -
- 5- من تأويلات البهرة -
- 6- ح - : الإسماعيلية النزارية -
- 1- دعوة الحسن الصباح (الحشاشون) -
- 2- الأغاخانية -
- أ - أغاخان الأول -
- ب- أغاخان الثاني -
- ج- أغاخان الثالث -
- د - أغاخان الرابع : كريم بن علي -
- 3- مواطن انتشارهم -
- الفصل الثاني :
- معنى التأويل ، وشروط التأويل الصحيح المقبول ، وسمات التأويل الباطني
- الفاسد-

- أولا : - معنى التأويل في اللغة ، ونصوص الكتاب والسنة ، والاصطلاح -
- ثانيا : - الإستعمال القرآني لكلمة التأويل -
- ثالثا : - كلمة التأويل في أحاديث الرسول ﷺ -
- رابعا : - التأويل في عهدي الصحابة والتابعين -
- خامسا : - التأويل في الإصطلاح -
- سادسا :- شروط التأويل المقبول وأدلتها ، وسمات التأويل الفاسد المردود-

الفصل الثالث : تأويلات الإسماعيليين -

أولا : تأويلاتهم في العقائد وتفنيدها -

1- تأويلاتهم لكلمة الشهادة -

2- تأويلاتهم للأسماء والصفات -

ثانيا : تأويلاتهم للعبادات -

1- تأويلاتهم للوضوء والطهارة -

2- : تأويلاتهم للصلاة ومتعلقاتها -

3- : تأويلاتهم للزكاة -

4- تأويلاتهم للصيام -

5- تأويلاتهم للحج -

ثالثا : - تأويلاتهم المغالية في أئمتهم وآل البيت -

رابعا : - تأويلات الإسماعيليين وغيرهم للآيات التي زعموا أنها تدل على

التناسخ...وتفنيدها -

خامسا : - تأويلاتهم الحاقدة على صحابة رسول الله ﷺ -

سادسا - تأويلاتهم لبعض قصص الأنبياء . -

أ - تأويلاتهم لقصة يونس - عليه السلام -

ب - تأويلاتهم للشجرة التي نهي آدم عن القرب منها -

ت - تأويلاتهم لقصة هود - عليه السلام -

ث - تأويلاتهم لقصة يوسف - عليه السلام -

سابعا: - تأويلات إسماعيلية متفرقة -

أ - تأويلاتهم للبسملة -

ب - تأويلاتهم للحروف المقطعة في أوائل السور وتقنيدها -

ت - تأويلاتهم لسور وآيات قرآنية -

1- تأويل سورة الإخلاص -

2- تأويل ليلة القدر -

3- تأويل سورة التين -

4- تأويل آية في سورة الأعراف -

5- تأويل آيات في سورة الانفطار -

6- تأويل آيات في سورة التكوير -

7- تأويل آية الكرسي

8- تأويلاتهم لبعض المصطلحات الإسلامية وتقنيدها ذلك -

- الخاتمة

- ثبت المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات